الوسيلة الأدبية

إلى العلوم العربية

تأليف
العلامة اللغوي الناقد الأديب
حسين بن أحمد بن حسين المرصفي
مدرس العلوم العربية وعلوم الأدب بدار العلوم الخديوية المصرية
رحمه الله تعالى
(ت ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠ م)

المجلد الثالث

دار المنهاج

الوسيلة الأدبية

إلى العلوم العربية

٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الوسيلة الأدبية

إلى العلوم العربية

تأليف

العلامة اللغوي الناقد الأديب

حسين بن أحمد بن حسين المرصفي

مدرس العلوم العربية وعلوم الأدب بدار العلوم الخديوية المصرية

رحمه الله تعالى

(ت ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠ م)

عني به

الدكتور محمد عبد الرحمن شميلة الأهدل

المجلد الثالث

دار المنهاج

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م

دار المنهاج للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية ـ جدة
حي الكندرة ـ شارع الملك فهد ـ جانب البنك الفرنسي
هاتف رئيسي 00966 12 6326666
المكتبة 6322471 ـ فاكس 6320392
ص. ب 22943 ـ جدة 21416
www.alminhaj.com
E-mail: info@alminhaj.com
ISBN: 978 - 9953 - 541 - 97 - 6

إنّ أستاذي الوحيد الّذي أَعُدُّ نفسي مديناً له
هو الشّيخ حسين المرصفيّ

أحمد شوقي

المقصد الرّابع

في الكتابة، وقرض الشعر، والإنشاء

الكتابة

[تعريفُ الكتابةِ]

ويُقالُ : **عِلْمُ الخطِّ القياسيّ** في مقابلةِ خطَّينِ لا يُقاسُ عليهِما ؛ وهُما : خطُّ المصحفِ العثمانيّ الذي تَحرُمُ مخالفتُهُ أو تُكرَهُ على خلافِ المذاهبِ في ذٰلكَ ، وخطُّ العَروضيّينَ عندَ بيانِ أوزانِ الشعرِ .

وهيَ فنُّ معرفةِ الكتابةِ على الصُّورةِ المُصطلَحِ عليها .

وبيانُ ذٰلكَ : يَحسُنُ أن يكونَ في أربعةِ أبوابٍ ؛ اتِّباعاً لِمَنِ اختَصَّ بفضيلةِ ضبطِ هٰذا الفنِّ عنِ انتشارٍ ، ومِنْ كتابِهِ المُسمَّىٰ بـ « **المطالعِ النصريَّةِ** » تلخيصُ ما سنُلخِّصُ ، رحمَهُ اللهُ تعالى ؛ الشيخُ أبو الوفاءِ نصرٌ **الهورينيُّ** ، إمامُ عصرِهِ وحافظُ وقتِهِ .

* * *

البابُ الأوَّلُ

في الهمزةِ ، والأَلِفِ ، ونونِ التوكيدِ ، والتنوينِ ونونِ (إذاً) ، وهاءِ التأنيثِ

الكلامُ على الهمزةِ [1]

الهمزةُ وتسميتُها أَلِفاً يابسةً [نظراً] لتصويرِها في بعضِ الأحوالِ ؛ إذا كانَتْ أوَّلَ كلمةٍ . . رُسِمَتْ مطلقاً أَلِفاً ، ولا تكونُ حينَئِذٍ ساكنةً ؛ لِمَا ثبتَ في اللغةِ مِنْ عدمِ الابتداءِ بالساكنِ ، بل إذا كانَتْ ساكنةً أوَّلَ أصولِ كلمةٍ وأُرِيدَ الابتداءُ بكلمتِها . . اجتُلِبَ لذٰلكَ الهمزةُ التي تُسمَّىٰ همزةَ الوصلِ ؛ مثلُ : ٱؤْمرْ ، ٱئْتِ .

[أحوالُ الهمزةِ من حيثُ الرسمُ]

ولهٰذهِ الهمزةِ في الرَّسمِ أحوالٌ :

فتُرسَمُ أَلِفاً بعدَ الفاءِ والواوِ ؛ نحوُ : فأمُرْ ، وأْتِ ، وبعدَ غيرِهِما : فإن كانَتْ همزةُ الوصلِ مضمومةً ؛ مثلُ : اؤْمرْ . . رُسِمَتْ همزةُ الكلمةِ واواً ، وإن كانَتْ همزةُ الوصلِ مكسورةً ، نُطِقَ بها أو لم يُنطَقْ . . رُسِمَتْ ياءً ؛ مثلُ : ثُمَّ ٱئْتوا .

❁ ❁ ❁

(١) قال الشيخ عبد اللطيف الخطيب في « أصول الإملاء » (ص ١٩) : (الهمزة حرف لا صورة له في الخط ، وهي تكتب غالباً بصورة الألف أو الواو أو الياء ؛ وذٰلك لأنها إن سُهِّلت . . انقلبت إلى الحرف الذي كُتبت بصورته) .

وقال العلامة نصر الهوريني في « المطالع النصرية » (ص ٨٨) : (وأما وضع القطعة ـ أي : التي هي كرأس العين « ء » ـ في محل الهمزة إذا حُذفت أو فوق الياء أو الواو المصوَّرتين بدل الهمزة . . فذٰلك حادث بعد حدوث الشكل ؛ مراعاةً لتحقيق الهمز) .

وإذا وقعَتْ حشواً ؛ فإن كانَتْ ساكنةً . . رُسِمَتْ حرفاً مِنْ جنسِ الحركةِ السابقةِ عليها ؛ فتُرسَمُ أَلِفاً في نحوِ : رأسٍ ، وياءً في نحوِ : بئرٍ ، وواواً في نحوِ : نُؤْيٍ وسُؤْلٍ .

وإنْ كانَتْ مكسورةً . . رُسِمَتْ ياءً [1] ، وفي الواقعةِ بعدَ ضمَّةٍ خلافٌ بينَ سيبويهِ وتلميذِهِ الأخفشِ ؛ فالأخفشُ يقولُ برسمِها واواً حينَئذٍ ، واستحسنَ بعضُهُمُ الجريَ علىٰ مذهبِهِ إذا وقعَ بعدَها ياءٌ [2] .

وإن كانَتْ مضمومةً . . رُسِمَتْ واواً ؛ مثلُ : رؤوفٍ .

وإن كانَتْ مفتوحةً . . رُسِمَتْ بعدَ فتحةٍ أَلِفاً ؛ مثلُ : رَأَسَ القومَ : صارَ لهُم رئيساً ، وبعدَ كسرةٍ ياءً ؛ مثلُ : فئةٍ ومئةٍ ، وبعدَ ضمَّةٍ واواً ؛ مثلُ : سُؤَالٍ وفُؤَادٍ ، وبعدَ سكونٍ تُرسَمُ أَلِفاً إن كانَ الساكنُ صحيحاً [3] ، وإلَّا . . حُذِفَتْ إن لم يَحصُلْ لَبْسٌ ، فتُرسَمُ أَلِفاً للتمييزِ [4] .

تنبيهٌ

[في رسمِ الهمزةِ الواقعةِ بعدَ همزةِ الاستفهامِ]

الهمزةُ الواقعةُ بعدَ همزةِ الاستفهامِ في نحوِ : أَؤُنَبِئُ ، أَؤُنْزِلُ ، أَأَسْجُدُ ، أَئِفكاً ، أَئِذا ، والواقعةُ بعدَ اللَّامِ المُوطِّئةِ ؛ نحوُ : لَئِن جئتَ ، وبعدَ (حينَ) وأمثالِهِ في : حينَئِذٍ ويومَئِذٍ ، وهمزةُ (لِئَلَّا) دونَ (لِأَنْ جاءَ) مثلاً ، وهمزةُ (هٰؤلاءِ) علىٰ خلافٍ في بعضِ ذٰلكَ . . تُنَزَّلُ منزلةَ المُتوسِّطةِ ، فتَجري

---

(1) مثالها : (سُئِل ، ودُئِل ، وسُئِّل) .

(2) فمثال الهمزة المكسورة الواقعة بعد ضمة علىٰ مذهب سيبويه : (رُئِيَ) ، ومثالها علىٰ مذهب الأخفش : (رُؤِيَ) .

(3) مثالها : (يَسْأَل ، ويَسْأَم ، ومَرْأَة) .

(4) مثال الهمزة المفتوحة المسبوقة بساكن معتلٍّ : (تضاءَل وتفاءَل ، وتوْءَم وسموْءَل ، وجيْئَل وهيْئَة) .

عليها أحكامُها ؛ فتُرسَمُ المضمومةُ واواً ، وتُرسَمُ المفتوحةُ أَلِفاً بعدَ فتحةٍ ، وياءً بعدَ كسرةٍ ، وتُرسَمُ المكسورةُ ياءً .

[رسمُ الهمزةِ الواقعةِ آخرَ الكلمةِ]

وإذا وقعَتْ آخِرَ الكلمةِ ؛ فإن تلتْ فتحةً . . رُسِمَتْ أَلِفاً ؛ كقرأَ ويقرأُ ، وإن تلتْ كسرةً . . رُسِمَتْ ياءً ؛ كبَرِئَ ولم يَجِئْ ، وإن تلتْ ضَمَّةً . . رُسِمَتْ واواً ؛ كوَضُؤَ لُؤْلُؤٌ ، وإن تلتْ سكوناً . . لم تُصَوَّرْ [١] ، لٰكنْ قالَ صاحبُ « أدبِ الكاتبِ » : (إنَّ همزةَ نحوِ « رأىٰ ونأىٰ » مِنَ المنقوصِ . . تُرسَمُ ياءً) [٢] .

وهٰذا إذا لم يتصلْ بالكلمةِ علاماتُ الإعرابِ الحرفيَّةُ ، ولا إحدى الياءاتِ الثلاثِ : ياءِ المُتكلِّمِ ، وياءِ المُخاطَبةِ ، وياءِ النَّسَبِ ، ولا الضَّمائرُ المُتصِلةُ ، فإنِ اتصلَ بها شيءٌ مِنْ ذٰلكَ . . عُدَّتْ حشواً ، وحينَئذٍ إذا اتصلَ بالتي تُرسَمُ أَلِفاً ضميرٌ . . فالمُتقدِّمونَ كانوا يرسمونَها حرفاً مِنْ جنسِ حركتِها نفسِها ، والمُتأخِّرونَ يرسمونَها أَلِفاً ، ولا يعتبرونَها مُتوسِّطةً ؛ كيقرؤُهُ ويملؤُهُ ، ومِنْ بنائِهِ ، ومِنْ خَطائِهِ [٣] ، قيلَ : والراجحُ مذهبُ المُتقدِّمينَ [٤] .

وإذا اتصلَ بنحوِ (قرأَ ويقرأُ) ألفُ الاثنينِ . . رُسِمَتِ الهمزةُ أَلِفاً ؛ لدفعِ

---

(١) مثال الهمزة إن تلَتْ سكوناً : (وَطْءٌ وجُزْءٌ ، وجاءَ وشاءَ وكساءٌ ورداءٌ ، ويجيءُ ويضيءُ وهنيءٌ ومريءٌ ، ويبوءُ وينوءُ ووضوءٌ وهدوءٌ) .

(٢) أدب الكاتب (ص ٢٦٨) ، وانظر « المطالع النصرية » (ص ١٠٩) ، والمراد : اسم الفاعل المنقوص ؛ نحو : (الرائي والنائي) .

(٣) ولغير المتقدِّمين ؛ نحو : (مَنْ كان يقرأُه . . فالله يكلأُه) ، ونحو : (لا يظهر خطأُه عند ملأِه) فيبقيها ألفاً كما لو لم يتصل بها شيء .

(٤) انظر « المطالع النصرية » (ص ١١١) ففيه أنَّ الراجحَ المقدَّمَ : المذهبُ الأول ؛ وهو مذهب المتقدمين .

اللَّبسِ بفعلِ الواحدِ في نحوِ : الزيدانِ قرأَا ؛ ليخالفَ : الزيدانِ قرأَ أخوهُما ، وبفعلِ الإناثِ (١) .

وإذا ثُنِّيَ نحوُ (نبأٌ) . . لم تُرسَمْ أَلِفُهُ (٢) .

وإذا اتصلَ بها واوُ الضَّميرِ أو واوُ الجمعِ . . حُذِفَتْ ؛ كقرءُوا ، ويقرءُون ، وقارءُون .

وإذا اتصلَتْ بياءِ المُخاطَبةِ . . كُتِبَتْ ياءً ؛ نحوُ : لم تقرئِي .

وإذا اتصلَتْ بياءِ المُتكلِّمِ أو بياءِ النَّسَبِ ؛ نحوُ : ملجئِي ، وسبئِيٍّ نسبةً إلىٰ سبأٍ . . فحقُّها أن تُرسَمَ ياءً ، والجاري كتبُها ألفاً (٣) .

وإذا اتصلَتْ بياءِ الجمعِ ؛ كقارئينَ وناشئينَ . . رُسِمَتْ ياءً .

وإذا اتصلَ بالتي تُكتَبُ ياءً ضميرٌ تَتغيَّرُ معَهُ حركاتُها الإعرابيةُ . . لم يَتغيَّرْ رسمُها ؛ كقارئِنا ومُنشئِكُم ، وكذا إذا اتصلَ بها أَلِفُ الاثنَينِ أو أَلِفُ التثنيةِ ، وكذا إذا اتصلَ بها واوُ الضَّميرِ أو واوُ الجمعِ (٤) .

وإذا اتصلَ بها ياءُ الجمعِ . . حُذفَتْ (٥) .

وإذا اتصلَ بها ياءُ المُتكلِّمِ أو ياءُ المُخاطَبةِ عندَ رفعِ الفعلِ . . حُذِفَتْ أيضاً (٦) .

وعندَ نصبِهِ وجزمِهِ . . قيلَ : تُرسَمُ ، وقيلَ : تُحذَفُ .

---

(١) ومثال مخالفته لفعل الإناث : (النسوة يقرأْنَ الدرس) .

(٢) مثال التثنية : (نبآن) .

(٣) علىٰ مذهب غير المتقدِّمين ، من أن الهمزة المتطرفة إذا اتصل بها شيء ؛ كياء النسب أو المتكلم . . تبقىٰ علىٰ أصلها حال الانفراد ، فتُرسَم هٰكذا : (ملجأي وسبأي) .

(٤) أمثلتها على الترتيب : (يُقرئُنا وقارئُنا ، ويُقرئَانِ وقارئَانِ ، ولم يُقرِئُوا وهم المُقرئُون) .

(٥) مثالها : (القارين والمبتدِين والمستهزِين) .

(٦) مثالهما : (نفعني مَجِيَّ إليك ، أنتِ تتَّكينَ وتُقرينَ) من (مجيئي ، وتتكئين ، وتُقرئين) .

وإذا اتصلَ بالتي تُكتَبُ واواً ضميرٌ ؛ نحوُ : أخذتُ مِنْ لؤلؤِكَ ، ولتكافُؤِهم . . رُسِمَتْ واواً على المُختارِ .

وإذا اتصلَ بنحوِ ([رَدُؤَ]) و(بَطُؤَ) ألفُ الاثنَينِ ، أو ثُنِّيَ نحوُ (لؤلؤٍ) ، أو اتصلَ بنحوِ (وَضُؤَ) واوُ الجماعةِ . . رُسِمَتِ الهمزةُ واواً أيضاً ، وكذا إذا اتصلَ بنحوِ (لؤلؤٍ) ياءُ المُتكلِّمِ أو ياءُ النَّسبِ (١) .

وإذا اتصلَ بالتي تُحذَفُ ضميرٌ . . صُوِّرَتْ بحرفٍ مِنْ جنسِ حركتِها ؛ فتُرسَمُ واواً في مثلِ : حَرُمَ وَطْؤُها ، وياءً في مثلِ : خُذْهُ بمِلْئِهِ ، وأَلِفاً في مثلِ : رأيتُ الجيشَ ورِدْأَهُ .

وإذا ثَنَّيتَ نحوَ (جزْءٍ) . . صَوَّرتَ الهمزةَ أَلِفاً معَ الياءِ فقطْ (٢) .

وإذا اتصلَ بنحوِ (جزءٍ) ياءُ المُتكلِّمِ ، أو ياءُ النَّسبِ . . رُسِمَتِ ٱلْهَمْزَةُ ياءً (٣) .

وإذا اتصلَ بنحوِ (جاءَ) ضميرُ المفعولِ . . لا تُرسَمُ الهمزةُ أَلِفاً (٤) .

وكذا تُحذَفُ الهمزةُ مِنْ نحوِ (جاءَ) و(شاءَ) حيثُ يُسنَدُ لواوِ الجماعةِ (٥) .

وإذا أُضيفَ نحوُ (كساءٍ) و(رُواءٍ) إلىٰ ضميرٍ (٦) ، أو اتصلَ بهِ ياءُ النَّسبِ . . صُوِّرَتِ الهمزةُ بحرفٍ مِنْ جنسِ حركتِها ، إلَّا حالةَ النصبِ فتُحذَفُ ؛ فتُرسَمُ واواً في نحوِ : هٰذا كساؤُكَ ، وياءً في نحوِ : كسائِي وكسائِهِ ، والكسائِيّ .

وإذا اتصلَ بنحوِ (يجيءُ) و(يُفِيءُ) مِنْ أفاءَ : ضميرُ المفعولِ . . لم تُرسَمِ

---

(١) الأمثلة على الترتيب : (رَدُؤَا وبَطُؤَا ، ولُؤْلُؤَانِ ، ووَضُؤُوا ، ولُؤْلُؤِيْ ، ولُؤْلُؤِيٌّ) .

(٢) مثاله : (جُزأَينِ) .

(٣) مثالهما : (جُزْئِيْ ، وجزئيٌّ) .

(٤) مثاله : (جاءَهُ) .

(٥) مثاله : (جاءُوا ، وشاءُوا) .

(٦) الرُّواء : حسن المنظر .

الهمزةُ [١] ، وكذا إذا ثُنِّيَ نحوُ (مجيءٍ) [٢] ، وكذا في أمرِ المُخاطَبةِ بنحوِ : (جِيئِي وفِيئِي) .

وإذا أُضيفَ مثلُ (وضوءٍ) و(قروءٍ) لضميرٍ ؛ كوضوئي وقروئِهِنَّ . . رُسِمَتِ الهمزةُ ياءً حالَ جرِّهِ ، ولم تُرسَمْ حالَ رفعِهِ ونصبِهِ [٣] .

وإذا أُضيفَ نحوُ (شيءٍ) و(فيءٍ) . . لم تُصَوَّرْ همزتُهُ أصلاً [٤] .

والهمزةُ الواقعةُ قبلَ هاءِ التأنيثِ ؛ قيلَ : إنَّها مُتطرِّفةٌ تقديراً ؛ لأنَّهُم يقولونَ : إنَّ هاءَ التأنيثِ في تقديرِ الانفصالِ ، وكأنَّها كلمةٌ مُستقِلَّةٌ ، وتُرسَمُ أَلِفاً إن كانَ قبلَها حرفٌ صحيحٌ ، وإلَّا . . حُذِفَتْ [٥] .

الكلامُ على الأَلِفِ

الألفُ إن كانَتْ حشواً ولو تقديراً ؛ بأن كانَ بعدَها هاءُ التأنيثِ ، أو كانَتْ طرَفاً في الحروفِ أو في الأسماءِ المبنيَّةِ . . رُسِمَتْ أَلِفاً ، إلَّا في : (بلىٰ) ، و(علىٰ) ، و(إلىٰ) ، و(حتىٰ) ، مِنَ الحروفِ ، فتُرسَمُ ياءً ؛ لقولِكَ : عليكَ ، وإليكَ ، وإمالةِ (بلىٰ) ، وحمل (حتىٰ) علىٰ (إلىٰ) ، وإلَّا في : (لدىٰ) ، و(متىٰ) ، و(أنَّى) التي بمعنىٰ كيفَ ، أو مِنْ أينَ ، [و(الأُلى)] الموصولةِ ، و(أُولى) الإشاريةِ ، مِنَ الأسماءِ المبنيةِ ، فتُرسَمُ ياءً أيضاً ، و(مهما) على القولِ بأنَّها بسيطةٌ وضعاً ، والجاري رسمُها أَلِفاً .

---

(١) مثاله : (يجيئُه ، ويُفيئُه) ، قال في « المطالع النصرية » (ص ١٢٥) : (لم ترسم الهمزة ، وإنما ترفع نبرة لتركز عليها قُطعة الشكل ، سواء كان الفعل مرفوعاً أو منصوباً ؛ نظراً لتحقيق الهمزة) .

(٢) مثاله : (مجيئان) .

(٣) مثال عدم رسمها حال الرفع والنصب : (أعجبني وُضوءُك ، ورأيت وضوءَكَ) .

(٤) مثالهما : (هـٰذا فيئي وشيئي ، وفيئُكَ وشيئُكَ ، وفيئُه وشيئُه) .

(٥) مثال الهمزة التي قبلها حرف صحيح : (مَرْأَة ، وكَمْأَة ، وفَجْأَة) ، ومثال التي قبلها معتل : (فُجاءَة وعباءَة ، ومقرُوءَة وشنُوءَة ، وسَوْءَة ، وخطِيئَة وردِيئَة ، وهَيْئَة وفَيْئَة) .

وإن كانَتْ طرفاً في الأسماءِ المعربةِ أوِ الأفعالِ . . رُسِمَتْ ياءً لأحدِ مُقتضِيَينِ :

الأَوَّلُ : أن تزيدَ علىٰ ثلاثةِ أحرفٍ ولو بالتضعيفِ ؛ نحوُ : جلَّىٰ مُضعَّفِ جلا .

الثاني : أن تكونَ مُنقلِبةً عن ياءٍ ، ويُعرَفُ ذٰلكَ بالنقلِ ، ويُسهِّلُ معرفتَهُ النظرُ لتثنيةِ الكلمةِ وجمعِها جمعَ تأنيثٍ ، وإلى المضارعِ في الأفعالِ ، والمصدرِ[1] .

ويَمنعُ مِنْ كتابتِها ياءً أمرانِ :

الأَوَّلُ : أن تَسبِقَها ياءٌ ؛ كـ (يحيا) ، فتُرسَمُ أَلِفاً ، إلَّا إذا جُعِلَ عَلَماً ، فتُرسَمُ ياءً على القاعدةِ .

والثاني : أن يتصلَ بها ما يَجعلُها حشواً ؛ كالضَّميرِ في : أعطاهُ إحداهُنَّ ، [وبمقتضامَ] فعلتَ ، وحتَّامَ ، وإلامَ ؛ استفهاماً ، وحتَّاكَ وحتَّاهُ هٰذا ؟

وإذا وقعَ ما يُرسَمُ ياءً في شعرٍ أو سجعٍ على الألفِ . . فالأحسنُ كَتْبُهُ أَلِفاً ؛ للمشاكلةِ[2] .

والكلماتُ التي وردَتْ مقصورةً وممدودةً . . يجوزُ كَتْبُ مقصورِها بالياءِ

---

(١) أمثلتها على الترتيب : (فتىً : فتيان ، حصىً : حصيات ، عصىٰ : يعصي ، سعى : السعي) .

(٢) وقد مثَّل له العلامة الهوريني في « المطالع النصرية » (ص ١٤٨) : (من المجتث)

يَـا سَـيِّـداً حَـازَ رِقِّـي ... بِـمَـا حَـبَـانِـي وَأَوْلَا
أَحْـسَـنْـتَ بِـرّاً فَـقُـلْ لِـي ... أَحْـسَـنْـتُ فِـي ٱلشُّـكْـرِ أَوْ لَا

ويقول الآخر : (من الرمل)

حَـارَ فِـي سُـقْـمِـيَ مِـنْ بَـعْـدِهِـمُ ... كُـلُّ مَـنْ فِـي ٱلْـحَـيِّ دَاوَىٰ أَوْ رَقَـا
بَـعْـدَهُـمْ لَا ظَـلَّ وَادِي ٱلْـمُـنْـحَـنَىٰ ... وَكَـذَا بَـانُ ٱلْـحِـمَـىٰ لَا أَوْرَقَـا

أوِ الأَلِفِ ، وفي المقصورِ إذا نُوِّنَ خلافٌ ، ومذهبُ سيبويهِ : رسمُهُ بالأَلِفِ نصباً [١] .

وبعضُ النحاةِ يَرىٰ رسمَ الأَلِفِ أَلِفاً مطلقاً ؛ تبعاً للَّفظِ ، وليتَهُ جرى العملُ علىٰ ذٰلكَ ، فقد أوقعَ هٰذا الرسمُ الاصطلاحيُّ في غَلَطٍ كثيرٍ ، فتَسمعُ الناسَ مثلاً يقولونَ : مَنْ لدى الحضرةِ .

ورُسِمَتْ أَلِفاً لأحدِ مُقتضِيَينِ أيضاً [٢] :

الأوَّلُ : أن تكونَ مُنقلِبةً عن واوٍ ؛ كـ (تلا) و(دعا) مِنَ الأفعالِ ، و(عصاً) و(مهاً) مِنَ الأسماء .

والثاني : أن تكونَ في كلمةٍ أعجميَّةٍ [٣] ، أو في كلمةٍ عربيةٍ مجهولةِ الأصلِ ؛ كـ ([الدَّدا]) اللعبُ ، و(خسا) و(زكا) للفردِ والزوجِ ، ولٰكنْ جَوَّزُوا كَتْبَ مثلِ هٰذا ياءً أيضاً .

وإذا سبقَ هٰذهِ الأَلِفَ همزةٌ ؛ نحوُ : شأىٰ وبأىٰ ؛ بمعنى افتخرَ . . رُسِمَتْ ياءً .

الكلامُ علىٰ نونِ التوكيدِ ، ونونِ (إذاً) ، والتنوينِ

تُرسَمُ نونُ التوكيدِ الخفيفةُ أَلِفاً إلَّا عندَ خوفِ اللَّبسِ ؛ نحو : لا تضربَنْ زيداً ، واضربَنْ عمراً ؛ إذا أمرتَ واحداً مِنِ اثنَينِ .

وتُرسَمُ نونُ (إذاً) بالأَلِفِ على اختيارِ بعضٍ ، وبالنونِ على اختيارِ بعضٍ آخَرَ ، وبالأَلِفِ عندَ عملِها ، وبالنونِ عندَ إلغائِها ، أو بالعكسِ ، على اختلافِ النقلِ في اختيارِ بعضٍ آخَرَ .

---

(١) انظر « المطالع النصرية » (ص ١٥١) .

(٢) أي : الألف التي وقعت طرفاً .

(٣) مثالها : (بُغا ، يهودا ، زليخا) .

و(إذاً) هٰذهِ هيَ الجوابيةُ الواقعةُ في قولِكَ : إذاً تصيبَ ؛ جواباً لِمَنْ يقولُ : أريدُ أن أفعلَ كذا .

وأمَّا التنوينُ . . فلا يُصوَّرُ في الكتابةِ إلَّا حالةَ النصبِ ، فيُصوَّرُ أَلِفاً إن لم يكنْ بعدَ تاءِ تأنيثٍ ، أو همزةٍ تُرسَمُ أَلِفاً ، أو همزةٍ تُحذَفُ لوجودِ أَلِفٍ قبلَها ؛ كعطاءٍ وجزاءٍ .

الكلامُ علىٰ هاءِ التأنيثِ

هيَ تاءُ التأنيثِ التي تَمنعُ الصَّرفَ في الأعلامِ ، ويُوقَفُ عليها بالهاءِ ؛ كتاءِ فاطمةَ وطلحةَ ، وراويةٍ وعلَّامةٍ وخليفةٍ وعِدَةٍ ، فتُرسَمُ بالهاءِ ، بخلافِ تاءِ التأنيثِ مِنْ أختٍ وبنتٍ .

❋ ❋ ❋

البابُ الثاني
في زيادةِ حروفٍ

[مواضعُ زيادةِ الألفِ]

تُزادُ الأَلِفُ :

أَوَّلاً ؛ وهيَ همزةُ الوصلِ التي سبقَ بيانُ مواضعِها [١] ، وحشواً في لفظِ (مائةٍ) علىٰ خلافٍ في ذٰلكَ ، وهٰذا الرسمُ أوجبَ غلطَ الناسِ في النطقِ بالكلمةِ : (مايةٍ) كغايةٍ ، وطرفاً بعدَ واوِ الضَّميرِ المُتطرِّفةِ مِنْ نحوِ : كتبوا ، واكتبوا ، ولم يكتبوا .

[مواضعُ زيادةِ الواوِ]

وتُزادُ الواوُ :

حشواً في (أُولى) الإشاريةِ ، و(أُولو) و(أُولاتُ) اللَّذَينِ بمعنىٰ أصحابٍ وصاحباتٍ ، وطرفاً في لفظِ (عَمْرٍو) عَلَماً غيرَ منصوبٍ ، ولا مضافٍ لضميرٍ ، ولا قافيةِ بيتٍ ، ولا مزيدٍ فيهِ (أل) [٢] .

[مواضعُ زيادةِ هاءِ السَّكتِ]

وتُزادُ هاءُ السَّكتِ : في مواضعِها .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر (٢٠٩/١) .

(٢) مثال عدم زيادتها في المنصوب : (رأيتُ عَمراً) ، وفي المضاف لضمير : (أعجبني عَمْرُكُم) ، وفي الذي يقع قافية كما في « المطالع النصرية » (ص ١٩٧) : (من الخفيف)

إِنَّـمَـا أَنْـتَ مِـنْ سُـلَـيْـمَـىٰ كَـوَاوٍ ... أُلْـحِـقَـتْ فِـي ٱلْـهِـجَـاءِ ظُـلْـماً بِـعَـمْـرِ

وفي المزيد بـ (أل) كما في « المطالع النصرية » (ص ١٩٧) : (من الرجز)

بَـاعَـدَ أُمَّ ٱلْـعَـمْـرِ مِـنْ أَسِـيـرِهَـا ... حُـرَّاسُ أَبْـوَابٍ عَـلَـىٰ قُـصُـورِهَـا

البابُ الثالثُ
في حذفِ بعضِ الحروفِ

[مواضعُ حذفِ الهمزةِ]

تُحذَفُ الهمزةُ[1] مِنْ نحوِ : (تثاءَبَ) ماضياً ، و(جاءَهُ) ، و(كساءً) منصوباً .

ومِنْ نحوِ : (سَمَوْءَلٍ) و(تَوْءَمٍ) بفتحِ الهمزةِ وسكونِ الواوِ .

ومِنْ نحوِ : (ضوءُهُ) و(وضوءُهُ) في غيرِ حالةِ الكسرِ .

ومِنْ نحوِ : (جَيْئَلٍ) بفتحِ الهمزةِ وسكونِ الياءِ ، و(بَئِسَ) بكسرِ الهمزةِ .

ومِنْ نحوِ : (شيئُكَ) و(فيئُكَ) .

ومِنْ نحوِ : (قرءُوا) و(يقرءُون) و(رءُوسٍ) جمعِ رأْسٍ .

ومِنْ نحوِ : (دعاءٍ) و(فجاءةٍ) .

ومِنْ نحوِ : (وُضُوءٍ) و(ضَوْءٍ) و(سَوْءَةٍ) و(شَنُوءَةَ) بفتح الشينِ وسكونِ الواوِ وضمّ النونِ .

ومِنْ نحوِ : (هنيءٍ) و(شيءٍ) و(خطيئةٍ) و(هيئةٍ) .

ومِنْ نحوِ : (تراءَاهُ) [و (تسُوءُونَ)] و(لا تسيئي يا هندُ) .

ومِنْ نحوِ : (إسرائيلَ) .

[ومِنْ] نحوِ : (باءُوا) و(جاءُوا) .

ومِنْ نحوِ : (السُّوءىٰ) .

---

(١) أي : صورتها ؛ وهي : إمَّا الألف ، وإمَّا الواو ، وإمَّا الياء .

ومِنْ نحوِ : (لم [يبوءا]) .

ومِنْ نحوِ : (لم يجيئا) ، و(لم يفيئا) .

ومِنْ نحوِ : ([المَوْءُودةِ]) .

ومِنْ نحوِ : (فيءٍ) .

قالوا : القياسُ حذفُها في (تراءَاهُ) وما بعدَهُ ، والعملُ الآنَ علىٰ عدمِ حذفِها في مثلِ (فيءٍ) مِنْ : هٰذا فيئي .

[مواضعُ حذفِ همزةِ الوصلِ]

وتُحذَفُ همزةُ الوصلِ مِنْ (أل) إذا دخلَ عليها همزةُ الاستفهامِ ولم يكنْ لَبسٌ ، وإذا دخلَ عليها اللَّامُ الحرفيَّةُ خافضةً أو غيرَها(١) .

كما تُحذَفُ مِنْ (بَلْعنبرِ) و(بَلْحارثِ) اللَّذَينِ أصلُهُما : بنو العنبرِ وبنو الحارثِ ، وفي لغةِ مَنْ يقولُ : مِلْماءِ و(عَلْماءِ) في : مِنَ الماءِ وعلى الماءِ .

وتُحذَفُ همزةُ الوصلِ أيضاً مِنْ نحوِ : (اصطفىٰ) و(استخرجَ) فعلَينِ ، و(اصطفاءٍ) و(استخراجٍ) مصدرَينِ ؛ إذا دخلَتْ عليهِ همزةُ الاستفهامِ(٢) .

وتُحذَفُ مِنْ لفظِ (اسمٍ) إذا دخلَتْ عليهِ همزةُ الاستفهامِ(٣) .

---

(١) مثال دخول همزة الاستفهام علىٰ (أل) : (آلرَّجلُ خير أم المرأة ؟) ، ومثال دخول اللام الحرفية : (لِلحقّ دولة ، وللباطلِ جولة) .

(٢) مثال دخول همزة الاستفهام على الفعل قوله تعالىٰ : ﴿ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴾ [الصافات : ١٥٣] ، ونحو : (أستخرجتَ ما أريد منك ؟) ، ومثال دخولها على المصدر : (أَفْتراءً على الله قلتَ كيت وكيت أم اجتراءً ؟!) .

(٣) مثاله : (أَسمُك زيد أم عمرو ؟) .

ومِنْ (بسمِ اللهِ الرحمـٰنِ الرحيمِ) إذا لم يُذكَرْ مُتعلَّقٌ مُقدَّماً أو مُؤخَّراً [١] .

ومِنْ لفظِ (ابنٍ) إذا دخلَتْ عليهِ همزةُ الاستفهامِ ، أو (يا) الندائيةُ .

ومنهُ ومِنِ (ابنةٍ) إذا وقعَ كلٌّ منهُما صفةً لعَلَمٍ شخصيٍّ أو جنسيٍّ ، وأُضيفَ لعَلَمٍ كذٰلكَ ولو تنزيلاً ، ولم يكنْ لفظُ ابنٍ أوِ ابنةٍ أوَّلَ سطرٍ ؛ كـ (أنسُ بنُ مالكٍ ، ومالكُ بنُ أنسٍ ، ومحمدُ بنُ مالكٍ ، وفلانُ أو فلانةُ بنُ أو بنةُ فلانٍ أو فلانةَ ، وضلُّ بنُ ضلٍّ ، وهيُّ بنُ بيٍّ ؛ لِمَنْ لا يُعرَفُ أبوهُ ، ومحمدُ بنُ الخطيبِ ، وأبو بكرِ بنُ أُمِّ جعفرٍ) .

[مواضعُ حذفِ الألفِ]

وتُحذَفُ الأَلِفُ مِنْ نحوِ : (آدمَ ، وآثرَ ، ومآلٍ) .

ومِنْ نحوِ : (السمـٰواتِ) .

ومِنْ لفظِ : (اللهِ) و(الإلـٰهِ) و(إلاهِ العالَمِ) .

ومِنْ لفظِ : (الرحمـٰنِ) مُعرَّفاً كسابقِهِ دونَ النكرةِ منهُما .

ومِنْ لفظِ ([الحـٰرثِ والسَّلـٰم]) مُعرَّفَينِ أيضاً .

ومِنْ كلِّ عَلَمٍ علىٰ وزنِ (فاعل) ، كـ (مـٰلكٍ وصـٰلحٍ) ، بخلافِ الأوصافِ ؛ كرجلٍ صالحٍ مالكٍ .

ومِنْ بعضِ الأعلامِ المُشتهِرةِ ؛ ([كإبرٰهيمَ ، وإسمـٰعيلَ ، وإسحـٰقَ] ، ومعـٰوية) ، ولا تُحذَفُ لخوفِ اللَّبسِ مِنْ نحو : (عبَّاسٍ) ، ولا مِنْ نحوِ : (إسرائيلَ) لوجودِ حذفٍ فيه ، فلا يُجمَعُ فيهِ حذفانِ .

---

(١) مثال ذكر المتعلَّق مقدَّماً : (أتبرَّك باسم الله الرحمـٰن الرحيم) ، ومثال ذكر المتعلَّق مؤخراً : (باسم الله الرحمـٰن الرحيم أستفتح) .

وتُحذَفُ مِنْ لفظِ (ثلاثٍ) في : ثلثمائةٍ ، وثلثِ نسوةٍ ، [وثلثةِ] رجالٍ ، وثلثٍ وثلاثينَ ، ومِنْ لفظِ (الثلاثاءِ) اسمِ اليومِ .

وتُحذَفُ جوازاً مِنْ نحوِ : ثماني ليالٍ ؛ إن لم تُحذَفِ الياءُ ، وإلَّا . . وجبَ إثباتُها ؛ كقولِهِ[1] : [من الرجز]

لَـهَـا ثَـنَـايَـا أَرْبَـعٌ حِـسَـانُ وَأَرْبَـعٌ فَـثَـغْـرُهَـا ثَـمَـانُ

وتُحذَفُ مِنْ لفظِ (لٰكنْ) مُخفَّفةً أو مُشدَّدةً .

وتُحذَفُ مِنْ (مَا) الاستفهاميةِ التي لم تُركَّبْ معَ (ذا) ، مخفوضةً بحرفٍ أو مضافٍ ؛ مثلُ : علىٰ مَهْ ؟ وبمقتضىٰ مَهْ ؟

ومِنْ (ما) الموصولةِ في نحوِ : [بمَ] شئتَ فقط[2] ، ومِنْ لفظِ (أَمَا) إذا وقعَ بعدَها القسمُ ؛ مثلُ : [أمَ] وأبيك[3] .

وتُحذَفُ مِنْ (ذا) الإشاريةِ ، و(يا) الندائيةِ ، و(أنا) ضميرِ المُتكلِّمِ ، وها التنبيهيةِ معَ اسمِ إشارةٍ ليسَ أولَهُ تاءٌ ولا هاءٌ ، ولا بعدَهُ كافٌ ؛ مثلُ : هٰذا وهٰذانِ وأيُّهٰذا ، بخلافِ : هاتا وها هنا وها ذاكَ ، ومِنْ لفظِ : هاللهِ وآللهِ في القسمِ ، ومِنْ [هٰأنا ، وهٰأنتَ] لا مِنْ ها هو وها هي .

ولا تُحذَفُ أَلِفُ (ذا) إلَّا مُثنّىً ، أو معَ لامِ التبعيدِ ، ولا تُحذَفُ أَلِفُ (أنا) الضَّميرِ إلَّا في هاءِ نداءٍ .

وتُحذَفُ أَلِفُ (يا) الندائيةِ في : يٰأيُّها ويٰأَهْلَ ، ونحوِ : [يٰإبراهيمُ ويٰإسحاقُ] ، بخلافِ نحوِ : يا آدمُ ويا آزرُ ، ممَّا حُذِفَ ثانيهِ .

---

(١) انظر « خزانة الأدب » (٣٦٥/٧) .

(٢) انظر « المطالع النصرية » (ص ٢٣١) .

(٣) انظر « المطالع النصرية » (ص ٢٣٢) .

[مواضعُ حذفِ ياءِ المنقوصِ]

وتُحذَفُ ياءُ المنقوصِ ؛ كقاضٍ ومفتٍ ، مُنكَّراً غيرَ منصوبٍ ولا مضافٍ .

[مواضعُ حذفِ الواوِ]

وُتحذَفُ الواوُ مِنْ لفظِ : داوُدَ وطاوُسٍ وناوُسٍ ، ونحوِ : رءُوسٍ ، ولا تُحذَفُ مِنْ مثلِ قَؤولٍ وصَؤولٍ علىٰ فَعولٍ للمبالغةِ ؛ لدفعِ اللَّبسِ بقَوْلٍ وصَوْلٍ مصدرَينِ .

[مواضعُ حذفِ اللَّامِ]

وتُحذَفُ لامٌ مِنَ الثلاثِ في نحوِ : لم يُخلَقِ الإنسانُ للَّعبِ ولا للَّهوِ ، وقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « لَلّهُ أَرْحَمُ بِٱلْمُؤْمِنِ »[1] بفتحِ اللَّامِ ؛ وهيَ لامُ الابتداءِ ، كما تُحذَفُ مِنَ الموصولاتِ ، تُكتَبُ بلامَينِ إذا دخلَ عليها لامُ الخفضِ أو لامُ الابتداءِ .

[مواضعُ حذفِ التاءِ]

وتُحذَفُ التاءُ مِنْ آخِرِ الفعلِ إذا أُسنِدَ لتاءِ [الفاعلِ] ؛ نحوُ : لَعَنتُّم .

[مواضعُ حذفِ النونِ]

وتُحذَفُ النونُ مِنْ آخِرِ الفعلِ إذا اتصلَ بكلمةِ (نا) الفاعلِ أو نونِ النسوةِ أو نونِ الوقايةِ في نحوِ : آمنَّا ، والنسوةُ بِنَّ ، وأعنِّي ، ولم يمكنِّي .

وتُحذَفُ النونُ أيضاً مِنْ كلمتَيْ (مِنْ) و(عَنِ) الجارَّتَينِ إذا اتصلَ بهما (ما) أو (مِنْ)[2] .

---

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٧٣٠) عن زيد بن أسلم رحمه الله تعالىٰ مرسلاً بنحوه .

(٢) مثاله : (ممَّا ، عمَّا) .

وتُحذَفُ نونُ (إنِ) الشرطيةِ إذا اتصلَ بها (ما) الزائدةُ أو (لا) النافيةُ[1] .

وتُحذَفُ نونُ (أنِ) المصدريةِ حيثُ تكونُ ناصبةً إذا اتصلَ بها (ما) أو (لا)[2] ، وتُحذَفُ مِنْ نِعِمَّا في نحوِ : ﴿ إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾[3] .

❋ ❋ ❋

(١) مثال الأول قوله تعالىٰ : ﴿ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ . . . ﴾ [الإسراء : ٢٣] ، ومثال الثاني قوله تعالىٰ : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة : ٤٠] .

(٢) مثال الأول : (أمَّا أنت ذا مالٍ تفتخر !!) ، ومثال الثاني : (أرجو ألَّا تهجرني) .

(٣) سورة البقرة : (٢٧١) .

البابُ الرابعُ

في وصلِ بعضِ الكَلِمِ ببعضٍ علىٰ خلافِ الأصلِ الذي هوَ الفصلُ ليناسبَ الخطُّ اللفظَ

إذا كانَتِ الكلمةُ مِنْ حرفٍ واحدٍ ؛ كباءِ الجرِّ ولامِهِ ولامِ الابتداءِ . . وُصِلَتْ بما بعدَها ؛ وذٰلكَ لأنَّهُ لا يَصِحُّ الوقفُ عليها ، وابتناءُ الكتابةِ على الوقفِ والابتداءِ ، ولذٰلكَ وجبَ وصلُ الكلماتِ التي لا يَصِحُّ الابتداءُ بها بما قبلَها ؛ كالضَّمائرِ البارزةِ المتصلةِ ، وعلاماتِ التأنيثِ والتثنيةِ ، **فكلُّ ما لا يُوقَفُ عليهِ وما لا يُبدَأُ بهِ . . يُوصَلُ بما بعدَهُ وبما قبلَهُ .**

ولو صارَتِ الكلمةُ بالتصرُّفِ علىٰ حرفٍ واحدٍ ؛ كالأمرِ مِنْ (وقىٰ) ومِنْ (وعىٰ) . . فإنَّهُ يُوصَلُ بما بعدَهُ إن كانَ ضميراً ؛ لعدمِ صحةِ الوقفِ عليهِ ، وعدمِ صحةِ الابتداءِ بالضَّميرِ ، فيكونُ الوصلُ في مثلِهِ لمُقتضِيَينِ ، فلو وليَهُ اسمٌ ظاهرٌ . . وجبَ أن تَلحَقَهُ هاءُ السكتِ ، ويُلفَظُ بها وقفاً لا وصلاً ، إلَّا إذا أجريتَ الوصلَ مُجرى الوقفِ ؛ فلك الوجهانِ في النطقِ بقولِ الشاعرِ[1] : [من البسيط]

فِـهْ بِـٱلْـعُـقُـودِ وَبِـٱلْأَيْـمَـانِ لَا سِـيَّـمَـا ... عَـهْـدٌ وَفَـاءٌ بِـهِ مِـنْ أَعْـظَـمِ ٱلْـقُـرَبِ

ويجبُ وصلُ المُركَّباتِ المزجيَّةِ ؛ كبعلبكَّ ومعديكربَ وقالي [قلا][2] ، وليسَ منها الأعدادُ المُركَّبةُ كخمسةَ عشرَ ، فلا تُوصَلُ .

نعم ؛ وصلوا ثلاثَ مائةٍ إلىٰ تسع مائةٍ ، وأُلحِقَ بالمُركَّباتِ المزجيَّةِ بابُ (يومئذٍ) إذا لم تُضَفْ كلمةُ (إذْ) كما سبقَ التنبيهُ علىٰ رسمِهِ[3] ، وينبغي

---

(١) انظر « المطالع النصرية » (ص ٥٥) .

(٢) قالي قلا : من مدن أرمينية .

(٣) انظر (١٣/٣) .

أن يُتنبَّهَ للضَّميرِ الواقعِ بعدَ الكلمةِ : هل هوَ مُنفصِلٌ أو متصلٌ ؟ لاختلافِ الحالِ في الكتابةِ ؛ فليسَ حالُ : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ (١) مثلَ حالِ : ﴿ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ (٢) .

[وصلُ (ما) بما بعدَها وضابطُ الوصلِ]

وتُوصَلُ (ما) الاستفهاميةُ بحرفِ جرٍ وبمضافٍ ؛ نحوُ : ممَّ ، وعمَّ ، وفيمَ ، وبمقتضامَ فعلتَ كذا ؟

وتُوصَلُ (ما) الموصولةُ و(ما) النكرةُ بمِنْ وفي وعن فقطْ (٣) ، وتُوصَلُ (ما) الزائدةُ كافَّةً وغيرَ كافَّةٍ مهيئةً وغيرَ مهيئةٍ بما قبلَها ، إلَّا في أيَّانَ ما ، ومتىٰ ما ؛ كقلَّما وطالَما وإنَّما وكأنَّما وربَّما وبما وأيَّما .

وتُوصَلُ (ما) المصدريةُ في : كلَّما جئتَني . . أكرمتُكَ ، وأينَما صنعتَ ، ومثلِهما ، لا في مثلِ : إنَّ ما صنعتُ معجبٌ .

وضابطُ الوصلِ : أن يكونَ معنىٰ شرطٍ أوِ استفهامٍ .

وتُوصَلُ (ما) المصدريةُ بكلمةِ (سيٍّ) بمعنىٰ : مثلٍ في قولِهِم : لا سيَّما ، وبكلمةِ (مثلٍ) مِنْ نحوِ : أسلمْنا مثلَما أسلمتُم ، وبكلمةِ (ريثٍ) كما في قولِ الشنفرىٰ (٤) : [من الطويل]

وَلَٰكِنَّ نَفْساً حُرَّةً لَا تُقِيمُ بِي عَلَى ٱلضَّيْمِ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ

مصدرُ راثَ ؛ أي : بُطْئاً ما ، فهوَ مِنَ المصادرِ الواقعةِ ظروفاً بالنيابةِ عنِ المضافِ المحذوفِ ؛ أي : وقتَ ريثِ التحوُّلِ .

---

(١) سورة الذاريات : (١٣) .

(٢) سورة الزخرف : (٨٣) .

(٣) أمثلتها على الترتيب : قوله تعالىٰ : ﴿ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة : ٤] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ : ٢٥] ، و(لا تخض فيما خاضَ فيه الناس) .

(٤) انظر « ديوان الشنفرىٰ » (ص ٧٣) .

وتُوصَلُ كلمةُ (مَنْ) شرطيةً أو غيرَها بحرفَيْ مِنْ وعن فقطْ ؛ مثلُ : ممَّنْ أنتَ ؟ ورضيتُ عمَّن رضيتَ عنهُ ، فلا تُرسَمُ النونُ بينَ الميمَينِ .

وتُوصَلُ كلمةُ (لا) بهمزتَيْ (إن) الشرطيَّةِ و(أن) الناصبةِ للفعلِ ، سواءٌ صُوِّرَتا أَلِفاً أو ياءً علىٰ ما سبقَ (١) .

هٰذا ؛ ولمَّا كانَتِ الحروفُ الهجائيةُ إنَّما تَدُلُّ علىٰ مادَّةِ اللَّفظِ . . مَسَّتِ الحاجةُ لوضعِ علاماتٍ لبيانِ الحركاتِ تُسمَّىٰ شَكْلاً ، كما أنَّهُم لمَّا اصطلحوا علىٰ تصويرِ بعضِ الحروفِ بغيرِ صورِها الأصليةِ أو عدمِ تصويرِها . . احتاجوا أيضاً لعلاماتٍ تَدُلُّ على المادَّةِ ؛ مثلاً : العلامةُ التي تُسمَّىٰ : قطعةً ؛ تُوضَعُ فوقَ الهمزةِ القطعيةِ ، والأحرفِ المصورةِ بها الهمزةُ ، وموضعِ الهمزةِ التي ليسَ لها صورةٌ ، كما أنَّ الأحرفَ لمَّا اشتركَ بعضُها في الصورةِ . . لزمَ النقطُ ؛ لتمييزِ بعضِها مِنْ بعضٍ ، ولم يكنْ ذٰلكَ إلَّا بتنبيهِ التحريفِ والتصحيفِ ، ومعَ الداعي إلىٰ هٰذهِ الاحتراساتِ فربَّما لم يحافظوا عليها ، بل هوَ الأكثرُ ، ولذٰلكَ فسدَتِ اللغةُ العربيةُ ، وكانَتْ هٰذهِ الاصطلاحاتُ غيرَ مفيدةٍ إفادةَ الضَّبطِ الذي كانَ يلزمُ لحفظِ صورةِ اللغةِ ، ومعرفةِ المنقوطِ مِنْ غيرِهِ مِنَ التعاليمِ الأوليَّةِ .

غيرَ أنَّ الاصطلاحَ الرسميَّ يُوجِبُ التنبيهَ علىٰ أنَّ هاءَ التأنيثِ لا يجوزُ نقطُها إذا وقعَتْ طرفاً في سجعٍ أو قافيةٍ ، وفي غيرِ ذٰلكَ يجبُ نقطُها بنقطتَيِ التاءِ عندَ خوفِ اللَّبسِ ، وإلَّا . . جازَ الأمرانِ ، وأنَّ الياءَ إذا وقعَتْ طرَفاً أو وسطاً بدلاً عن همزةٍ . . لا تُنقَطُ ؛ كالفاءِ والقافِ والنونِ إذا وقعَتْ طرفاً ، أو إذا كانَتِ الياءُ وسطاً مُحقَّقةً ؛ كمعايشَ . . وجبَ نقطُها ، وإذا كانَتْ بدلَ همزةٍ بعدَ كسرةٍ ساكنةٍ أو مفتوحةٍ ؛ كبئرٍ ومئةٍ . . جازَ فيها الأمرانِ .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر (٣/١٣) .

كتابة الإنشاء

[إضاءةٌ علىٰ كتابةِ الإنشاءِ]

ويُقالُ : صناعةُ الترسُّلِ ؛ وهيَ المُسمَّاةُ في زمانِنا : **كتابةَ التحريراتِ** ؛ أي : الإتيانُ بالحرِّ مِنَ الكلامِ ، في مقابلةِ كتابةِ الأموالِ المُسمَّاةِ الآنَ : **كتابةَ الحساباتِ** ؛ وهيَ تأليفُ كلامٍ بأيِّ لسانٍ متميزٍ عنِ المعتادِ في غرضٍ مِنْ أغراضِ الشركةِ الإنسانيةِ ، وهيَ صناعةٌ تَقْوَى بقُوَّةِ الدولةِ ، وتَتَّسعُ باتساعِ أحوالِها وعمومِ نشوةِ الفرحِ بينَ الناسِ ؛ لأنَّ أهلَ الصِّناعةِ إذ ذاكَ يشتغلونَ بابتداءِ المكاتباتِ عن أُمرائِهِم ، والإجابةِ عنهُم ، وتدورُ بينَهُمُ المُخاطَباتُ في التهاني والتشكُّراتِ والتسلياتِ والشفاعاتِ والاستعطافِ والعتابِ والاعتذارِ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ المعاني .

وقد بلغَتِ الكتابةُ العربيةُ حيثُ كانَتِ الدولةُ عربيةً والأيامُ في إقبالِها مَبلغاً جازَتْهُ الكتابةُ التركيَّةُ حيثُ قامَتْ دولتُها ؛ كما نطقَ بذٰلكَ عقلاءُ العارفينَ باللسانَينِ ، ويُنبِّهُكَ علىٰ شرفِ كتابةِ الإنشاءِ ما نالَهُ أهلُها مِنَ الرفعةِ ونباهةِ الذِّكرِ ؛ فقد كانَ اسمُ الوزيرِ في الدولةِ العباسيَّةِ وما قارنَها مِنَ الدُّولِ الإسلاميةِ مُختصّاً برئيسِ ديوانِ الرسائلِ ، وهوَ الديوانُ المُعيَّنُ لكتابةِ الإنشاءِ ، المُسمَّىٰ في زمانِنا بالمعيَّةِ السنيَّةِ .

فممَّنِ اشتَهرَ بهٰذه الصِّناعةِ ـ وكانَ وزيرَ دولتِهِ ومُدبِّرَ أمرِها ـ : الربيعُ والفضلُ ابنُهُ ، وبنو برمكَ يحيىٰ وابناهُ الفضلُ وجعفرٌ ، وبنو الفراتِ ، وغيرُهُم في الدولةِ العباسيةِ ، والأستاذُ ابنُ العميدِ والصَّاحبُ ابنُ عبادٍ إسماعيلُ وغيرُهُما في سلطنةِ بني بويهَ ، وعبدُ الرحيمِ المشهورُ بالقاضي الفاضلِ والعمادُ الأصبهانيُّ في سلطنةِ بني أيوبَ ، وابنُ زيدونَ ولسانُ الدِّينِ ابنُ الخطيبِ بالمغربِ ، **كلُّ أولـٰئكَ سادوا بصنعةِ الكتابةِ** ، وعلَتْ أقدارُهُم

حتىٰ أُلِّفَتِ الكتبُ في ذكرِ مناقبِهِم ، وأخبارِ أيَّامِهِم ، ونقلُ اسمِ الكتابةِ إلى الفنِّ المُتعلِّقِ بها ، المعدودِ في فنونِ الأدبِ وعلومِ العربيةِ .

[طريقتانِ لتعلُّمِ الإنشاءِ]

وهٰذا الفنُّ عبارةٌ عن تنبيهاتٍ تُرشِدُ مَنْ يريدُ أن يَتعلَّمَ تلكَ الصِّناعةَ ، وليسَ كغيرِهِ مِنَ الفنونِ ذا قواعدَ مضبوطةٍ ، بمعرفتِها تكونُ نهايةُ العلمِ بها ، فإنَّ لمَنْ يريدُ أن يَتعلَّمَ الإنشاءَ في كيفيةِ التعلُّمِ ـ كما قالَهُ ابنُ الأثيرِ ـ طريقتَينِ :

إحداهُما : أن يَحفظَ القرآنَ ، ويَفهمَ معناهُ ، وجملةً مِنَ الأحاديثِ والآثارِ والأشعارِ ، معَ تحصيلِ ما يلزمُ تحصيلُهُ مِنَ الفنونِ السابقةِ ، ثمَّ يجتهدُ في الإنشاءِ علىٰ نحوِ أساليبِ الكلامِ الذي حفظَهُ ؛ فتارةً يصيبُ ، وتارةً يخطئُ ، حتىٰ يحكمَ لنفسِهِ طريقةً ، قالَ : (وهيَ أصعبُ الطريقتَينِ)[1] .

❊

الطريقةُ الثانيةُ : أن يزيدَ علىٰ ما تَقدَّمَ الاطِّلاعَ علىٰ منشآتِ مَنْ تَقدَّمَهُ ، وحفظَ الكثيرِ منها ، واستعمالَ الفكرِ في انتقادِ تراتيبِها ، واختيارِ ما اختيرَ في ابتداءاتِها ، وانتهاءاتِها ، ثمَّ يأتيَ بما قَدَرَ عليهِ مِنِ اتباعٍ أوِ اختراعٍ .

[حصرُ تعلُّمِ الإنشاءِ في جهاتٍ ثلاثٍ]

إذا وعيتَ ذٰلكَ . . فاختصارُ ما أطالَ بهِ المُؤلِّفونَ في هٰذا الفنِّ علىٰ تفاوتِهِم في ذٰلكَ يَحسُنُ أن يكونَ في ثلاثِ جهاتٍ :

---

(١) انظر « المثل السائر » (١/٩١) .

الجهةُ الأُولىٰ : في ذكرِ ما يلزمُ تحصيلُهُ لِمَنْ يريدُ أن يكونَ منشئاً .

الجهةُ الثانيةُ : في أمورٍ كليَّةٍ .

الجهةُ الثالثةُ : في ذكرِ طرفٍ مِنْ طرائفِ منشآتِ أذكياءِ أهلِ الصِّناعةِ .

❋ ❋ ❋

الجهةُ الأُولىٰ
فيما يجبُ تحصيلُهُ علىٰ مَنْ يريدُ أن يكونَ كاتباً
حَسَبَ ما كانَتْ تقتضيهِ أحوالُ الأزمنةِ السالفةِ

يجبُ عليهِ أن يَتوسَّعَ في حفظِ منتقياتِ اللغةِ ، فاصلاً بينَ مُشتَرَكِها ومُختصِّها ومتباينِها ، ومترادفِها ومتكافئِها ، ومطلقِها ومُقيَّدِها ، ملاحظاً مجازاتِها وكناياتِها ، حتَّىٰ إذا دُفِعَ لصفةِ خيلٍ وسلاحٍ وجيشٍ ، أو صورةِ حربٍ ، وكيفَ بدأَتْ وحَمِيَ فيها الوطيسُ وانتهتْ ، والنصرِ والهزيمةِ ، أو صفةِ غِلمانٍ وجَوارٍ ، أو حيواناتٍ وحشيَّةٍ أو غيرِ وحشيةٍ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ المعاني التي يَعرِضُ للكاتبِ أن يَصفَها ويَتَّسعَ في الكلامِ عليها . . لم يَعجِزْ أن يأتيَ بالعباراتِ الدالَّةِ علىٰ حقيقةِ الغَرَضِ الذي أخذَ في تفهيمِهِ .

[إجادةُ النحوِ]

وأن يُجِيدَ معرفةَ النحوِ ، حتىٰ يأمنَ بملاحظتِهِ حينَ يقرأُ وحينَ يكتبُ مِنَ اللَّحنِ ، وقد كانوا يستقبحونَ اللَّحنَ جدّاً ، حتىٰ إنَّ بعضَ الملوكِ كالمأمونِ أبعدَ بلَحْنةٍ عنِ الخدمةِ ، وقيلَ [1] : [من الكامل]

اَلنَّحْوُ يَبْسُطُ مِنْ لِسَانِ ٱلْأَلْكَنِ ... وَٱلْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ

وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ ٱلْعُلُومِ أَجَلَّهَا ... فَأَجَلُّهَا عِنْدِي مُقِيمُ ٱلْأَلْسُنِ

وإن يكنْ قد تَغيَّرَ الحالُ في ذٰلكَ ، حتىٰ إنَّهُ يُحكىٰ : أنَّ كاتباً كتبَ في صدرِ كتابٍ يخبرُ فيهِ عن تمامِ برجٍ أمرَ السلطانُ ببنائِهِ : قد نَجزَ ما أمرَ بهِ

(١) انظر « عيون الأخبار » (٢/١٥٧) .

أبو فلانٍ ، فلمَّا سمعَهُ الأميرُ المأمورُ بذٰلكَ العملِ . . غضبَ على الكاتبِ ، وقالَ لهُ : تقولُ عنِ السلطانِ : (أبو) وهيَ كلمةٌ مُبتذَلةٌ بألسنةِ العامَّةِ ؟! قُلْ : (أبي) فإنَّها المناسبةُ للتعظيمِ ، فقالَ لهُ الكاتبُ : (أبو) فاعلٌ ، حقُّهُ الرفعُ ، فقالَ الأميرُ : وهٰذهِ أعجبُ !! متىٰ رأيتَ السلطانَ يحملُ طيناً أو حجراً حتىٰ تقولَ : إنَّهُ فاعلٌ ؟!

فإنَّ ذٰلكَ لا يمنعُ مِنْ تحصيلِ الفضيلةِ التي بها الشَّرفُ بينَ أهلِ الفضلِ .

وأن يَعرِفَ التصريفَ ؛ حتىٰ يأمنَ مِنَ الخطأ في مثلِ أبنيةِ المصادرِ ، والمصدرِ الميميّ ، واسمِ المكانِ ، واسمِ الزمانِ ، والتأنيثِ والتذكيرِ ، والتثنيةِ ، وصيغِ الجموعِ ، والتصغيرِ ، والنَّسبِ .

[تحصيلُ علومِ البلاغةِ]

وأن يُحصِّلَ علومَ البلاغةِ ؛ ليَستعمِلَ كلَّ حالٍ مِنْ أحوالِ التراكيبِ في موضعِها ، ويَعرِفَ متىٰ تَحسُنُ الاستعارةُ والكنايةُ والمجازُ ، وكيفَ يَستعمِلُ المُحسِّناتِ البديعةَ ، قالَ الشيخُ شهابُ الدِّينِ محمودٌ الحلبيُّ في كتابِهِ « حسنُ التوسُّلِ إلىٰ صناعةِ الترسُّلِ » : (وهٰذهِ العلومُ الثلاثةُ وإن لم يُضطرَّ إليها ذو الذِّهنِ الثاقبِ ، والطبعِ السليمِ ، والقريحةِ المطاوعةِ ، والفكرةِ المنقحةِ ، والبديهةِ المجيبةِ ، والرويَّةِ المُتصرِّفةِ ، لٰكنَّ العالِمَ بها يَتمكَّنُ مِنْ أزمَّةِ المعاني وصناعةِ الكلامِ ؛ يقولُ عن علمٍ ، ويَتصرَّفُ عن معرفةٍ ، وينتقدُ بحُجَّةٍ ، ويَتخيَّرُ بدليلٍ ، ويَستحسنُ ببرهانٍ ، ويصوغُ الكلامَ بترتيبٍ)[1] .

فقد أبانَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ عمومَ الحاجةِ إلىٰ معرفةِ هٰذهِ العلومِ ، ولم يقفْ عندَ استغناءِ الأذكياءِ عنها ، كما فعلَ ابنُ السبكيِّ رحمَهُ اللهُ في خطبةِ كتابِهِ

---

(١) حسن التوسل (ص ١١) .

« عروسُ الأفراحِ شرحُ تلخيصِ المفتاحِ » حيثُ قالَ : (أمَّا أهلُ [بلادِنا] . . فهُم مستغنونَ عن ذٰلكَ ؛ بما طبعَهُمُ اللهُ عليهِ مِنَ الذَّوقِ السليمِ ، والفهمِ المستقيمِ ، والأذهانِ التي هيَ أرقُّ مِنَ النَّسيمِ ، وألطفُ مِنْ ماءِ الحياةِ في المُحيَّا الوسيمِ ، أكسبَهُمُ النيلُ تلكَ الحلاوةَ ، وأشارَ إليهِم بأصابعِهِ فظهرَتْ عليهِم هٰذهِ الطُّلاوةُ ، فهُم يدركونَ بطباعِهِم ما أفنتْ فيهِ العلماءُ فضلاً عنِ الأغمارِ الأعمارَ ، ويرونَ في مرآةِ قلوبِهِمُ الصَّقيلةِ ما احتجبَ مِنَ الأسرارِ خلفَ الأستارِ .

وَٱلسَّيْفُ مَا لَمْ يُلْفَ فِيهِ صَيْقَلٌ ... مِنْ طَبْعِهِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِصِقَالِ[1]

فيا لها غنيمةً لم يُوجَفْ عليها مِنْ خيلٍ ولا رِكابٍ ، ولم يُزحَفْ إليها بعدوِ عيديَّةٍ[2] ، ولا بلحاقِ لاحقٍ ، وانسكابِ سكابٍ !!)[3] .

وأرادَ ـ أكرمَ اللهُ مثواهُ ، وأبلغَهُ وافرَ حظِّهِ مِنْ رضاهُ ـ أذكياءَ أهلِ مصرَ ، وجاراهُ في ذٰلكَ أبو العباسِ أحمدُ القَلْقَشَنديُّ ، حيثُ نقلَ ذٰلكَ في كتابِهِ « صبحِ الأعشىٰ »[4] ، وأُوردُ استشهاداً علىٰ ذٰلكَ بعضَ كلامٍ مِنْ كلامِ عوامِّهِم ؛ كقولِ بعضِهِم في الزَّجَلِ :

قف نقولك يا فهيمْ ... ما صنع وجد لغزال

أرخ ليل شعر لبهيم ... وتلثم بالهلال

وكشف ذاك للثام ... ورفع ليل لشعر

اهتتك فيه بالغرام ... كل ما كان استتر

---

(١) البيت من الكامل ، وهو لأبي تمام في « ديوانه » (١٤٥/٣) .

(٢) العيدية : كرام نجائب النُّوق .

(٣) عروس الأفراح (١٤٦/١) ، ولاحق وسكاب : فرسان .

(٤) صبح الأعشىٰ (١٨٢/١) .

ويُراعىٰ في النطقِ بالزَّجلِ اللَّحنُ المعتادُ ؛ لحفظِ الوزنِ ، ووزنُ هـٰذا الزَّجلِ : فاعلاتن فاعلاتْ .

[حفظُ القرآنِ الكريمِ]

وأن يحفظَ القرآنَ الشريفَ ، مُتأمِّلاً مقاصدَ فصولِهِ ، ومواقعَ آياتِهِ بعضِها مِنْ بعضٍ ، وحسنَ الارتباطِ بينَها ؛ حتىٰ يكونَ لهُ نوراً يهتدي بهِ في طريقِهِ التي يريدُ أن يسلكَها ، وبعدَ ذٰلكَ فإنَّهُ يستشهدُ بآياتِهِ بعدَ المقارنةِ بينَها وبينَ الأغراضِ التي يحاولُ إنشاءَ الكلامِ لأجلِها علىٰ ما شاءَ مِنَ المعاني ، ويُحلِّي كتبَهُ بالاقتباسِ منهُ في مواضعِ الاقتباسِ ، علىٰ ما سبقَ التنبيهُ لهُ في علمِ البديعِ .

ويَعتبِرُ حسنَ الاقتباسِ بمثلِ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ علىٰ ما حكاهُ في « تاريخِهِ » القاضي أبو الحسنِ عليُّ بنُ عبدِ العزيزِ الجرجانيُّ ، في كتابٍ لأكثمَ بنِ صيفيٍّ وقد كتبَ لهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يَستعلِمُهُ عن أمرِهِ حينَ شاعَ ذكرُ مَبعثِهِ ، وهـٰذا نصُّ الكتابِ : « بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ ٱللهِ إِلَىٰ أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِيٍّ : أَحْمَدُ ٱللهَ إِلَيْكَ ، إِنَّ ٱللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، أَقُولُهَا وَآمُرُ ٱلنَّاسَ بِهَا ، وَٱلْخَلْقُ خَلْقُ ٱللهِ ، وَٱلْأَمْرُ أَمْرُ ٱللهِ ، خَلَقَهُمْ وَأَمَاتَهُمْ ، وَهُوَ [يَنْشُرُهُمْ] ، وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ » .

وقولِ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ في عهدِهِ بالخلافةِ لعمرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ : (بسمِ اللهِ الرَّحمـٰنِ الرحيمِ ، هـٰذا ما عهدَ أبو بكرٍ خليفةُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ عندَ آخرِ عهدِهِ بالدنيا ، وأوَّلِ عهدِهِ بالآخِرةِ ، في الحالِ التي يؤمنُ فيها الكافرُ ، ويَتَّقي فيها الفاجرُ ؛ أنِّي استعملتُ عليكُم عمرَ بنَ الخطابِ ، فإن برَّ وعدلَ . . فذاكَ علمي بهِ ، وإن جارَ وبَدَّلَ . . فلا

علمَ بالغيبِ ، والخيرَ أردتُ ، ولكلِّ امرئٍ ما اكتسبَ مِنَ الإثمِ ، وسيعلمُ الذينَ ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبونَ)[1] .

[الإكثارُ من حفظِ صحاحِ الأحاديثِ]

وأن يحفظَ كثيراً مِنْ صحاحِ الأحاديثِ للأغراضِ التي لأجلِها يَحفظُ القرآنَ .

[قراءةُ التاريخِ معَ الاعتبارِ]

وأن يَقرأَ التواريخَ التي يَغلِبُ عليها التحقيقُ ؛ كـ« تاريخِ الخطيبِ البغداديِّ » ، و« تاريخِ الحافظِ الذهبيِّ » ، و« تاريخِ ابنِ الأثيرِ » ؛ ليحكمَ في الوقائعِ بحكمِ نظائرِها ، ويَعرِفَ الأحوالَ الحاضرةَ بمعرفةِ أمثالِها الغابرةِ .

[معرفةُ الأمثالِ العربيةِ]

وأن يَحفظَ كثيراً مِنَ الأمثالِ العربيةِ وغيرِها ، والأقوالِ الصادرةِ عنِ الحكماءِ ؛ فإنَّها خزائنُ الحِكَمِ ، ومُستودعاتُ المعاني ، ومنها تَعرِفُ حسنَ الإيجازِ ، وبراعةَ العباراتِ .

* * *

---

(١) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبير » (١٨٣/٣) .

[ذكرُ بعضِ الأمثالِ العربيةِ]

وحيثُ كنتَ آخذاً في التعلُّمِ . . وجبَ أن نوردَ لكَ هنا زيادةً علىٰ ما سبقَ في البديعِ شيئاً مِنَ الأمثالِ والحِكَمِ ؛ لتكونَ لكَ داعيةً لطلبِ مثلِها مِنْ مواضعِها .

فمِنَ الأمثالِ العربيةِ :

« إِنَّ مِنَ ٱلْبَيَانِ لَسِحْراً »

قالَهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ حينَ وفدَ عليهِ عمرُو بنُ الأهتمِ والزِّبْرِقانُ ابنُ بدرٍ وقيسُ بنُ عاصمٍ ، فسألَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ عمرَو بنَ الأهتمِ عنِ الزِّبرقانِ ، فقالَ عمرٌو : مُطاعٌ في أَدْنَيهِ ، شديدُ العارضةِ ـ أي : البيانِ واللَّسَنِ ـ ، مانعٌ لِمَا وراءَ ظهرِهِ ، فقالَ الزِّبرقانُ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّهُ لَيعلمُ منِّي أكثرَ مِنْ هٰذا ، ولٰكنَّهُ حسدَني .

فقالَ عمرٌو : أمَّا واللهِ إنَّهُ لزَمِرُ المروءةِ ـ أي : قليلُ ـ ضيِّقُ العَطَنِ ، أحمقُ الوالدِ ، لئيمُ الخالِ ، فرأى الغضبَ في وجهِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ لمكانِ التناقضِ في كلامِهِ ، فقالَ : واللهِ يا رسولَ اللهِ ؛ ما كذبتُ في الأُولىٰ ، ولقد صدقتُ في الأُخرىٰ ، ولٰكنِّي رجلٌ رضيتُ فقلتُ أحسنَ ما علمتُ ، وسخطتُ فقلتُ أقبحَ ما وجدتُ ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إِنَّ مِنَ ٱلْبَيَانِ لَسِحْراً »(١) ؛ يعني : أنَّ بعضَ البيانِ يعملُ عملَ السِّحرِ .

ومعنى السِّحرِ : إظهارُ الباطلِ في صورةِ الحقِّ ، والبيانُ : اجتماعُ الفصاحةِ

---

(١) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبير » (٣٧/٩) ، والمتن عند البخاري (٥٧٦٧) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

والبلاغةِ وذكاءِ القلبِ معَ اللَّسَنِ ، وإنَّما شُبِّهَ بالسِّحرِ ؛ لحِدَّةِ عملِهِ في سامعِهِ ، وسرعةِ قَبولِ القلبِ لهُ ، يُضرَبُ في استحسانِ المَنطِقِ ، وإيرادِ الحُجَّةِ البالغةِ[1] .

« إِنَّ ٱلْمُنْبَتَّ : لَا أَرْضاً قَطَعَ ، وَلَا ظَهْراً أَبْقَىٰ »

المُنبتُّ : المُنقطِعُ عن أصحابِهِ في السفرِ ، **والظَّهرُ** : الدابةُ ، قالَهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ لرجلٍ اجتهدَ في العبادةِ حتىٰ هجمَتْ عيناهُ ؛ أي : غارتا ، فلمَّا رآهُ . . قالَ لهُ : « إِنَّ هَـٰذَا ٱلدِّينَ مَتِينٌ ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ ؛ إِنَّ ٱلْمُنْبَتَّ . . . » أي : الذي يَجِدُّ في سيرِهِ حتىٰ يَنبتَّ أخيراً ، سمَّاهُ بما تؤولُ إليهِ عاقبتُهُ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[2] ، يُضرَبُ لِمَنْ يبالغُ في طلبِ الشيءِ ويفرطُ حتىٰ ربَّما يفوتُهُ علىٰ نفسِهِ[3] .

إنَّ المُوَصَّيْنَ بنو سَهْوانَ

يُضرَبُ عندَ التعجُّبِ مِنْ نسيانِ مَنْ وصَّىٰ بعملِ شيءٍ بكثرةِ وقوعِهِ ، والسَّهْوانُ : السَّهوُ أوِ الساهي ، و(بنو السَّهوِ) يكونُ كـ (أبي الفضلِ) و(أخي الكرمِ) ، وعلىٰ كونِهِ الساهيَ . . فالمرادُ بهِ أبو البشرِ[4] .

إنَّ المعافىٰ غيرُ مخدوعٍ

يُضرَبُ لِمَنْ يُخدَعُ فلا ينخدعُ ، والمعنىٰ : أنَّ مَنْ عُوفِيَ ممَّا خُدِعَ بهِ . . لم يَضرُّهُ ما كانَ خُودِعَ بهِ .

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٧٢) .

(٢) سورة الزمر : (٣٠) .

(٣) انظر « مجمع الأمثال » (١/٧٣) .

(٤) انظر « مجمع الأمثال » (١/٧٥) .

وأصلُ المثلِ : أنَّ رجلاً مِنْ بني سليمٍ يُسمَّىٰ قادحاً كانَ في زمنِ أميرٍ يُكنىٰ أبا مظعونٍ ، وكانَ في ذٰلكَ الزمنِ رجلٌ آخَرُ مِنْ بني سليمٍ أيضاً يُقالُ لهُ : سليطٌ ، وكانَ عَلِقَ امرأةَ قادحٍ ، فلم يزلْ بها حتىٰ أجابَتْهُ وواعدَتْهُ ، فأتىٰ سليطٌ قادحاً وقالَ : إنِّي علقتُ جاريةً لأبي مظعونٍ ، وقد واعدَتْني ، فإذا دخلتَ عليهِ . . فاقعدْ معَهُ في المجلسِ ، فإذا أرادَ القيامَ . . فاسبقْهُ ، فإذا انتهيتَ إلىٰ موضعِ كذا . . فاصْفُرْ حتىٰ أعلمَ بمجيئِكُما فآخذَ حذري ، ولكَ كلَّ يومٍ دينارٌ ، فخدعَهُ بهٰذا ، وكانَ أبو مظعونٍ آخِرَ الناسِ قياماً مِنَ النادي ، ففعلَ قادحٌ ذٰلكَ ، وكانَ سليطٌ يختلفُ إلى امرأتِهِ .

فجرىٰ ذكرُ النساءِ يوماً ، فذكرَ أبو مظعونٍ جواريَهُ وعفافَهُنَّ ، فقالَ قادحٌ وهوَ يُعرِّضُ بأبي مظعونٍ : ربَّما غُرَّ الواثقُ ، وخُدِعَ الوامقُ ، وكذبَ الناطقُ ، ومَلَّتِ العاتقُ ؛ أي : ربَّما سَئِمَتِ الأُنثىٰ مِنْ فحلِها فعَهِرَتْ ، ثمَّ قالَ : [من البسيط]

لَا تَنْطِقَنَّ بِأَمْرٍ لَا تَيَقَّنُهُ ... يَا عَمْرُو إِنَّ ٱلْمُعَافَىٰ غَيْرُ مَخْدُوعِ

وعمرٌو اسمُ أبي مظعونٍ ، فعلمَ عمرٌو أنَّهُ يُعرِّضُ بهِ ، فلمَّا تفرَّقَ القومُ . . وثبَ علىٰ قادحٍ ، فخنقَهُ وقالَ : اصدقْني ، فحَدَّثَهُ قادحٌ بالحديثِ ، فعرفَ أبو مظعونٍ أنَّ سليطاً قد خدعَهُ ، فأخذَ عمرٌو بيدِ قادحٍ ثمَّ مرَّ بهِ علىٰ جواريهِ ، فإذا هنَّ مُقبلاتٌ علىٰ ما وُكِلنَ بهِ ، لم يَفقِدْ منهُنَّ واحدةً ، ثمَّ انطلقَ آخذاً بيدِ قادحٍ إلىٰ منزلِهِ ، فوجدَ سليطاً قدِ افترسَ امرأتَهُ ، فقالَ لهُ أبو مظعونٍ : (إنَّ المُعافىٰ غيرُ مخدوعٍ) تهكُّماً بقادحٍ ، فأخذَ قادحٌ السيفَ وشدَّ علىٰ سليطٍ ، فهربَ فلم يُدرِكْهُ ، ومالَ إلى امرأتِهِ فقتلَها (١) .

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٧٩ ـ ٨٠) .

إنَّ الحديدَ بالحديدِ يُفلِحُ

الفلحُ : الشقُّ ، ومنهُ الفلَّاحُ للحَرَّاثِ ؛ لأنَّهُ يَشُقُّ الأرضَ ؛ أي : يُستعانُ في الأمرِ الشديدِ بما يشاكلُهُ ويقاويهِ[١] .

إنَّ الدَّواهيَ في الآفاتِ تَهترِسُ

ويُروىٰ : (تَرتهِسُ) وهوَ قلبُ (تَهترِسُ) مِنَ الهَرْسِ ؛ وهوَ الدقُّ ؛ يعني : أنَّ الآفاتِ يموجُ بعضُها في بعضٍ ، ويَدُقُّ بعضُها بعضاً كثرةً ، يُضرَبُ عندَ اشتدادِ الزمانِ واضطرابِ الفتنِ .

وأصلُهُ : أنَّ رجلاً مرَّ بآخَرَ وهوَ يقولُ : يا ربِّ ؛ إمَّا مهرةً أو مهراً ، فأنكرَ عليهِ ذٰلكَ وقالَ : لا يكونُ الجنينُ إلَّا مهرةً أو مهراً !! فلمَّا ظهرَ الجنينُ . . كانَ مُشَيَّأَ الخَلْقِ مختلفَهُ ؛ أي : فيهِ شيءٌ غيرُ شيءٍ ، فقالَ الرجلُ عندَ ذٰلكَ[٢] : [من البسيط]

قَدْ طَرَّقَتْ بِجَنِينٍ نِصْفُهُ فَرَسٌ إِنَّ ٱلدَّوَاهِيَ فِي ٱلْآفَاتِ تَهْتَرِسُ

إنَّ العصا مِنَ العُصَيَّةِ

قالَ أبو عبيدٍ : (هٰكذا قالَ الأصمعيُّ ، وأنا أحسبُهُ : العُصَيَّةُ مِنَ العصا ، إلَّا أن يُرادَ أنَّ الشيءَ الجليلَ يكونُ في بدءِ أمرِهِ صغيراً ، كما قالوا : إنَّ القَرْمَ مِنَ الأَفِيلِ[٣] ، فيجوزُ حينَئذٍ علىٰ هٰذا المعنىٰ أن يُقالَ : العصا مِنَ العُصيَّةِ)[٤] .

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٨٠) .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (١/٨٢) .

(٣) الأفيل : الفتيُّ من الإبل ، والقرم : الفحل .

(٤) انظر « الأمثال » (ص ١٤٥) .

قالَ المُفضَّلُ : أولُ مَنْ قالَ ذٰلكَ الأفعى الجُرْهميُّ ؛ وذٰلكَ أنَّ نزاراً لمَّا حضرَتْهُ الوفاةُ . . جمعَ بنيهِ مُضَرَ وإياداً وربيعةَ وأنماراً ، فقالَ : يا بَنِيَّ ؛ هٰذهِ القُبَّةُ الحمراءُ ـ وكانَتْ مِنْ أدمٍ ـ لمُضَرَ ، وهٰذا الفرسُ الأدهمُ والخِباءُ الأسودُ لربيعةَ ، وهٰذهِ الخادمُ ـ وكانَتْ شمطاءَ ـ لإيادٍ ، وهٰذهِ البدرةُ والمجلسُ لأنمارٍ يجلسُ فيهِ ، فإن أشكلَ عليكُم كيفَ تقتسمونَ . . فأتوا الأفعى الجُرْهميَّ ومنزلَهُ بنجرانَ .

فتشاجروا في ميراثِهِ ، فتوجَّهوا إلى الأفعى الجُرْهميِّ ، فبينَما هم في مسيرِهِم إليهِ . . إذ رأىٰ مُضَرُ أثَرَ كلأً قد رُعِيَ ، فقالَ : إنَّ البعيرَ الذي رعىٰ هٰذا لَأعورُ ، قالَ ربيعةُ : إنَّهُ لَأزورُ ، قالَ إيادٌ : إنَّهُ لأبترُ ، قالَ أنمارٌ : إنَّهُ لَشرودٌ .

فساروا قليلاً ؛ فإذا هُم برجلٍ يَنشُدُ جملَهُ ، فسألَهُم عنِ البعيرِ ، فقالَ مُضَرُ : أهوَ أعورُ ؟ قالَ : نعم ، قالَ ربيعةُ : أهوَ أزورُ ؟ قالَ : نعم ، قالَ إيادٌ : أهوَ أبترُ ؟ قالَ : نعم ، قالَ أنمارٌ : أهوَ شَرودٌ ؟ قالَ : نعم ، وهٰذهِ واللهِ صفةُ بعيري ، فدلُّوني عليهِ ، قالوا : واللهِ ؛ ما رأيناهُ ، قالَ : هٰذا واللهِ الكذبُ ، وتَعلَّقَ بهِم ، وقالَ : كيفَ أُصدِّقُكُم وأنتُم تصفونَ بعيري بصفتِهِ ؟!

فساروا حتىٰ قدموا نجرانَ ، فلمَّا نزلوا . . نادىٰ صاحبُ البعيرِ : هٰؤلاءِ أخذوا جملي ، ووصفوا لي صفتَهُ ، ثمَّ قالوا : لم نرهُ !! فاختصموا إلى الأفعىٰ وهوَ حَكَمُ العربِ ، فقالَ الأفعىٰ : كيف وصفتُموهُ ولمْ تروهُ ؟ قالَ مُضَرُ : رأيتُهُ رعىٰ جانباً وتركَ جانباً ، فعلمتُ أنَّهُ أعورُ ، وقالَ ربيعةُ : رأيتُ إحدىٰ يدَيهِ ثابتةَ الأثرِ والأخرىٰ فاسدتَهُ ، فعلمتُ أنَّهُ أزورُ ؛ لأنَّهُ أفسدَهُ لشدَّةِ وطئِهِ لازورارِهِ ، وقالَ إيادٌ : عرفتُ أنَّهُ أبترُ باجتماعِ بعرِهِ ، ولو كانَ ذيَّالاً . . لمَصَعَ بهِ ، وقالَ أنمارٌ : عرفتُ أنَّهُ شَرودٌ ؛ لأنَّهُ كانَ يرعىٰ في المكانِ المُلتفِّ نبتُهُ ،

ثمَّ يجوزُهُ إلىٰ مكانٍ أرقَّ منهُ وأخبثَ نبتاً ، فعلمتُ أنَّهُ شَرودٌ ، فقالَ للرجلِ : ليسوا بأصحابِ بعيرِكَ ، فاطلبْهُ .

ثمَّ سألَهُم : مَنْ أنتُم ؟ فأخبروهُ ، فرَحَّبَ بهِم ، ثمَّ أخبروهُ بما جاءَ بهِم ، فقالَ : أتحتاجونَ إليَّ وأنتُم كما أرىٰ ؟! ثمَّ أنزلَهُم ، فذبحَ لهُم شاةً ، وأتاهُم بخمرٍ ، وجلسَ لهُمُ الأفعىٰ حيثُ لا يُرىٰ وهوَ يسمعُ كلامَهُم ، فقالَ ربيعةُ : لم أرَ كاليومِ لحماً أطيبَ منهُ لولا أنَّ شاتَهُ غُذِيَتْ بلبنِ كلبةٍ ، فقالَ مُضَرُ : لم أرَ كاليومِ خمراً أطيبَ منهُ لولا أنَّ حُبْلَتَها نبتَتْ علىٰ قبرٍ ، فقالَ إيادٌ : لم أرَ كاليومِ رجلاً أسرىٰ منهُ لولا أنَّهُ ليسَ لأبيهِ الذي يَدَّعي لهُ ، فقالَ أنمارٌ : لم أرَ كاليومِ كلاماً أنفعَ في حاجتِنا مِنْ كلامِنا ، وكانَ كلامُهُم بأذنِهِ .

فقالَ : ما هٰؤلاءِ إلَّا شياطينُ ، ثمَّ دعا القهرمانَ ، فقالَ : ما هٰذهِ الخمرُ ؟ وما أمرُها ؟ قالَ : هيَ مِنْ حُبْلَةٍ غرستُها علىٰ قبرِ أبيكَ ، لم يكنْ عندَنا شرابٌ أطيبُ مِنْ شرابِها ، وقالَ للراعي : ما أمرُ هٰذهِ الشاةِ ؟ قالَ : هيَ عَناقٌ أرضعتُها بلبنِ كلبةٍ ؛ وذٰلكَ أنَّ أمَّها كانَتْ قد ماتَتْ ، ولم يكنْ في الغنمِ شاةٌ ولدَتْ غيرَها ، ثمَّ أتىٰ أُمَّهُ فسألَها عن أبيهِ ، فأخبرَتْهُ أنَّها كانَتْ تحتَ مَلِكٍ كثيرِ المالِ ، وكانَ لا يُولَدُ لهُ ، قالَتْ : فخفتُ أن يموتَ ولا ولدَ لهُ فيذهبَ الملكُ ، فأمكنتُ مِنْ نفسي ابنَ عمٍّ لهُ كانَ نازلاً عليهِ .

فخرجَ الأفعىٰ إليهِم ، فقصَّ القومُ عليهِ قصَّتَهُم ، وأخبروهُ بما أوصىٰ بهِ أبوهُم ، فقالَ : ما أشبهَ القُبَّةَ الحمراءَ مِنْ مالٍ . . فهوَ لمُضَرَ ، فذهبَ بالدنانيرِ والإبلِ الحمرِ ، فسُمِّيَ : مُضَرَ الحمراءِ لذٰلكَ ، وقالَ : وأمَّا صاحبُ الفرسِ الأدهمِ والخِباءِ الأسودِ . . فلهُ كلُّ شيءٍ أسودَ ، فصارَتْ لربيعةَ الخيلُ الدُّهْمُ ، فقيلَ : ربيعةُ الفَرَسِ ، وما أشبهَ الخادمَ الشمطاءَ . . فهوَ لإيادٍ ، فصارَ لهُ

الماشيةُ البُلْقُ مِنْ الحَبَلَّقِ والنَّقَدِ[1] ، فسُمِّيَ : إيادَ الشمطاءِ ، وقضىٰ لأنمارٍ بالدراهِم وبما فضلَ ، فسُمِّيَ : أنمارَ الفضلِ .

فصدروا مِنْ عندِهِ علىٰ ذٰلكَ ، فقالَ الأفعىٰ : إنَّ العصا مِنَ العُصَيَّةِ ، وإنَّ خُشَيْناً مِنْ أخشنَ ، ومساعدةُ الخاطلِ تُعَدُّ مِنَ الباطلِ ، فأرسلَهُنَّ مثلاً .

وخُشَيْنٌ وأخشنُ : جبلانِ ؛ أحدُهُما أصغرُ مِنَ الآخَرِ ، والخاطلُ : الجاهلُ ، والخَطَلُ في الكلامِ : اضطرابُهُ ، والعُصَيَّةُ : تصغيرُ تكبيرٍ ؛ مثلُ : أنا عُذَيْقُها المُرجَّبُ وجُذَيْلُها المُحَكَّكُ ، والمرادُ : أنَّهُم يُشبِهونَ أباهُم في جودةِ الرأيِ ، وقيلَ : إنَّ العصا اسمُ فرسٍ ، والعُصَيَّةُ اسمُ أُمِّهِ ؛ يُرادُ أنَّهُ يحكي الأُمَّ في كرمِ العرقِ وشرفِ العتقِ[2] .

إنَّ البلاءَ مُوكَّلٌ بالمَنطِقِ

قالَ المُفضَّلُ : يُقالُ : إنَّ أولَ مَنْ قالَ ذٰلكَ أبو بكرٍ الصديقُ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ فيما ذكرَهُ ابنُ عبَّاسٍ ، قالَ : حدَّثَني عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ : لمَّا أُمِرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ أن يَعرِضَ نفسَهُ علىٰ قبائلِ العربِ . . خرجَ وأنا معَهُ ، فدفَعْنا إلىٰ مجلسٍ مِنْ مجالسِ العربِ ، فتَقدَّمَ أبو بكرٍ وكانَ نسَّابةً ، فسَلَّمَ ، فردُّوا عليهِ السلامَ ، فقالَ : ممَّنِ القومُ ؟ قالوا : مِنْ ربيعةَ ، فقالَ : أمِنْ هامتِها أم مِنْ لهازمِها ؟ قالوا : مِنْ هامتِها العظمىٰ ، قالَ : فأيُّ هامتِها العظمىٰ أنتُم ؟ قالوا : ذُهلٌ الأكبرُ ، قالَ : أفمِنْكُم عوفٌ الذي يُقالُ لهُ : لا حُرَّ بوادي عوفٍ ؟ قالوا : لا ، قالَ : أفمِنْكُم بِسطامٌ ذو اللواءِ ومنتهى الأحياءِ ؟ قالوا : لا ، قالَ : أفمِنْكُم جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ حامي الذِّمارِ ومانعُ الجارِ ؟ قالوا : لا ، قالَ : أفمِنْكُم الحَوْفزانُ قاتلُ الملوكِ وسالبُها

(١) الحبلق والنَّقد : نوعان من الغنم ، والبَلَق : السواد والبياض .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (١/٨٨ ـ ٩٠) .

أنفسَها ؟ قالوا : لا ، قالَ : أفمِنْكُم المزدلفُ صاحبُ العِمامةِ الفردةِ ؟ قالوا : لا ، قالَ : فأنتُم أخوالُ الملوكِ مِنْ كندةَ ؟ قالوا : لا ، قالَ : فلستُم ذُهْلاً الأكبرَ ، أنتم ذهلُ الأصغرُ ، فقامَ إليهِ غلامٌ قد بقلَ وجهُهُ يُقالُ لهُ : دَغْفَلٌ ، فقالَ : [من مشطور الرجز]

إِنَّ عَلَىٰ سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَهْ

وَٱلْعِبْءُ لَا تَعْرِفُهُ أَوْ تَحْمِلَهْ

يا هٰذا ؛ إنَّكَ قد سألتَنا ، فلم نكتمْكَ شيئاً ، فمَنِ الرجلُ أنتَ ؟ قالَ : رجلٌ مِنْ قريشٍ ، قالَ : بخٍ بخٍ ، أهلُ الشرفِ والرئاسةِ ، فمِنْ أيِّ قريشٍ أنتَ ؟ قالَ : مِنْ تيمِ بنِ مُرَّةِ ، قالَ : أمكنتَ واللهِ الراميَ مِنْ صفا الثغرةِ ؛ أفمِنْكُم قصيُّ بنُ كلابٍ الذي جمعَ القبائلَ مِنْ فهرٍ وكانَ يُدعَىٰ مُجَمِّعاً ؟ قالَ : لا ، قالَ : أفمِنْكُم هاشمٌ الذي هشمَ الثريدَ لقومِهِ ورجالُ مكةَ مُسنِتونَ عِجافٌ ؟ قالَ : لا ، قالَ : أفمِنْكُم شيبةُ الحمدِ مطعمُ طيرِ السماءِ الذي كأنَّ في وجهِهِ قمراً يضيءُ ليلَ الظلامِ الداجي ؟ قالَ : لا ، قالَ : أفمِنَ المفيضينَ بالناسِ أنتَ ؟ قالَ : لا ، قالَ : أفمِنْ أهلِ الندوةِ أنتَ ؟ قال : لا ، قالَ : أفمِنْ أهلِ الرفادةِ أنتَ ؟ قالَ : لا ، قالَ : أفمِنْ أهلِ الحِجابةِ أنتَ ؟ قالَ : لا ، قالَ : أفمِنْ أهلِ السِّقايةِ أنتَ ؟ قالَ : لا ، قالَ : واجتذبَ أبو بكرٍ زمامَ ناقتِهِ ، فرجعَ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، فقالَ دَغْفَلٌ : صادفَ دَرْءُ السيلِ درءاً يَصدَعُهُ ، أما واللهِ لو ثبتَ . . لأخبرتُكَ أنَّكَ مِنْ زمعاتِ قريشٍ ، أو ما أنا بدَغْفَلٍ ، قالَ : فتبسَّمَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهِ عليهِ وسَلَّمَ ، قالَ عليٌّ : قلتُ لأبي بكرٍ : لقد وقعتَ مِنَ الأعرابيِّ علىٰ باقعةٍ ، قالَ : أجلْ ، إنَّ لكلِّ طامَّةٍ طامَّةً ، وإنَّ البلاءَ مُوكَّلٌ بالمَنطِقِ (١) .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/٢٩٦ ـ ٢٩٨) ، وانظر « مجمع الأمثال » (١/٩١ ـ ٩٣) .

وفي قصةِ المثلِ أمثالٌ :

قولُهُ : (**لا حرَّ بوادي عوفٍ**) يُتمثَّلُ بهِ في هضمِ مَنْ يتعاظمُ بنواحي مَنْ يَقدِرُ علىٰ قهرِهِ .

وقولُهُ : (**إنَّ علىٰ سائِلِنا أن نسأَلَهُ**) ؛ ومحلُّ التمثُّلِ بهِ ظاهرٌ .

وقولُهُ : (**والعبءُ لا تَعرِفُهُ أو تحملُهُ**) ؛ يُتمثَّلُ بهِ في طلبِ الاختبارِ ، وتركِ الاكتفاءِ بما يبدو ؛ فإنَّ الشيءَ الذي تريدُ حملَهُ فيكون عبئاً ربَّما يكونُ كبيراً في النظرِ خفيفاً في الوزنِ ، وربَّما كانَ ثقيلَ الوزنِ وهوَ صغيرُ الحجمِ .

أُمٌّ فرشَتْ فأنامَتْ

يُضرَبُ في برِّ الرجلِ بصاحبِهِ ، قالَ قرادٌ[1] : [من الطويل]

وَكُنْتُ لَهُ عَمّاً لَطِيفاً وَوَالِداً رَؤُوفاً وَأُمّاً مَهَّدَتْ فَأَنَامَتِ

إذا تَرضَّيتَ أخاكَ . . فلا أخا لكَ

الترضِّي : الإرضاءُ بجهدٍ ومشقَّةٍ ؛ يقولُ : إذا ألجأَكَ أخوكَ إلىٰ أن تَترضَّاهُ وتداريَهُ . . فليسَ هوَ بأخٍ لكَ[2] .

أن تَرِدَ الماءَ بماءٍ أكيسُ

يُتمثَّلُ بهِ عندَ الأمرِ بالاقتصادِ في المعيشةِ والمحافظةِ علىٰ قليلِهِ وإن كانَ واثقاً بحصولِ كثيرٍ لهُ في المستقبلِ ، وأصلُهُ في المسافرِ عرفَ قُربَهُ مِنَ المنهلِ ، فأسرفَ في استعمالِ ما حملَ مِنَ الماءِ[3] .

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/١٠٤) .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (١/١٠٧) .

(٣) انظر « مجمع الأمثال » (١/١٢٨) .

إحدىٰ حُظَيَّاتِ لقمانَ

الحُظَيَّةُ : تصغيرُ الحَظْوةِ بفتحِ حائِهِ ؛ وهيَ المرماةُ[١] ، قالَ أبو عبيدٍ : (هيَ التي لا نصلَ لها)[٢] .

ولقمانُ هٰذا : هوَ لقمانُ بنُ عادٍ ، وحديثُهُ : أنَّهُ كانَ بينَهُ وبينَ رجلَينِ مِنْ عادٍ يُقالُ لهُما : عمرٌو وكعبٌ ابنا تِقْنِ بنِ معاويةَ ، وكانا ربَّيْ إبلٍ ، وكانَ لقمانُ ربَّ غنمٍ ، فأعجبَتْ لقمانَ الإبلُ ، فراودَهُما عنها ، فأبيا أن يبيعاهُ ، فعَمَدَ إلىٰ ألبانِ غنمِهِ مِنْ ضأنٍ ومِعزىٰ ، وأنافحَ مِنْ أنافحِ السخلِ ، فلمَّا رأيا ذٰلكَ . . لم يلتفتا إليهِ ، ولم يرغبا في ألبانِ الغنمِ ، فلمَّا رأىٰ ذٰلكَ لقمانُ . . قالَ : اشترياها ابنيْ تِقْنٍ ، أقبلَتْ مَيْساً ، وأدبرَتْ هَيْساً ، وملأَتِ البيتَ أقطاً وحيساً ، اشترياها ابنيْ تِقْنٍ ؛ إنَّها الضَّأْنُ تُجَزُّ جُفَالاً ، وتُنتَجُ رِخالاً ، وتُحلَبُ كُثْباً ثقالاً ، فقالا : لا نشتريها يا لقمُ ؛ إنَّها الإبلُ ؛ حملنَ فاتَّسَقْنَ ، وجرينَ فأعنقنَ ، وبغيرِ ذٰلكَ أفلتْنَ ، يغزرنَ إذا قَطَنَّ ، فلم يبيعاهُ الإبلَ ، ولم يشريا الغنمَ .

فجعلَ لقمانُ يداورُهُما ، وكانا يهابانِهِ ، وكانَ يلتمسُ أن يغفُلا فيشدَّ على الإبلِ ويطردَها .

فلمَّا كانَ ذاتَ يومٍ . . أصابا أرنباً وهوَ يَرصدُهُما رجاءَ أن يصيبَهُما فيذهبَ بالإبلِ ، فأخذا صفيحةً مِنَ الصَّفا ، فجعلَها أحدُهُما في يدِهِ ، ثمَّ جعلَ عليها كومةً مِنْ ترابٍ قد أحمياهُ ، فملَّا الأرنبَ في ذٰلكَ الترابِ ، فلمَّا أنضجاها . . نفضا عنها الترابَ فأكلاها ، فقالَ لقمانُ : يا ويلتا !! أنيئةً أكلاها ، أمِ الريحَ أقبلاها ، أم بالشيحِ اشتوياها ؟

---

(١) المرماة : السهم الصغير الضعيف .

(٢) الأمثال (ص ٨٠) للقاسم بن سلام .

ولمَّا رآهُما لقمانُ لا يغفلانِ عن إبلِهِما ، ولم يجدْ فيهِما مطمعاً . . لقيَهُما ومعَ كلِّ واحدٍ منهُما جفيرٌ مملوءٌ نَبْلاً ، وليسَ معَهُ غيرُ نبلَينِ ، فخدعَهُما فقالَ : ما تصنعانِ بهٰذهِ النَّبْلِ الكثيرةِ التي معَكُما ؟! إنَّما هيَ حطبٌ ، فواللهِ ؛ ما أحملُ معي غيرَ نبلَينِ ، فإن لم أصبْ بهِما . . فلستُ بمصيبٍ ، فعَمَدا إلىٰ نبلِهِما فنثراها غيرَ سهمَينِ ، فعَمَدَ إلى النَّبْلِ فحواها ، ولم يصبْ لقمانُ منهُما بعدَ ذٰلكَ غِرَّةَ .

وكانَ فيما يذكرونَ لعمرِو بنِ تِقنٍ امرأةٌ ، فطلَّقَها ، فتزوجَها لقمانُ ، وكانَتْ المرأةُ وهيَ عندَ لقمانَ تكثرُ أن تقولَ : لا فتىٰ إلَّا عمرٌو ، وكانَ ذٰلكَ يغيظُ لقمانَ ويَسوءُهُ كثرةُ ذكرِها ، فقالَ لقمانُ : لقد أكثرتِ في عمرٍو ، فواللهِ ؛ لأقتلنَّ عمراً ، فقالَتْ : لا تفعلْ .

وكانَتْ لابنيْ تِقْنٍ سَمُرةٌ يَستظلَّانِ بها حتىٰ تردَ إبلُهُما فيسقيانِها ، فصَعِدَها لقمانُ واتخذَ فيها عُشّاً رجاءَ أن يصيبَ مِنِ ابنيْ تِقْنٍ غِرَّةً ، فلمَّا وردَتِ الإبلُ . . تَجرَّدَ عمرٌو ، وأكبَّ على البئرِ يستقي ، فرماهُ لقمانُ مِنْ فوقِهِ بسهمٍ في ظهرِهِ ، فقالَ : حَسِّ[1] ، إحدىٰ حُظَيَّاتِ لقمانَ ، فذهبَ مثلاً ، ثمَّ أهوىٰ إلى السهمِ فانتزعَهُ ، فوقعَ بصرُهُ على الشجرةِ ، فإذا هوَ بلقمانَ ، فقالَ : انزلْ ، فنزلَ ، فقالَ : استقِ بهٰذهِ الدلوِ ، فزعموا أنَّ لقمانَ لمَّا أرادَ أن يرفعَ الدلوَ حينَ امتلأَتْ . . نهضَ نهضةً فضرطَ ، فقالَ لهُ عمرٌو : أضرطاً آخِرَ اليومِ وقد زالَ الظهرُ ؟! فأرسلَها مثلاً .

ثمَّ إنَّ عمراً أرادَ أن يقتلَ لقمانَ ، فتبسَّمَ لقمانُ ، فقالَ عمرٌو : أضاحكٌ أنتَ ؟ قالَ لقمانُ : ما أضحكُ إلَّا مِنْ نفسي ، أما إنِّي نُهيتُ عمَّا ترىٰ ، فقالَ : ومَنْ نهاكَ ؟ قالَ : فلانةُ ، قالَ عمرٌو : أفلي عليكَ إن وهبتُكَ لها أن

---

(١) حسِّ : اسم فعل بمعنىٰ أتألم .

تعلمَها ذٰلكَ ؟ قالَ : نعم ، فخلَّىٰ سبيلَهُ ، فأتاها لقمانُ فقالَ : لا فتىٰ إلا عمرٌو ، فقالَتْ : أقد لقيتَهُ ؟ قالَ : نعم ، لقيتُهُ فكانَ كذا وكذا ، ثمَّ أسرَني ، فأرادَ قتلي ، ثمَّ وهبَني لكِ ، قالَتْ : لا فتىٰ إلا عمرٌو .

يُضرَبُ لِمَنْ عُرِفَ بالشرِّ ، فإذا جاءَتْ هَنةٌ مِنْ جنسِ أفعالِهِ . . قيلَ : إحدىٰ حُظَيَّاتِ لقمانَ ؛ أي : إنَّهُ فعلةٌ مِنْ فعلاتِهِ (١) .

المَيْسُ والهَيْسُ : كالحَيْسِ بفتحٍ فسكونٍ ، يصفُ مشيَ الغنمِ عندَ إقبالِها مِنَ المراعي للبيوتِ وهيَ بِطانٌ ممتلئةُ الضُّروعِ ، وعندَ إدبارِها عنِ البيوتِ للمراعي وهيَ خِماصٌ ، **والجُفالُ** : كغُرابٍ ؛ الصُّوفُ الكثيرُ ، **والكُثْبةُ** بضمٍّ فسكونٍ : مِلْءُ القدحِ ، **والرِّخالُ** بكسرِ الراءِ : جمعُ رِخلةٍ أو رِخلٍ كذٰلكَ ؛ وهيَ الأُنثىٰ [مِنْ] ولدِ الضأنِ .

إنَّكَ خيرٌ مِنْ تفاريقِ العصا

قالوا : هٰذا مِنْ قولِ غُنيةَ الأعرابيةِ لابنِها ، وكانَ عارماً كثيرَ التلفُّتِ إلى الناسِ معَ ضَعفِ أسرٍ ودِقَّةِ عظمٍ ، فواثبَ يوماً فتىً فقطعَ الفتىٰ أنفَهُ ، فأخذَتْ غنيةُ ديةَ أنفِهِ ، فحسَّنَتْ حالَها بعدَ فقرٍ مُدقِعٍ ، ثمَّ واثبَ آخَرَ فقطعَ أذنَهُ ، فأخذَتْ ديتَها ، فزادَتْ حسنَ حالٍ ، ثمَّ واثبَ آخَرَ فقطعَ شفتَهُ ، فأخذَتِ الديةَ .

فلمَّا رأَتْ ما صارَ عندَها مِنَ الإبلِ والغنمِ والمتاعِ ، وذٰلكَ مِنْ كسبِ جوارحِ ابنِها . . حَسُنَ رأيُها فيهِ ، وذكرَتْهُ في أُرجوزتِها فقالَتْ : [من مشطور الرجز]

أَحْلِفُ بِٱلْمَرْوَةِ حَقّاً وَٱلصَّفَا
إِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيقِ ٱلْعَصَا

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/١٣٤) .

قيلَ لأعرابيٍّ : ما تفاريقُ العصا ؟ قالَ : العصا تقطعُ ساجوراً ، والسواجيرُ تكونُ للكلابِ وللأسرىٰ مِنَ الناسِ ، ثمَّ تقطعُ عصا الساجورِ فتصيرُ أوتاداً ، ويُفرقُ الوتدُ فتصيرُ كلُّ قطعةٍ شِظاظاً ـ ككتابٍ ـ خشبةٌ تُعقَفُ لتُجعَلَ في عروتَيْ جوالقَينِ ، فإن جُعِلَ لرأسِ الشِّظاظِ كالفلكةِ . . صارَ للبختيِّ مِهاراً بكسرِ الميمِ ، وهوَ العودُ الذي يُدخَلُ في أنفِ البختيِّ ، وإذا فرقَ المِهارُ . . جاءَتْ منهُ تَوادٍ ؛ وهيَ الخشبةُ التي تُشَدُّ علىٰ خِلْفِ الناقةِ إذا صُرَّتْ .

هٰذا إذا كانَتْ عصاً ، فإذا كانَتْ قناةً . . فكلُّ شقٍّ منها قوسُ بندقٍ ، فإن فُرِّقَتِ الشقةُ . . صارَتْ سهاماً ، فإن فُرِّقَتِ السهامُ . . صارَتْ حِظاءً ، فإن فُرِّقَتِ الحِظاءُ . . صارَتْ مغازلَ ، فإن فُرِّقَتِ المغازلُ . . شعبَ بهِ الشَّعَّابُ أقداحَهُ المصدوعةَ وقِصاعَهُ المشقوقةَ ، علىٰ أنَّهُ لا يجدُ لها أصلحَ منها وأليقَ بها .

يُضرَبُ فيمَنْ نفعُهُ أعمُّ مِنْ نفعِ غيرِهِ[١] .

إنَّما يُعاتَبُ الأديمُ ذو البشرةِ

المعاتبةُ : المعاودةُ ، وبشرةُ الأديمِ : ظاهرُهُ الذي عليهِ الشَّعرُ ؛ أي : أنَّ ما يُعادُ إلى الدِّباغِ مِنَ الأديمِ ما سلمَتْ بشرتُهُ .

يُضرَبُ لِمَنْ فيهِ مراجعةٌ ومُستعتَبٌ ، قالَ الأصمعيُّ : كلَّ ما كانَ في الأديمِ مُحتمِلٌ ما سلمَتِ البشرةُ ، فإذا نَغِلَتِ البشرةُ . . بطلَ الأديمُ ، ومِنْ هنا أُخِذَ العتابُ بينَ الإخوانِ لذكرِ الهفواتِ ، ثمَّ الاعتذارُ أوِ الاعترافُ ، والمسامحةُ ، والعودُ إلى المصافاةِ ، فيكونُ ذٰلكَ بمنزلةِ دبغِ الجلدِ لإزالةِ فضلاتِهِ .

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/١٣٧ ـ ١٣٨) .

إنَّ العصا قُرِعَتْ لذي الحِلْمِ

قيلَ : إنَّ أولَ مَنْ قُرِعَتْ لهُ العصا عمرُو بنُ مالكِ بنِ ضبيعةَ ، أخو سعدِ بنِ مالكٍ الكنانيِّ ؛ وذٰلكَ أنَّ سعداً أتى النعمانَ بنَ المنذرِ ومعَهُ خيلٌ لهُ قادَها وأخرىٰ عَرَّاها ، فقيلَ لهُ : لِمَ عَرَّيتَ هٰذهِ وقُدتَ هٰذهِ ؟ قالَ : لم أَقُدْ هٰذهِ لأمنعَها ، ولم أُعَرِّ هٰذهِ لأهبَها ، ثمَّ دخلَ على النعمانِ ، فسألَهُ عن أرضِهِ ، فقالَ : أمَّا مطرُها . . فغزيرٌ ، وأمَّا نبتُها . . فكثيرٌ .

فقالَ لهُ النعمانُ : إنَّكَ لقَوَّالٌ ، وإن شئتَ أتيتُكَ بما تعيا عن جوابِهِ ، قالَ : نعم ، فأمرَ وصيفاً لهُ أن يلطمَهُ ، فلطمَهُ لطمةً ، فقالَ : ما جوابُ هٰذهِ ؟ قالَ : سفيهٌ مأمورٌ ، قالَ : الطمْهُ أخرىٰ ، فلطمَهُ ، قالَ : ما جوابُ هٰذهِ ؟ قالَ : لو أُخِذَ بالأُولىٰ . . لم يَعُدْ للأخرىٰ ، وإنَّما أرادَ النعمانُ أن يَتعدَّىٰ سعدٌ في المَنطِقِ فيقتلَهُ ، قالَ : الطمْهُ ثالثةً ، فلطمَهُ ، قالَ : ما جوابُ هٰذهِ ؟ قالَ : ربٌّ يُؤدِّبُ عبدَهُ ، قالَ : الطمْهُ أخرىٰ ، فلطمَهُ ، قالَ : ما جوابُ هٰذهِ ؟ قالَ : ملكتَ [فأسجحْ] ، فأرسلَها مثلاً ، قالَ النعمانُ : أصبتَ ، فامكثْ عندي ، وأعجبَهُ ما رأىٰ منهُ ، فمكثَ عندَهُ ما مكثَ .

ثمَّ إنَّهُ بدا للنعمانِ أن يبعثَ رائداً ، فبعثَ عمراً أخا سعدٍ ، فأبطأَ عليهِ ، فأغضبَهُ ذٰلكَ ، فأقسمَ ؛ لَئن جاءَ ذامّاً للكلأِ أو حامداً لهُ . . ليقتلَنَّهُ ، فقدمَ عمرٌو وكانَ سعدٌ عندَ الملكِ ، فقالَ سعدٌ : أتأذنُ أن أُكلِّمَهُ ؟ قالَ : إذاً يُقطَعَ لسانُكَ ، قالَ : فأُشيرَ إليهِ ؟ قالَ : إذاً تُقطَعَ يدُكَ ، قالَ : فأقرعَ لهُ العصا ؟ قالَ : فاقرعْها ، فتناولَ سعدُ عصا جليسِهِ وقرعَ بعصاهُ قرعةً واحدةً ، فعرفَ أنَّهُ يقولُ لهُ : مكانَكَ ، ثمَّ قرعَ بالعصا ثلاثَ قَرَعاتٍ ، ثمَّ رفعَها إلى السماءِ ، ومسحَ عصاهُ بالأرضِ ، فعرفَ أنَّهُ يقولُ لهُ : لم أجدْ جدباً ، ثمَّ قرعَ العصا مراراً ، ثمَّ رفعَها شيئاً وأومأَ إلى الأرضِ ، فعرفَ أنَّهُ يقولُ : ولا نباتاً ، ثمَّ قرعَ العصا قرعةً وأقبلَ نحوَ الملكِ ، فعرفَ أنَّهُ يقولُ : كَلِّمْهُ ، فأقبلَ عمرٌو حتىٰ

قامَ بينَ يَدي الملكِ ، فقالَ لهُ : أخبرْني ، هل حمدتَ خصباً أو ذممتَ جدباً ؟ فقالَ عمرٌو : لم أذممْ هُزْلاً ، ولم أحمدْ بقلاً ، الأرضُ مشكلةٌ ، لا خصبُها يُعرَفُ ، ولا جدبُها يُوصَفُ ، رائدُها واقفٌ ، ومنكرُها عارفٌ ، وآمنُها خائفٌ ، قالَ الملكُ : أَولىٰ لكَ ، فقالَ سعدُ بنُ مالكٍ يذكرُ قرعَ العصا : [من الطويل]

قَرَعْتُ ٱلْعَصَا حَتَّىٰ تَبَيَّنَ صَاحِبِي ... وَلَمْ تَكُ لَوْلَا ذَاكَ فِي ٱلْقَوْمِ تُقْرَعُ
فَقَالَ رَأَيْتُ ٱلْأَرْضَ لَيْسَتْ بِمُمْحِلٍ ... وَلَا سَارِحٍ فِيهَا عَلَى ٱلرَّعْيِ يَشْبَعُ
سَوَاءٌ فَلَا جَدْبٌ فَيُعْرَفُ جَدْبُهَا ... وَلَا صَابَهَا غَيْثٌ غَزِيرٌ فَتَمْرُعُ
فَتَحْيَا بِهَا حَوْبَاءُ نَفْسٍ كَرِيمَةٍ ... وَقَدْ كَادَ لَوْلَا ذَاكَ فِيهِمْ تُقَطَّعُ

هٰذا قولُ بعضِهِم .

وقالَ آخَرونَ في قولِهِم : إنَّ العصا قُرِعَتْ لذي الحِلمِ : إنَّ ذا الحِلمِ هٰذا هوَ عامرُ بنُ الظَّرِبِ العدوانيُّ ، وكانَ مِنْ حكماءِ العربِ ، لا تَعدِلُ بفهمِهِ فهماً ، ولا بحكمِهِ حكماً ، فلمَّا طعنَ في السنِّ . . أنكرَ مِنْ عقلِهِ شيئاً ، فقالَ لبنيهِ : إنَّهُ قد كَبِرَتْ سنِّي ، وعرضَ لي سهوٌ ، فإذا رأيتموني خرجتُ مِنْ كلامي ، وأخذتُ في غيرِهِ . . فاقرعوا ليَ المِجَنَّ بالعصا .

وقيلَ : كانَتْ لهُ جاريةٌ يُقالُ لها : خصيلةُ ، فقالَ لها : إذا أنا خُولِطتُ . . فاقرعي ليَ العصا .

وأُتِيَ عامرٌ بخُنثىٰ ليحكمَ فيهِ ، فلم يدرِ ما الحكمُ ، فجعلَ يَنحَرُ لهُم ويُطعِمُهُم ويدافعُهُم بالقضاءِ ، فقالَتْ خصيلةُ : ما شأنُكَ قد أتلفتَ مالَكَ ؟ فخبَّرَها أنَّهُ لا يدري ما حكمُ الخنثىٰ ، فقالَتْ : أتبعْهُ مبالَهُ .

قالَ الشعبيُّ : فحدَّثَني ابنُ عباسٍ بها ، قالَ : فلمَّا جاءَ اللهُ بالإسلامِ . . صارَتْ سُنَّةً فيهِ .

وعامرٌ هوَ الذي يقولُ : [من المتقارب]

أَرَىٰ شَعَرَاتٍ عَلَىٰ حَاجِبِي بِيضاً نَبَتْنَ جَمِيعاً تُؤَامَا
ظَلِلْتُ أُهَاهِي بِهِنَّ ٱلْكِلَابَ أَحْسِبُهُنَّ صِوَاراً قِيَامَا
وَأَحْسِبُ أَنْفِي إِذَا مَا مَشَيْتُ شَخْصاً أَمَامِي رَآنِي فَقَامَا

يُقالُ : إنَّهُ عاشَ ثلاثَ مئةِ سنةٍ ، وهوَ الذي يقولُ : [من الطويل]

تَقُولُ ٱبْنَتِي لَمَّا رَأَتْنِي كَأَنَّنِي سَلِيمُ أَفَاعٍ لَيْلُهُ غَيْرُ مُودَعِ
وَمَا ٱلْمَوْتُ أَفْنَانِي وَلَٰكِنْ تَتَابَعَتْ عَلَيَّ سِنُونٌ مِنْ مَصِيفٍ وَمَرْبَعِ
ثَلَاثُ مِئِينَ قَدْ مَرَرْنَ كَوَامِلاً وَهَا أَنَا هَٰذَا أَرْتَجِي مَرَّ أَرْبَعِ
فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ ٱلنَّسْرِ طَارَتْ فِرَاخُهُ إِذَا رَامَ تَطْيَاراً يُقَالُ لَهُ قَعِ
أُخَبِّرُ أَخْبَارَ ٱلْقُرُونِ ٱلَّتِي مَضَتْ وَلَا بُدَّ يَوْماً أَنْ يُطَارَ بِمَصْرَعِي

قالَ ابنُ الأعرابيِّ : أوَّلُ مَنْ قُرِعَتْ لهُ العصا : عامرُ بنُ الظَّرِبِ العدوانيُّ ، وربيعةُ تقولُ : بل هوَ قيسُ بنُ خالدِ بنِ ذي الجدَّينِ ، وتميمٌ تقولُ : بل هوَ ربيعةُ بنُ مخاشنٍ أحدُ بني أُسيدِ بنِ عمرِو بنِ تميمٍ ، واليمنُ تقولُ : بل هوَ عمرُو بنُ حممةَ الدوسيُّ .

قالَ : وكانَتْ حُكَّامُ تميمٍ في الجاهليةِ : أكثمَ بنَ صيفيٍّ ، وحاجبَ بنَ زرارةَ ، والأقرعَ بنَ حابسٍ ، وربيعةَ بنَ مخاشنٍ ، وضمرةَ بنَ ضمرةَ ، غيرَ أنَّ ضمرةَ حكمَ فأخذَ رشوةً فغدرَ .

[وحُكَّامُ] قيسٍ : عامرُ بنُ الظَّرِبِ ، وغيلانُ بنُ سلمةَ الثقفيُّ ، وكانَتْ لهُ ثلاثةُ أيامٍ ؛ يومٌ يحكمُ فيهِ بينَ الناسِ ، ويومٌ يُنشِدُ فيهِ شعرَهُ ، ويومٌ ينظرُ فيهِ إلىٰ جمالِهِ ، وجاءَ الإسلامُ وعندَهُ عشرُ نسوةٍ ، فخَيَّرَهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، فاختارَ أربعاً ، فصارَتْ سُنَّةً .

وحُكَّامُ قريشٍ : عبدُ المطلبِ ، وأبو طالبٍ ، والعاصي بنُ وائلٍ .

وحكيماتُ العربِ : صخرُ بنتُ لقمانَ ، وهندُ بنتُ الخُسِّ ، وجمعةُ بنتُ حابسٍ ، وابنةُ عامرِ بنِ الظَّرِبِ الذي يُقالُ لهُ : ذو الحِلْمِ ، قالَ المُتلمِّسُ يريدُهُ[1] : [من الطويل]

لِذِي ٱلْحِلْمِ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ مَا تُقْرَعُ ٱلْعَصَا ... وَمَا عُلِّمَ ٱلْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْلَمَا

والمثلُ يُضرَبُ لِمَنْ إذا نُبِّهَ . . انتبهَ[2] .

أنا النذيرُ العُرْيانُ

قالَ ابنُ الكلبيِّ : كانَ مِنْ حديثِ النذيرِ العُريانِ : أنَّ أبا دؤادٍ الشاعرَ كانَ جاراً للمنذرِ بنِ ماءِ السماءِ ، وأنَّ أبا دؤادٍ نازعَ رجلاً بالحِيرةِ مِنْ بهراءَ يُقالُ لهُ : رقبةُ بنُ عامرٍ ، فقالَ لهُ رقبةُ : صالحْني وحالفْني ، قالَ أبو دُؤادٍ : فمِنْ أينَ تعيشُ أبا دؤادٍ ؟ فواللهِ ؛ لولا ما تصيبُ مِنْ بهراءَ . . لهلكتَ ، ثمَّ افترقا علىٰ تلكَ الحالةِ .

وإنَّ أبا دُؤادٍ أخرجَ بنينَ لهُ ثلاثةً في تجارةٍ إلى الشامِ ، فبلغَ ذٰلكَ رقبةَ ، فبعثَ إلىٰ قومِهِ فأخبرَهُم بما قالَ لهُ أبو دؤادٍ عندَ المنذرِ ، وأخبرَهُم أنَّ القومَ ولدُ أبي دؤادٍ ، فخرجوا إلى الشامِ ، فقتلوهُم وبعثوا برؤوسِهِم إلىٰ رقبةَ ، فلمَّا أتتْهُ الرؤوسُ . . صنعَ طعاماً كثيراً ، ثمَّ أتى المنذرَ فقالَ لهُ : قدِ اصطنعتُ لكَ طعاماً ، فأنا أحبُّ أن تَتغدَّىٰ عندي ، فأتاهُ المنذرُ وأبو دؤادٍ معَهُ ، فبينا الجِفانُ تُرفَعُ وتُوضَعُ . . إذ جاءَتْ جَفنةٌ عليها أحدُ رؤوسِ بني أبي دؤادٍ ، فقالَ أبو دُؤادٍ : أبيتَ اللعنَ ؛ إنِّي جارُكَ ، وقد ترىٰ ما صنعَ بي ، وكانَ رقبةُ

---

(١) انظر « ديوان المتلمس الضبعي » (ص ٢٦) .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (١/١٣٨ ـ ١٤٣) .

جاراً للمنذرِ ، قالَ : فوقعَ المنذرُ منهُما في سوءةٍ ، وأمرَ برقبةَ فحُبِسَ ، وقالَ لأبي دؤادٍ : ما يرضيكَ ؟ قالَ : أن تبعثَ بكتيبتَيكَ الشهباءِ والدَّوسرِ إليهِم ، فقالَ لهُ المنذرُ : قد فعلتُ ، فوَجَّهَ إليهِم الكتيبتَينِ .

قالَ : فلمَّا رأىٰ ذٰلك رقبةُ مِنْ صنعِ المنذرِ . . قالَ لامرأتِهِ : الحقي بقومِكِ فأنذريهِم ، فعَمَدَتْ إلىٰ بعضِ إبلِ البهرانيّ ، فركبَتْهُ ، ثمَّ خرجَتْ حتىٰ أتَتْ قومَها ، فعرَّفَتْ ، ثمَّ قالَتْ : أنا النذيرُ العريانُ ، فأرسلَتْها مثلاً ، وعرفَ القومُ ما تريدُ ، فصَعِدوا إلىٰ علياءِ الشامِ ، وأقبلَتِ الكتيبتانِ ، فلم تصيبا منهُم أحداً ، فقالَ المنذرُ لأبي دؤادٍ ، قد رأيتَ ما كانَ منهُم ، أفيسكتُكَ عنِّي أن أعطيَكَ بكلِّ رأسٍ مئتَيْ بعيرٍ ، قالَ : نعم ، فأعطاهُ ذٰلكَ ، وفيهِ يقولُ قيسُ بنُ زهيرٍ العبسيُّ : [من الوافر]

سَأَفْعَلُ مَا بَدَا لِي ثُمَّ آوِي ... إِلَىٰ جَارٍ كَجَارِ أَبِي دُؤَادِ

وقالَ غيرُهُ : إنَّما قالوا : النذيرُ العريانُ ؛ لأنَّ الرجلَ إذا رأى الغارةَ قد فجأَتْهُم ، وأرادَ إنذارَ قومِهِ . . تَجرَّدَ مِنْ ثيابِهِ ، وأشارَ بها ليعلمَ أنَّهُ قد فجأَهُم أمرٌ ، ثمَّ صارَ مثلاً لكلِّ أمرٍ تُخافُ مفاجأتُهُ ، ولكلِّ أمرٍ لا شبهةَ فيهِ .

إيَّاكِ أعني واسمعي يا جارَةُ

أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : سهلُ بنُ مالكٍ الفزاريُّ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ خرجَ يريدُ النعمانَ ، فمرَّ ببعضِ أحياءِ طيءٍ ، فسألَ عن سيدِ الحيّ ، فقيلَ لهُ : حارثةُ بنُ لأمٍ ، فأمَّ رحلَهُ ، فلم يُصِبْهُ شاهداً ، فقالَتْ لهُ أختُهُ : انزلْ في الرَّحبِ والسَّعةِ ، فنزلَ ، فأكرمَتْهُ ولاطفَتْهُ ، ثمَّ خرجَتْ مِنْ خِبائِها ، فرأىٰ أجملَ أهلِ دهرِها وأكملَهُم ، وكانَتْ عقيلةَ قومِها وسيدةَ نسائِها ، فوقعَ في نفسِهِ منها شيءٌ ، فجعلَ لا يدري كيفَ يرسلُ إليها ، ولا ما يوافقُها مِنْ ذٰلكَ ، فجلسَ بفِناءِ

الخِباءِ يوماً وهيَ تسمعُ كلامَهُ ، فجعلَ ينشدُ ويقولُ : [من مشطور الرجز]

يَـا أُخْـتَ خَـيْـرِ ٱلْـبَـدْوِ وَٱلْـحَـضَـارَهْ

كَـيْـفَ تَـرَيْـنَ فِـي فَـتَـىٰ فَـزَارَهْ

أَصْـبَـحَ يَـهْـوَىٰ حُـرَّةً مُـعْـطَـارَهْ

إِيَّـاكِ أَعْـنِـي وَٱسْـمَـعِـي يَـا جَـارَهْ

فلمَّا سمعَتْ قولَهُ . . عرفَتْ أنَّهُ إيَّاها يعني ، فقالَتْ : ما ذا بقولِ ذي عقلٍ أريبٍ ، ولا رأيٍ مصيبٍ ، ولا أنفٍ نجيبٍ ، فأقمْ ما أقمتَ مُكرَّماً ، ثمَّ ارتحلْ متىٰ شئتَ مُسلَّماً ، ويُقالُ : أجابَتْهُ نظماً فقالَتْ : [من مشطور الرجز]

إِنِّـي أَقُـولُ يَـا فَـتَـىٰ فَـزَارَهْ

لَا أَبْـتَـغِـي ٱلـزَّوْجَ وَلَا ٱلـدَّعَـارَهْ

وَلَا فِـرَاقَ أَهْـلِ هَـٰذِي ٱلْـجَـارَهْ

فَـٱرْحَـلْ إِلَـىٰ أَهْـلِـكَ بِـٱسْـتِـخَـارَهْ

فاستحيا الفتىٰ وقالَ : ما أردتُ مُنكَراً ، وا سوءتاهْ ، قالَتْ : صدقتَ ، فكأنَّها استحيتْ مِنْ تَسرُّعِها إلىٰ تهمتِهِ ، فارتحلَ ، فأتى النعمانَ ، فحيَّاهُ وأكرمَهُ ، فلمَّا رجعَ . . نزلَ علىٰ أخيها ، فبينا هوَ مقيمٌ عندَهُم . . تَطلَّعَتْ إليهِ نفسُها ، وكانَ جميلاً ، فأرسلَتْ إليهِ : أنِ اخطُبْني إن كانَ لكَ إليَّ حاجةٌ يوماً مِنَ الدَّهرِ ؛ فإنِّي سريعةٌ إلىٰ ما تريدُ ، فخطبَها وتزوَّجَها ، وسارَ بها إلىٰ قومِهِ .

يُضرَبُ لمَنْ يَتكلَّمُ بكلامٍ ويريدُ بهِ شيئاً غيرَهُ (١) .

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/١٦٥ ـ ١٦٦) .

إنَّ غداً لناظرِهِ قريبٌ

أي : لمنتظرِهِ ، يُقالُ : نظرتُهُ ؛ أيِ : انتظرتُهُ .

وأوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : قُرادُ بنُ أجدعَ ؛ وذٰلكَ أنَّ النعمانَ بنَ المنذرِ خرجَ يَتصيَّدُ علىٰ فرسِهِ اليحمومِ ، فأجراهُ علىٰ أثرِ عَيْرٍ ، فذهبَ بهِ الفرسُ في الأرضِ ولم يقدرْ عليهِ ، وانفردَ عن أصحابِهِ ، وأخذَتْهُ السماءُ ، فطلبَ ملجأً يلجأُ إليهِ ، فدفعَ إلىٰ بناءٍ ، فإذا فيهِ رجلٌ مِنْ طيءٍ يُقالُ لهُ : حنظلةُ ومعَهُ امرأةٌ لهُ ، فقالَ لهُما : هل مِنْ مأوىً ، فقالَ حنظلةُ : نعم ، فخرجَ إليهِ فأنزلَهُ ، ولم يكنْ للطائيّ غيرُ شاةٍ وهوَ لا يَعرِفُ النعمانَ ، فقالَ لامرأتِهِ : أرىٰ رجلاً ذا هيئةٍ وما أخلقَهُ أن يكونَ شريفاً خطيراً ، فما الحيلةُ ؟ قالَتْ : عندي شيءٌ مِنْ طحينٍ كنتُ ادَّخرتُهُ ، فاذبحِ الشاةَ لأتخذَ مِنَ الطَّحينِ مَلَّةً .

قالَ : فأخرجَتِ المرأةُ الدقيقَ ، فخبزَتْ منهُ مَلَّةً ، وقامَ الطائيُّ إلىٰ شاتِهِ فاحتلبَها ، ثمَّ ذبحَها ، فاتخذَ مِنْ لحمِها مَرَقَةً مَضِيرةً ، وأطعمَهُ مِنْ لحمِها ، وسقاهُ مِنْ لبنِها ، واحتالَ لهُ شراباً فسقاهُ ، وجعلَ يُحدِّثُهُ بقيةَ ليلتِهِ .

فلمَّا أصبحَ النعمانُ . . لبسَ ثيابَهُ ، وركبَ فرسَهُ ، ثمَّ قالَ : يا أخا طيءٍ ؛ اطلبْ ثوابَكَ ، أنا الملكُ النعمانُ ، قالَ : أفعلُ إن شاءَ اللهُ ، ثمَّ لحقَ الخيلَ ، فمضىٰ نحوَ الحِيرةِ .

ومكثَ الطائيُّ بعدَ ذٰلكَ زماناً حتىٰ أصابَتْهُ نكبةٌ وجهدَ ، وساءَتْ حالُهُ ، فقالَتْ لهُ امرأتُهُ : لو أتيتَ الملكَ . . لأحسنَ إليكَ ، فأقبلَ حتى انتهىٰ إلى الحِيرةِ ، فوافقَ يومَ بؤسِ النعمانِ ؛ فإذا هوَ واقفٌ في خيلِهِ في السلاحِ ، فلمَّا نظرَ إليهِ النعمانُ . . عرفَهُ ، وساءَهُ مكانُهُ ، فوقفَ الطائيُّ المنزولُ به بينَ يَديِ النعمانِ ، فقالَ لهُ : أنت الطائيُّ المنزولُ بهِ ، قالَ : نعم ، قالَ : أفلا جئتَ في غيرِ هٰذا اليومِ ؟! قالَ : أبيتَ اللَّعنَ ، وما كانَ علمي بهٰذا اليومِ ،

قالَ : واللهِ ؛ لو سنحَ لي في هٰذا اليوم قابوسُ ابني . . لم أجدْ بدّاً مِنْ قتلِهِ ، فاطلُبْ حاجتَكَ مِنَ الدنيا ، وسلْ ما بدا لكَ ؛ فإنَّكَ مقتولٌ ، قالَ : أبيتَ اللَّعنَ ، وما أصنعُ بالدنيا بعدَ نفسي ، قالَ النعمانُ : إنَّهُ لا سبيلَ إليها ، قالَ : فإن كانَ لا بدَّ ، فأجِّلْني حتىٰ ألمَّ بأهلي فأوصيَ إليهِم وأُهيِّئَ حالَهُم ، ثمَّ أنصرفَ إليكَ ، قالَ النعمانُ : فأقمْ لي كفيلاً بموافاتِكَ ، فالتفتَ الطائيُّ إلىٰ شريكِ بنِ عمرِو بنِ قيسٍ مِن بني شيبانَ ، وكانَ يكنىٰ أبا الحوفزانِ ، وكانَ صاحبَ الرِّدافةِ ، وهوَ واقفٌ بجنبِ النعمانِ ، فقالَ لهُ : [من مجزوء الكامل]

يَا شَرِيكاً يَا بْنَ عَمْرٍو ... هَلْ مِنَ ٱلْمَوْتِ مَحَالَهْ
يَا أَخَا كُلِّ مُضَافٍ ... يَا أَخَا مَنْ لَا أَخَا لَهُ
يَا أَخَا ٱلنُّعْمَانِ فُكَّ ٱلْـ ... ـيَوْمَ ضَيْفاً قَدْ أَتَىٰ لَهْ
طَالَ مَا عَالَجَ كَرْبَ ٱلْـ ... ـمَوْتِ لَا يَنْعَمُ بَالَهُ

فأبىٰ شريكٌ أن يتكفَّلَ بهِ ، فوثبَ إليهِ رجلٌ مِنْ كلبٍ يُقالُ لهُ : قرادُ بنُ أجدعَ ، فقالَ للنعمانِ : أبيتَ اللَّعنَ ، هوَ عليَّ ، قالَ النعمانُ : أفعلتَ ؟ قالَ : نعم ، فضمَّنَهُ إيَّاهُ ، ثمَّ أمرَ للطائيِّ بخمسِ مئةِ ناقةٍ ، فمضى الطائيُّ إلىٰ أهلِهِ ، وجعلَ الأجلَ حولاً مِنْ يومِهِ ذٰلكَ إلىٰ مثلِ ذٰلك اليومِ مِنْ قابلٍ ، فلمَّا حالَ عليهِ الحولُ وبقيَ مِنَ الأجلِ يومٌ قالَ النعمانُ لقُرادٍ : ما أُراكَ إلَّا هالكاً غداً ، فقالَ قُرادٌ : [من الوافر]

فَإِنْ يَكُ صَدْرُ هَٰذَا ٱلْيَوْمِ وَلَّىٰ ... فَإِنَّ غَداً لِنَاظِرِهِ قَرِيبُ

فلمَّا أصبحَ النعمانُ . . ركبَ في خيلِهِ ورَجِلِهِ مُتسلِّحاً كما كانَ يفعلُ ، حتىٰ أتى الغَريَّينِ فوقفَ بينَهُما ، وأخرجَ معَهُ قُراداً ، وأمرَ بقتلِهِ ، فقالَ لهُ وزراؤُهُ : ليسَ لكَ أن تقتلَهُ حتىٰ يستوفيَ يومَهُ ، فتركَهُ ، وكانَ النعمانُ

يشتهي أن يُقتَلَ قُرادٌ ليفلتَ الطائيُّ مِنَ القتلِ ، فلمَّا كادتِ الشمسُ تجبُ وقرادٌ قائمٌ مُجرَّدٌ في إزارٍ على النطعِ والسيَّافُ إلىٰ جنبِهِ . . أقبلَتِ امرأتُهُ وهيَ تقولُ : [من الطويل]

أَيَا عَيْنُ بَكِّي لِي قُرَادَ بْنَ أَجْدَعَا رَهِيناً لِقَتْلٍ لَا رَهِيناً مُوَدَّعَا
أَتَتْهُ ٱلْمَنَايَا بَغْتَةً دُونَ قَوْمِهِ فَأَمْسَىٰ أَسِيراً حَاضِرَ ٱلْبَيْتِ أَضْرَعَا

فبينَما هُم كذٰلكَ . . إذ رفعَ لهُم شخصٌ مِنْ بعيدٍ وقد أمرَ النعمانُ بقتلِ قُرادٍ ، فقيلَ لهُ : ليسَ لكَ أن تقتلَهُ حتىٰ يأتيَكَ الشخصُ فتعلمَ مَنْ هوَ ، فكفَّ حتى انتهىٰ إليهِمُ الرجلُ ؛ فإذا هوَ الطائيُّ ، فلمَّا نظرَ إليهِ النعمانُ . . شقَّ عليه مجيئُهُ ، فقالَ لهُ : ما حملَكَ على الرجوعِ بعدَ إفلاتِكَ مِنَ القتلِ ؟! قالَ : الوفاءُ ، قالَ : وما دعاكَ إلى الوفاءِ ؟ قالَ : ديني ، قالَ النعمانُ : وما دينُكَ ؟ قالَ : النصرانيةُ ، قالَ النعمانُ : فاعرضْها عليَّ ، فعرضَها عليهِ ، فتنصَّرَ النعمانُ وأهلُ الحِيرةِ أجمعونَ ، وكانَ قبلَ ذٰلكَ علىٰ دينِ العربِ ، فتركَ القتلَ منذُ ذٰلكَ اليومِ ، وأبطلَ تلكَ السُّنَّةَ ، وأمرَ بهدمِ الغَرِيَّينِ ، وعفا عن قُرادٍ والطائيِّ ، وقالَ : واللهِ ؛ ما أدري أيُّهُما أوفىٰ وأكرمُ ، أهٰذا الذي نجا مِنَ القتلِ فعادَ ، أمِ الذي ضمنَهُ ؟! واللهِ ؛ لا أكونُ ألأمَ الثلاثةِ ، فأنشأَ الطائيُّ يقولُ : [من الكامل]

مَا كُنْتُ أُخْلِفُ ظَنَّهُ بَعْدَ ٱلَّذِي أَسْدَىٰ إِلَيَّ مِنَ ٱلْفَعَالِ ٱلْخَالِي
وَلَقَدْ دَعَتْنِي لِلْخِلَافِ ضَلَالَتِي فَأَبَيْتُ غَيْرَ تَمَجُّدِي وَفَعَالِي
إِنِّي ٱمْرُؤٌ مِنِّي ٱلْوَفَاءُ سَجِيَّةٌ وَجَزَاءُ كُلِّ مُكَارِمٍ بَذَّالِ

وقالَ أيضاً يمدحُ قُراداً : [من الطويل]

أَلَا إِنَّمَا يَسْمُو إِلَى ٱلْمَجْدِ وَٱلْعُلَا مَخَارِيقُ أَمْثَالِ ٱلْقُرَادِ بْنِ أَجْدَعَا

مَـخَـارِيـقُ أَمْـثَـالِ ٱلْـقُـرَادِ وَأَهْـلِـهِ   فَـإِنَّـهُـمُ ٱلْأَخْـيَـارُ مِـنْ رَهْـطِ تُـبَّـعَـا[1]

إنَّ أخاكَ مَنْ آساكَ

يُقالُ : آسيتُ فلاناً بمالي أو غيرِهِ ؛ إذا جعلتَهُ أُسوةً لكَ ، و(واسيتُ) لغةٌ فيهِ .

ومعنى المثلِ : إنَّ أخاكَ حقيقةً مَنْ قَدَّمَكَ [وآثرَكَ] علىٰ نفسِهِ ، يُضرَبُ في الحثِّ علىٰ مراعاةِ الإخوانِ .

وأوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : خزيمُ بنُ نوفلٍ الهَمْدانيُّ ؛ وذٰلكَ أنَّ النعمانَ بنَ ثوابٍ العبديَّ ثمَّ الشنيَّ كانَ لهُ بنونَ ثلاثةٌ : سعدٌ ، وسعيدٌ ، وساعدةُ ، وكانَ أبوهم ذا شرفٍ وحكمةٍ ، وكانَ يوصي بنيهِ ويَحملُهُم علىٰ أدبِهِ ؛ أمَّا ابنُهُ سعدٌ . . فكانَ شجاعاً بطلاً مِنْ شياطينِ العربِ ، لا يُقامُ لسبيلِهِ ، ولم تفتْهُ طَلِبَتُهُ قطُّ ، ولم يَفِرَّ عن قِرْنٍ ، وأمَّا سعيدٌ . . فكانَ يشبهُ أباهُ في شرفِهِ وسُؤْددِهِ ، وأمَّا ساعدةُ . . فكانَ صاحبَ شرابٍ وندامىٰ وإخوانٍ .

فلمَّا رأى الشيخُ حالَ بنيهِ . . دعا سعداً ـ وكانَ صاحبَ حربٍ ـ فقالَ : يا بُنَيَّ ؛ إنَّ الصارمَ ينبو ، والجوادَ يكبو ، والأثرَ يعفو ، فإذا شهدتَ حرباً فرأيتَ نارَها تَستعِرُ ، وبطلَها يُخطِرُ ، وبحرَها يَزخَرُ ، وضعيفَها يَنصُرُ ، وجبانَها يَجسُرُ . . فأقللِ المكثَ والانتظارَ ، فإنَّ الفِرارَ غيرُ عارٍ ، إذا لم تكنْ طالبَ ثارٍ ، فإنَّما يُنصَرونَ هُم ، وإيَّاكَ أن تكونَ صيدَ رماحِها ، ونطيحَ نطاحِها .

وقالَ لابنِهِ سعيدٍ وكانَ جواداً : يا بُنَيَّ ؛ لا يبخلُ الجوادُ ، فابذلِ الطارفَ والتِّلادَ ، وأقلِلِ التلاحِ . . تذكرْ عندَ السماحِ ، وابلُ إخوانَكَ ؛ فإنَّ وافيَهُم قليلٌ ، واصنعِ المعروفَ عندَ محتملِهِ .

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٢١٣ ـ ٢١٦) .

وقالَ لابنِهِ ساعدةَ وكانَ صاحبَ شرابٍ : يا بُنَيَّ ؛ إنَّ كثرةَ الشرابِ تفسدُ القلبَ ، وتُقلِّلُ الكسبَ ، وتَجِدُّ اللعبَ ، فأبصرْ نديمَكَ ، واحمِ حريمَكَ ، وأعنْ غريمَكَ ، واعلمْ : أنَّ الظمأَ القامحَ خيرٌ مِنَ الرِّيِّ الفاضحِ ، وعليكَ بالقصدِ ؛ فإنَّ فيهِ بلاغاً .

ثمَّ إنَّ أباهُمُ النعمانَ بنَ ثوابٍ تُوُفِّيَ ، فقالَ ابنُهُ سعيدٌ وكانَ جواداً سيداً : لآخذنَّ بوصيةِ أبي ، ولأبلونَّ إخواني وثقاتي في نفسي ، فعَمَدَ إلىٰ كبشٍ فذبحَهُ ، ثمَّ وضعَهُ في ناحيةِ خِبائِهِ وغشَّاهُ ثوباً ، ثمَّ دعا بعضَ ثقاتِهِ فقالَ : يا فلانُ ؛ إنَّ أخاكَ مَنْ وفىٰ لكَ بعهدِهِ ، وحاطَكَ برفدِهِ ، ونصرَكَ بودِّهِ ، قالَ : صدقتَ ، فهل حدثَ أمرٌ ؟ قالَ : نعم ؛ إنِّي قتلتُ فلاناً ، وهوَ الذي تراهُ في ناحيةِ الخباءِ ، ولا بدَّ مِنَ التعاونِ عليهِ حتىٰ يُوارىٰ ، فما عندَكَ ؟ قالَ : يا لها سوءةً وقعتَ فيها ، قالَ : فإنِّي أريدُ أن تعينَني عليهِ حتىٰ أُغيِّبَهُ ، قالَ : لستُ لكَ في هٰذا بصاحبٍ ، فتركَهُ وخرجَ .

فبعثَ إلىٰ آخَرَ مِنْ ثقاتِهِ ، فأخبرَهُ بذٰلكَ ، وسألَ معونتَهُ ، فردَّ عليهِ مثلَ ذٰلكَ ، حتىٰ بعثَ إلىٰ عددٍ منهُم ، كلُّهُم يَرُدُّ عليهِ مثلَ جوابِ الأوَّلِ .

ثمَّ بعثَ إلىٰ رجلٍ مِنْ إخوانِهِ يُقالُ لهُ : خزيمُ بنُ نوفلٍ ، قالَ لهُ : يا خزيمُ ؛ ما لي عندَكَ ؟ قالَ : ما يَسُرُّكَ ، وما ذاكَ ؟ قالَ : إنِّي قتلتُ فلاناً ، وهوَ الذي تراهُ مُسجّىً ، قالَ : أيسرُ خطبٍ ، فتريدُ ماذا ؟ قالَ : أريدُ أن تعينَني حتىٰ أُغيِّبَهُ ، قالَ : هانَ ما فزعتَ فيهِ إلىٰ أخيكَ ، وغلامُ سعيدٍ قائمٌ معَهُما ، فقالَ لهُ خزيمٌ : هلِ اطلعَ علىٰ هٰذا الأمرِ أحدٌ غيرُ غلامِكَ هٰذا ؟ قالَ : لا ، قالَ : انظرْ ما تقولُ ، قالَ : ما قلتُ إلَّا حقّاً ، فأهوىٰ خزيمٌ إلىٰ غلامِهِ فضربَهُ بالسيفِ فقتلَهُ ، وقالَ : ليسَ عبدٌ بأخٍ لكَ ، فأرسلَها مثلاً .

وارتاعَ سعيدٌ وفزعَ لقتلِ غلامِهِ ، فقالَ : ويحَكَ ما صنعتَ ؟! وجعلَ يلومُهُ فقالَ خزيمٌ : إنَّ أخاكَ مَنْ آساكَ ، فأرسلَها مثلاً .

قالَ سعيدٌ : فإنِّي أردتُ تجربتَكَ ، ثمَّ كشفَ عنِ الكبشِ وخَبَّرَهُ بما لقيَ مِنْ إخوانِهِ وثقاتِهِ ، وما ردُّوا عليهِ ، فقالَ خزيمٌ : سبقَ السيفُ العذلَ ، فذهبَتْ مثلاً[1] .

ألا مَنْ يشتري سهراً بنومٍ

قالوا : إنَّ أوَّلَ مَنْ قالَ ذٰلكَ ذو رُعَينٍ الحميريُّ ؛ وذٰلكَ أنَّ حِمْيَرَ تفرَّقَتْ علىٰ ملكِها حَسَّانَ ، وخالفَتْ أمرَهُ ؛ لسوءِ سيرتِهِ فيهِم ، ومالوا إلىٰ أخيهِ عمرٍو ، وحملوهُ علىٰ قتلِ أخيهِ حَسَّانَ ، وأشاروا عليهِ بذٰلكَ ، ورغَّبوهُ في الملكِ ، ووعدوهُ حسنَ الطاعةِ والمؤازرةَ ، فنهاهُ ذو رُعَينٍ مِنْ بينِ حِمْيَرَ عن قتلِ أخيهِ ، وعلمَ أنَّهُ إن قتلَ أخاهُ . . ندمَ ونفرَ عنهُ النومُ ، وانتقضَ عليهِ أمورُهُ ، وأنَّهُ سيُعاقِبُ الذي أشارَ عليهِ بذٰلكَ ، ويَعرِفُ غِشَّهُم لهُ .

فلمَّا رأىٰ ذو رُعَينٍ أنَّهُ لا يقبلُ ذٰلكَ منهُ ، وخشيَ العواقبَ . . قالَ هٰذَينِ البيتَينِ ، وكتبَهُما في صحيفةٍ ، وختمَ عليها بخاتمِ عمرٍو ، وقالَ : هٰذهِ وديعةٌ لي عندَكَ إلىٰ أن أطلبَها منكَ ، فأخذَها عمرٌو فدفعَها إلىٰ خازنِهِ ، وأمرَهُ برفعِها إلى الخزانةِ ، والاحتفاظِ بها إلىٰ أنْ يُسأَلَ عنها .

فلمَّا قتلَ أخاهُ ، وجلسَ مكانَهُ في الملكِ . . مُنِعَ منهُ النومُ ، وسُلِّطَ عليهِ السهرُ ، فلمَّا اشتدَّ ذٰلكَ عليهِ . . لم يدعْ باليمنِ طبيباً ولا كاهناً ولا منجماً ولا عرَّافاً ولا عائفاً إلَّا جمعَهُم ، ثمَّ أخبرَهُم بقصَّتِهِ ، وشكا إليهِم ما بهِ ، فقالوا لهُ : ما قتلَ رجلٌ أخاهُ أو ذا رحمٍ منهُ علىٰ نحوِ ما قتلتَ أخاكَ . . إلَّا أصابَهُ

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٢١٦ ـ ٢١٨) .

السهرُ ، ومُنِعَ منهُ النومُ ، فلمَّا قالوا لهُ ذٰلكَ . . أقبلَ علىٰ مَنْ كانَ أشارَ عليهِ بقتلِ أخيهِ وساعدَهُ عليهِ مِنْ أقيالِ حميرَ فقتلَهُم حتىٰ أفناهم ، فلمَّا وصلَ إلىٰ ذي رُعَيْنٍ . . قالَ لهُ : أيُّها الملكُ ؛ إنَّ لي عندَكَ براءةً ممَّا تريدُ أن تصنعَ بي ، قالَ : وما براءتُكَ وأمانُكَ ؟ قالَ : مُرْ خازنَكَ أن يخرجَ الصَّحيفةَ التي استودعتُكَها يومَ كذا وكذا ، فأمرَ خازنَهُ ، فأخرجَها ، فنظرَ إلىٰ خاتمِهِ عليها ، ثمَّ فضَّها ، فإذا فيها : [من الوافر]

أَلَا مَـنْ يَـشْـتَـرِي سَـهَـراً بِـنَـوْمٍ سَعِيـدٌ مَـنْ يَـبِيـتُ قَـرِيـرَ عَـيْـنِ

فَـأَمَّـا حِـمْـيَـرٌ غَـدَرَتْ وَخَـانَـتْ فَـمَـعْـذِرَةُ ٱلْإِلَـٰهِ لِـذِي رُعَـيْـنِ

ثمَّ قالَ : أيُّها الملكُ ؛ قد نهيتُكَ عن قتلِ أخيكَ ، وعلمتُ أنَّكَ إن فعلتَ ذٰلكَ . . أصابَكَ الذي قد أصابَكَ ، فكتبتُ هٰذَينِ البيتَينِ براءةً لي عندَك ممَّا علمتُ أنَّكَ تصنعُ بمَنْ أشارَ عليكَ بقتلِ أخيكَ ، فقبلَ ذٰلكَ منهُ ، وعفا عنهُ ، وأحسنَ جائزتَهُ .

يُضرَبُ لِمَنْ غمطَ النعمةَ ، وكرهَ العافيةَ (١) .

إن كنتَ كذوباً . . فكنْ ذَكُوراً

يضربُ للرجلِ يكذبُ ثمَّ ينسىٰ ، فيُحدِّثُ بخلافِ ذٰلكَ (٢) .

إذا اشتريتَ . . فاذكرِ السوقَ

يعني : إذا اشتريتَ . . فاذكرِ البيعَ ؛ لتجتنبَ العيوبَ (٣) .

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٢١٨ ـ ٢١٩) .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (١/٢٢٠) .

(٣) انظر « مجمع الأمثال » (١/٢٢٠) .

بلغَ السيلُ الزُّبَىٰ

هيَ جمعُ زُبْيَةٍ ؛ وهيَ حفرةٌ تُحفَرُ للأسدِ إذا أرادوا صيدَهُ ، وأصلُها الرابيةُ لا يعلوها الماءُ ، فإذا بلغَها السيلُ . . كانَ جارفاً مُجحِفاً .

يُضرَبُ لِمَنْ جاوزَ الحدَّ ، قالَ المُؤرِّجُ : حدَّثَني سعيدُ بنُ سماكِ بنِ حربٍ عن أبيهِ ، عنِ ابنِ [المعتمرِ] قالَ : أُتِيَ معاذُ بنُ جبلٍ بثلاثةِ نفرٍ قتلَهُم أسدٌ في زُبْيَةٍ ، فلمْ يدرِ كيفَ يفتيهِم ، فسألَ عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ وهوَ محتبٍ بفِناءِ الكعبةِ ، فقالَ : قُصُّوا عليَّ خبرَكُم ، قالوا : صِدْنا أسداً في زُبْيَةٍ ، فاجتمعنا عليهِ ، فتدافعَ الناسُ عليهِ ، فرمَوا برجلٍ [فيها] فتَعلَّقَ الرجلُ بآخَرَ ، وتَعلَّقَ الآخَرُ بآخَرَ ، فهَوَوا فيها ثلاثتُهُم ، فقضىٰ فيها عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ للأولِ ربعَ الديةِ ، وللثاني النصفَ ، وللثالثِ الديةَ كلَّها ، فأُخبِرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ بقضائِهِ ، فقالَ : « لَقَدْ أَرْشَدَكَ ٱللهُ لِلْحَقِّ »[1] .

بخٍ بخٍ ساقٌ بخَلْخالٍ !!

بخٍ : كلمةٌ يقولُها المُتعجِّبُ مِنْ حسنِ الشيءِ وكمالِهِ الواقعِ موقعَ الرضاءِ ، كأنَّهُ قالَ : ما أحسنَ ما أراهُ !! وهو ساقٌ محلَّاةٌ بخلخالٍ ، ويجوزُ أن يريدَ بالباءِ معنىٰ (معَ) ، فيكونُ التعجُّبُ مِنْ حسنِهِما .

يُضرَبُ في التهكُّمِ والهزءِ مِنْ شيءٍ لا موضعَ للتهكُّمِ فيهِ .

وأوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : الوِرْثةُ بنتُ ثعلبةَ امرأةُ ذُهْلِ بنِ شيبانَ بنِ ثعلبةَ ؛ وذٰلكَ أنَّ رقاشِ بنتَ عمرِو بنِ عثمانَ مِنْ بني ثعلبةَ طَلَّقَها زوجُها كعبُ بنُ مالكِ بنِ تيمِ اللهِ بنِ ثعلبةَ بنِ [عكابةَ] ، فتزوَّجَها ذُهلُ بنُ شيبانَ زوجُ الوِرْثةِ ، ودخلَ بها ، وكانَتِ الورثةُ لا تتركُ لهُ امرأةً إلَّا ضربَتْها وأجلَتْها ، فخرجَتْ

---

(١) انظر « البدر المنير » (٨/٤٦٧) ، و« مجمع الأمثال » (١/٢٥٥ ـ ٢٥٦) .

رقاشِ يوماً وعليها خلخالانِ ، فقالَتِ الورثةُ : **بخٍ بخٍ ساقٌ بخلخالٍ !!** فذهبَتْ مثلاً ، فقالَتْ رقاشِ : أجلْ ساقٌ بخلخالٍ ، لا كخالِكِ المختالِ ، فوثبَتْ عليها الورثةُ لتضربَها ، فضبطَتْها رَقاشِ وضربَتْها وغلبَتْها ، حتىٰ حُجِزَتْ عنها ، فقالَتِ الورثةُ : [من الطويل]

[أَيَا] وَيْحَ نَفْسِي ٱلْيَوْمَ أَدْرَكَنِي ٱلْكِبَرْ ... أَأَبْكِي عَلَىٰ نَفْسِي ٱلْعَشِيَّةَ أَمْ أَذَرْ

فَوَٱللهِ لَوْ أَدْرَكْتِ فِيَّ بَقِيَّةً ... لَلَاقَيْتِ مَا لَاقَىٰ صَوَاحِبُكِ ٱلْأُخَرْ

فولدَتْ رَقاشِ لذهلِ بنِ شيبانَ مُرَّةَ وأبا ربيعةَ ومُحَلِّماً والحارثَ بنَ ذهلٍ .

أبلغُ مِنْ قُسٍّ

هوَ قُسُّ بنُ ساعدةَ بنِ حذافةَ بنِ زهيرِ بنِ أيادِ بنِ نزارٍ الإياديُّ ، وكانَ مِنْ حكماءِ العربِ ، وأعقلِ مَنْ سُمِعَ بهِ منهُم ، وهوَ أوَّلُ مَنْ كتبَ : مِنْ فلانٍ إلىٰ فلانٍ ، وأوَّلُ مَنْ أقرَّ بالبعثِ مِنْ غيرِ عِلْمٍ ، وأوَّلُ مَنْ قالَ : أمَّا بعدُ ، وأوَّلُ مَنْ قالَ : البينةُ علىٰ مَنِ ادَّعىٰ ، واليمينُ علىٰ مَنْ أنكرَ ، وقدْ عُمِّرَ مئةً وثمانينَ سنةً ، قالَ الأعشىٰ (١) : [من الطويل]

وَأَبْلَغُ مِنْ قُسٍّ وَأَجْرَىٰ مِنَ ٱلَّذِي ... بِذِي ٱلْغَيْلِ مِنْ خَفَّانَ أَصْبَحَ خَادِرَا

وأخبرَ عامرُ بنُ شراحيلَ الشعبيُّ عن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : أنَّ وفدَ بكرِ بنِ وائلٍ قدموا علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، فلمَّا فرغَ مِنْ حوائجِهِم . . قالَ : « هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ يَعْرِفُ قُسَّ بْنَ سَاعِدَةَ ٱلْإِيَادِيَّ ؟ » ، قالوا : كلُّنا نَعرِفُهُ ، قالَ : « فَمَا فَعَلَ ؟ » ، قالوا : هلكَ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « كَأَنِّي بِهِ عَلَىٰ جَمَلٍ أَحْمَرَ بِعُكَاظَ قَائِماً يَقُولُ : أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛

---

(١) كذا في « مجمع الأمثال » (١/٣٠٢) .

ٱجْتَمِعُوا وَٱسْتَمِعُوا وَعُوا ؛ كُلُّ مَنْ عاشَ ماتَ ، وَكُلُّ مَنْ مَاتَ فَاتَ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ ، إِنَّ فِي ٱلسَّمَاءِ لَخَبَراً ، وَإِنَّ فِي ٱلْأَرْضِ لَعِبَراً ، مِهَادٌ مَوْضُوعٌ ، وَسَقْفٌ مَرْفُوعٌ ، وَبِحَارٌ تَمُوجُ ، وَتِجَارَةٌ تَرُوجُ ، وَلَيْلٌ دَاجٍ ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ، أَقْسَمَ قُسٌّ حَقّاً ؛ لَئِنْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ رِضاً . . لَيَكُونَنَّ بَعْدَهُ سُخْطٌ ، وَإِنَّ لِلّٰهِ عَزَّتْ قُدْرَتُهُ دِيناً هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ دِينِكُمُ ٱلَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، مَا لِي أَرَى ٱلنَّاسَ يَذْهَبُونَ فَلَا يَرْجِعُونَ ؟ أَرَضُوا فَأَقَامُوا ، أَمْ تُرِكُوا فَنَامُوا ؟! »[(١)] ، ثمَّ أنشدَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ شعراً حفظَهُ لهُ ؛ وهوَ قولُهُ : [من الكامل]

فِي ٱلذَّاهِبِينَ ٱلْأَوَّلِينَ مِنَ ٱلْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرْ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِداً لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرْ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا يَسْعَى ٱلْأَصَاغِرُ وَٱلْأَكَابِرْ
لَا يَرْجِعُ ٱلْمَاضِي إِلَيَّ وَلَا مِنَ ٱلْبَاقِينَ غَابِرْ
أَيْقَنْتُ أَنِّي لَا مَحَا لَةَ حَيْثُ صَارَ ٱلْقَوْمُ صَائِرْ

أبخلُ مِنْ مادرٍ

هوَ رجلٌ مِنْ بني هلالِ بنِ عامرِ بنِ صعصعةَ ، وبلغَ مِنْ بخلِهِ أنَّهُ سقىٰ إبلَهُ ، فبقيَ في أسفلِ الحوضِ ماءٌ قليلٌ ، فسلحَ فيهِ ، ومدرَ الحوضَ بهِ ، فسُمِّيَ مادراً لذٰلكَ ، واسمُهُ مُخارقٌ .

قالَ أبو الندىٰ : وذكروا أنَّ بني فزارةَ وبني هلالِ بنِ عامرٍ تنافروا إلىٰ أنسِ بنِ مدركٍ الخثعميّ وتراضَوا بهِ ، فقالَتْ بنو عامرٍ : يا بني فزارةَ ؛ أكلتُم أيرَ حمارٍ ، فقالَتْ بنو فزارةَ : قد أكلْنا ولم نَعرِفْهُ .

---

(١) أخرجه البزار في « مسنده » (٥٣٤٧) .

وحديثُ ذٰلكَ : أنَّ ثلاثةَ نفرٍ اصطحبوا ؛ فزاريٌّ وثعلبيٌّ وكلابيٌّ ، فصادوا حماراً ، ومضى الفزاريُّ في بعضِ حاجتِهِ ، فطبخا وأكلا ، وخَبَأا للفزاريِّ جُرْدانَ الحمارِ ، فلمَّا رجعَ الفزاريُّ . . قالا : قد خَبَأنا لكَ فكُلْ ، فأقبلَ يأكلُهُ ولا يكادُ يسيغُهُ ، فقالَ : أكلُّ شواءِ العَيْرِ جُوفانُ ؟ يعني بهِ الذَّكَرَ ، وجعلا يضحكانِ ، ففطنَ ، وأخذَ السيفَ وقالَ : لَتأكُلانِّهِ أو لَأقتلَنَّكُما ، ثمَّ قالَ لأحدِهِما وكانَ اسمُهُ مَرْقَمَةَ : كُلْ منهُ ، فأبىٰ ، فضربَهُ فأبانَ رأسَهُ ، فقالَ الآخرُ : طاحَ مَرْقَمةُ ، فقالَ الفزاريُّ : وأنتَ إن لم تَلْقَمَهْ .

قالَ محمدُ بنُ حبيبٍ : أرادَ إن لم تلقمْهَا ، فلمَّا تركَ الألفَ . . ألقى الفتحةَ على الميمِ قبلَ الهاءِ ، كما قالوا : وَيْلُمِّ الحِيرةِ وأيُّ رجالٍ بَهْ ؛ أي : بها .

قلتُ[1] : إنَّما قَدَّرَ الهاء في تلقمَها إرادةَ المضغةِ أو البضعةِ ، وإلَّا . . فليسَ في الكلامِ الذي مضىٰ تأنيثٌ تَرجِعُ الهاءُ إليهِ .

فقالَتْ بنو فزارةَ : ولٰكنْ منكُم يا بني هلالٍ مَنْ قرىٰ في حوضِهِ ، فسقىٰ إبلَهُ ، فلمَّا رَوِيَتْ . . سلحَ فيهِ ومدرَهُ ؛ بخلاً بهِ أنْ يُشرَبَ فضلُهُ !!

فقضىٰ أنسُ بنُ مدركٍ على الهلاليينَ ، فأخذَ الفزاريونَ منهُم مئةَ بعيرٍ ، وكانوا تراهنوا عليها .

وفي بني فزارةَ يقولُ الكميتُ بنُ ثعلبةَ ، والكميتُ مِنَ الشُّعراءِ ثلاثةٌ ، أقدمُهُم هٰذا ، ثمَّ كميتُ بنُ معروفٍ ، ثمَّ كميتُ بنُ زيدٍ ، وكلُّهُم مِنْ بني أسدٍ :
[من الوافر]

نَشَدْتُكَ يَا فَزَارُ وَأَنْتَ شَيْخٌ ... إِذَا خُيِّرْتَ تُخْطِئُ فِي ٱلْخِيَارِ
أَصَيْحَانِيَّةٌ أُدِمَتْ بِسَمْنٍ ... أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ أَيْرُ ٱلْحِمَارِ

(١) القائل : هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال » .

بَـلَـىٰ أَيْـرُ ٱلْـحِـمَـارِ وَخِـصْـيَـتَـاهُ   أَحَـــبُّ إِلَـــىٰ فَـــزَارَةَ مِـــنْ فَـــزَارِ

فحذفَ الهاءَ مِنْ فزارةَ كما تُحذَفُ في الترخيمِ ، وإن كانَ هٰذا في غيرِ النداءِ ، ويجوزُ أن يكونَ أرادَ مِنْ فزارِي ، فخَفَّفَ ياءَ النسبةِ .

وفي بني هلالٍ يقولُ الشاعرُ :   [من الطويل]

[لَقَدْ] جَلَّلَتْ خِزْياً هِلَالُ بْنُ عَامِرٍ   بَنِـي عَـامِـرٍ طُـرّاً بِسَـلْـحَـةِ مَـادِرِ

فَأُفٍّ لَكُمْ لَا تَذْكُرُوا ٱلْفَخْرَ بَعْدَهَا   بَنِي عَـامِـرٍ أَنْـتُـمْ شِـرَارُ ٱلْـمَـعَـاشِـرِ

وفي بني فزارةَ يقولُ ابنُ دارةَ :   [من البسيط]

لَا تَـأْمَـنَـنَّ فَـزَارِيّـاً خَـلَـوْتَ بِـهِ   عَلَىٰ قَلُوصِكَ وَٱكْتُبْهَا بِأَسْيَارِ

لَا تَـأْمَـنَـنْـهُ وَلَا تَـأْمَـنْ بَـوَائِـقَـهُ   بَعْدَ ٱلَّذِي ٱمْتَلَّ أَيْرَ ٱلْعَيْرِ فِي ٱلنَّارِ

أَطْعَمْتُمُ ٱلضَّيْفَ جُوفَاناً مُخَاتَلَةً   فَلَا سَقَاكُمْ إِلَٰهِي ٱلْخَالِقُ ٱلْبَارِي

قالَ حمزةُ : وحدَّثَني أبو بكرِ بنُ دريدٍ قالَ : حدَّثَني أبو حاتمٍ عن أبي عبيدةَ : أنَّهُ قرأَ عليهِ حديثَ مادِرٍ ، فضحكَ ، قالَ : فقلتُ لهُ : ما الذي أضحكَكَ ؟ فقالَ : تَعجُّبي مِنْ تسييرِ العربِ لأمثالٍ لها ، لو سيَّرُوا ما هو أهمُّ منها . . لكانَ أبلغَ لها ، قلتُ : مثلُ ماذا ؟ قالَ : مثلُ مادرٍ هٰذا جعلوهُ عَلَماً في البخلِ بفَعْلةٍ تَحتمِلُ التأويلَ ، وتركوا مثلَ ابنِ الزبيرِ معَ ما يؤثَرُ علىٰ لفظِهِ وفعلِهِ مِنْ دقائقِ البخلِ ، فتركوهُ كالغُفْلِ .

مِنْ ذٰلكَ : أنَّه نظرَ إلىٰ رجلٍ مِنْ أصحابِهِ وهوَ يومَئذٍ خليفةٌ يقاتلُ الحَجَّاجَ بنَ يوسفَ علىٰ دولتِهِ وقد دقَّ الرجلُ في صدورِ أهلِ الشامِ أرماحاً ، فقالَ لهُ : يا هٰذا ؛ اعتزلْ عن حربِنا ، فإنَّ بيتَ المالِ لا يقوىٰ علىٰ هٰذا .

وقالَ في تلكَ الحربِ لجماعةٍ مِنْ جندِهِ : أكلتُم تمري ، وعصيتُم أمري .

وسمعَ أنَّ مالكَ بنَ أشعرَ الرزاميَّ مِنْ بني مازنٍ أكلَ مِنْ بعيرٍ وحدَهُ ، وحملَ ما بقيَ علىٰ ظهرِهِ ، فقالَ : دلُّوني علىٰ قبرِهِ . . أنبشْهُ .

وقالَ لرجلٍ أتاهُ مجتدياً وقد أبدعَ بهِ ، فشكا إليهِ حفا ناقتِهِ ، قالَ : اخصفْها بهُلْبٍ ، وارقعْها بسِبْتٍ ، وأنجدْ بها . . يبردْ خفُّها ، فقالَ الرجلُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ جئتُكَ مستوصلاً ، ولم آتكَ مُتوصِّفاً ، فلا بقيَتْ ناقةٌ حملَتْني إليكَ ، فقالَ : إنَّ وصاحبَها ، ولهٰذا الرجلِ فيهِ شعرٌ قد نُسِيَ .

قلتُ[1] : وفي بعضِ النسخِ مِنْ كتابِ « أفعلُ » : كانَ هٰذا الرجلُ عبدَ اللهِ بنَ فضالةَ الأسديَّ ، ولمَّا انصرفَ مِنْ عندِهِ . . قالَ :

أَرَى ٱلْحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي خُبَيْبٍ نَكِدْنَ وَلَا أُمَيَّةَ بِٱلْبِلَادِ
وَمَا لِي حِينَ أَقْطَعُ ذَاتَ عِرْقٍ إِلَى ٱبْنِ ٱلْكَاهِلِيَّةِ مِنْ مَعَادِ

في أبياتٍ ، وابنُ الكاهليَّةِ هوَ عبدُ اللهِ بنُ الزُّبيرِ ؛ لأنَّ جدَّةً مِنْ جدَّاتِهِ كانَتْ مِنْ بني كاهلٍ ، فلمَّا بلغَ الشعرُ ابنَ الزبيرِ . . قالَ : لو علمَ لي أمّاً ألأمَ مِنْ عمَّتِهِ . . لسبَّني بها .

قالَ أبو عبيدةَ : فلو تَكلَّفَ الحارثُ بنُ كلدةَ طبيبُ العربِ ، أو مالكُ بنُ زيدِ مناةٍ وحنيفُ الحناتمِ آبلا العربِ مِنْ وصفِ علاجِ ناقةِ الأعرابيِّ ما تَكلَّفَهُ هٰذا الخليفةُ . . لَمَا كانوا يَعْشُرُونَهُ ، وكانَ مَعَ هٰذا يأكلُ في كلِّ أسبوعٍ أكلةً ، ويقولُ في خُطبتِهِ : إنَّما بطني شبرٌ في شبرٍ ، وعندي ما عسىٰ يكفيني ، فقالَ فيهِ الشاعرُ : [من البسيط]

لَوْ كَانَ بَطْنُكَ شِبراً قَدْ شَبِعْتَ وَقَدْ أَفْضَلْتَ فَضْلاً كَثِيراً لِلْمَسَاكِينِ
فَإِنْ تُصِبْكَ مِنَ ٱلْأَيَّامِ جَائِحَةٌ لَا نَبْكِ مِنْكَ عَلَىٰ دُنْيَا وَلَا دِينِ[2]

---

(١) القائل : هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال » .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (١/٣٠٣ ـ ٣٠٧) .

تجوعُ الحُرَّةُ ولا تأكلُ بثديَيها

أي : لا تكونُ ظئراً وإن آذاها الجوعُ ، ويُروىٰ : ولا تأكلُ ثديَيها .

وأوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : الحارثُ بنُ سليلٍ الأسديُّ ، وكانَ حليفاً لعلقمةَ بنِ خصفةَ الطائيِّ ، فزارَهُ ، فنظرَ إلى ابنتِهِ الزبَّاءِ وكانَتْ مِنْ أجملِ أهلِ دهرِها ، فأُعجِبَ بها ، فقالَ لهُ : أتيتُكَ خاطباً وقد ينكحُ الخاطبُ ، ويدركُ الطالبُ ، ويمنحُ الراغبُ ، فقالَ لهُ علقمةُ : أنت كفؤٌ كريمٌ ، يُقبَلُ منكَ الصَّفوُ ، ويُؤخَذُ منك العفوُ ، فأقمْ . . ننظرْ في أمرِكَ .

ثمَّ انكفأَ إلىٰ أُمِّها فقالَ : إنَّ الحارثَ بنَ سليلٍ سيدُ قومِهِ حسباً ومنصباً وبيتاً ، وقد خطبَ إلينا الزبَّاءَ ، فلا يَنصرِفَنَّ إلَّا بحاجتِهِ .

فقالَتِ امرأتُهُ لابنتِها : أيُّ الرجالِ أحبُّ إليكِ : الكهلُ الجحجاحُ ، الواصلُ المناحُ ، أمِ الفتى الوضَّاحُ ؟ قالَتْ : لا ، بلِ الفتى الوضَّاحُ ، قالَتْ : إنَّ الفتىٰ يُغيرُكِ ، وإنَّ الشيخَ يَميرُكِ ، وليسَ الكهلُ الفاضلُ ، الكثيرُ النائلُ . . كالحديثِ السِّنِّ ، الكثيرِ المَنِّ ، قالَتْ : يا أُمَّتاهْ ؛ إنَّ الفتاةَ تُحِبُّ الفتىٰ ؛ كحبِّ الرعاءِ أنيقَ الكلا ، قالَتْ : أي بنيَّةُ ؛ إنَّ الفتىٰ شديدُ الحجابِ ، كثيرُ العتابِ ، قالَتْ : إنَّ الشيخَ يبلي شبابي ، ويُدنِّسُ ثيابي ، ويُشْمِتُ بي أترابي .

فلم تزلْ أُمُّها بها حتىٰ غلبَتْها علىٰ رأيِها ، فتَزوَّجَها الحارثُ علىٰ مئةٍ وخمسينَ مِنَ الإبلِ ، وخادمٍ ، وألفِ درهمٍ ، فابتنىٰ بها ، ثمَّ رحلَ بها إلىٰ قومِهِ ، فبينا هوَ ذاتَ يومٍ جالسٌ بفِناءِ قومِهِ وهيَ إلىٰ جانبِهِ . . إذ أقبلَ إليهِ شبابٌ مِنْ بني أسدٍ يعتلجونَ ، فتَنفَّسَتْ صُعَدَاءَ ، ثمَ أرخَتْ عينَيها بالبكاءِ ، فقالَ لها : ما يبكيكِ ؟ قالَتْ : ما لي وللشيوخِ ، الناهضينَ كالفروخِ ؟! فقالَ لها : ثكلتْكِ أُمُّكِ ، تجوعُ الحُرَّةُ ولا تأكلُ بثديَيها .

قالَ أبو عبيدٍ : (فإن كانَ الأصلُ علىٰ هٰذا الحديثِ . . فهوَ على المثلِ السائرِ : لا تأكلُ ثديَيها ، وكانَ بعضُ العلماءِ يقولُ : هٰذا لا يجوزُ ، وإنَّما هوَ : لا تأكلُ بثديَيها)(١) .

قلتُ(٢) : كلاهُما في المعنىٰ سواءٌ ؛ لأنَّ معنىٰ (لا تأكلُ ثدييها) : لا تأكلُ أجرةَ ثدييها ، ومعنىٰ (بثدييها) أي : لا تعيشُ بسببِ ثديَيها وبما يغلَّانِ عليها .

ثمَّ قالَ الحارثُ لها : أما وأبيكِ ؛ لربَّ غارةٍ شهدتُها ، وسبيَّةٍ أردفتُها ، وخمرةٍ شربتُها ، فالحقي بأهلِكِ ، فلا حاجةَ لي فيكِ ، وقالَ : [من البسيط]

تَـهَـزَّأَتْ أَنْ رَأَتْـنِـي لَابِـسـاً كِـبَـراً ... وَغَـايَـةُ ٱلنَّـاسِ بَيْـنَ ٱلْـمَوْتِ وَٱلْـكِبَـرِ

فَـإِنْ بَـقِـيـتِ لَـقِـيـتِ ٱلـشَّـيْـبَ رَاغِـمَـةً ... وَفِـي ٱلـتَّـعَـرُّفِ مَا يَـمْـضِـي مِـنَ ٱلْـعِـبَـرِ

وَإِنْ يَـكُـنْ قَـدْ عَـلَا رَأْسِـي وَغَـيَّـرَهُ ... صَـرْفُ ٱلـزَّمَـانِ وَتَـغْـيِـيـرٌ مِـنَ ٱلـشَّـعَـرِ

فَـقَـدْ أَرُوحُ لِـلَـذَّاتِ ٱلْـفَـتَـىٰ جَـذِلاً ... وَقَـدْ أُصِـيـبُ بِـهَـا عَـيْـنـاً مِـنَ ٱلْـبَـقَـرِ

عَـنِّـي إِلَـيْـكِ فَـإِنِّـي لَا تُـوَافِـقُـنِـي ... عُـورُ ٱلْـكَـلَامِ وَلَا شُـرْبٌ عَـلَى ٱلْـكَـدَرِ

يُضرَبُ في صيانةِ الرجلِ نفسَهُ عن خسيسِ مكاسبِ الأموالِ(٣) .

تطلبُ أثراً بعدَ عينٍ

العينُ : المعاينةُ ، يُضربُ لِمَنْ تركَ شيئاً يراهُ ثمَّ تبعَ أثرَهُ بعدَ فوتِ عينِهِ .

قالَ الباهليُّ : أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : مالكُ بنُ عمرٍو العامليُّ ، وفي كتابِ

---

(١) الأمثال (ص ١٩٦ ـ ١٩٧) للقاسم بن سلام .

(٢) القائل : هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال » .

(٣) انظر « مجمع الأمثال » (١/٣٢٧ ـ ٣٢٩) .

أبي عبيدٍ : مالكُ بنُ عمرٍو الباهليُّ ، قالَ : وذٰلكَ أنَّ بعضَ ملوكِ غَسَّانَ كانَ يطلبُ في عاملةَ ذَحْلاً ، فأخذَ منهُم رجلَينِ يُقالُ لهُما : مالكٌ وسماكٌ ابنا عمرٍو ، فاحتبسَهُما عندَهُ زماناً ، ثمَّ دعاهُما فقالَ لهُما : إنِّي قاتلٌ أحدَكُما ، فأيَّكُما أقتلُ ؟ فجعلَ كلُّ واحدٍ منهُما يقولُ : اقتلْني مكانَ أخي ، فلمَّا رأىٰ ذٰلكَ . . قتلَ سماكاً ، وخلَّىٰ سبيلَ مالكٍ ، فقالَ سماكٌ حينَ ظنَّ أنَّهُ مقتولٌ :

[من المتقارب]

أَلَا مَـنْ شَـجَـتْ لَـيْـلَـةٌ عَـامِـدَهْ كَـمَـا [أَبَـداً] لَـيْـلَـةٌ وَاحِـدَهْ
فَـأَبْـلِـغْ قُـضَـاعَـةَ إِنْ جِـئْـتَـهُـمْ وَخُـصَّ سَـرَاةَ بَـنِـي سَـاعِـدَهْ
وَأَبْـلِـغْ نِـزَاراً عَـلَـىٰ نَـأْيِـهَـا بِـأَنَّ ٱلـرِّمَـاحَ هِـيَ ٱلْـعَـائِـدَهْ
وَأُقْـسِـمُ لَـوْ قَـتَـلُـوا مَـالِـكـاً لَـكُـنْـتُ لَـهُـمْ حَـيَّـةً رَاصِـدَهْ
بِـرَأْسِ سَـبِـيـلٍ عَـلَـىٰ مَـرْقَـبٍ وَيَـوْمـاً عَـلَـىٰ طُـرُقٍ وَارِدَهْ
فَـأُمَّ سِـمَـاكٍ فَـلَا تَـجْـزَعِـي فَـلِـلْـمَـوْتِ مَـا تَـلِـدُ [ٱلْـوَالِـدَهْ]

وانصرفَ مالكٌ إلىٰ قومِهِ ، فلبثَ فيهِم زماناً ، ثمَّ إنَّ رَكْباً مرُّوا وأحدُهُم يَتغنَّىٰ بهٰذا البيتِ :

وَأُقْـسِـمُ لَـوْ قَـتَـلُـوا مَـالِـكـاً لَـكُـنْـتُ لَـهُـمْ حَـيَّـةً رَاصِـدَهْ

فسمعَتْ بذٰلكَ أمُّ سماكٍ ، فقالَتْ : يا مالكُ ؛ قَبَّحَ اللهُ الحياةَ بعدَ سماكٍ ، اخرجْ في الطَّلبِ بأخيكَ ، فخرجَ في الطَّلبِ ، فلقيَ قاتلَ أخيهِ يسيرُ في ناسٍ مِنْ قومِهِ ، فقالَ : مَنْ أحسَّ ليَ الجملَ الأحمرَ ؟ فقالوا لهُ وعرفوهُ : يا مالكُ ؛ لكَ مئةٌ مِنَ الإبلِ ، فكُفَّ ، فقالَ : لا أطلبُ أثراً بعدَ عينٍ ، فذهبَتْ مثلاً ، ثمَّ حملَ علىٰ قاتلِ أخيهِ فقتلَهُ ، وقالَ في ذٰلكَ :

[من المنسرح]

يَـا رَاكِـبـاً بَـلِّـغَـنْ وَلَا تَـدَعَـنْ بَـنِـي قُـمَـيْـرٍ وَإِنْ هُـمُ جَـزِعُـوا

فَلْيَجِدُوا مِثْلَ مَا وَجَدْتُ فَقَدْ ... كُنْتُ حَزِيناً قَدْ مَسَّنِي وَجَعُ
لَا أَسْمَعُ ٱللَّهْوَ فِي ٱلْحَدِيثِ وَلَا ... يَنْفَعُنِي فِي ٱلْفِرَاشِ مُضْطَجَعُ
لَا وَجْدُ ثَكْلَىٰ كَمَا وَجَدْتُ وَلَا ... وَجْدُ عَجُولٍ أَضَلَّهَا رُبَعُ
وَلَا كَبِيرٍ أَضَلَّ نَاقَتَهُ ... يَوْمَ تَوَافَى ٱلْحَجِيجُ وَٱجْتَمَعُوا
يَنْظُرُ فِي أَوْجُهِ ٱلرِّكَابِ فَلَا ... يَعْرِفُ شَيْئاً وَٱلْوَجْهُ مُلْتَمِعُ
جَلَّلْتُهُ صَارِمَ ٱلْحَدِيدَةِ كَٱلْـ ... ـمِلْحِ وَفِيهِ سَفَاسِقٌ لُمَعُ
بَيْنَ ضُمَيْرٍ وَبَابِ جِلِّقَ فِي ... أَثْوَابِهِ مِنْ دِمَائِهِ دُفَعُ
أَضْرِبُهُ بَادِياً نَوَاجِذُهُ ... يَدْعُو صَدَاهُ وَٱلرَّأْسُ مُنْصَدِعُ
بَنِي قُمَيْرٍ قَتَلْتُ سَيِّدَكُمْ ... فَٱلْيَوْمَ لَا رَنَّةٌ وَلَا جَزَعُ
فَٱلْيَوْمَ قُمْنَا عَلَى ٱلسَّوَاءِ فَإِنْ ... [تُجْرُوا] فَدَهْرِي وَدَهْرُكُمْ جُرَعُ

السَّفاسقُ : جمعُ سفسقةٍ بفتحتَينِ أو كسرتَينِ بينَهُما سكونٌ ، فِرِندُ السيفِ ؛ وهيَ نقطٌ تلمعُ في صفائِهِ .

تَسمعُ بالمُعَيْديِّ خيرٌ مِنْ أن تراهُ

ويُروىٰ : لَأن تَسمعَ بالمُعيديِّ خيرٌ ، وأن تسمعَ ، ويُروىٰ : تَسمعُ بالمعيديِّ لا أن تراهُ ، والمختارُ : أن تسمعَ .

يُضرَبُ لِمَنْ خبرُهُ خيرٌ مِنْ مرآهُ ، ودخلَ الباءُ علىٰ تقديرِ : تُحدَّثُ بهِ خيرٌ .

قالَ المُفضَّلُ : أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : المنذرُ بنُ ماءِ السماءِ ، وكانَ مِنْ حديثِهِ : أنَّ كُبَيشَ بنَ جابرٍ أخا ضمرةَ بنِ جابرٍ مِنْ بني نهشلٍ . . كانَ عرضَ لأَمَةٍ لزرارةَ بنِ عدسٍ يُقالُ لها : رُشيَّةُ ، كانَتْ سبيةً أصابَها زُرارةُ مِنَ الرفيداتِ ،

وهم حيٌّ مِنَ العربِ ، فولدَتْ لهُ عمراً وذؤيباً وبرغوثاً ، فماتَ كُبَيشٌ وترعرعَ الغِلمةُ .

فقالَ لقيطُ بنُ زرارةَ : يا رُشيَّةُ ؛ مَنْ أبو بنيكِ ؟ قالَتْ : كُبَيشُ بنُ جابرٍ ، قالَ : فاذهبي بهٰؤلاءِ الغِلمةِ فعبِّسي بهِم وجهَ ضمرةَ وخَبِّريهِ مَنْ هم ، وكانَ لقيطٌ عدوّاً لضمرةَ ، فانطلقَتْ بهِم إلىٰ ضمرةَ ، فقالَ : ما هٰؤلاءِ ؟ قالَتْ : بنو أخيكَ ، فانتزعَ منها الغِلمةَ وقالَ : الحقي بأهلِكِ .

فرجعَتْ فأخبرَتْ أهلَها بالخبرِ ، فركبَ زرارةُ وكانَ رجلاً حليماً ، حتىٰ أتىٰ بني نهشلٍ ، فقالَ : ردُّوا عليَّ غلمتي ، فسبَّهُ بنو نهشلٍ وأهجروا لهُ ، فلمَّا رأىٰ ذٰلكَ . . انصرفَ ، فقالَ لهُ قومُهُ : ما صنعتَ ؟ قالَ : خيراً ، ما أحسنَ ما لقيَني بهِ قومي !! فمكثَ حولاً ، ثمَّ أتاهم ، فأعادوا عليهِ أسوأَ ما كانوا قالوا لهُ ، فانصرفَ ، فقالَ لهُ قومُهُ : ما صنعتَ ؟ قالَ : خيراً ، قد أحسنَ بنو عمِّي وأجملُوا ، فمكثَ بذٰلكَ سبعَ سنينَ يأتيهِم في كلِّ سنةٍ فيردُّونَهُ بأسوأ الردِّ .

فبينمَا بنو نهشلٍ يسيرونَ ضحىً . . إذ لحقَ بهِم لاحقٌ ، فأخبرَهُم أنَّ زرارةَ قد ماتَ ، فقالَ ضمرةُ : يا بني نهشلٍ ؛ إنَّهُ قد ماتَ حليمُ أخوتِكُمُ اليومَ ، فاتقوهُم بحقِّهِم ، ثمَّ قالَ ضمرةُ لنسائِهِ : قِفَنَّ أقسمْ بينَكُنَّ الثكلَ ، وكانَتْ عندَهُ هندُ بنتُ كربِ بنِ صفوانَ ، وامرأةٌ يُقالُ لها : خُليدةُ مِنْ بني عجلٍ ، وسبيةٌ مِنْ عبدِ القيسِ ، وسبيَّةٌ مِنَ الأزدِ مِنْ بني طمثانَ ، وكانَ لهُنَّ أولادٌ غيرُ خُليدةَ ، فقالَتْ لهندٍ وكانَتْ لها مصافيةً : وَلِّي الثكلَ بنتَ غيرِكِ ، ويُروىٰ : ولِّي الثكلَ بنتَ غيرِكِ علىٰ سبيلِ الدعاءِ ، فأرسلَتْها مثلاً ، فأخذَ ضمرةُ شقَّةَ بنَ ضمرةَ وأمُّهُ هندٌ ، وشهابَ بنَ ضمرةَ وأمُّهُ العبديةُ ، وعنوةَ بنَ ضمرةَ وأمُّهُ الطمثانيةُ ، فأرسلَ بهِم إلىٰ لقيطِ بنِ زرارةَ ، وقالَ :

هٰؤلاءِ رهنٌ لكَ بغلمتِكَ حتىٰ أرضيَكَ منهُم ، فلمَّا وقعَ بنو ضمرةَ في يَديْ لقيطٍ . . أساءَ ولايتَهُم ، وجفاهُم وأهانَهُم ، فقالَ في ذٰلكَ ضمرةُ بنُ جابرٍ : [من الوافر]

صَرَمْتُ إِخَاءَ شِقَّةَ يَوْمَ غَوْلٍ ... وَإِخْوَتِهِ فَلَا حَلَّتْ حِلَالِي
كَأَنِّي إِذْ رَهَنْتُ بَنِيَّ قَوْمِي ... دَفَعْتُهُمُ إِلَى ٱلصُّهْبِ ٱلسِّبَالِ
وَلَمْ أَرْهَنْهُمُ بِدَمٍ وَلٰكِنْ ... رَهَنْتُهُمُ بِصُلْحٍ أَوْ بِمَالِ
صَرَمْتُ إِخَاءَ شِقَّةَ يَوْمَ غَوْلٍ ... وَحُقَّ إِخَاءُ شِقَّةَ بِٱلْوِصَالِ

فأجابَهُ لقيطٌ : [من الطويل]

أَبَا قَطَنٍ إِنِّي أَرَاكَ حَزِينَا ... وَإِنَّ ٱلْعَجُولَ لَا يُبَالِ حَنِينَا
أَفِي أَنْ صَبَرْتُمْ نِصْفَ عَامٍ لِحَقِّنَا ... وَنَحْنُ صَبَرْنَا قَبْلُ سَبْعَ سِنِينَا

فقالَ ضمرةُ : [من الوافر]

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي وَطِلَابَ حِبِّي ... وَتَرْكَ بَنِيَّ فِي ٱلشُّطُرِ ٱلْأَعَادِي
لَمِنْ نَوْكَى ٱلشُّيُوخِ وَكَانَ مِثْلِي ... إِذَا مَا ضَلَّ لَمْ يُنْعَشْ بِهَادِ

ثمَّ إنَّ بني نهشلٍ طلبوا إلى المنذرِ بنِ ماءِ السماءِ أن يَطلبَهُم مِنْ لقيطٍ ، فقالَ لهُمُ المنذرُ : نحُّوا عنِّي وجوهَكُم ، ثمَّ أمرَ بخمرٍ وطعامٍ ودعا لقيطاً ، فأكلا وشربا ، حتىٰ إذا أخذَتِ الخمرُ منهُما . . قالَ المنذرُ للقيطٍ : يا خيرَ الفتيانِ ؛ ما تقولُ في رجلٍ اختارَكَ الليلةَ علىٰ ندامىٰ مُضَرَ ؟ قالَ : وما أقولُ فيهِ ؟ أقولُ : إنَّهُ لا يَسألُني شيئاً إلَّا أعطيتُهُ إيَّاهُ غيرَ الغِلمةِ ، قالَ المنذرُ : أمَّا إذا استثنيتَ . . فلستُ قابلاً منكَ شيئاً حتىٰ تعطيَني كلَّ شيءٍ سألتُكَ ، قالَ : فذٰلكَ لكَ ، قالَ : فإنِّي أسألُكَ الغِلمةَ أن تَهبَهُم لي ، قالَ : سلْني غيرَهُم ، قالَ : ما أسألُكَ غيرَهُم ، فأرسلَ لقيطٌ إليهِم ، فدفعَهُم إلى المنذرِ ،

فلمَّا أصبحَ لقيطٌ . . لامَهُ قومُهُ ، فندمَ ، فقالَ في المنذرِ : [من الطويل]

وَإِنَّـكَ(١) لَـوْ غَـطَّـيْـتَ أَرْجَـاءَ هُـوَّةٍ مُـغَـمَّـسَـةٍ لَا يُـسْـتَـثَـارُ تُـرَابُـهَـا
بِثَوْبِكَ فِي ٱلظَّلْمَاءِ ثُمَّ دَعَوْتَنِي لَـجِـئْـتُ إِلَـيْـهَـا سَـادِراً لَا أَهَـابُـهَـا
فَـأَصْـبَـحْـتُ مَـوْجُـوداً عَـلَـيَّ مُـلَـوَّماً كَأَنْ نُضِيَتْ عَنْ حَائِضٍ لِي ثِيَابُهَا

قالَ : فأرسلَ المنذرُ إلى الغِلمةِ ، وقد ماتَ ضمرةُ ، وكانَ صديقاً للمنذرِ ، فلمَّا دخلَ عليهِ الغِلمةُ وكانَ يسمعُ بشِقَّةَ ، ويُعجِبُهُ ما يَبلغُهُ عنهُ ، فلمَّا رآهُ . . قالَ : تَسمعُ بالمُعيديّ خيرٌ مِنْ أن تَراهُ ، فأرسلَها مثلاً ، قالَ شِقَّةُ : أبيتَ اللعنَ وأسعدَكَ إلـٰهُكَ ، إنَّ القومَ ليسوا بجُزْرٍ ؛ يعني : الشاءَ ، إنَّما يعيشُ الرجلُ بأصغرَيهِ ؛ لسانِهِ وقلبِهِ ، فأعجبَ المنذرَ كلامُهُ ، وسَرَّهُ كلُّ ما رأىٰ منهُ ، قالَ : فسمَّاهُ ضمرةَ باسمِ أبيهِ ، فهوَ ضمرةُ بنُ ضمرةَ ، وذهبَ قولُهُ : يعيشُ الرجلُ بأصغرَيهِ . . مثلاً ، وينشدُ علىٰ هـٰذا : [من الطويل]

ظَـنَـنْـتُ بِـهِ خَـيْـراً فَـقَـصَّـرَ دُونَـهُ فَيَا رُبَّ مَظْنُونٍ بِهِ ٱلْخَيْرُ يُخْلِفُ

قلتُ(٢) : وقريبٌ مِنْ هـٰذا ما يُحكىٰ : أنَّ الحَجَّاجَ أرسلَ إلىٰ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ بكتابٍ معَ رجلٍ ، فجعلَ عبدُ الملكِ يقرأُ الكتابَ ، ثمَّ يسألُ الرجلَ ، فيشفيهِ بجوابِ ما يسألُهُ ، فيرفعُ عبدُ الملكِ رأسَهُ إليهِ فيراهُ أسودَ ، فلمَّا أعجبَهُ ظَرْفُهُ وبيانُهُ . . قالَ مُتمثِّلاً : [من الطويل]

فَـإِنَّ عَـرَاراً إِنْ يَـكُـنْ غَـيْـرَ وَاضِـحٍ فَإِنِّي أُحِبُّ ٱلْجَوْنَ ذَا ٱلْمَنْكِبِ ٱلْعَمَمْ

فقالَ لهُ الرجلُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ هل تدري مَنْ عرارٌ ؟ أنا واللهِ عرارُ بنُ عمرِو بنِ شاسٍ الأسديّ الشاعرِ(٣) .

---

(١) في الأصل و« مجمع الأمثال » : (إنك) ولا يستقيم وزنه .
(٢) القائل : هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال » .
(٣) انظر « مجمع الأمثال » (١/٣٤٢ ـ ٣٤٥) .

ترى الفتيانَ كالنَّخْلِ ، وما يدريكَ ما الدَّخْلُ

الدَّخْلُ : العيبُ الباطنُ ، يُضرَبُ لذي المنظرِ لا خيرَ عندَهُ .

قالَ المُفضَّلُ : أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : عَثْمةُ بنتُ مطرودٍ البجيليَّةُ ، وكانَتْ ذاتَ عقلٍ ورأيٍ مُستمَعٍ في قومِها ، وكانَتْ لها أختٌ يُقالُ لها : خَوْدٌ ، وكانَتْ ذاتَ جمالٍ وميسمٍ وعقلٍ ، وإنَّ سبعةَ إخوةٍ غِلمةٍ مِنْ بطنِ الأزدِ خطبوا خَوداً إلىٰ أبيها ، فأتوهُ وعليهِمُ الحُلَلُ اليمانيَّةُ ، وتحتَهُمُ النَّجائبُ الفُرْهُ ، فقالوا : نحنُ بنو مالكِ بنِ غفيلةَ ذي النحيَينِ ، فقالَ لهُمُ : انزلوا على الماءِ ، فنزلوا ليلتَهُم ، ثمَّ أصبحوا غادينَ في الحُلَلِ والهيئةِ ومعَهُم ربيبةٌ لهُم يُقالُ لها : الشعثاءُ كاهنةٌ ، فمرُّوا بوصيدِها يَتعرَّضون لها وكلُّهُم وسيمٌ جميلٌ ، وخرجَ أبوها ، فجلسوا إليهِ ، فرحَّبَ بهِم ، فقالوا : بلغَنا أنَّ لكَ بنتاً ، ونحنُ ـ كما ترىٰ ـ شبابٌ ، وكلُّنا يمنعُ الجانبَ ، ويمنحُ الراغبَ ، فقالَ أبوها : كلُّكُم خيارٌ ، فأقيموا نرىٰ رأينا .

ثمَّ دخلَ علىٰ بنتِهِ ، فقالَ : ما ترينَ ؟ فقد أتاكِ هٰؤلاءِ القومُ ، فقالَتْ : أنكحْني علىٰ قدري ، ولا تَشطُطْ في مهري ؛ فإن تُخطِئْني أحلامُهُم . . لا تُخطِئْني أجسامُهُم ، لعلِّي أصيبُ ولداً ، وأكثرُ عدداً .

فخرجَ أبوها فقالَ : أخبروني عن أفضلِكُم ، قالَتْ ربيبتُهُمُ الشعثاءُ الكاهنةُ : اسمعْ أخبرْكَ عنهُم ، هم إخوةٌ ، وكلُّهُم أسوةٌ ، أمَّا الكبيرُ . . فمالكٌ ، جريءٌ فاتكٌ ، يتعبُ السنابكَ ، ويستصغرُ المهالكَ ، وأمَّا الذي يليهِ . . فالغمرُ ، بحرٌ غمرٌ ، يقصرُ دونَهُ الفخرُ ، نهدٌ صقرٌ ، وأمَّا الذي يليهِ . . فعلقمةُ ، صليبُ المعجمةِ ، منيعُ المشتمةِ ، قليلُ الجمجمةِ ، وأمَّا الذي يليهِ . . فعاصمٌ ، سيدٌ ناعمٌ ، جَلْدٌ صارمٌ ، أبيٌّ حازمٌ ، جيشُهُ غانمٌ ، وجارُهُ سالمٌ ، وأمَّا الذي يليهِ . . فثوابٌ ، سريعُ الجوابِ ، عتيدُ الصَّوابِ ، كريمُ النصابِ ؛ كليثِ الغابِ ، وأمَّا

الذي يليهِ . . فمُدْرِكٌ ، بذولٌ لما يملكُ ، عزوبٌ عمَّا يتركُ ، يفني ويهلكُ ، وأمَّا الذي يليهِ . . فجندلٌ ، لقرنِهِ مجدلٌ ، مُقِلٌّ لما يحملُ ، يعطي ويبذلُ ، وعن عدوِّهِ لا ينكلُ .

فشاورَتْ أختَها فيهِم ، فقالَتْ أختُها عثمةُ : ترى الفتيانَ كالنخلِ ، وما يدريكَ ما الدَّخْلُ ، اسمعي منِّي كلمةً : إنَّ شرَّ الغريبةِ يُعلَنُ ، وخيرَها يُدفَنُ ، انكحي في قومِكِ ولا تغررْكِ الأجسامُ ، فلم تقبلْ منها ، وبعثَتْ إلىٰ أبيها : أنكحْني مُدرِكاً ، فأنكحَها أبوها علىٰ مئةِ ناقةٍ ورعاتِها ، وحملَها مُدرِكٌ ، فلم تلبثْ عندَهُ إلَّا قليلاً حتىٰ صبَّحَهُم فوارسُ مِنْ بني مالكِ بنِ كنانةَ ، فاقتتلوا ساعةً ، ثمَّ إنَّ زوجَها وإخوتَهُ وبني عامرٍ انكشفوا ، فسبَوْها فيمَنْ سبَوْا ، فبينا هيَ تسيرُ . . بكَتْ ، فقالوا : ما يبكيكِ ؟ أعلىٰ فِراقِ زوجِكِ ؟ قالَتْ : قبَّحَهُ اللهُ ، قالوا : لقد كانَ جميلاً ، قالَتْ : قَبَّحَ اللهُ جمالاً لا نفعَ معَهُ ، إنَّما أبكي علىٰ عصياني أختي ، وقولِها : ترى الفتيانَ كالنَّخْلِ ، وما يدريكَ ما الدَّخْلُ ، وأخبرَتْهُم كيفَ خطبوها ، فقالَ لها رجلٌ منهُم يُكنىٰ أبا نواسٍ ، شابٌّ أسودُ أفوهُ مُضطرِبُ الخَلْقِ : أترضينَ بي علىٰ أن أمنعَكِ مِنْ ذئابِ العربِ ؟ فقالَتْ لأصحابِهِ : أكذٰلكَ هوَ ؟ قالوا : نعم ؛ إنَّهُ معَ ما ترينَ لَيمنعُ الحليلةَ ، وتتقيهِ القبيلةُ ، قالَتْ : هٰذا أجملُ جمالٍ ، وأكملُ كمالٍ ، قد رضيتُ بهِ ، فزوَّجُوها منهُ (١) .

تعِسَتِ العجلةُ

أوَّلُ مَنْ قالَ هٰذا : فِنْدٌ مولىٰ عائشةَ بنتِ سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ ، وكانَ أحدَ [المُغنِّينَ] المُجيدينَ ، وكانَ يجمعُ بينَ الرجالِ والنساءِ ، ولهُ يقولُ ابنُ قيسِ الرُّقَيَّاتِ : [من الخفيف]

قُلْ لِفِنْدٍ يُشَيِّعِ ٱلْأَظْعَانَا ... طَالَمَا سَرَّ عَيْشَنَا وَكَفَانَا

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٣٥٦ ـ ٣٥٨) .

وكانَتْ عائشةُ أرسلَتْهُ يأتيها بنارٍ ، فوجدَ قوماً يخرجونَ إلىٰ مصرَ ، فخرجَ معَهُم ، فأقامَ بها سنةً ، ثمَّ قدمَ فأخذَ ناراً وجاءَ يعدو ، فعثرَ وتَبدَّدَ الجمرُ ، فقالَ : تعسَتِ العجلةُ ، وفيهِ يقولُ الشاعرُ : [من الرمل]

مَــا رَأَيْــنَــا لِــغُــرَابٍ مَــثَــلاً ... إِذْ بَعَثْنَاهُ يَجِي بِٱلْمِشْمَلَهْ

غَـيْـرَ فِـنْـدٍ أَرْسَلُـوهُ قَـابِـسـاً ... فَـثَـوَىٰ حَـوْلاً وَسَـبَّ ٱلْـعَـجَـلَـهْ

المِشْملةُ : كساءٌ تُجمَعُ فيهِ المِقدحةُ بآلاتِها ، وقالَ بعضُهُم : الروايةُ : المَشْملةُ بفتحِ الميمِ ، وهيَ مَهبُّ الشمالِ ؛ يعني : الجانبَ الذي بعثَ نوحٌ عليهِ السلامُ الغرابَ إليهِ ليأتيَهُ بخبرِ الأرضِ : أجفَّتْ أم لا .

تجمعينَ خِلابةً وصدوداً

يُضرَبُ لِمَنْ يَجمعُ بينَ خصلتَيْ شرٍّ ، قالوا : هوَ مِنْ قولِ جريرِ بنِ عطيةَ ؛ وذٰلكَ أنَّ الحَجَّاجَ بنَ يوسفَ أرادَ قتلَهُ ، فمشَتْ إليهِ مُضَرُ فقالوا : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، لسانُ مضرَ وشاعرُها ، هبْهُ لنا ، فوهبَهُ لهُم .

وكانَتْ هندُ بنتُ أسماءَ بنِ خارجةَ ممَّنْ طلبَ فيهِ ، فقالَتْ للحَجَّاجِ : ائذنْ لي فأسمعَ مِنْ قولِهِ ، قالَ : نعم ، فأمرَ بمجلسٍ لهُ وجلسَ فيهِ هوَ وهندٌ ، ثمَّ بعثَ إلىٰ جريرٍ ، فدخلَ وهوَ لا يعلمُ بمكانِ الحَجَّاجِ ، فقالَتْ : يا بنَ الخَطَفَىٰ ؛ أنشدْني قولَكَ في التشبيبِ ، قالَ : واللهِ ؛ ما شببتُ بامرأةٍ قطُّ ، وما خلقَ اللهُ شيئاً أبغضَ إليَّ مِنَ النساءِ ، ولٰكنِّي أقولُ في المديحِ ما بلغَكِ ، فإن شئتِ . . أسمعتُكِ ، قالَتْ : يا عدوَّ نفسِهِ ؛ فأينَ قولُكَ : [من الكامل]

يَـجْـرِي ٱلـسِّـوَاكُ عَـلَـىٰ أَغَـرَّ كَـأَنَّـهُ ... بَـرَدٌ تَـحَـدَّرَ مِـنْ مُـتُـونِ غَـمَـامِ

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ ٱلْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا ... وَقْـتَ ٱلـزِّيَـارَةِ فَـٱرْجِـعِـي بِـسَـلَامِ

لَـوْ كُـنْـتِ صَـادِقَـةَ ٱلَّـذِي حَـدَّثْـتِـنَـا   لَـوَصَـلْـتِ ذَاكَ فَـكَـانَ غَـيْـرَ رِمَـامِ

قالَ جريرٌ : لا واللهِ ؛ ما قلتُ هٰذا ، ولٰكنِّي أقولُ [١] : [من الطويل]

لَقَدْ جَرَّدَ ٱلْحَجَّاجُ بِٱلْحَقِّ سَيْفَهُ   أَلَا فَٱسْتَقِيمُوا لَا يَمِيلَنَّ مَائِلُ

وَلَا يَسْتَوِي دَاعِي ٱلضَّلَالَةِ وَٱلْهُدَىٰ   وَلَا حُجَّةُ ٱلْخَصْمَيْنِ حَقٌّ وَبَاطِلُ

فقالَتْ هندٌ : دعْ ذا عنكَ ، فأينَ قولُكَ : [من الطويل]

خَلِيلَيَّ لَا تَسْتَشْعِرَا ٱلنَّوْمَ إِنَّنِي   أُعِيذُكُمَا بِٱللهِ أَنْ تَجِدَا وَجْدِي

ظَمِئْتُ إِلَىٰ بَرْدِ ٱلشَّرَابِ وَغَرَّنِي   جَدَا مُزْنَةٍ يُرْجَىٰ جَدَاهَا وَمَا تُجْدِي

قَالَ جريرٌ : بل أنا الذي أقولُ [٢] : [من الطويل]

[وَمَنْ] يَأْمَنُ ٱلْحَجَّاجَ أَمَّا عِقَابُهُ   فَمُرٌّ وَأَمَّا عَقْدُهُ فَوَثِيقُ

لَخِفْتُكَ [٣] حَتَّىٰ أَنْزَلَتْنِي مَخَافَتِي   وَقَدْ كَانَ مِنْ دُونِي عَمَايَةُ نِيقُ

يُسِرُّ لَكَ ٱلْبَغْضَاءَ كُلُّ مُنَافِقٍ   كَمَا كُلُّ ذِي دِينٍ عَلَيْكَ شَفِيقُ

قالَتْ : دعْ ذا عنكَ ، ولٰكنْ هاتِ قولَكَ [٤] : [من الكامل]

يَا عَاذِلَيَّ دَعَا ٱلْمَلَامَةَ وَٱقْصُرَا   طَالَ ٱلْهَوَىٰ وَأَطَلْتُمَا ٱلتَّفْنِيدَا

إِنِّي وَجَدْتُكِ لَوْ أَرَدْتِ زِيَادَةً   فِي ٱلْحُبِّ مِنِّي مَا وَجَدْتُ مَزِيدَا

أَخْلَيْتِنَا وَصَدَدْتِ أُمَّ مُحَمَّدٍ   أَفَتَجْمَعِينَ خِلَابَةً [وَصُدُودَا]

لَا يَسْتَطِيعُ أَخُو ٱلصَّبَابَةِ أَنْ يُرَىٰ   حَجَراً أَصَمَّ وَأَنْ يَكُونَ حَدِيدَا

---

(١) انظر « ديوان جرير » (١/٤٠٣) .
(٢) انظر « ديوان جرير » (١/٣٧٣ ـ ٣٧٤) .
(٣) كذا في الأصل ، وفي « ديوان جرير » : (وخفتك) .
(٤) انظر « ديوان جرير » (١/٣٣٧) .

أَتْيَهُ مِنْ فقيدِ ثقيفٍ

قالوا : كانَ بالطَّائفِ في أوَّلِ الإسلامِ أخوانِ ، فتَزوَّجَ أحدُهُما امرأةً مِنْ بني كُنَّةَ ، ثمَّ رامَ سفراً ، فأوصى الأخَ بها ، فكانَ يَتعهَّدُها كلَّ يومٍ بنفسِهِ ، وكانَتْ مِنْ أحسنِ الناسِ وجهاً ، فذهبَتْ بقلبِهِ ، فضَنِيَ ، وأخذَتْ قُوَّتَهُ حتىٰ عَجزَ عنِ المشيِ ، ثم عَجزَ عنِ القعودِ .

وقدمَ أخوهُ ، فلمَّا رآهُ بتلكَ الحالةِ . . قالَ : ما لكَ يا أخي ؟ ما تجدُ ؟ قالَ : ما أجدُ شيئاً غيرَ الضَّعفِ ، فبعثَ أخوهُ إلى الحارثِ بنِ كلدةَ طبيبِ العربِ ، فلمَّا حضرَ . . لم يجدْ بهِ عِلَّةً مِنْ مرضٍ ، ووقعَ لهُ أنَّ ما بهِ مِنْ عشقٍ ، فدعا بخمرٍ وفتَّ فيها خبزاً فأطعمَهُ إيَّاهُ ، ثم أتبعَهُ بشربةٍ منها ، فتَحرَّكَ ساعةً ، ثمَّ نَغَضَ رأسَهُ ورفعَ عقيرتَهُ بهٰذهِ الأبياتِ : [من الهزج]

أَلِمَّا بِي عَلَى ٱلْأَبْيَا ... تِ بِٱلْخَيْفِ نَزُرْهُنَّهْ
غَزَالٌ ثَمَّ يَحْتَلُّ ... بِهَا دُورَ بَنِي كُنَّهْ
غَزَالٌ أَحْوَرُ ٱلْعَيْنَيْـ ... ـنِ فِي مَنْطِقِهِ غُنَّهْ

فعرفَ أنَّهُ عاشقٌ ، فأعادَ عليهِ الخمرَ ، فأنشأَ يقولُ : [من مجزوء الخفيف]

أَيُّهَا ٱلْجِيرَةُ ٱسْلَمُوا ... وَقِفُوا كَيْ تَكَلَّمُوا
خَرَجَتْ مُزْنَةٌ مِنَ ٱلْـ ... ـبَحْرِ رَيَّا تَحَمْحَمُ
هِيَ مَا كَنَّتِي وَتَزْ ... عُمُ أَنِّي لَهَا حَمُ

فعرفَ أخوهُ ما بهِ ، فقالَ : يا أخي ؛ هيَ طالقٌ ثلاثاً ، فتَزوَّجْها ، فقالَ : هيَ طالقٌ يومَ أتزوَّجُها .

ثمَّ ثابَ إليهِ ثائبٌ مِنَ العقلِ والقُوَّةِ ، ففارقَ الطائفَ حضراً ، وهامَ في البرِّ

فما رُئِيَ بعدَ ذٰلكَ ، فمكثَ أخوهُ أياماً ، ثمَّ ماتَ كمداً علىٰ أخيهِ ، فضُرِبَ بهِ المثلُ ، وسُمِّيَ فقيدَ ثقيفٍ[1] ، وأمَّا قولُهُم :

أَتْيَهُ مِنْ أحمقِ ثقيفٍ

فهٰذا مِنَ التيهِ الذي هوَ الصَّلَفُ ، وأحمقُ ثقيفٍ : هوَ يوسفُ بنُ عمرٍو ، وكانَ أميرَ العراقَينِ مِنْ قِبَلِ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ ، وكانَ أتيهَ وأحمقَ عربيٍّ أمرَ ونهىٰ في دولةِ الإسلامِ .

ومِنْ حمقِهِ : أنَّ حَجَّاماً كانَ يَحجُمُهُ ، فلمَّا أرادَ أن يَشرِطَهُ . . ارتعدَتْ يدُهُ ، فأحسَّ بذٰلكَ يوسفُ ، وكانَ حاجبُهُ قائماً علىٰ رأسِهِ ، فقالَ لهُ : قلْ لهٰذا البائسِ : لا تخفْ .

وكانَ يوسفُ قصيراً جدّاً قميئاً ، فكانَ الخياطُ عندَ قطعِ ثيابِهِ إذا قالَ لهُ : يحتاجُ إلىٰ زيادةٍ . . أكرمَهُ وحباهُ ، وإذا قالَ : يفضلُ شيءٌ . . أهانَهُ وأقصاهُ[2] .

ثُكلٌ أرْأَمَها ولداً

قالَهُ بيهسٌ المُلقَّبُ بنعامةَ لأُمِّهِ حينَ رجعَ إليها بعدَ إخوتِهِ الذين قتلوا .

قالَ المُفضَّلُ : كانَ مِنْ حديثِ بيهسٍ أنَّهُ كانَ رجلاً مِنْ بني فزارةَ بنِ ذبيانَ بنِ بغيضٍ ، وكانَ سابعَ سبعةِ إخوةٍ ، فأغارَ عليهِم ناسٌ مِنْ أشجعَ بينَهُم وبينَهُم حربٌ وهم في إبلِهِم ، فقتلوا منهم ستةً ، وبقيَ بيهسٌ وكانَ يُحمَّقُ ، وكانَ أصغرَهُم ، فأرادوا قتلَهُ ، ثمَّ قالوا : وما تريدونَ مِنْ قتلِ هٰذا ؟! يُحسَبُ عليكُم برجلٍ ولا خيرَ فيهِ ، فتركوهُ ، فقالَ : دعوني أتوصَّلْ معَكُم

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٣٨١ ـ ٣٨٢) .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (١/٣٨٢ ـ ٣٨٣) .

إلى الحيِّ ، فإنَّكُم إن تركتُموني وحدي . . أكلَتْني السِّباعُ ، وقتلَني العطشُ ، ففعلوا ، فأقبلَ معَهُم .

فلمَّا كانَ مِنَ الغدِ . . نزلوا فنحروا جَزوراً في يومٍ شديدِ الحرِّ ، فقالوا : ظلِّلُوا لحمَكُم لا يفسدْ ، فقالَ بيهسٌ : **لٰكنَّ بالأثلاثِ لحمٌ لا يُظلَّلُ** ، فذهبَتْ مثلاً ، فلمَّا قالَ ذٰلك . . قالوا : إنَّهُ لمُنكِرٌ ، وهمُّوا أن يقتلوهُ ، ثمَّ تركوهُ ، وظلُّوا يشوونَ مِنْ لحمِ الجَزورِ ويأكلونَ ، فقالَ أحدُهُم : ما أطيبَ يومَنا وأخصبَهُ ، فقالَ بيهسٌ : **لٰكنْ على بَلْدَحَ قومٌ عَجْفَى** ، فذهبَتْ مثلاً .

ثمَّ انشعبَ طريقُهُم ، فأتى أُمَّهُ فأخبرَها الخبرَ ، قالَتْ : فما جاءَني بكَ مِنْ بينِ إخوتِكَ ؟! فقالَ بيهسٌ : **لو خُيِّرتُ . . لاخترتُ** ، فذهبَتْ مثلاً ، ثمَّ إنَّ أُمَّهُ عطفَتْ عليهِ ورَقَّتْ لهُ ، فقالَ الناسُ : لقد أحبَّتْ أمُّ بيهسٍ بيهساً ، فقالَ بيهسٌ : **ثكلٌ أرأَمَها ولداً** ؛ أي : عَطَّفَها على ولدٍ ، فأرسلَها مثلاً .

ثمَّ إنَّ أُمَّهُ جعلَتْ تعطيهِ بعدَ ذٰلكَ ثيابَ إخوتِهِ ، فيَلبَسُها ويقولُ : **يا حبَّذا التراثُ لولا الذِّلةُ** ، فأرسلَها مثلاً .

ثمَّ إنَّهُ أتى على ذٰلكَ ما شاءَ اللهُ ، فمرَّ بنسوةٍ مِنْ قومِهِ يصلحنَ امرأةً منهُنَّ يُرِدنَ أن يُهدِينَها لبعضِ القومِ الذينَ قتلوا إخوتَهُ ، فكشفَ ثوبَهُ عنِ استِهِ وغطَّى بهِ رأسَهُ ، فقلنَ لهُ : ويحَكَ !! ما تصنعُ يا بيهسُ ؟! فقالَ : [من مشطور الرجز]

الْبَسْ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا
إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُوسَهَا

فأرسلَها مثلاً ، ثمَّ أمرَ النساءَ مِنْ كنانةَ وغيرِها فصنعنَ لهُ طعاماً ، فجعلَ يأكلُ ويقولُ : **حبَّذا كثرةُ الأيدي في غيرِ طعامٍ** ، فأرسلَها مثلاً ، فقالَتْ لهُ

أُمُّهُ : لا يَطلُبُ هٰذا بثأرٍ أبداً ، فقالَتِ الكنانيةُ : **لا تأمني الأحمقَ وفي يدِهِ سِكِّينٌ** ، فأرسلَتْها مثلاً .

ثـمَّ إنَّـهُ أُخبِرَ أنَّ ناساً مِنْ أشجعَ فِي غـارٍ يشربونَ فيـهِ ، فانطلقَ بخالٍ لهُ يُقالُ لهُ : أبو حنشٍ ، فقالَ لهُ : هل لكَ في غارٍ فيهِ ظباءٌ لعلَّنا نصيبُ منها ؟ ويُروىٰ : **هل لكَ في غنيمةٍ باردةٍ** ؟ فأرسلَها مثلاً ، ثمَّ انطلقَ بيهسٌ بخالِهِ حتىٰ أقامَهُ علىٰ فمِ الغارِ ، ثمَّ دفعَ أبا حنشٍ في الغارِ ، فقالَ : ضرباً أبا حنشٍ ، فقالَ بعضُهُم : إنَّ أبا حنشٍ لبطلٌ ، فقالَ أبو حنشٍ : **مُكرهٌ أخوكَ لا بطلٌ** ، فأرسلَها مثلاً .

قالَ المُتلمِّسُ في ذٰلكَ (١) : [من الطويل]

وَمَـنْ طَـلَـبَ ٱلْأَوْتَـارَ مَـا حَـزَّ أَنْـفَـهُ ... قَصِيرٌ وَخَاضَ ٱلْمَوْتَ بِٱلسَّيْفِ بَيْهَسُ
نَـعَـامَـةُ لَـمَّـا صَـرَّعَ ٱلْـقَـوْمُ رَهْـطَـهُ ... تَـبَـيَّـنَ فِـي أَثْـوَابِـهِ كَـيْـفَ يَـلْـبَـسُ (٢)

جَرْيُ المُذكِّياتِ غِلابٌ

المُذكِّيةُ مِنَ الخيلِ : التي قد أتىٰ عليها بعدَ قروحِها سنةٌ أو سنتانِ ، **والغِلابُ** : المغالبةُ ؛ أي : أنَّ المُذكِّيَ يغالبُ مُجاريَهُ فيَغلِبُهُ لقُوَّتِهِ ، ويجوزُ أن يُرادَ : أنَّ ثانيَ جريِهِ أبداً أكثرُ مِنْ باديهِ ، وثالثَهُ أكثرُ مِنْ ثانيهِ ، فكأنَّهُ يغالبُ بالثاني الأوَّلَ ، وبالثالثِ الثانيَ ، فجريُهُ أبداً غِلابٌ ، وهٰذا معنىٰ قولِ أبي عبيدٍ حيثُ قالَ : (فهيَ تَحتمِلُ أن تُغالِبَ الجريَ غلاباً) (٣) .

ويُروىٰ : جريُ المُذكِّياتِ غِلاءٌ ، جمعُ غلوةٍ ؛ يعني : أنَّ جريَها يكونُ غَلَواتٍ ، ويكونُ شأوُها بطيناً ، لا كالجذعِ .

---

(١) انظر « ديوان المتلمس الضبعي » (ص ١١٣) .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (١/٣٨٩ ـ ٣٩٠) .

(٣) الأمثال (ص ١٠٧) للقاسم بن سلام .

يُضرَبُ لِمَنْ يُوصَفُ بالتبريزِ علىٰ أقرانِهِ في حلبةِ الفضلِ[1] .

جاورينا وٱخبُرينا

قالَ يونسُ : كانَ رجلانِ يَتعشَّقانِ امرأةً ، وكانَ أحدُهُما جميلاً وسيماً ، وكانَ الآخَرُ دميماً تَقتحِمُهُ العينُ ، فكانَ الجميلُ منهُما يقولُ : عاشرينا وانظري إلينا ، وكانَ الدميمُ يقولُ : جاورينا وٱخبُرينا ، فكانَتْ تدني الجميلَ .

فقالَتْ : لَأختبرَنَّهُما ، فقالَتْ لكلِّ واحدٍ منهُما أن ينحرَ جَزوراً ، فأتتْهُما مُتنكِّرةً ، فبدأَتْ بالجميلِ فوجدَتْهُ عندَ القِدْرِ يَلحَسُ الدَّسمَ ويأكلُ الشحمَ ، ويقولُ : احتفظوا كلَّ بيضاءَ ليَهْ ؛ يعني : الشحمَ ، فاستطعمَتْهُ ، فأمرَ لها بثِيلِ الجَزورِ ، فوُضِعَ في قصعتِها ، ثمَّ أتتِ الدَّميمَ ، فإذا هوَ يقسمُ لحمَ الجَزورِ ، ويعطي كلَّ مَنْ سألَهُ ، فسألَتْهُ ، فأمرَ لها بأطايبِ الجَزورِ ، فوُضِعَ في قصعتِها ، فرفعَتِ الذي أعطاها ، كلُّ واحدٍ منهُما علىٰ حدةٍ .

فلمَّا أصبحا . . غدَوا إليها ، فوضعَتْ بينَ يدَيْ كلِّ واحدٍ منهُما ما أعطاها ، وأقصَتِ الجميلَ ، وقَرَّبَتِ الدَّميمَ ، ويُقالُ : إنَّها تَزوَّجَتْهُ .

يُضرَبُ في القبيحِ المنظرِ الجميلِ المَخبرِ[2] .

جدعَ الحلالُ أنفَ الغَيرةِ

قالَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ليلةَ زُفَّتْ فاطمةُ إلىٰ عليٍّ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُما ، وهـٰذا حديثٌ يُروىٰ عنِ الحَجَّاجِ بنِ منهالٍ يَرفعُهُ[3] .

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٤٠٥) .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (١/٤١٤) .

(٣) انظر « مجمع الأمثال » (١/٤١٧) .

جَوِّعْ كلبَكَ يَتبعْكَ

ويُروىٰ : أجعْ كلبَكَ ، وكلاهُما يُضرَبُ في معاشرةِ اللِّئامِ وما ينبغي أن يُعامَلوا بهِ .

قالَ المُفضَّلُ : أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : ملكٌ مِنْ ملوكِ حِمْيرَ ، كانَ عنيفاً علىٰ أهلِ مملكتِهِ ، يَغصِبُهُم أموالَهُم ، ويَسلُبُهُم ما في أيديهِم ، وكانَتِ الكَهَنَةُ تُخبِرُهُ [أنَّهُم] سيقتلونَهُ ، فلا يَحفِلُ بذٰلكَ ، وإنَّ امرأتَهُ سمعَتْ أصواتَ [السُّؤَّالِ] ، فقالَتْ : إنِّي لَأرحمُ هٰؤلاءِ لِمَا يَلقَونَ مِنَ الجَهدِ ونحنُ في العيشِ الرَّغدِ ، وإنِّي لَأخافُ عليكَ أن يصيروا سِباعاً ، وقد كانوا لنا أتباعاً ، فردَّ عليها : جَوِّعْ كلبَكَ يتبعْكَ ، وأرسلَها مثلاً .

فلبثَ بذٰلكَ زماناً ، ثمَّ أغزاهُم ، فغنموا ، ولم يَقسِمْ فيهِم شيئاً ، فلمَّا خرجوا مِنْ عندِهِ . . قالوا لأخيهِ وهوَ أميرُهُم : قد ترىٰ ما نحنُ فيهِ مِنَ الجَهدِ ، ونحنُ نكرهُ خروجَ المُلْكِ منكم أهلَ البيتِ إلىٰ غيرِكُم ، فساعدْنا علىٰ قتلِ أخيكَ واجلسْ مكانَهُ ، وكانَ قد عرفَ بغيَهُ واعتداءَهُ عليهِم ، فأجابَهُم إلىٰ ذٰلكَ ، فوثبوا عليهِ فقتلوهُ ، فمرَّ بهِ عامرُ بنُ جذيمةَ وهوَ مقتولٌ وقد سمعَ بقولِهِ : جَوِّعْ كلبَكَ يتبعْكَ ، فقالَ : **ربَّما أكلَ الكلبُ مُؤَدِّبَهُ إذا لم ينلْ شبعَهُ** ، فأرسلَها مثلاً (١) .

أجناؤُها أبناؤُها

قالَ أبو عبيدٍ : (**الأجناءُ : همُ الجُناةُ ، والأبناءُ : البُناةُ** ، والواحدُ جانٍ وبانٍ ، وهٰذا جمعٌ عزيزٌ في الكلامِ أن يُجمَعَ « فاعلٌ » علىٰ « أفعالٍ » ، قالَ : وأصلُ المثلِ : أنَّ ملكاً مِنْ ملوكِ اليمن غزا وخَلَّفَ بنتاً ، وأنَّ ابنتَهُ أحدثَتْ

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٤٢١ ـ ٤٢٢) .

بعدَهُ بنياناً قد كانَ أبوها يكرهُهُ ، وإنَّما فعلَتْ ذٰلكَ برأيِ قومٍ مِنْ أهلِ مملكتِهِ أشاروا عليها وزينوهُ عندَها ، فلمَّا قدمَ الملكُ وأُخبِرَ بمشورةِ أولٰئكَ ورأيِهِم . . أمرَهُم بأعيانِهِم أن يَهدِموهُ ، وقالَ عندَ ذٰلكَ : أجناؤُها أبناؤُها ، فذهبَتْ مثلاً)[١] .

يُضرَبُ في سوءِ المشورةِ والرأيِ ، وللرجلِ يعملُ الشيءَ بغيرِ رويَّةٍ ثمَّ يحتاجُ إلىٰ نقضِ ما عملَ وإفسادِهِ ، ومعنى المثلِ : أنَّ الذين جنَوا علىٰ هٰذهِ الدارِ بالهدمِ همُ الذينَ عَمَرُوها بالبناءِ .

الجَرْعُ أروىٰ ، والرشيفُ أنقعُ

الرَّشْفُ والرَّشيفُ : المَصُّ للماءِ ، **والجَرْعُ** : بَلعُهُ ، **والنَّقْعُ** : تسكينُ الماءِ للعطشِ ؛ أي : أنَّ الشرابَ الذي يُترشَّفُ قليلاً قليلاً . . أقطعُ للعطشِ وأنجعُ ، وإن كانَ فيهِ بطءٌ ، وقولُهُ : (**أروىٰ**) أي : أسرعُ رِيّاً ، وقولُهُ : (**أنقعُ**) أي : أثبتُ وأدومُ رِيّاً ؛ مِنْ قولِهِم : سمٌّ ناقعٌ ؛ أي : ثابتٌ .

يُضرَبُ لِمَنْ يقعُ في غنيمةٍ ، فيُؤمَرُ بالمبادرةِ والاقتطاعِ لِمَا قَدَرَ عليهِ قبلَ أن يأتيَهُ مَنْ ينازعُهُ ، وقيلَ : معناهُ : أنَّ الاقتصادَ في المعيشةِ أبلغُ وأدومُ مِنَ الإسرافِ فيها .

الجارُ ثمَّ الدارُ

هٰذا كقولِهِم : الرفيقُ قبلَ الطريقِ ، وكلاهُما يُروىٰ عَنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ[٢] .

---

(١) الأمثال (ص ٣٠٢) للقاسم بن سلام .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٤/٢٦٨ ـ ٢٦٩) عن سيدنا رافع بن خَديج رضي الله عنه .

قالَ أبو عبيدٍ : كانَ بعضُ فقهاءِ أهلِ الشامِ يُحدِّثُ بهٰذا الحديثِ ويقولُ : معناهُ : إذا أردتَ شراءَ دارٍ . . فسلْ عن جوارِها قبلَ شرائِها .

جفَّ حِجْرُكِ وطابَ نَشْرُكِ ، أكلتِ دَهْشاً وحطبتِ قَمْشاً

قالَ يونسُ بنُ حبيبٍ : كانَ مِنْ حديثِ هٰذَينِ المثلَينِ : أنَّ امرأةً زارَتْها بنتُ أخيها وبنتُ أختِها ، فأحسنَتْ تزويرَهُما ، فلمَّا كانَ عندَ رجوعِهِما . . قالَتْ لابنةِ أخيها : جفَّ حِجْرُكِ وطابَ نَشْرُكِ ، فسُرَّتِ الجاريةُ بما قالَتْ لها عمَّتُها ، وقالَتْ لابنةِ أختِها : أكلتِ دَهْشاً وحطبتِ قَمْشاً ، فوجدَتْ بذٰلكَ الصبيةُ وشقَّ عليها ما قالَتْ لها خالتُها .

فانطلقَتْ بنتُ الأخِ إلىٰ أُمِّها مسرورةً ، فقالَتْ لها أمُّها : ما قالَتْ لكِ عمَّتُكِ ؟ فقالَتْ : قالَتْ لي خيراً ، ودعَتْ لي ، قالَتْ : وكيفَ قالَتْ لكِ ؟ قالَتْ : قالَتْ : جَفَّ حِجرُكِ وطابَ نشرُكِ ، قالَتْ : أيْ بنيةُ ؛ ما دعَتْ لكِ بخيرٍ ، ولٰكنْ دعَتْ بألَّا تَشمِّي ولداً أبداً فيَبَلَّ حِجْرَكِ ويُغيِّرَ نشرَكِ .

وانطلقَتِ الأخرىٰ إلىٰ أُمِّها ، فقالَتْ لها أُمُّها : ما قالَتْ لكِ خالتُكِ ؟ قالَتْ : وما عسىٰ أن تقولَ لي !! دعَتِ اللهَ عليَّ ، قالَتْ : وكيفَ قالَتْ لكِ ؟ قالَتْ : قالَتْ : أكلتِ دَهْشاً وحطبتِ قَمْشاً ، قالَتْ : بل دعَتِ اللهَ لكِ يا بنيةُ أن يكثرَ ولدُكِ فينازعوكِ في المالِ ، ويُقمِّشوكِ حطباً(١) .

حرِّكْ لها حُوَارَها . . تحنَّ

الحُوَارُ : ولدُ الناقةِ ، والجمعُ القليلُ : أَحوِرةٌ ، والكثيرُ : حُورانٌ وحِيرانٌ ،

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٤٣٧ ـ ٤٣٨) .

ولا يزالُ حُواراً حتىٰ يُفصَلَ ، فإذا فُصِلَ عن أُمِّهِ . . فهوَ فصيلٌ .

ومعنى المثلِ : ذَكِّرْهُ بعضَ أشجانِهِ [يَهِجْ] لهُ ، وهـٰذا لمثلٍ قالَهُ عمرُو بنُ العاصِ لمعاويةَ حينَ أرادَ أن يستنصرَ أهلَ الشامِ (١) .

حسبُك مِنْ شرٍّ سماعُهُ

أي : اكتفِ مِنَ الشرِّ بسماعِهِ ، ولا تعاينْهُ ، ويجوزُ أن يريدَ : يكفيكَ سماعُ الشرِّ وإن لم تُقدِمْ عليهِ ولم تُنسَبْ إليهِ .

قالَ أبو عبيدٍ : (أخبرَني هشامُ بنُ الكلبيّ : أنَّ المثلَ لأُمِّ الربيعِ بنِ زيادٍ العبسيِّ ؛ وذٰلكَ أنَّ ابنَها الربيعَ كانَ أخذَ مِنْ قيسِ بنِ زهيرِ بنِ جذيمةَ درعاً ، فعَرَضَ قيسٌ لأُمِّ الربيعِ وهيَ علىٰ راحلتِها في مسيرٍ لها ، فأرادَ أن يذهبَ بها ليرتهنَها بالدِّرعِ ، فقالَتْ لهُ : أينَ عَزَبَ عنكَ عقلُكَ يا قيسُ ؟! أتُرىٰ بني زيادٍ مصالحيكَ وقد ذهبتَ بأُمِّهِم يميناً وشمالاً ، وقالَ الناسُ ما قالوا أو شاؤوا ، وإنَّ حسبَكَ مِنْ شرٍّ سماعُهُ ، فذهبَتْ كلمتُها مثلاً ، تقولُ : كفىٰ بالمقالةِ عاراً وإن كانَ باطلاً) (٢) .

يُضرَبُ عندَ العارِ والمَقالةِ السيئةِ ، وما يُخافُ منها .

وقالَ بعضُ النساءِ الشواعرِ : [من مجزوء الكامل]

سَـائِـلْ بِـنَـا فِـي قَـوْمِـنَـا وَلْـيَـكْـفِ مِـنْ شَـرٍّ سَـمَـاعُـهْ

وكانَ المُفضَّلُ فيما حُكِيَ عنهُ يذكرُ هـٰذا الحديثَ ، ويُسمِّي أُمَّ الربيعِ ويقولُ : هيَ فاطمةُ بنتُ الخُرْشُبِ ، مِنْ بني أنمارِ بنِ بغيضٍ (٣) .

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٤٧٩) .
(٢) الأمثال (ص ٧٢) للقاسم بن سلام .
(٣) انظر « مجمع الأمثال » (١/٤٨٦) .

حِلْمي أصمٌّ وأُذُني غيرُ صمَّاءَ

أي : أُعرِضُ عنِ الخَنا بحِلمي ، وإن سمعتُهُ بأُذُني[1] .

حسبُكَ مِنْ غنىً شبعٌ وريٌّ

أيِ : اقنعْ مِنَ الغنىٰ بما يُشبِعُكَ ويُرْويكَ ، وجُدْ بما فضلَ ، وهـٰذا المثلُ لامرئِ القيسِ ، يذكرُ مِعْزىٰ كانَتْ لهُ ، فيقولُ[2] : [من الوافر]

إِذَا مَـا لَـمْ تَـكُـنْ إِبِـلٌ فَـمِـعْـزَىٰ ... كَـأَنَّ قُـرُونَ جِـلَّـتِـهَـا ٱلْـعِـصِـيُّ

فَـتَـمْـلأُ بَـيْـتَـنَـا أَقِـطـاً وَسَـمْـنـاً ... وَحَـسْـبُـكَ مِـنْ غِـنـىً شِـبَـعٌ وَرِيُّ

قالَ أبو عبيدٍ : (وهـٰذا يَحتمِلُ معنيَينِ : أحدُهُما : يقولُ : أعطِ كلَّ ما كانَ لكَ وراءَ الشِّبَعِ والرِّيِّ ، والآخَرُ : القناعةُ باليسيرِ ، يقولُ : اكتفِ بهِ ، ولا تطلبْ ما سوىٰ ذٰلكَ)[3] .

والأَوَّلُ الوجهُ ؛ لقولِهِ في شعرٍ لهُ آخَرَ ؛ وهوَ[4] : [من الطويل]

وَلَـوْ أَنَّـمَـا أَسْـعَـىٰ لِأَدْنَـىٰ مَـعِـيشَـةٍ ... كَفَانِي ـ وَلَمْ أَطْلُبْ ـ قَلِيلٌ مِنَ ٱلْمَالِ

وَلَـٰكِنَّمَا أَسْـعَـىٰ لِـمَـجْـدٍ مُـؤَثَّـلٍ ... وَقَدْ يُدْرِكُ ٱلْمَجْدَ ٱلْمُؤَثَّلَ أَمْثَالِي

وَمَا ٱلْمَرْءُ مَا دَامَتْ حُشَاشَةُ نَفْسِهِ ... بِـمُـدْرِكِ أَطْـرَافِ ٱلْـخُـطُـوبِ وَلَا آلِ

فقد أخبرَ ببُعْدِ هِمَّتِهِ وقَدْرِهِ في نفسِهِ[5] .

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٤٨٨) .

(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٣٦ ـ ١٣٧) .

(٣) الأمثال (ص ١٦٧) للقاسم بن سلام .

(٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٣٩) .

(٥) انظر « مجمع الأمثال » (١/٤٨٩ ـ ٤٩٠) .

الحديثُ ذو شُجونٍ

أي : ذو طُرُقٍ ، الواحدُ : شَجْنٌ بسكونِ الجيمِ ، والشَّواجنُ : أوديةٌ كثيرةُ الشجرِ ، الواحدةُ شاجنةٌ ، وأصلُ هٰذهِ الكلمةِ الاتصالُ والالتفافُ ، ومنهُ الشَّجْنةُ والشُّجْنة : الشجرةُ المُلتفَّةُ الأغصانِ .

يُضرَبُ هٰذا المثلُ في الحديثِ يُتذكَّرُ بهِ غيرُهُ ، وقد نظمَ الشيخُ أبو بكرٍ عليُّ بنُ الحسينِ القُهُسْتَانيُّ هٰذا المثلَ ومثلاً آخَرَ في بيتٍ واحدٍ ، وأحسنَ ما شاءَ ؛ وهوَ : [من الطويل]

تَـذَكَّـرَ نَـجْـداً وَٱلْـحَـدِيـثُ شُـجُـونُ ... فَـجُـنَّ ٱشْـتِـيـاقـاً وَٱلْـجُـنُـونُ فُـنُـونُ

وأوَّلُ مَنْ قالَ هٰذا المثلَ : ضبةُ بنُ أُدٍّ بنِ طابخةَ بنِ إلياسِ بنِ مُضَرَ ، وكانَ لهُ ابنانِ ؛ يُقالُ لأحدِهِما : سعدٌ ، وللآخَرِ سعيدٌ ، فنَفَرَتْ إبلٌ لضَبَّةَ تحتَ الليلِ ، فوَجَّهَ ابنَيهِ في طلبِها ، فتَفرَّقا ، فوجدَها سعدٌ فردَّها ، ومضىٰ سعيدٌ في طلبِها ، فلقيَهُ الحارثُ بنُ كعبٍ وكانَ على الغلامِ بردانِ ، فسألَهُ الحارثُ إيَّاهُما ، فأبىٰ عليهِ ، فقتلَهُ وأخذَ بردَيهِ ، فكانَ ضَبَّةُ إذا أمسىٰ فرأىٰ تحتَ الليلِ سواداً . . قالَ : أسعدٌ أم سعيدٌ ؟ فذهبَ قولُهُ مثلاً يُضرَبُ في النجاحِ والخيبةِ ، فمكثَ ضَبَّةُ بذٰلكَ ما شاءَ اللهُ أن يمكثَ .

ثمَّ إنَّهُ حَجَّ ، فوافىٰ عكاظَ ، فلقيَ بها الحارثَ بنَ كعبٍ ، ورأىٰ عليهِ بردَي ابنِهِ سعيدٍ ، فعرفَهُما ، فقالَ لهُ : هل أنتَ مخبري ما هٰذانِ البردانِ اللَّذانِ عليكَ ؟ قالَ : بلىٰ ، لقيتُ غلاماً وهما عليهِ ، فسألتُهُ إيَّاهُما ، فأبىٰ عليَّ ، فقتلتُهُ وأخذتُ بردَيهِ هٰذَينِ ، فقالَ ضَبَّةُ بسيفِكَ هٰذا ؟ قالَ : نعم ، فقالَ : فأعطنيهِ أنظرْ إليهِ ؛ فإنِّي أظنُّهُ صارماً ، فأعطاهُ الحارثُ سيفَهُ ، فلمَّا أخذَهُ مِنْ يدِهِ . . هَزَّهُ وقالَ : الحديثُ ذو شجونٍ ، ثمَّ ضربَهُ بهِ حتىٰ قتلَهُ ، فقيلَ لهُ : يا ضَبَّةُ ؛ أفي الشهرِ الحرامِ ؟! فقالَ : سبقَ السيفُ العَذَلَ ،

فهوَ أوَّلُ مَنْ سارَ عنهُ هٰذهِ الأمثالُ الثلاثةُ ، قالَ الفرزدقُ[1] : [من الطويل]

[وَلَا] تَأْمَنَنَّ ٱلْحَرْبَ إِنَّ ٱسْتِعَارَهَا كَضَبَّةَ إِذْ قَالَ ٱلْحَدِيثُ شُجُونُ[2]

الحزمُ : حفظُ ما كُلِّفتَ ، وتركُ ما كُفِيتَ

هٰذا مِنْ كلامِ أكثمَ بنِ صيفيٍّ ، وقريبٌ مِنْ هٰذا قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ ٱلْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ »[3] .

خذِ الأمرَ بقوابلِهِ

أي : بمُقدِّماتِهِ ؛ يعني : دَبِّرْهُ قبلَ أن يفوتَكَ تدبيرُهُ ، والباءُ بمعنىٰ (في) أي : فيما يَستقبلُكَ منهُ ، يُقالُ : قَبَلَ الشيءُ وأقبلَ .

يُضرَبُ في الأمرِ باستقبالِ الأمورِ[4] .

خطبٌ يسيرٌ في خطبٍ كبيرٍ

قالَهُ قصيرُ بنُ سعدٍ اللخميُّ لجَذِيمةَ بنِ مالكِ بنِ نصرٍ ، الذي يُقالُ لهُ : جَذِيمةُ الأبرشُ ، وجَذِيمةُ الوضَّاحُ ، والعربُ تقولُ للذي بهِ البَرَصُ : بهِ وَضَحٌ ؛ تفادياً مِنْ ذكرِ البرصِ .

وكانَ جَذِيمةُ مَلَكَ ما علىٰ شاطئِ الفراتِ ، وكانَتِ الزَّبَّاءُ ملكةَ الجزيرةِ ، وكانَتْ مِنْ أهلِ باجَرْمىٰ ، وتَتكلَّمُ بالعربيةِ ، وكانَ جَذِيمةُ قد وَتَرَها بقتلِ أبيها .

---

(١) انظر « ديوان الفرزدق » (٢/٥٩٦) .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (١/٤٩٣ ـ ٤٩٤) .

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣١٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) انظر « مجمع الأمثال » (١/٥٦٨) .

فلمَّا استجمعَ أمرُها ، وانتظمَ شملُ مُلْكِها . . أحبَّتْ أن تغزوَ جَذِيمةَ ، ثمَّ رأتْ أن تكتبَ إليهِ أنَّها لم تجدْ مُلْكَ النساءِ إلَّا قبحاً في السماعِ ، وضَعفاً في السُّلطانِ ، وأنَّها لم تجدْ لمُلْكِها موضعاً ولا لنفسِها كُفُؤاً . . غيرَكَ ، فأَقبِلْ إليَّ لأجمعَ مُلْكي إلىٰ مُلْكِكَ ، وأصلَ بلادي ببلادِكَ ، وتُقلِّدَ أمري معَ أمرِكَ ، تريدُ بذٰلكَ الغدرَ .

فلمَّا أتىٰ كتابُها جذيمةَ وقَدِمَ عليهِ رسلُها . . استخفَّهُ ما دعتْهُ إليهِ ، ورغبَ فيما أطمعَتْهُ فيهِ ، فجمعَ أهلَ الحِجا والرأيِ مِنْ ثقاتِهِ وهوَ يومَئذٍ ببَقَّةَ مِنْ شاطئِ الفراتِ ، فعَرَضَ عليهِم ما دعتْهُ إليهِ وعرضَتْ عليهِ ، فاجتمعَ رأيُهُم علىٰ أن يسيرَ إليها فيستوليَ علىٰ مُلْكِها ، وكانَ فيهِم قصيرٌ ، وكانَ أريباً حازماً أثيراً عندَ جَذِيمةَ ، فخالفَهُم فيما أشاروا بهِ ، وقالَ : **رأْيٌ فاترٌ ، وغدرٌ حاضرٌ** ، فذهبَتْ كلمتُهُ مثلاً .

ثمَّ قالَ لجَذِيمةَ : الرأيُ أن تكتبَ إليها ، فإن كانَتْ صادقةً في قولِها . . فلتُقبِلْ إليكَ ، وإلَّا . . لم تُمكِّنْها مِنْ نفسِكَ ، ولم تقعْ في حبالتِها وقد وتَرتَها وقتلتَ أباها ، فلم يوافقْ جَذِيمةَ ما أشارَ بهِ ، فقالَ قصيرٌ : [من البسيط]

إنِّي ٱمْرُؤٌ لَا يُمِيلُ ٱلْعَجْزُ تَرْوِيَتِي ... إِذَا أَتَتْ دُونَ شَيْءٍ مِرَّةُ ٱلْوَذَمِ

فقالَ جَذِيمةُ : لا ، ولٰكنَّكَ امرؤٌ رأيُكَ في الكِنِّ لا في الضِّحِّ ، فذهبَتْ كلمتُهُ مثلاً ، ودعا جذيمةُ عمرَو بنَ عديٍّ ابنَ أختِهِ ، فاستشارَهُ ، فشَجَّعَهُ على المسيرِ وقالَ : إنَّ قومي معَ الزَّبَّاءِ ، ولو قد رأَوْكَ . . صاروا معَكَ ، فأحبَّ جذيمةُ ما قالَهُ ، وعصىٰ قصيراً ، فقالَ قصيرٌ : **لا يُطاعُ لقصيرٍ أمرٌ** ، فذهبَتْ مثلاً ، واستخلفَ جذيمةُ عمرَو بنَ عديٍّ علىٰ ملكِهِ وسلطانِهِ ، وجعلَ عمرَو بنَ عبدِ الجنِّ معَهُ علىٰ جنودِهِ وخيولِهِ .

وسارَ جذيمةُ في وجوهِ أصحابِهِ ، فأخذَ علىٰ شاطئِ الفراتِ مِنَ الجانبِ

الغربيّ ، فلمَّا نزلَ . . دعا قصيراً فقالَ : ما الرأيُ يا قصيرُ ؟ قالَ قصيرٌ : ببَقَّةَ خَلَّفتَ الرأيَ ، فذهبَتْ مثلاً ، قالَ : وما ظنُّكَ بالزَّبَّاءِ ؟ قالَ : القولُ رِدافٌ ، والحَزْمُ عَثَرَاتُهُ تُخافُ ، فذهبَتْ مثلاً ، واستقبلَهُ رسلُ الزَّبَّاءِ بالهدايا والألطافِ ، فقالَ : يا قصيرُ ؛ كيفَ ترىٰ ؟ قالَ : خَطْبٌ يسيرٌ في خَطْبٍ كبيرٍ ، فذهبَتْ مثلاً ، وستلقاكَ الخيولُ ، فإن سارَتْ أمامَكَ . . فالمرأةُ صادقةٌ ، وإن أخذَتْ جنبتَيكَ وأحاطَتْ بكَ مِنْ خلفِكَ . . فالقومُ غادرونَ بكَ ، فاركبِ العصا ، فإنَّهُ لا يُشَقُّ غبارُها ، فذهبَتْ مثلاً ، وكانَتِ العصا فرساً لجَذِيمةَ لا تُجارىٰ ، وإنِّي راكبُها ومسايرُكَ عليها .

فلقيَتْهُ الخيولُ والكتائبُ ، فحالَتْ بينَهُ وبينَ العصا ، فركبَها قصيرٌ ونظرَ إليهِ جذيمةُ علىٰ متنِ العصا مُولِّياً ، فقالَ : [وَيْلُمِّهِ] حزماً علىٰ متنِ العصا ، فذهبَتْ مثلاً ، وجرتْ بهِ إلىٰ غروبِ الشمسِ ، ثمَّ نفقَتْ وقد قطعَتْ أرضاً بعيدةً ، فبنىٰ عليها برجاً يُقالُ لهُ : برجُ العصا ، وقالَتِ العربُ : خيرٌ ما جاءَتْ بهِ العصا ، فذهبَتْ مثلاً .

وسارَ جَذِيمةُ وقد أحاطَتْ بهِ الخيلُ حتىٰ دخلَ على الزَّبَّاءِ ، فلمَّا رأتْهُ . . تَكشَّفَتْ ، فإذا هيَ مضفورةُ الإسْبِ ، فقالَتْ : يا جذيمةُ ؛ أدأبَ عروسٍ ترىٰ ؟! فذهبَتْ مثلاً ، فقالَ جذيمةُ : بلغَ المدىٰ ، وجفَّ الثرىٰ ، وأمرَ غدرٍ أرىٰ ، فذهبَتْ مثلاً ، ودعَتْ بالسيفِ والنِّطعِ ، ثمَّ قالَتْ : إنَّ دماءَ الملوكِ شفاءٌ مِنَ الكَلَبِ ، فأمرَتْ بطَسْتٍ مِنْ ذهبٍ قد أعدَّتْهُ لهُ ، فسقتْهُ الخمرَ حتىٰ سكرَ وأخذَتِ الخمرُ منهُ مأخذَها ، فأمرَتْ براهِشَيْهِ فقُطِعا ، وقدَّمَتْ إليهِ الطَّسْتَ ، وقد قيلَ لها : إن قطرَ مِنْ دمِهِ شيءٌ في غيرِ الطَّسْتِ . . طُلِبَ بدمِهِ ، وكانَتِ الملوكُ لا تُقتَلُ بضربِ الأعناقِ إلَّا في القتالِ ؛ تَكرِمةً للملكِ ، فلمَّا ضعفَتْ يداهُ . . سقطتا ، فقطرَ مِنْ دمِهِ في غيرِ الطَّسْتِ ، فقالَتْ : لا تُضيِّعوا دمَ الملكِ ، فقالَ جذيمةُ : دعوا دماً ضيَّعَهُ أهلُهُ ، فذهبَتْ مثلاً .

فهلكَ جذيمةُ ، وجعلَتِ الزَّبَّاءُ دمَهُ في ربعةٍ لها ، وخرجَ قصيرٌ مِنَ الحيِّ الذي هلكَتِ العصا بينَ أظهرِهِم حتىٰ قدمَ علىٰ عمرِو بنِ عديٍّ وهوَ بالحِيرةِ ، فقالَ لهُ قصيرٌ : أثائرٌ أنتَ ؟ قالَ : **بل ثائرٌ سائرٌ** ، فذهبَتْ مثلاً ، ووافقَ قصيرٌ الناسَ وقدِ اختلفوا ، فصارَتْ طائفةٌ معَ عمرِو بنِ عديٍّ اللخميِّ ، وجماعةٌ منهُم معَ عمرِو بنِ عبدِ الجنِّ الجرميِّ ، فاختلفَ بينَهُما قصيرٌ حتى اصطلحا وانقادَ عمرُو بنُ عبدِ الجنِّ لعمرِو بنِ عديٍّ ، فقالَ قصيرٌ لعمرِو بنِ عديٍّ : تَهيَّأْ واستعدَّ ، ولا تُطِلَّنَّ دمَ خالِكَ ، قالَ : وكيفَ لي بها وهيَ **أمنعُ مِنْ عُقَابِ الجَوِّ** ؟! فذهبَتْ مثلاً .

وكانَتِ الزَّبَّاءُ سألَتْ كاهنةً لها عن هلاكِها ، فقالَتْ : أرىٰ هلاكَكِ بسببِ غلامٍ مَهينٍ غيرِ أمينٍ ، وهوَ عمرُو بنُ عديٍّ ، ولن تموتي بيدِهِ ، ولـٰكنْ حتفُكِ بيدِكِ ، ومِنْ قبلِهِ ما يكونُ ذٰلكَ ، فحَذِرَتْ عمراً ، واتخذَتْ لها نفقاً مِنْ مجلسِها الذي كانَتْ تجلسُ فيهِ إلىٰ حصنٍ لها في داخلِ مدينتِها ، وقالَتْ : إن فجأَني أمرٌ . . دخلتُ النفقَ إلىٰ حصني ، ودعتْ رجلاً مُصوِّراً مِنْ أجودِ أهلِ بلادِهِم تصويراً ، وأحسنِهِم عملاً ، فجهَّزَتْهُ وأحسنَتْ إليهِ ، وقالَتْ : سِرْ حتىٰ تَقدَمَ علىٰ عمرِو بنِ عديٍّ مُتنكِّراً ، فتخلوَ بحشمِهِ وتَنضمَّ إليهِم وتُخالطَهُم ، وتُعلِمَهُم ما عندَكَ مِنَ العِلمِ بالصُّورِ ، ثمَّ أثبتْ لي عمرَو بنَ عديٍّ معرفةً ، فصوِّرْهُ جالساً وقائماً وراكباً ومُتفضِّلاً ومُتسلِّحاً بهيئتِهِ ولُبستِهِ ولونِهِ ، فإذا أحكمتَ ذٰلكَ . . فأقبلْ إليَّ .

فانطلقَ المُصوِّرُ حتىٰ قدمَ علىٰ عمرِو بنِ عديٍّ ، وصنعَ ما أمرَتْهُ بهِ الزَّبَّاءُ ، وبلغَ مِنْ ذٰلكَ ما أوصتْهُ بهِ ، ثمَّ رجعَ إلى الزَّبَّاءِ بعملِ ما وَجَّهَتْهُ لهُ مِنَ الصورةِ علىٰ ما وصفَتْ وأرادَتْ أن تَعرِفَ عمرَو بنَ عديٍّ ، فلا تراهُ علىٰ حالٍ إلَّا عرفَتْهُ وحَذِرَتْهُ وعلمَتْ علمَهُ .

فقالَ قصيرٌ لعمرِو بنِ عديٍّ : اجدعْ أنفي ، واضربْ ظهري ، ودعْني وإيَّاها ،

فقالَ عمرٌو : ما أنا بفاعلٍ ، وما أنتَ لذٰلكَ مُستحِقّاً عندي ، فقالَ قصيرٌ : خلِّ عنِّي إذاً وخلاكَ ذمٌّ ، فذهبت مثلاً ، فقالَ لهُ عمرٌو : فأنت أبصرُ ، فجدعَ قصيرٌ أنفَهُ وأثَّرَ آثاراً بظهرِهِ ، فقالَتِ العربُ : لمكرٍ ما جدعَ قصيرٌ أنفَهُ ، وفي ذٰلكَ يقولُ المُتلمِّسُ (١) : [من الطويل]

وَفِـي طَـلَـبِ ٱلْأَوْتَـارِ مَـا حَـزَّ أَنْـفَـهُ ... قَصِيرٌ وَرَامَ ٱلْمَوْتَ بِٱلسَّيْفِ بَيْهَسُ

ثمَّ خرجَ قصيرٌ كأنَّهُ هاربٌ ، وأظهرَ أنَّ عمراً فعلَ ذٰلكَ بهِ ، وأنَّهُ زعمَ أنَّهُ مَكَرَ بخالِهِ جذيمةَ وغَرَّهُ مِنَ الزَّبَّاءِ ، فسارَ قصيرٌ حتىٰ قدمَ على الزَّبَّاءِ ، فقيلَ لها : إنَّ قصيراً بالبابِ فأمرَتْ بهِ ، فأُدخِلَ عليها ، فإذا أنفُهُ قد جُدِعَ ، وظهرُهُ قد ضُرِبَ ، فقالَتْ : ما الذي أرىٰ بكَ يا قصيرُ ؟! قالَ : زعمَ عمرٌو أنِّي قد غررتُ خالَهُ ، وزَيَّنتُ لهُ المصيرَ إليكِ وغششتُهُ ومالأتُكِ ، ففعلَ بي ما ترينَ ، فأقبلتُ إليكِ وعرفتُ أنِّي لا أكونُ معَ أحدٍ هوَ أثقلُ عليهِ منكِ ، فأكرمَتْهُ وأصابَتْ عندَهُ مِنَ الحزمِ والرأيِ ما أرادَتْ .

فلمَّا عرفَ أنَّها استرسلَتْ إليهِ ، ووثقَتْ بهِ . . قالَ : إنَّ لي بالعراقِ أموالاً كثيرةً وطرائفَ وثياباً وعطراً ، فابعثيني إلى العراقِ لأحملَ مالي وأحملَ إليكِ مِنْ بزوزِها وطرائفِها وثيابِها وطيبِها ، وتصيبينَ في ذٰلكَ أرباحاً عظاماً ، وبعضَ ما لا غنىٰ بالملوكِ عنهُ ، وكانَ أكثرُ ما يُطرِفُها مِنَ التمرِ الصَّرَفانَ ، وكانَ يعجبُها ، فلم يزلْ يُزيِّنُ ذٰلكَ حتىٰ أذنَتْ لهُ ، ودفعَتْ لهُ أموالاً ، وجَهَّزَتْ معَهُ عبيداً .

فسارَ قصيرٌ بما دفعَتْ إليهِ حتىٰ قدمَ العراقَ ، وأتى الحِيرةَ مُتنكِّراً ، فدخلَ علىٰ عمرٍو فأخبرَهُ الخبرَ ، وقالَ : جهِّزْني بصنوفِ البَزِّ والأمتعةِ ، لعلَّ اللّٰهَ يُمكِّنُ مِنَ الزَّبَّاءِ فتصيبَ ثأرَكَ ، وتقتلَ عدوَّكَ ، فأعطاهُ حاجتَهُ ، فرجعَ بذٰلكَ

---

(١) تقدم (٣/٨٧) .

إلى الزَّبَّاءِ ، فأعجبَها ما رأَتْ وسرَّها ، وازدادَتْ بهِ ثقةً ، وجَهَّزَتْهُ ثانيةً ، فسارَ حتىٰ قدمَ علىٰ عمرٍو ، فجَهَّزَهُ وعادَ إليها .

ثُمَّ عادَ الثالثةَ وقالَ لعمرٍو : اجمعْ لي ثقاتِ أصحابِكَ ، وهَيِّئِ الغرائرَ والمُسوحَ ، واحملْ كلَّ رجلَينِ علىٰ بعيرٍ في غرارتَينِ ، فإذا دخلوا مدينةَ الزَّبَّاءِ . . أقمتُكَ علىٰ بابِ نفقِها ، وخرجَتِ الرجالُ مِنَ الغرائرِ ، فصاحوا بأهلِ المدينةِ ، فمَنْ قاتلَهُم . . قتلوهُ ، وإن أقبلَتِ الزَّبَّاءُ تريدُ النفقَ جَلَّلتَها بالسيفِ .

ففعلَ عمرٌو ذٰلكَ ، وحملَ الرجالَ في الغرائرِ بالسلاحِ ، وسارَ يَكمُنُ النهارَ ويسيرُ الليلَ ، فلمَّا صارَ قريباً مِنْ مدينتِها . . تَقدَّمَ قصيرٌ ، فبَشَّرَها وأعلمَها بما جاءَ بهِ مِنَ المتاعِ والطَّرائفِ ، وقالَ لها : **آخِرُ البزِّ على القَلوصِ** ، فأرسلَها مثلاً ، وسألَها أن تَخرجَ فتنظرَ إلىٰ ما جاءَ بهِ ، وقالَ لها : **جئتُ بما صاءَ وصمَتْ** ، فذهبَتْ مثلاً ، ثُمَّ خرجَتِ الزبَّاءُ ، فأبصرَتِ الإبلَ تكادُ قوائمُها تَسوخُ في الأرضِ مِنْ ثقلِ أحمالِها ، فقالَتْ : يا قصيرُ : [من مشطور الرجز]

مَـا لِـلْـجِـمَـالِ مَـشْـيُـهَـا وَئِـيـدَا

أَجَـنْـدَلاً يَـحْـمِـلْـنَ أَمْ حَـدِيـدَا

[أَمْ] صَـرَفَـانـاً تَـارِزاً شَـدِيـدَا

فقالَ قصيرٌ في نفسِهِ :

بَـلِ ٱلـرِّجَـالُ قُـبَّـضـاً قُـعُـودَا

فدخلَتِ الإبلُ المدينةَ ، حتىٰ كانَ آخِرُها بعيراً مرَّ علىٰ بَوَّابِ المدينةِ ، وكانَ بيدِهِ مِنخسةٌ ، فنخسَ بها الغرارةَ ، فأصابَتْ خاصرةَ الرجلِ الذي فيها فضرطَ ، فقالَ البوَّابُ بالروميَّةِ : (بشنب ساقاً) يقولُ : **شرٌّ في الجوالقِ** ،

فأرسلَها مثلاً ، فلمَّا تَوسَّطَتِ الإبلُ المدينةَ . . أُنيخَتْ ، ودلَّ قصيرٌ عمراً علىٰ بابِ النفقِ الذي كانَتِ الزَّبَّاءُ تدخلُهُ وأرتْهُ إيَّاهُ قبلَ ذٰلكَ ، وخرجَتِ الرجالُ مِنَ الغرائرِ ، فصاحوا بأهلِ المدينةِ ، ووضعوا فيهِمُ السلاحَ ، وقامَ عمرٌو علىٰ بابِ النفقِ ، وأقبلَتِ الزَّبَّاءُ تريدُ النفقَ ، فأبصرَتْ عمراً ، فعرفَتْهُ بالصُّورةِ التي صُوِّرَتْ لها ، فمَصَّتْ خاتمَها وكانَ فيهِ السُّمُّ ، وقالَتْ : بيدي لا بيدِ ابنِ عديٍّ ، فذهبَتْ كلمتُها مثلاً ، وتَلقَّاها عمرٌو ، فجلَّلَها بالسيفِ ، وقتلَها ، وأصابَ ما أصابَ مِنَ المدينةِ وأهلِها ، وانكفأَ راجعاً إلى العراقِ .

وفي بعضِ الرواياتِ مكانَ قولِها : أدأبَ عروسٍ ترىٰ : أَشَوَارَ عروسٍ ترىٰ ؟ فقالَ جذيمةُ : أرىٰ دأبَ فاجرةٍ غدورٍ بظراءَ تَفِلةٍ ، قالَتْ : لا مِنْ عدمِ مَوَاسٍ ، ولا مِنْ قِلَّةِ أواسٍ ، ولٰكنْ شيمةٌ مِنْ أناسٍ ، فذهبَتْ مثلاً(١) .

« الدينُ النصيحةُ »

الأصلُ في النصيحةِ : التلفيقُ بينَ الناسِ ؛ مِنَ النصحِ ؛ وهوَ الخياطةُ ؛ وذٰلكَ أن تُلفِّقَ بينَ التفاريقِ وهٰذا مِنْ حديثٍ يُروىٰ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، وتمامُهُ : قالوا : لِمَنْ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « لِلهِ وَرَسُولِهِ ، وَلِأَئِمَّةِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ »(٢) .

قالَتِ العلماءُ : النصيحةُ للهِ : أن يُخلِصَ العبدُ العملَ للهِ ، والنصيحةُ لرسولِهِ : أن يصفوَ قلبُهُ في قَبولِ دعوى النبوةِ ، ولا يُضمِرَ خلافَها ، والنصيحةُ للمسلمينَ : ألَّا يَتميَّزوا عنهُ في حالٍ مِنَ الأحوالِ ، وقيلَ : النصيحةُ لأئمَّةِ المسلمينَ : ألَّا يَشُقَّ عصاهُم ، ولا يَعُقَّ فتواهُم(٣) .

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٥٧٠ ـ ٥٧٥) .

(٢) أخرجه مسلم (٩٥) عن سيدنا تميم الداري رضي الله عنه .

(٣) انظر « مجمع الأمثال » (١/٦٤٧) .

ربَّ أخٍ لكَ لم تَلِدْهُ أُمُّكَ

يُـروىٰ هـٰذا الـمثلُ للقـمانَ بنِ عـادٍ ؛ وذٰلكَ أنَّـهُ أقبـلَ ذاتَ يـوم ، فبينا هوَ يسيرُ . . إذ أصابَهُ عطشٌ ، فهجمَ علىٰ مِظلَّةٍ في فِنائِها امرأةٌ تُداعِبُ رجـلاً ، فاستسقىٰ لقـمانُ ، فقـالَتِ الـمـرأةُ : اللَّبَنَ تبغي أمِ الـمـاءَ ؟ قـالَ لقـمانُ : **أيَّهُما كـانَ ولا عـداءَ** ، فذهبَتْ كلمتُهُ مثلاً ، قـالَتِ المـرأةُ : أمَّا اللَّبَنُ . . فخلفَكَ ، وأمَّا الـماءُ . . فأمامَكَ ، قالَ لقمانُ : **المنعُ كانَ أوجزَ** ، فذهبَتْ مثلاً .

قالَ : فبينا هوَ كذٰلكَ . . إذ نظرَ إلىٰ صبيٍّ في البيتِ يبكي فلا يُكترَثُ لهُ ، ويستسقي فلا يُسقىٰ ، فقالَ : إن لم يكنْ لكُم في هـٰذا الصبيِّ حاجةٌ دفعتُموهُ إليَّ فكفلتُهُ ، فقالَتِ المرأةُ ، ذاكَ إلىٰ هانئٍ ، وهانئٌ زوجُها ، فقالَ لقمانُ : **وهانئٌ مِنَ العددِ ؟** فذهبَتْ مثلاً ، ثمَّ قالَ لها : مَنْ هـٰذا الشابُّ إلىٰ جنبِكِ ، فقد علمتُهُ ليسَ ببعلِكِ ؟ قالَتْ : هـٰذا أخي ، قالَ لقمانُ : **رُبَّ أخٍ لكَ لم تلدْهُ أُمُّكَ** ، فذهبَتْ مثلاً .

ثمَّ نظرَ إلىٰ أثرِ زوجِها في فتلِ الشعرِ ، فعرفَ في فتلِهِ شعرَ البناءِ أنَّهُ أعسرُ ، فقالَ : **ثَكِلَتِ الأُعَيْسرَ أُمُّهُ ، لو يَعلمُ العلمَ . . لطالَ غَمُّهُ** ، فذهبَتْ مثلاً ، فذُعِرَتِ المرأةُ مِنْ قولِهِ ذُعراً شديداً ، فعرضَتْ عليهِ الطعامَ والشرابَ ، فأبىٰ وقالَ : **المبيتُ على الطَّوَىٰ حتىٰ تَنالَ بهِ كريمَ المثوىٰ . . خيرٌ مِنْ إتيانِ ما لا تَهوىٰ** ، فذهبَتْ مثلاً .

ثمَّ مضىٰ ، حتىٰ إذا كانَ معَ العِشاءِ . . إذا هوَ برجلٍ يَسوقُ إبلَهُ وهوَ يرتجزُ ويقولُ : [من مشطور الرجز]

رُوحِـي إلى ٱلْـحَـيِّ فَـإِنَّ نَـفْـسِـي
رَهِـيـنَـةٌ فِـيـهِـمْ بِـخَـيْـرِ عِـرْسِ

حَــسَّــانَــةُ ٱلْــمُــقْــلَــةِ ذَاتُ أُنْــسِ
لَا يُــشْــتَــرَى ٱلْــيَــوْمُ لَــهَــا بِــأَمْــسِ

فعرفَ لقمانُ صورتَهُ ولم يرهُ ، فهتفَ بهِ : يا هانئُ ، يا هانئُ ؛ فقالَ : ما بالُكَ ؟ فقالَ : [من مجزوء الرجز]

يَــا ذَا ٱلْــبِــجَــادِ ٱلْــحَــلِــكَــهْ وَٱلــزَّوْجَــةِ ٱلْــمُــشْــتَــرَكَــهْ
عَــشِّ رُوَيْــداً إِبْــلَــكَــهْ لَــسْــتَ لِــمَــنْ لَــيْــسَــتْ لَــكَــهْ

فذهبَتْ مثلاً . قالَ هانئٌ : نوّرْ نوّرْ ، للهِ أبوكَ ، قالَ لقمانُ : عليَّ التنويرُ ، وعليكَ التغييرُ ، إنْ كانَ عندَكَ نكيرٌ ، كلُّ امرئٍ في بيتِهِ أميرٌ ، فذهبَتْ مثلاً .

ثمَّ قالَ : إنِّي مررتُ وبي أوامٌ ، فدفعتُ إلىٰ بيتٍ فإذا أنا بامرأتِكَ تغازلُ رجلاً ، فسألتُها عنهُ ، فزعمَتْهُ أخاها ، ولو كانَ أخاها . . لحكىٰ عن نفسِهِ وكفاها الكلامَ ، فقالَ هانئٌ : وكيفَ علمتَ أنَّ المنزلَ منزلي والمرأةَ امرأتي ؟ قالَ : عرفتُ عقائقَ هٰذهِ النوقِ في البناءِ ، وبوهدةِ الخليةِ في الفِناءِ ، وسقبِ هٰذهِ النابِ ، وأثرِ يدِكَ في الأطنابِ ، قالَ : صدقتَني فداكَ أبي وأُمِّي ، وكذَّبَتْني نفسي ، فما الرأيُ ؟ قالَ : هل لكَ علمٌ ؟ قالَ : نعم ، بشأني ، قالَ لقمانُ : كلُّ امرئٍ بشأنِهِ عليمٌ ، فذهبَتْ مثلاً .

قالَ لهُ هانئٌ : هل بقيَتْ بعدَ هٰذهِ ؟ قالَ لقمانُ : نعم ، قالَ : وما هوَ ؟ قالَ : تحمي نفسَكَ ، وتَحفظُ عِرْسَكَ ، قالَ هانئٌ : أفعلُ ، قالَ لقمانُ : مَنْ يفعلِ الخيرَ . . يجدِ الخيرَ ، فذهبَتْ مثلاً .

ثمَّ قالَ : الرأيُ أن تقلبَ الظَّهرَ بطناً ، والبطنَ ظهراً ، حتىٰ يَتبيَّنَ لكَ الأمرُ أمراً ، قالَ : أفلا أعالجُها بكيَّةٍ توردُها المنيَّةَ ؟ فقالَ لقمانُ : آخرُ الدواءِ الكيُّ ، فأرسلَها مثلاً ، ثمَّ انطلقَ الرجلُ حتىٰ أتى امرأتَهُ ، فقصَّ عليها القصةَ ، وسلَّ سيفَهُ ، فلم يزلْ يضربُها بهِ حتىٰ بردَتْ .

ربَّ عجلةٍ تَهَبُ رَيْثاً

ويُروىٰ : تَهُبُّ رَيْثاً ، [قَالَهُ] أبو زيدٍ ، ورَيْثاً : نُصِبَ على الحالِ في هٰذهِ الروايةِ ؛ أي : تَهُبُّ رائثةً ، فأُقيمَ المصدرُ مُقامَ الحالِ ، وفي الروايةِ الأُولىٰ : نُصِبَ على المفعولِ بهِ .

وأوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ فيما يحكي المُفضَّلُ : مالكُ بنُ عوفِ بنِ أبي عمرِو بنِ عوفِ بنِ مُحلِّمٍ الشيبانيُّ ، وكانَ سنانُ بنُ مالكِ بنِ أبي عمرِو بنِ عوفِ بنِ مُحلِّمٍ شامَ غيماً ، فأرادَ أن يرحلَ بامرأتِهِ خُماعةَ بنتِ عوفِ بنِ أبي عمرٍو ، فقالَ لهُ مالكٌ : أينَ تَظعَنُ يا أخي ؟ قالَ : أطلبُ موقعَ هٰذهِ السحابةِ ، قالَ : لا تفعلْ ؛ فإنَّهُ ربَّما خيلَتْ وليسَ فيها قطرٌ ، وأنا أخافُ عليكَ بعضَ مقانبِ العربِ ، قالَ : لٰكنِّي لستُ أخافُ ذٰلكَ ، فمضىٰ .

وعرضَ لهُ مروانُ القرظُ ابنُ زنباعِ بنِ حذيفةَ العبسيُّ ، فأعجلَهُ عنها ، وانطلقَ بها ، وجعلَها بينَ بناتِهِ وأخواتِهِ ، ولم يكشفْ لها ستراً ، فقالَ مالكُ بنُ عوفٍ لسنانٍ : ما فعلَتْ أختي ؟ قالَ : نَفَتْني عنها الرماحُ ، فقالَ مالكٌ : ربَّ عجلةٍ تَهَبُ ريثاً ، وربَّ فَروقةٍ يُدعىٰ ليثاً ، وربَّ غيثٍ لم يكنْ غيثاً ، فأرسلَها مثلاً .

يُضرَبُ للرجلِ يَشتدُّ حرصُهُ علىٰ حاجةٍ ويخرقُ فيها حتىٰ تذهبَ كلُّها (١) .

ربَّ ساعٍ لقاعدٍ

ويُروىٰ معَهُ : وآكلٍ غيرِ حامدٍ ، يُقالُ : إنَّ أوَّلَ مَنْ قالَهُ : النابغةُ الذُّبيانيُّ ، وكانَ وفدَ إلى النعمانِ بنِ المنذرِ وفودٌ مِنَ العربِ ، فيهِم رجلٌ مِنْ عبسٍ يُقالُ لهُ : شقيقٌ ، فماتَ عندَهُ ، فلمَّا حبا النعمانُ الوفودَ . . بعثَ إلىٰ أهلِ

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٤٨/٢) .

شقيقٍ بمثلِ حباءِ الوفدِ ، فقالَ النابغةُ حينَ بلغَهُ ذٰلكَ : ربَّ ساعٍ لقاعدٍ ، وقالَ للنعمانِ (١) : [من الطويل]

وَمَحْمَدَةً مِنْ بَاقِيَاتِ ٱلْمَحَامِدِ ... [وَأَبْقَيْتَ] لِلْعَبْسِيِّ فَضْلاً وَنِعْمَةً

وَمَا كَانَ يُحْبَىٰ قَبْلَهُ قَبْرُ وَافِدِ ... حِبَاءَ شَقِيقٍ فَوْقَ أَعْظُمِ قَبْرِهِ

وَرُبَّ ٱمْرِئٍ يَسْعَىٰ لِآخَرَ قَاعِدِ ... أَتَىٰ أَهْلَهُ مِنْهُ حِبَاءٌ وَنِعْمَةٌ

ويُروى : اسلمي أُمَّ خالدٍ ، ربَّ ساعٍ لقاعدٍ ، قالوا : إنَّ أولَ مَنْ قالَ ذٰلكَ معاويةُ بنُ أبي سفيانَ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ لمَّا أخذَ مِنَ الناسِ البيعةَ ليزيدَ ابنِهِ . . قالَ لهُ : يا بُنَيَّ ؛ قد صيرتُكَ وليَّ عهدي بعدي ، وأعطيتُكَ ما تَمنَّيتَ ، فهل بقيَتْ لكَ حاجةٌ أو في نفسِكَ أمرٌ تُحِبُّ أن أفعلَهُ ؟ قالَ يزيدُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ما بقيَتْ لي حاجةٌ ، ولا في نفسي غُصَّةٌ ، ولا أمرٌ أُحِبُّ أن أنالَهُ . . إلَّا أمرٌ واحدٌ ، قالَ : وما ذاكَ يا بُنَيَّ ؟ قالَ : كنتُ أحبُّ أن أتزوَّجَ أُمَّ خالدٍ امرأةَ عبدِ اللهِ بنِ عامرِ بنِ كريزٍ ، فهيَ غايتي ومُنيتي مِنَ الدنيا .

فكتبَ معاويةُ إلىٰ عبدِ اللهِ بنِ عامرٍ ، فاستقدمَهُ ، فلمَّا قدمَ عليهِ . . أكرمَهُ وأنزلَهُ أياماً ، ثم خلا بهِ ، فأخبرَهُ بحالِ يزيدَ ومكانِهِ منهُ ، وإيثارِهِ هواهُ ، وسألَهُ طلاقَ أُمِّ خالدٍ علىٰ أن يطعمَهُ فارسَ خمسَ سنينَ ، فأجابَهُ إلىٰ ذٰلكَ ، وكتبَ عهدَهُ وخَلَّىٰ عبدُ اللهِ سبيلَ أُمِّ خالدٍ ، فكتبَ معاويةُ إلى الوليدِ بنِ عتبةَ وهوَ عاملُ المدينةِ أن يُعلِمَ أُمَّ خالدٍ أنَّ عبدَ اللهِ قد طَلَّقَها لتعتدَّ ، فلمَّا انقضَتْ عِدَّتُها . . دعا معاويةُ أبا هريرةَ ، فدفعَ إليهِ ستينَ ألفاً ، وقالَ لهُ : ارحلْ إلى المدينةِ حتىٰ تأتيَ أُمَّ خالدٍ فتَخطُبَها علىٰ يزيدَ ، وتُعلِمَها أنَّهُ وليُّ عهدِ المسلمينَ ، وأنَّهُ سخيٌّ كريمٌ ، وأنَّ مهرَها عشرونَ ألفَ دينارٍ ، وكرامتُها عشرونَ ألفَ دينارٍ ، وهديتُها عشرونَ ألفَ دينارٍ .

---

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ١٨٩) .

فقدمَ أبو هريرةَ المدينةَ ليلاً ، فلمَّا أصبحَ . . أتىٰ قبرَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، فلقيَهُ الحسنُ بنُ عليٍّ ، فسَلَّمَ عليهِ ، وسألَهُ : متىٰ قدمتَ ؟ قالَ : قدمتُ البارحةَ ، قالَ : وما أقدمَكَ ؟ فقصَّ عليهِ القصَّةَ ، فقالَ لهُ الحسنُ : فاذكرْني لها ، قالَ : نعم .

ثمَّ مضىٰ ، فلقيَهُ الحسينُ بنُ عليٍّ وعبيدُ اللهِ بنُ العباسِ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُم ، فسألاهُ عن مَقْدَمِهِ ، فقصَّ عليهِما القصةَ ، فقالا لهُ : اذكرْنا لها ، قالَ : نعم .

ثمَّ مضىٰ ، فلقيَهُ عبدُ اللهِ بنُ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ ، وعبدُ اللهِ بنُ الزبيرِ ، وعبدُ اللهِ بنُ مطيعِ بنِ الأسودِ ، فسألوهُ عن مَقْدَمِهِ ، فقَصَّ عليهِمُ القصةَ ، فقالوا : اذكرْنا لها ، قالَ : نعم .

ثمَّ أقبلَ حتىٰ دخلَ عليها ، فكلَّمَها بما أمرَ بهِ معاويةُ ، ثمَّ قالَ لها : إنَّ الحسنَ والحسينَ ابنَيْ عليٍّ وعبدَ اللهِ بنَ جعفرٍ وعبيدَ اللهِ بنَ العباسِ وابنَ الزبيرِ وابنَ مطيعٍ سألوني أن أذكرَهُم لكِ ، قالَتْ : أمَّا همِّي . . فالخروجُ إلىٰ بيتِ اللهِ ، والمجاورةُ لهُ حتىٰ أموتَ ، أو تشيرَ عليَّ بغيرِ ذٰلكَ ، قالَ أبو هريرةَ : أمَّا أنا . . فلا أختارُ لكِ هٰذا ، قالَتْ : فاخترْ لي ، قالَ : اختاري لنفسِكِ ، قالَتْ : لا ، بل اخترْ أنتَ لي ، قالَ لها : أمَّا أنا . . فقدِ اخترتُ لكِ سيِّدَيْ شبابِ أهلِ الجنةِ ، فقالَتْ : قد رضيتُ بالحسنِ بنِ عليٍّ .

فخرجَ إليهِ أبو هريرةَ ، فأخبرَ الحسنَ بذٰلكَ ، وزَوَّجَها منهُ ، وانصرفَ إلىٰ معاويةَ بالمالِ ، وقد كانَ بلغَ معاويةَ قِصَّتُهُ ، فلمَّا دخلَ عليهِ . . قالَ لهُ : إنَّما بعثتُكَ خاطباً ، ولم أبعثْكَ مُحْتَسِباً ، قالَ أبو هريرةَ : إنَّها استشارَتْني ، والمُستشارُ مُؤتمَنٌ ، فقالَ معاويةُ عندَ ذٰلك : اسلمي

أُمَّ خالدٍ ، رُبَّ ساعٍ لقاعدٍ ، وآكلٍ غيرِ حامدٍ ، فذهبَتْ مثلاً[1] .

ربَّ زارعٍ لنفسِهِ حاصدٌ سواهُ

قالَ ابنُ الكلبيّ : أوّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : عامرُ بنُ الظَّرِبِ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ خطبَ إليهِ صعصعةُ بنُ معاويةَ ابنتَهُ ، فقالَ : يا صعصعةُ ؛ إنَّكَ جئتَ تشتري منّي كبدي ، وأرحمَ ولدي عندي ، منعتُكَ أو بعتُكَ ، النكاحُ خيرٌ مِنَ الأيمةِ ، والحسيبُ كفؤُ الحسيبِ ، والزوجُ الصالحُ يُعَدُّ أباً ، وقدْ أنكحتُكَ خشيةَ ألَّا أجدَ مثلَكَ .

ثمَّ أقبلَ علىٰ قومِهِ فقالَ : يا معشرَ عدوانَ ، أخرجتُ مِنْ بينِ أظهرِكُم كريمتَكُم علىٰ غيرِ رغبةٍ عنكم ، ولٰكنْ مَنْ خُطَّ لهُ شيءٌ . . جاءَهُ ، ربَّ زارعٍ لنفسِهِ حاصدٌ سواهُ ، ولولا قَسمُ الحظوظِ علىٰ غيرِ الحدودِ . . ما أدركَ الآخِرُ مِنَ الأولِ [شيئاً] يعيشُ بهِ ، ولٰكنَّ الذي أرسلَ الحيا أنبتَ المرعىٰ ، ثمَّ قسمَهُ أكلاً ، لكلِّ فمٍ بقلةٌ ، ومِنَ الماءِ جرعةٌ ؛ إنَّكُم ترون ولا تعلمونَ ، لن يرىٰ ما أصفُ لكُم إلَّا كلُّ ذي قلبٍ واعٍ ، ولكلِّ شيءٍ راعٍ ، ولكلِّ رزقٍ ساعٍ ؛ إمَّا أكيسُ ، وإمَّا أحمقُ ، وما رأيتُ شيئاً قطُّ إلَّا سمعتُ حِسَّهُ ، ووجدتُ مَسَّهُ ، وما رأيتُ موضوعاً إلَّا مصنوعاً ، وما رأيتُ جائياً إلَّا داعياً ، ولا غانماً إلَّا خائباً ، ولا نعمةً إلَّا ومعَها بؤسٌ ، ولو كانَ يميتُ الناسَ الداءُ . . لأحياهُم الدواءُ ، فهل لكُم في العلمِ العليمِ ؟ قيلَ : ما هوَ ؟ قد قلتَ فأصبتَ ، وأخبرتَ فصدقتَ ، فقالَ : أموراً شتَّىٰ ، وشيئاً شيّاً ، حتىٰ يرجعَ الميتُ حيّاً ويعودَ لا شيءٌ شيئاً ، ولذٰلكَ خُلِقَتِ الأرضُ والسماءُ ، فتولَّوا عنهُ راجعينَ ، فقالَ : ويلَها نصيحةً لو كانَ مَنْ يَقبلُها[2] .

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٥٩ ـ ٦٢) .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٨٨ ـ ٨٩) .

زينبُ سترةٌ

قالوا : هيَ زينبُ بنتُ عبدِ اللهِ بنِ عكرمةَ بنِ عبدِ الرحمٰنِ المخزوميّ ، وكانَتْ عجوزاً كبيرةً ، ولها جَوَارٍ مُغنّياتٌ ، وكانَ ابنُ زهيمةَ المدنيُّ الشاعرُ ـ واسمُهُ محمدٌ ـ مولىٰ خالدِ بنِ أسيدٍ يَتعشَّقُ بعضَ جواريها ، ويُشبّبُ بها ، ويغنيهِ يونسُ الكاتبُ ، ويلقيهِ علىٰ جواريها ، فيُسَرُّ بذٰلكَ ، ويصلُها ويكسوها ، فمِنْ قولِهِ فيها : [من الرمل]

أَقْصَدَتْ زَيْنَبُ قَلْبِي بَعْدَمَا ذَهَبَ ٱلْبَاطِلُ مِنِّي وَٱلْغَزَلْ

ولهُ فيها أشعارٌ ، ثمَّ إنَّ زينبَ حجبَتْها لشيءٍ بلغَها ، فقالَ ابنُ زهيمةَ : [من مجزوء الكامل]

وَجَدَ ٱلْفُؤَادُ بِزَيْنَبَا وَجْداً شَدِيداً مُتْعِبَا

أَمْسَيْتُ مِنْ كَلَفٍ بِهَا أُدْعَى ٱلشَّقِيَّ ٱلْمُسْهَبَا

وَلَقَدْ كَنَيْتُ عَنِ ٱسْمِهَا عَمْداً لِكَيْلَا تَغْضَبَا

وَجَعَلْتُ زَيْنَبَ سُتْرَةً وَكَنَيْتُ أَمْراً مُعْجَبَا

يُضرَبُ عندَ الكنايةِ عنِ الشيءِ[١] .

زُرْ غبّاً . . تَزدَدْ حبّاً

قالَ المُفضَّلُ : أَوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ معاذُ بنُ صرمٍ الخزاعيُّ ، وكانَتْ أُمُّهُ مِنْ عكٍّ ، وكانَ فارسَ خزاعةَ ، وكانَ يكثرُ زيارةَ أخوالِهِ ، قالَ : فاستعارَ منهُم فرساً وأتىٰ قومَهُ ، فقالَ لهُ رجلٌ يُقالُ لهُ : جُحيشُ بنُ سودةَ ، وكانَ لهُ عدوّاً : تسابقُني علىٰ أنَّ مَنْ سبقَ صاحبَهُ أخذَ فرسَهُ ؟ فسابقَهُ ، فسبقَ معاذٌ ، وأخذَ

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/١٠٢ ـ ١٠٣) .

فرسَ جُحيشٍ ، وأرادَ أن يغيظَهُ ، فطعنَ أيطلَ الفرسِ بالسيفِ فسقطَ ، فقالَ : لا أُمَّ لكَ ، قتلتَ فرساً خيراً منكَ ومِنْ والدَيكَ ، فرفعَ معاذٌ السيفَ فضربَ مَفرِقَهُ فقتلَهُ ، ثمَّ لحقَ بأخوالِهِ .

وبلغَ الحيَّ ما صنعَ ، فركبَ أخٌ لجُحيشِ وابنُ عمٍّ لهُ ، فلحقاهُ ، فشدَّ علىٰ أحدِهما فطعنَهُ فقتلَهُ ، وشدَّ على الآخرِ فضربَهُ بالسيفِ فقتلَهُ ، وقالَ في ذٰلكَ : [من الطويل]

ضَرَبْتُ جُحَيْشاً ضَرْبَةً لَا لَئِيمَةً ... وَلَـٰكِنْ بِصَافٍ ذِي طَرَائِقَ مُسْتَكِّ
قَتَلْتُ جُحَيْشاً بَعْدَ قَتْلِ جَوَادِهِ ... وَكُنْتُ قَدِيماً فِي ٱلْحَوَادِثِ ذَا فَتْكِ
قَصَدْتُ لِعَمْرٍو بَعْدَ بَدْرٍ بِضَرْبَةٍ ... فَخَرَّ صَرِيعاً مِثْلَ عَائِرَةِ ٱلنُّسْكِ
لِكَيْ يَعْلَمَ ٱلْأَقْوَامُ أَنِّيَ صَارِمٌ ... خُزَاعَةُ أَجْدَادِي وَأُنْمَىٰ إِلَىٰ عَكِّ
فَقَدْ ذُقْتَ يَا جَحْشَ بْنَ سَوْدَةَ ضَرْبَتِي ... وَجَرَّبْتَنِي إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلُ فِي شَكِّ
تَرَكْتُ جُحَيْشاً ثَاوِياً ذَا نَوَائِحٍ ... خَضِيبَ دَمٍ جَارَاتُهُ حَوْلَهُ تَبْكِي
تَرِنُّ عَلَيْهِ أُمُّهُ بِٱنْتِحَابِهَا ... وَتَقْشِرُ جِلْدَيْ مَحْجِرَيْهَا مِنَ ٱلْحَكِّ
لِيَرْفَعَ أَقْوَاماً حُلُولِيَ فِيهِمُ ... وَيُزْرِي بِقَوْمٍ إِنْ تَرَكْتُهُمُ تَرْكِي
وَحِصْنِي سَرَاةُ ٱلطَّرْفِ وَٱلسَّيْفُ مَعْقِلِي ... وَعِطْرِي غُبَارُ ٱلْحَرْبِ لَا عَبَقُ ٱلْمِسْكِ
تَتُوقُ غَدَاةَ ٱلرَّوْعِ نَفْسِي إِلَى ٱلْوَغَىٰ ... كَتَوْقِ ٱلْقَطَا تَسْمُو إِلَى ٱلْوَشَلِ ٱلرَّكِّ
وَلَسْتُ بِرِعْدِيدٍ إِذَا رَاعَ مُعْضِلٌ ... وَلَا فِي نَوَادِي ٱلْقَوْمِ بِٱلضَّيِّقِ ٱلْمَسْكِ
وَكَمْ مَلِكٍ جَدَّلْتُهُ بِمُهَنَّدٍ ... وَسَابِغَةٍ بَيْضَاءَ مُحْكَمَةِ ٱلسَّكِّ

قالَ : فأقامَ في أخوالِهِ زماناً ، ثمَّ إنَّهُ خرجَ معَ بني أخوالِهِ في جماعةٍ مِنْ فتيانِهِم يَتصيَّدونَ ، فحملَ معاذٌ علىٰ عَيْرٍ ، فلحقَهُ ابنُ خالٍ لهُ يُقالُ

لهُ : الغضبانُ ، فقالَ : خلِّ عنِ العَيرِ ، فقالَ : لا ، ولا نعمَتْ عينٌ ، فقالَ لهُ الغضبانُ : أَمَا واللهِ ؛ لو كانَ فيكَ خيرٌ . . لَمَا تركتَ قومَكَ ، فقالَ معاذٌ : زُرْ غبّاً . . تزددْ حبّاً ، فأرسلَها مثلاً ، ثم أتىٰ قومَهُ ، فأرادَ أهلُ المقتولِ قتلَهُ ، فقالَ لهُم قومُهُ : لا تقتلوا فارسَكُم وإن ظلمَ ، فقبلوا منهُ الديةَ .

ومِنْ هٰذا المثلِ قالَ الشاعرُ : [من الطويل]

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُقْلَىٰ فَزُرْ مُتَوَاتِراً وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزْدَادَ حُبّاً فَزُرْ غِبَّا

وقالَ آخَرُ : [من الطويل]

عَلَيْكَ بِإِغْبَابِ ٱلزِّيَارَةِ إِنَّهَا إِذَا كَثُرَتْ كَانَتْ إِلَى ٱلْهَجْرِ مَسْلَكَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْقَطْرَ يُسْأَمُ دَائِماً وَيُسْأَلُ بِٱلْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَا (١)

زوجٌ مِنْ عودٍ خيرٌ مِنْ قعودٍ

هٰذا المثلُ لبعضِ نساءِ الأعرابِ ، قالَ المُبرّدُ : (حدَّثَني عليُّ بنُ عبدِ اللهِ عن ابنِ عائشةَ قالَ : كانَ ذو الإصبَعِ العَدْوانيُّ رجلاً غَيُوراً ، ولهُ بناتٌ أربعٌ ، وكانَ لا يُزوِّجُهُنَّ غَيرةً ، فاستمعَ عليهِنَّ يوماً وقد خَلَوْنَ يَتحدَّثْنَ ، فقالَتْ قائلةٌ منهُنَّ : لتقلْ كلُّ واحدةٍ منَّا ما في نفسِها ، ولنصدقْ جميعاً ، فقالَتْ كُبراهُنَّ : [من الطويل]

أَلَا لَيْتَ زَوْجِي مِنْ أُنَاسٍ ذَوِي غِنىً حَدِيثُ شَبَابٍ طَيِّبُ ٱلنَّشْرِ وَٱلذِّكْرِ
لَصُوقٌ بِأَكْبَادِ ٱلنِّسَاءِ كَأَنَّهُ خَلِيفَةُ جَانٍ لَا يُقِيمُ عَلَىٰ هَجْرِ

وقالَتِ الثانيةُ : [من الطويل]

أَلَا لَيْتَهُ يُعْطَى ٱلْجَمَالَ بَدِيهَةً لَهُ جَفْنَةٌ تَشْقَىٰ بِهَا ٱلنِّيبُ وَٱلْجُزْرُ

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/١٠٨ ـ ١٠٩) .

لَهُ حَكَمَاتُ ٱلدَّهْرِ مِنْ غَيْرِ كَبْرَةٍ ... تَشِينُ فَلَا وَانٍ وَلَا ضَرَعٌ غُمْرُ

فقُلْنَ لها : أنتِ تريدينَ سيداً ، وقالَتِ الثالثةُ : [من الطويل]

أَلَا هَلْ تَرَاهَا مَرَّةً وَحَلِيلُهَا ... أَشَمُّ كَنَصْلِ ٱلسَّيْفِ عَيْنِ ٱلْمُهَنَّدِ

عَلِيمٌ بِأَدْوَاءِ ٱلنِّسَاءِ وَرَهْطُهُ ... إِذَا مَا ٱنْتَمَىٰ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَمَحْتِدِي

فقلنَ لها : أنتِ تريدينَ ابنَ عمٍّ لكِ ، قد عرفنَهُ .

وقلنَ للصغرىٰ : ما تقولينَ ؟ قالَتْ : لا أقولُ شيئاً ، فقلنَ : لا ندعُكِ وذاكَ ؛ إنَّكِ قدِ اطلعتِ علىٰ أسرارِنا وتكتمينَ سِرَّكِ ، فقالَتْ : زوجٌ مِنْ عُودٍ خيرٌ مِنْ قُعودٍ .

فخُطِبنَ ، فزُوِّجنَ أجمعُ ، ثمَّ أمهلَهُنَّ حولاً ، ثمَّ زارَ الكبرىٰ ، فقالَ لها : كيفَ رأيتِ زوجَكِ ؟ فقالَتْ : خيرُ زوجٍ ، يُكرِمُ أهلَهُ ، وينسىٰ فضلَهُ ، قالَ : فما مالُكُم ؟ قالَتِ : الإبلُ ، قالَ : وما هيَ ؟ قالَتْ : نأكلُ لُحمانَها مَزْعاً ، ونشربُ ألبانَها جَرْعاً ، وتحملُنا وضعفتَنا معاً ، فقالَ : زوجٌ كريمٌ ، ومالٌ عميمٌ .

ثمَّ زارَ الثانيةَ ، فقالَ : كيفَ رأيتِ زوجَكِ ؟ قالَتْ : يُكرِمُ الحليلةَ ، ويُقرِّبُ الوسيلةَ ، قالَ : فما مالُكُم ؟ قالَتِ : البقرُ ، قالَ : وما هيَ ؟ قالَتْ : تألفُ الفِناءَ ، وتملأُ الإناءَ ، وتودكُ السقاءَ ، ونساءٌ معَ نساءٍ ، فقالَ : رضيتِ فحظيتِ .

ثمَّ زارَ الثالثةَ ، فقالَ : كيفَ رأيتِ زوجَكِ ، فقالَتْ : لا سَمْحٌ بَذِرٌ ، ولا بخيلٌ حَكِرٌ ، قالَ : فما مالُكُم ؟ قالَتِ : المِعزىٰ ، قالَ : وما هيَ ؟ قالَتْ : لو كنَّا نُولِّدُها فُطُماً ، ونسلخُها أَدَماً . . لم نبغِ بها نَعَماً ، فقالَ : جَذْوٌ مغنيةٌ .

ثمَّ زارَ الرابعةَ ، فقالَ : كيفَ رأيتِ زوجَكِ ؟ قالَتْ : شرُّ زوجٍ ، يُكرِمُ نفسَهُ ، ويهينُ عِرْسَهُ ، قالَ : فما مالُكُم ؟ قالَتْ : شرُّ مالٍ ؛ الضَّأنُ ، قالَ : وما هيَ ؟ قالَتْ : جُوفٌ لا يشبعنَ ، وهِيمٌ لا ينقعْنَ ، وصُمٌّ لا يسمعنَ ، وأمرَ مغويتِهِنَّ يتبعنَ ، فقالَ : أشبهَ امرؤٌ بعضَ بَزِّهِ .

قالَ عليُّ بنُ عبدِ اللهِ : قلتُ لابنِ عائشةَ : ما قولُها : وأمرَ مغويتِهِنَّ يتبعنَ ؟ قالَ : أما تراهُنَّ يمررنَ فتسقطُ الواحدةُ منهُنَّ في ماءٍ أو وَحَلٍ أو غيرِ ذٰلكَ . . فيتبعنَها عليهِ ؟!)[1] .

وقولُهُ : (جَذْوٌ مغنيةٌ) جمعُ جَذْوةٍ ؛ وهيَ القطعةُ[2] .

سقطَ العَشاءُ بِهِ علىٰ سِرْحانٍ

قالَ أبو عبيدٍ : (أصلُهُ : أنَّ رجلاً خرجَ يلتمسُ العَشاءَ فوقعَ علىٰ ذئبٍ ، فأكلَهُ ، وقالَ الأصمعيُّ : أصلُهُ : أنَّ دابَّةً خرجَتْ تطلبُ العَشاءَ ، فلقيهَا ذئبٌ فأكلَها)[3] .

وقالَ ابنُ الأعرابيِّ : أصلُ هٰذا : أنَّ رجلاً مِنْ غَنِيٍّ[4] يُقالُ لهُ : سِرحانُ بنُ هزلةَ ، كانَ بطلاً فاتكاً ، يَتقيهِ الناسُ ، فقالَ رجلٌ يوماً : واللهِ ؛ لَأرعينَّ إبلي هٰذا الواديَ ، ولا أخافُ سِرحانَ بنَ هزلةَ ، فوردَ بإبلِهِ ذٰلكَ الواديَ ، فوجدَ بِهِ سِرحانَ ، وهجمَ عليهِ فقتلَهُ وأخذَ إبلَهُ ، وقالَ : [من الكامل]

أَبْلِغْ نَصِيحَةَ أَنَّ رَاعِيَ أَهْلِهَا ... سَقَطَ ٱلْعَشَاءُ بِهِ عَلَىٰ سِرْحَانِ
سَقَطَ ٱلْعَشَاءُ بِهِ عَلَىٰ مُتَغَشْمِرٍ ... طَلْقِ ٱلْيَدَيْنِ مُعَاوِدٍ لِطِعَانِ

---

(١) الكامل (٦٧٨/٢ ـ ٦٨٠) .
(٢) انظر « مجمع الأمثال » (١٠٥/٢ ـ ١٠٧) .
(٣) انظر « مجمع الأمثال » (١٢١/٢) .
(٤) حيٌّ من غطفان .

يُضرَبُ في طلبِ الحاجةِ يُؤدِّي صاحبَها إلى التَّلَفِ[1] .

أساءَ سمعاً فأساءَ جَابَةً

ويُروىٰ : ساءَ سمعاً فأساءَ إجابةً ، و(ساءَ) في هـٰذا الموضعِ تعملُ عملَ بئسَ ؛ نحوُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ سَآءَ مَثَلًا ﴾[2] ، ونُصِبَ (سمعاً) على التمييزِ ، و(أساءَ سمعاً) نُصِبَ على المفعولِ بهِ ؛ تقولُ : أسأتُ القولَ ، وأسأتُ العملَ ، وقولُهُ : (فأساءَ جابةً) هيَ بمعنىٰ (إجابةٍ) يُقالُ : أجابَ إجابةً وجَابةً وجواباً وجِيبةً ، ومثلُ (الجَابةِ) في موضعِ (الإجابةِ) : الطَّاعةُ والطَّاقةُ ، والغارةُ والعارةُ ، قالَ المُفضَّلُ : هـٰذه خمسةُ أحرفٍ جاءَتْ هـٰكذا .

قلتُ[3] : وكلُّها أسماءٌ وُضِعَتْ في موضعِ المصادرِ .

قالَ المُفضَّلُ : إنَّ أولَ مَنْ قالَ ذٰلكَ : سهيلُ بنُ [عمرٍو] أخو بني عامرِ بنِ لؤيٍّ ، وكانَ تزوَّجَ صفيةَ بنتَ أبي جهلِ بنِ هشامٍ ، فولدَتْ لهُ أنسَ بنَ سهيلٍ ، فخرجَ معَهُ ذاتَ يومٍ وقد خَرَجَ وجهُهُ ؛ يريدُ الْتَحَىٰ ، فوقفا بحَزْوَرَةِ مكةَ ، فأقبلَ الأخنسُ بنُ شَرِيقٍ الثقفيُّ فقالَ : مَنْ هـٰذا ؟ قالَ سهيلٌ : ابني ، قالَ الأخنسُ : حيَّاكَ اللهُ يا فتىٰ [أينَ أمُّكَ ؟] ؟ قالَ : لا واللهِ ، ما أُمِّي في البيتِ ، انطلقَتْ إلىٰ أُمِّ حنظلةَ تَطحَنُ دقيقاً ، فقالَ : أساءَ سمعاً فأساء جابةً ، فأرسلَها مثلاً .

فلمَّا رجعا . . قالَ أبوهُ : فضحَني ابنُكِ اليومَ عندَ الأخنسِ ، قالَ كذا وكذا !!

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/١٢١ ـ ١٢٢) .

(٢) سورة الأعراف : (١٧٧) .

(٣) القائل : هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال » .

فقالَتِ الأُمُّ : إنَّما ابني صبيٌّ ، قالَ سهيلٌ : أشبهَ امرؤٌ بعضَ بَزِّهِ ، فأرسلَها مثلاً[1] .

سمِّنْ كلبَكَ يأكلْكَ

ويُروىٰ : (أسمِنْ) ، قالوا : أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : حازمُ بنُ المنذرِ الحِمَّانيُّ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ مرَّ بمَحَلَّةِ هَمْدانَ ، فإذا هوَ بغلامٍ ملفوفٍ في المعاوزِ ، فرحمَهُ وحملَهُ علىٰ مُقدَّمِ سرجِهِ ، حتىٰ أتىٰ بهِ منزلَهُ ، وأمرَ أَمَةً لهُ أن تُرضِعَهُ ، فأرضعَتْهُ حتىٰ فُطِمَ ، وأدركَ وراهقَ الحلمَ ، فجعلَهُ راعياً لغنمِهِ ، وسمَّاه جُحَيشاً ، فكانَ يرعى الشاءَ والإبلَ ، وكانَ زاجراً عائفاً ، فخرجَ ذاتَ يومٍ ، فعَرَضَتْ لهُ عقابٌ ، فعافَها ، ثمَّ مَرَّ بهِ غُدافٌ ، فزجرَهُ ، وقالَ : [من مشطور الرجز]

تُخْبِرُنِي شَوَاحِجُ ٱلْغُدْفَانْ
وَٱلْخُطْبُ يَشْهَدْنَ مَعَ ٱلْعِقْبَانْ
أَنِّي جُحَيْشٌ مَعْشَرِي هَمْدَانْ
وَلَسْتُ عَبْداً لِبَنِي حِمَّانْ

فلا يزالُ يَتغنَّىٰ بهٰذهِ الأبياتِ ، وإنَّ ابنةً لحازمٍ يقالُ لها : رَعُومُ ، هَوِيَتِ الغلامَ وهَوِيَها ، وكانَ الغلامُ ذا منظرٍ وجمالٍ ، فاتبعَتْهُ رَعُومُ ذاتَ يومٍ حتى انتهىٰ إلىٰ موضعِ الكلأ ، فسرحَ الشاءَ فيهِ واستظلَّ بشجرةٍ واتَّكأَ علىٰ يمينِهِ ، وأنشأَ يقولُ : [من المتقارب]

أَمَا لَكَ أُمٌّ فَتُدْعَىٰ لَهَا ... وَلَا أَنْتَ ذُو وَالِدٍ يُعْرَفُ
أَرَى ٱلطَّيْرَ تُخْبِرُنِي أَنَّنِي ... جُحَيْشٌ وَأَنَّ أَبِي حَرْشَفُ
يَقُولُ غُرَابٌ غَدَا سَانِحاً ... وَشَاهِدُهُ جَاهِداً يَحْلِفُ

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/١٢٦ ـ ١٢٧) .

بِـأَنِّـي لِـهَـمْـدَانَ فِـي غُـرِّهَـا وَمَـا أَنَـا جَـافٍ وَلَا أَهْـيَـفُ

وَلَـٰكِنَّنِي مِـنْ كِـرَامِ ٱلـرِّجَـالِ إِذَا ذُكِـرَ ٱلـسَّـيِّـدُ ٱلْأَشْـرَفُ

وقد كَمَنَتْ لهُ رَعُومُ تنظرُ ما يصنعُ ، فرفعَ صوتَهُ أيضاً يَتغنَّىٰ ويقولُ : [من مشطور الرجز]

يَـا حَـبَّـذَا رَبِـيـبَـتِـي رَعُـومُ

وَحَـبَّـذَا مَـنْـطِـقُـهَـا ٱلـرَّخِـيـمُ

وَرِيـحُ مَـا يَـأْتِـي بِـهِ ٱلـنَّـسِـيـمُ

إِنِّـي بِـهَـا مُـكَـلَّـفٌ أَهِـيـمُ

لَـوْ تَـعْـلَـمِـينَ ٱلْـعِـلْـمَ يَـا رَعُـومُ

أَنِّـيَ مِـنْ هَـمْـدَانِـهَـا صَـمِـيـمُ

فلمَّا سمعَتْ رَعُومُ شِعرَهُ . . ازدادَتْ فيهِ رغبةً وبهِ إعجاباً ، فدنَتْ منهُ وهيَ تقولُ : [من مشطور الرجز]

طَـارَ إِلَـيْـكُـمْ عَـرَضـاً فُـؤَادِي

وَقَـلَّ مِـنْ ذِكْـرَاكُـمُ رُقَـادِي

وَقَـدْ جَـفَـا جَـنْـبِـي عَـنِ ٱلْـوِسَـادِ

أَبِـيـتُ قَـدْ حَـالَـفَـنِـي سُـهَـادِي

فقامَ إليها جُحَيْشٌ فعانقَها وعانقَتْهُ ، وقعدا تحتَ الشجرةِ يَتغازلانِ ، فكانا يفعلانِ ذٰلكَ أياماً .

ثـمَّ إنَّ أباها افتقدَها يوماً ، وفَطِنَ لها ، فرصدَها ، حتىٰ إذا خرجَتْ . . تبعَها ، فانتهىٰ إليهِما وهُما علىٰ سوءةٍ ، فلمَّا رآهُما . . قالَ : سَمِّنْ كلبَكَ

يَأكلْكَ ، فأرسلَها مثلاً ، وشدَّ علىٰ جُحيشٍ بالسيفِ فأفلتَ ولحقَ بقومِهِ هَمْدانَ ، وانصرفَ حازمٌ إلى ابنتِهِ وهوَ يقولُ : **موتُ الحُرَّةِ خيرٌ مِنَ العُرَّةِ** ، فأرسلَها مثلاً ، فلمَّا وصلَ إليها . . وجدَها قدِ اختنقَتْ فماتَتْ ، فقالَ حازمٌ : **هانَ عليَّ الثُّكْلُ لسوءِ الفعلِ** ، فأرسلَها مثلاً : وأنشأَ يقولُ : [من الكامل]

قَـدْ هَـانَ هَـٰذَا ٱلـثُّـكْـلُ لَـوْلَا أَنَّـنِـي ... أَحْبَبْتُ قَتْلَكِ بِٱلْحُسَامِ ٱلصَّارِمِ

وَلَـقَـدْ هَـمَـمْـتُ بِـذَاكَ لَـوْلَا أَنَّـنِـي ... شَـمَّرْتُ فِي قَتْلِ ٱللَّعِينِ ٱلظَّالِمِ

فَـعَـلَـيْـكِ مَـقْـتُ ٱللهِ مِـنْ غَـدَّارَةٍ ... وَعَـلَـيْـكِ لَـعْـنَـتُـهُ وَلَـعْـنَـةُ حَـازِمِ

وقالَ قومٌ : إنَّ رجلاً مِنْ طَسْمٍ ارتبطَ كلباً ، فكانَ يُسمِّنُهُ ويطعمُهُ رجاءَ أن يصيدَ بهِ ، فاحتبسَ عليهِ بطعمِهِ يوماً ، فدخلَ عليهِ صاحبُهُ ، فوثبَ عليهِ فافترسَهُ ، قالَ عوفُ بنُ الأحوصِ : [من الطويل]

أُرَانِي [وَعَوْفاً] كَٱلْمُسَمِّنِ كَلْبَهُ ... فَـخَـدَّشَـهُ أَنْـيَـابُـهُ وَأَظَـافِـرُهْ

وقالَ طرفةُ (١) : [من المنسرح]

كَـكَـلْـبِ طَـسْـمٍ وَقَـدْ تَـرَبَّـبَـهُ ... يَـعُـلُّـهُ بِـٱلْـحَـلِـيبِ فِـي ٱلْـغَـلَـسِ

ظَـلَّ عَـلَـيْـهِ يَـوْمـاً [يُـفَـرْفِـرُهُ] (٢) ... إِلَّا يَـلَـغْ فِـي ٱلـدِّمَـاءِ يَـنْـتَـهِـسِ (٣)

السَّليمُ لا ينامُ ولا يُنيمُ

قالَ المُفضَّلُ : أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : إلياسُ بنُ مُضَرَ ، وكانَ مِنْ حديثِ ذٰلكَ فيما ذكرَ الكلبيُّ عنِ الشرقيِّ بنِ القطاميِّ : أنَّ إبلَ إلياسَ نَدَّتْ ليلاً ، فنادىٰ ولدَهُ وقالَ : إنِّي طالبُ الإبلَ في هٰذا الوجهِ ، وأمرَ عمراً ابنَهُ أن

---

(١) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ١٦٥) .
(٢) في الأصل : (بقرقره) ، ويفرفره : يمزّقه .
(٣) انظر « مجمع الأمثال » (٢/١٣٣ ـ ١٣٥) .

يطلبَ في وجهٍ آخرَ ، وتركَ عامراً ابنَهُ لعلاجِ الطعامِ ، قالَ : فتَوَجَّهَ إلياسُ وعمرٌو ، وانقطعَ عُمَيرٌ ابنُهُ في البيتِ معَ النساءِ ، فقالَتْ ليلىٰ بنتُ حلوانَ امرأتُهُ لإحدىٰ خادميها : اخرجي في طلبِ أهلِكِ ، وخرجَتْ ليلىٰ ، فلقيَها عامرٌ مُحتقِباً صيداً قد عالجَهُ ، فسألَها عن أبيهِ وأخيهِ ، فقالَتْ : لا علمَ لي ، فأتىٰ عامرٌ المنزلَ وقالَ للجاريةِ : قُصِّي أثرَ مولاكِ ، فلمَّا ولَّتْ . . قالَ لها : تقرصعي ـ أيِ : اتئدي وانقبضي ـ فلم يلبثوا أن أتاهُمُ الشيخُ وعمرٌو ابنُهُ قد أدركَ الإبلَ ، فوضعَ لهُمُ الطعامَ ، فقالَ إلياسُ : **السَّليمُ لا ينامُ ولا يُنيمُ** ، فأرسلَها مثلاً ، وقالَتْ ليلى امرأتُهُ : واللهِ ؛ إن زلتُ أُخندِفُ في طلبِكُما والهةً ، قالَ الشيخُ : فأنتِ خِنْدِفُ ، قالَ عامرٌ : وأنا واللهِ كنتُ أدأَبُ في صيدٍ وطبخٍ ، قالَ : فأنتَ طابخةُ ، قالَ عمرٌو : فما فعلتُ أنا أفضلُ ، أدركتُ الإبلَ ، قالَ : فأنتَ مُدرِكةُ ، وسمَّىٰ عُمَيراً قَمْعَةَ ؛ لانقماعِهِ في البيتِ ، فغلبَتْ هـٰذهِ الألقابُ علىٰ أسمائِهِم .

يضربُ مثلاً لِمَنْ لا يستريحُ ولا يريحُ غيرَهُ (١) .

اسعَ بجَدِّكَ لا بكَدِّكَ

قالوا : إنَّ أوَّلَ مَنْ قالَ ذٰلكَ : حاتمُ بنُ عميرةَ الهَمْدانيُّ ، وكانَ بعثَ ابنَيهِ الحِسْلَ وعاجنةَ إلىٰ تجارةٍ ، فلقيَ الحِسْلُ قوماً مِنْ بني أسدٍ ، فأخذوا مالَهُ وأسروهُ ، وسارَ عاجنةُ أياماً ، ثمَّ وقعَ علىٰ مالٍ في طريقِهِ مِنْ قبلِ أن يبلغَ موضعَ مَتجرِهِ ، فأخذَهُ ورجعَ ، وقالَ في ذٰلكَ : [من الوافر]

كَفَانِي ٱللهُ بُعْدَ ٱلسَّيْرِ أَنِّي ... رَأَيْتُ ٱلْخَيْرَ فِي ٱلسَّفَرِ ٱلْقَرِيبِ
رَأَيْتُ ٱلْبُعْدَ فِيهِ شَقاً وَنَأْيٌ ... وَوَحْشَةُ كُلِّ مُنْفَرِدٍ غَرِيبِ

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/١٤٥) .

فَأَسْرَعْتُ ٱلْإِيَابَ بِخَيْرِ حَالٍ إِلَىٰ حَوْرَاءَ خَرْعَبَةٍ لَعُوبِ
وَإِنِّي لَيْسَ يَثْنِينِي إِذَا مَا رَحَلْتُ سُنُوحُ شَحَّاجٍ نَعُوبِ

فلمَّا رجعَ . . تباشرَ بهِ أهلُهُ ، وانتظروا الحِسْلَ ، فلمَّا جاءَ إبَّانُهُ الذي كانَ يجيءُ فيهِ ولم يرجعْ . . رابَهُم أمرُهُ ، وبعثَ أبوهُ أخاً لهُ لم يكنْ مِنْ أُمِّهِ ـ يُقالُ لهُ : شاكرٌ ـ في طلبِهِ والبحثِ عنهُ ، فلمَّا دنا شاكرٌ مِنَ الأرضِ التي بها الحِسْلُ ، وكانَ الحِسْلُ عائفاً يزجرُ الطيرَ ، فقالَ : [من المتقارب]

تُخَبِّرُنِي بِٱلنَّجَاةِ ٱلْقَطَاةُ وَقَوْلُ ٱلْغُرَابِ بِهَا شَاهِدُ
تَقُولُ أَلَا قَدْ دَنَا نَازِحٌ فِدَاءٌ لَهُ ٱلطَّرْفُ وَٱلتَّالِدُ
أَخٌ لَمْ تَكُنْ أُمُّنَا أُمَّهُ وَلَٰكِنْ أَبُونَا أَبٌ وَاحِدُ
تَدَارَكَنِي رَأْفَةً حَاتِمٌ فَنِعْمَ ٱلْمُرَبِّبُ وَٱلْوَالِدُ

ثمَّ إنَّ شاكراً سألَ عنهُ ، فأُخبرَ بمكانِهِ ، فاشتراهُ ممَّنْ أسرَهُ بأربعينَ بعيراً ، فلمَّا رجعَ بهِ . . قالَ لهُ أبوهُ : **اسعَ بجَدِّكَ لا بكَدِّكَ** ، فذهبَتْ مثلاً (١) .

سِرْ عنكَ

قالوا : إنَّ أولَ مَنْ قالَ ذٰلكَ : خِداشُ بنُ حابسٍ التميميُّ ، وكانَ قد تزوَّجَ جاريةً مِنْ بني سَدوسٍ يُقالُ لها : الربابُ ، وغابَ عنها بعدَما ملكَها أعواماً ، فعَلِقَها آخَرُ مِنْ قومِها يُقالُ لهُ : سَلْمٌ ، ففضحَها .

وإنَّ سَلْماً شردَتْ لهُ إبلٌ ، فركبَ في طلبِها ، فوافاهُ خِداشٌ في الطريقِ ، فلمَّا علمَ بهِ خِداشٌ . . كتمَهُ أمرَ نفسِهِ ؛ ليعلمَ علمَ امرأتِهِ ، وسارا ، فسألَ سَلْمٌ خِداشاً : ممَّنِ الرجلُ ؟ فخَبَّرَهُ بغيرِ نسبِهِ ، فقالَ سَلْمٌ : [من الوافر]

أَغِبْتَ عَنِ ٱلرَّبَابِ وَهَامَ سَلْمٌ بِهَا وَلَهَا بِعِرْسِكَ يَا خِدَاشُ

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/١٤٦) .

فَـيَـا لَـكَ بَـعْـلَ جَـارِيَـةٍ هَـوَاهَـا صَـبُـورٌ حِيـنَ تَـضْـطَـرِبُ ٱلْكِـبَـاشُ

وَيَـا لَـكَ بَـعْـلَ جَـارِيَـةٍ كَـعُـوبٍ تَـزِيـدُ لَـذَاذَةً دُونَ ٱلـرِّيَـاشِ

وَكُـنْـتُ بِـهَـا أَخَـا عَـطَـشٍ شَـدِيـدٍ وَقَـدْ يَـرْوَىٰ عَـلَـى ٱلـظَّـمَـأ ٱلْـعِـطَـاشُ

فَـإِنْ أَرْجِـعْ وَيَـأْتِـيـهَـا خِـدَاشٌ سَـيُـخْـبِـرُهُ بِـمَـا لَاقَـى ٱلْـفِـرَاشُ

فعرفَ خِداشٌ الأمرَ عندَ ذٰلكَ ، ثمَّ دنا منهُ فقالَ : حدِّثْنا يا أخا بني سدوسٍ ، فقالَ سَلْمٌ : علقتُ امرأةً غابَ عنها زوجُها ، فأنا أنعمُ أهلِ الدنيا بها ، وهيَ لذَّةُ عيشي ، فقالَ خِداشٌ : سِرْ عنكَ ، فسارَ ساعةً ، ثمَّ قالَ : حدِّثْنا يا أخا بني سدوسٍ عن خليلتِكَ ، قالَ : تَسدَّيتُ خِباءَها ليلاً ، فبتُّ بأقرِّ ليلةٍ ، أعلو وأُعلي ، وأعانقُ وأفعلُ ما أهوىٰ ، فقالَ خِداشٌ : سِرْ عنكَ ، وعرفَ الفضيحةَ ، فتَأخَّرَ واخترطَ سيفَهُ وغطَّاهُ بثوبِهِ ، ثمَّ لحقَهُ وقالَ : ما آيةُ ما بينَكُما إذا جئتَها ؟ قالَ : أذهبُ ليلاً إلىٰ مكانِ كذا مِنْ خبائِها وهيَ تخرجُ فتقولُ : [من الطويل]

يَا لَيْلُ هَلْ مِنْ سَاهِرٍ فِيكَ طَالِبٌ هَوَىٰ خُلَّةٍ لَا يَنْزَحَنْ مُلْتَقَاهُمَا

فأُجاوبُها : [من الطويل]

نَعَمْ سَاهِرٌ قَدْ كَابَدَ ٱللَّيْلَ هَائِمٌ بِهَائِمَةٍ مَا هُوِّمَتْ مُقْلَتَاهُمَا

فتعرفُ أنِّي أنا هوَ ، ثمَّ قالَ خِداشٌ : سِرْ عنكَ ، ودنا حتىٰ قرنَ ناقتَهُ بناقتِهِ ، وضربَهُ بسيفِهِ فأطارَ قحفَهُ وبقيَ سائرُهُ فوقَ رحلِهِ يَضطرِبُ .

ثمَّ انصرفَ فأتى المكانَ الذي وصفَهُ سَلْمٌ ، فقعدَ فيهِ ليلاً ، وخرجَتِ الربابُ وهيَ تَتكلَّمُ بذٰلكَ البيتِ ، فجاوبَها بالآخرِ ، فدنَتْ منهُ وهيَ ترىٰ أنَّهُ سَلْمٌ ، فقنَّعَها بالسيفِ ففلقَ ما بينَ المَفرِقِ إلى الزورِ ، ثمَّ ركبَ وانطلقَ .

يُضرَبُ في التغابي والتغاضي عنِ الشيءِ .

قلتُ [١] : بقيَ معنىٰ قولِهِ (سِرْ عنكَ) قيلَ : معناهُ : دعْني واذهبْ عنِّي ، وقيلَ : معناهُ : لا تربعْ علىٰ نفسِكَ ، وإذا لم يربعْ علىٰ نفسِهِ . . فقدْ سارَ عنها ، وقيلَ : العربُ تزيدُ في الكلامِ (عن) ، فتقولُ : دعْ عنكَ الشكَّ ؛ أي : دعِ الشكَّ ، وقيلَ : أرادوا بـ (عنك) : لا أبا لكَ ، وأنشدَ : [من مشطور الرجز]

فَصَارَ وَٱلْيَوْمُ لَهُ بَلَابِلُ

مِنْ حُبِّ جُمْلٍ عَنْكَ مَا يُزَايِلُ

أي : لا أبا لكَ ، فعلىٰ هٰذا : معناهُ : سِرْ لا أبا لكَ ، علىٰ عادتِهِم في الدعاءِ على الإنسانِ مِنْ غيرِ إرادةِ الوقوعِ [٢] .

صدقَني سِنَّ بَكْرِهِ

البَكْرُ : الفتيُّ مِنَ الإبلِ ، ويُقالُ : صدقتُهُ الحديثَ وفي الحديثِ ، يُضرَبُ مثلاً في الصدقِ ، وأصلُهُ : أنَّ رجلاً ساومَ رجلاً في بَكْرٍ ، فقالَ : ما سنُّهُ ؟ فقالَ صاحبُهُ : بازلٌ ، ثمَّ نفرَ البكرُ ، فقالَ لهُ صاحبُهُ : هِدَعْ هِدَعْ ، وهٰذِهِ لفظةٌ يُسكَّنُ بها الصِّغارُ مِنَ الإبلِ ، فلمَّا سمعَ المشتري هٰذِهِ الكلمةَ . . قالَ : صدقَني سنَّ بَكْرِهِ ، ونصبَ (سنَّ) علىٰ معنىٰ : عَرَّفَني سِنَّ ، ويجوزُ أن يُقالُ : أرادَ : صدقَني خبرَ سنّ ، ثمَّ حُذِفَ المُضافُ ، ويُروىٰ : صدقَني سنُّ بالرفعِ ، جعلَ الصدقَ للسنِّ توسُّعاً .

قالَ أبو عبيدٍ : (وهٰذا المثلُ يُروىٰ عن عليٍّ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ أنَّهُ أُتِيَ فقيلَ لهُ : إنَّ بني فلانٍ وبني فلانٍ اقتتلوا ، فغلبَ بنو فلانٍ ، فأنكرَ ذٰلكَ ، ثمَّ

---

(١) القائل : هو العلامة الميداني في « مجمع الأمثال » .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (٢/١٤٧ ـ ١٤٨) .

أتاهُ آتٍ فقالَ : بل غلبَ بنو فلانٍ ؛ للقبيلةِ الأُخرىٰ ، فقالَ عليٌّ : صدقَني سنَّ بَكْرِهِ)[١] .

وقالَ أبو عمرٍو : دخلَ الأحنفُ علىٰ معاويةَ بعدَما مضىٰ عليٌّ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ ، فعاتبَهُ معاويةُ وقالَ لهُ : أما إنِّي لم أنسَ ولم أجهلِ اعتزالَكَ يومَ الجملِ ببني سعدٍ ، ونزولَكَ بهِم سفوانَ وقريشٌ تذبحُ بناحيةِ البصرةِ ذبحَ الحَيرانِ ، ولم أنسَ طلبَكَ إلى ابنِ أبي طالبٍ أن يدخلَكَ في الحكومةِ أن تزيلَ عنِّي أمراً جعلَهُ اللهُ لي وقضاهُ ، ولم أنسَ تحضيضَكَ بني تميمٍ يومَ صفينَ علىٰ نصرةِ عليٍّ ، كلٌّ يبكتُهُ[٢] .

قالَ : فخرجَ الأحنفُ مِنْ عندِهِ ، فقيلَ لهُ : ما صنعَ بكَ ؟ وما قالَ لكَ ؟ قالَ : صدقَني سنَّ بكرِهِ ؛ أي : خَبَّرَني بما في نفسِهِ وما انطوَتْ عليهِ ضُلوعُهُ .

صارَتِ الفتيانُ حُمَماً

هٰذا مِنْ قولِ الحمراءِ بنتِ ضمرةَ بنِ جابرٍ ؛ وذٰلكَ أنَّ بني تميمٍ قتلوا سعدَ بنَ هندٍ أخا عمرِو بنِ هندٍ الملكِ ، فنذرَ عمرٌو ليقتلَنَّ بأخيهِ مئةً مِنْ بني تميمٍ ، فجمعَ أهلَ مملكتِهِ ، فسارَ إليهِم ، فبلغَهُمُ الخبرُ ، فتَفرَّقوا في نواحي بلادِهِم ، فأتىٰ دارَهُم ، فلم يجدْ إلَّا عجوزاً كبيرةً ؛ وهيَ الحمراءُ بنتُ ضمرةَ ، فلمَّا نظرَ إليها وإلىٰ حمرتِها . . قالَ لها : إنِّي لَأحسبُكِ أعجميةً ، فقالَتْ : لا ، والذي أسألُهُ أن يخفضَ جناحَكَ ، ويَهُدَّ عمادَكَ ، ويضعَ وسادَكَ ، ويَسلُبَكَ بلادَكَ ؛ ما أنا بأعجميةٍ .

قالَ : فمَنْ أنتِ ؟ قالَتْ : أنا بنتُ ضمرةَ بنِ جابرٍ ، سادَ مَعدّاً كابراً عن

---

(١) الأمثال (ص ٤٩) للقاسم بن سلام .

(٢) في « مجمع الأمثال » (٢/٢٥٤) : (يبكيه) .

كابرٍ ، وأنا أختُ ضمرةَ بنِ ضمرةَ ، قالَ : فمَنْ زوجُكِ ؟ قالَتْ : هوذةُ بنُ جرولٍ ، قالَ : وأينَ هوَ الآنَ ؟ أَمَا تعرفينَ مكانَهُ ؟ قالَتْ : هٰذهِ كلمةُ أحمقَ ، لو كنتُ أعلمُ مكانَهُ حالَ بينَكَ وبيني ، قالَ : وأيُّ رجلٍ هوَ ؟ قالَتْ : هٰذهِ أحمقُ مِنَ الأولىٰ ، أعن هوذةَ يُسأَلُ ؟ هوَ واللهِ طيبُ العرقِ ، سمينُ العَرْقِ ، لا ينامُ ليلةَ يخافُ ، ولا يشبعُ ليلةَ يُضافُ ، يأكلُ ما وجدَ ، ولا يَسألُ عمَّا فقدَ .

فقالَ عمرٌو : أَمَا واللهِ لولا أنِّي أخافُ أن تلدي مثلَ أبيكِ وأخيكِ وزوجِكِ . . لاستبقيتُكِ ، فقالَتْ : وأنتَ واللهِ لا تقتلُ إلَّا نساءً أعاليها ثُدِيٌّ ، وأسافلُها دُمِيٌّ ، واللهِ ؛ ما أدركتَ ثاراً ، ولا محوتَ عاراً ، وما مَنْ فعلتَ هٰذهِ بهِ بغافلٍ عنكَ ، ومعَ اليومِ غدٌ ، فأمرَ بإحراقِها ، فلمَّا نظرَتْ إلى النارِ . . قالَتْ : ألا فتىً مكانَ عجوزٍ ، فذهبَتْ مثلاً ، ثمَّ مكثَتْ ساعةً ، فلم يُفدِها أحدٌ ، فقالَتْ هيهاتَ ، صارَتِ الفتيانُ حُمَماً ، فذهبت مثلاً ، ثمَّ أُلقِيَتْ في النارِ .

ولبثَ عمرٌو عامَّةَ يومِهِ لا يَقدِرُ علىٰ أحدٍ ، حتىٰ إذا كانَ في آخرِ النهارِ . . أقبلَ راكبٌ يُسمَّىٰ عمَّاراً تُوضَعُ بهِ راحلتُهُ ، حتىٰ أناخَ إليهِ ، فقالَ لهُ عمرٌو : مَنْ أنتَ ؟ قالَ : أنا رجلٌ مِنَ البراجمِ ، قالَ : فما جاءَ بكَ إلينا ؟ قالَ : سطعُ الدخانِ ، وكنتُ قد طويتُ منذُ أيامٍ ، فظننتُهُ طعاماً ، فقالَ عمرٌو : إنَّ الشقيَّ وافدُ البراجمِ ، فذهبَت مثلاً ، وأمر بهِ فأُلقِيَ في النارِ ، فقالَ بعضُهُم : ما بلغَنا أنَّهُ أصابَ مِنْ بني تميمٍ غيرَهُ ، وإنَّما أحرقَ النساءَ والصبيانَ ، وفي ذٰلكَ يقولُ جريرٌ (١) : [من الطويل]

وَأَخْزَاكُمُ عَمْرٌو كَمَا قَدْ خَزِيتُمُ وَأَدْرَكَ عَمَّاراً شَقِيَّ ٱلْبَرَاجِمِ

---

(١) انظر « ديوان جرير » (٢/١٠٠٧) .

ولذٰلكَ عُيِّرَتْ بنو تميمٍ بحبِّ الطعامِ ؛ لِمَا لقيَ هٰذا الرجلُ ، قالَ الشاعرُ : [من الوافر]

إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِئْ بِزَادِ
بِخُبْزٍ أَوْ بِلَحْمٍ أَوْ بِتَمْرٍ أَوِ ٱلشَّيْءِ ٱلْمُلَفَّفِ فِي ٱلْبِجَادِ
تَرَاهُ يَنْقُبُ ٱلْآفَاقَ حَوْلاً لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عَادِ (١)

صُغراهُنَّ شُرَّاهُنَّ

ويُروىٰ : صغراها شُرَّاها ، ويُروىٰ : مُرَّاها ، وأوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : امرأةٌ كانَتْ في زمنِ لقمانَ بنِ عادٍ ، وكانَ لها زوجٌ يُقالُ لهُ : الشَّجيُّ ، وخليلٌ يُقالُ لهُ : الخَلِيُّ ، فنزلَ لقمانُ بهِم ، فرأىٰ هٰذهِ المرأةَ ذاتَ يومٍ انتبذَتْ مِنْ بيوتِ الحيِّ ، فارتابَ لقمانُ بأمرِها فتبعَها ، فرأىٰ رجلاً عرضَ لها ، ومضيا جميعاً ، وقضيا حاجتَهُما ، ثمَّ إنَّ المرأةَ قالَتْ للرجلِ : إنِّي أتماوتُ ، فإذا أسندوني في رَجَمِي ، فأتني ليلاً فأخرجْني ، ثمَّ اذهبْ إلىٰ مكانٍ لا يَعرِفُنا أهلُهُ ، فلمَّا سمعَ لقمانُ ذٰلكَ . . قالَ : ويلٌ للشجيِّ مِنَ الخليِّ ، فذهبَتْ مثلاً .

ثمَّ رجعَتِ المرأةُ إلىٰ مكانِها ، وفعلَتْ ما قالَتْ ، فأخرجَها الرجلُ ، وانطلقَ بها أياماً إلىٰ مكانٍ آخَرَ ، ثمَّ تَحوَّلَتْ إلى الحيِّ بعدَ برهةٍ ، فبينا هيَ ذاتَ يومٍ قاعدةٌ . . مَرَّتْ بها بناتُها ، فنظرَتْ إليها الكبرىٰ ، فقالَتْ : أُمِّي واللهِ ، فقالَتِ الوسطىٰ : صدقتِ واللهِ ، قالَتِ المرأةُ : كذبتُما ، ما أنا لكُما بأُمٍّ ، ولا لأبيكُما بامرأةٍ ، فقالَتْ لهُما الصُّغرىٰ : أما تعرفانِ محيَّاها ، وتَعلَّقَتْ بها ، وصرخَتْ ، فقالَتِ الأُمُّ حينَ رأَتْ ذٰلكَ : صغراهُنَّ شُرَّاهن ، فذهبَتْ مثلاً .

ثمَّ إنَّ الناسَ اجتمعوا ، فعرفوها ، فرفعوا القصَّةَ إلىٰ لقمانَ بنِ عادٍ ،

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٢٥٧ ـ ٢٥٩) .

وقالوا له : اقضِ بينَنا ، فلمَّا نظرَ لقمانُ إلى المرأةِ . . عرفَها ، فقالَ : عندَ جهينةَ الخبرُ اليقينُ ـ يعني نفسَهُ ، وما عاينَ منها ـ فأخبرَ لقمانُ الزوجَ بما عرفَ ، وأقبلَ على المرأةِ فقَصَّ عليها قصتَها كيفَ صنعَتْ ، وكيفَ قالَتْ لصديقِها ، فلمَّا أتاها بما لا تُنكِرُ . . قالَتْ : **ما كانَ هـٰذا في حسابي** ، فأرسلَتْها مثلاً ، فقيلَ للقمانَ : احكمْ فيها ، فقالَ : ارجموها كما رجمَتْ نفسَها في حياتِها ، فرُجِمَتْ ، فقالَ الشَّجيُّ : احكمْ بيني وبينَ الخَليِّ ؛ فقد فَرَّقَ بيني وبينَ أهلي ، فقالَ : يُفرَّقُ بينَ ذَكَرِهِ وأُنثيَيهِ كما فَرَّقَ بينَكَ وبينَ أُنثاكَ ، فأُخِذَ الخَليُّ فجُبَّ ذَكَرُهُ .

صحيفةُ المُتلمِّسِ

قالَ المُفضَّلُ : كانَ مِنْ حديثِها : أنَّ عمرَو بنَ المنذرِ بنِ امرئِ القيسِ كانَ يُرشِّحُ أخاهُ قابوسَ ـ وهُما لهندِ بنتِ الحارثِ بنِ عمرٍو الكنديِّ آكلِ المِرارِ ـ ليملكَ بعدَهُ ، فقدمَ عليهِ المُتلمِّسُ وطرفةُ ، فجعلَهُما في صحابةِ قابوسَ ، وأمرَهُما بلزومِهِ ، وكانَ قابوسُ شابّاً يعجبُهُ اللَّهوُ ، وكانَ يركبُ يوماً في الصيدِ ، فيركضُ ويتصيَّدُ وهُما معَهُ يركضانِ حتىٰ رجعا عشيةً وقد لغبا ، فيكونُ قابوسُ مِنَ الغدِ في الشرابِ ، فيقفانِ ببابِ سرادقِهِ إلى العشيِّ ، وكانَ قابوسُ يوماً على الشرابِ ، فوقفا ببابِهِ النهارَ كلَّهُ ، ولم يصلا إليهِ ، فضجرَ طرفةُ وقالَ [١] : [من الوافر]

فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ ٱلْمَلْكِ عَمْرٍو ... رَغُوثاً حَوْلَ قُبَّتِنَا تَخُورُ
مِنَ ٱلزَّمِرَاتِ أَسْبَلَ قَادِمَاهَا ... وَضَرَّتُهَا مُرَكَّنَةٌ دَرُورُ
يُشَارِكُنَا لَنَا رِخْلَانِ فِيهَا ... وَتَعْلُوهَا ٱلْكِبَاشُ فَمَا تَنُورُ

(١) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ١٠١ ـ ١٠٣) .

لَـعَـمْـرُكَ إِنَّ قَـابُـوسَ ٱبْـنَ هِـنْـدٍ ... لَـيَـخْـلِـطُ مُـلْـكَـهُ نُـوكٌ كَـثِـيـرُ
قَـسَـمْـتَ ٱلـدَّهْـرَ فِـي زَمَـنٍ رَخِـيٍّ ... كَـذَاكَ ٱلْـحُـكْـمُ يُـقْـصَـدُ أَوْ يَـجُـورُ
لَـنَـا يَـوْمٌ وَلِـلْـكَـرَوَانِ يَـوْمٌ ... تَـطِـيـرُ ٱلْـبَـائِـسَـاتُ وَلَا نَـطِـيـرُ
فَـأَمَّـا يَـوْمُـهُـنَّ فَـيَـوْمُ سُـوءٍ ... يُـطَـارِدُهُـنَّ بِـٱلْـحَـدَبِ ٱلـصُّـقُـورُ
وَأَمَّـا يَـوْمُـنَـا فَـنَـظَـلُّ رَكْـبـاً ... وُقُـوفـاً مَـا نَـحُـلُّ وَلَا نَـسِـيـرُ

وكانَ طرفةُ عدوّاً لابنِ عمِّهِ عبدِ عمرٍو ، وكانَ كريماً علىٰ عمرِو ابن هندٍ ، وكانَ سميناً بادناً ، فدخلَ معَ عمرٍو الحمَّامَ ، فلمَّا تَجرَّدَ . . قالَ عمرُو ابنُ هندٍ : لقد كانَ ابنُ عمِّكَ طرفةُ رآكَ حينَ قالَ ما قالَ ، وكانَ طرفةُ هجا عبدَ عمرٍو فقالَ(١) : [من الطويل]

وَلَا خَيْـرَ فِيـهِ غَيْـرَ أَنَّ لَـهُ غِنـىً ... وَأَنَّ لَـهُ كَـشْـحـاً إِذَا قَـامَ أَهْـضَـمَـا
تَظَلُّ نِسَاءُ ٱلْحَيِّ يَعْكُفْنَ حَوْلَهُ ... يَقُلْنَ عَسِيبٌ مِنْ سَرَارَةِ مَلْهَمَا
لَـهُ شَـرْبَـتَـانِ بِـٱلْـعَـشِـيِّ وَشَـرْبَـةٌ ... مِنَ ٱللَّيْلِ حَتَّىٰ آضَ جَبْساً مُوَرَّمَا
وَيَشْرَبُ حَتَّىٰ يَغْمِرَ ٱلْمَحْضُ قَلْبَهُ ... فَإِنْ أُعْطِهِ أَتْرُكْ لِقَلْبِي مَجْثَمَا

فلمَّا قالَ لهُ ذٰلكَ . . قالَ عبدُ عمرٍو : إنَّهُ قالَ ما قالَ ، وأنشدَهُ : (فليتَ لنا مكانَ المَلْكِ عمرٍو) ، فقالَ عمرٌو : ما أُصَدِّقُكَ عليهِ ، وقد صَدَّقَهُ ، ولٰكنْ خافَ أن ينذرَهُ وتدركَهُ الرحمةُ ، فمكثَ غيرَ كثيرٍ ، ثمَّ دعا المُتلمِّسَ وطرفةَ ، فقالَ : لعلَّكُما قدِ اشتقتُما إلىٰ أهلِكُما ، وسَرَّكُما أن تنصرفا ؟ قالا : نعم ، فكتبَ لهُما إلىٰ أبي كربٍ عاملِهِ علىٰ هجرٍ أن يَقتلَهُما ، وأخبرَهُما أنَّهُ قد كتبَ لهُما بحباءٍ ومعروفٍ ، وأعطىٰ كلَّ واحدٍ منهُما شيئاً ، فخرجا .

وكانَ المُتلمِّسُ قد أسنَّ ، فمرَّا بنهرِ الحِيرةِ علىٰ غلمانٍ يلعبونَ ، فقالَ

---

(١) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ٩٩ ـ ١٠٠) .

المُتلمِّسُ : هل لكَ في كتابينا ، فإن كانَ فيهما خيرٌ . . مضينا لهُ ، وإن كانَ شرٌّ . . اتقيناهُ ، فأبىٰ طرفةُ عليهِ ، فأعطى المُتلمِّسُ كتابَهُ بعضَ الغلمانِ ، فقرأَهُ عليهِ ، فإذا فيهِ السوءةُ ، فألقىٰ كتابَهُ في الماءِ ، وقالَ لطرفةَ : أطعْني وألقِ كتابَكَ ، فأبىٰ طرفةُ ومضىٰ بكتابِهِ ، قالَ : ومضى المُتلمِّسُ حتىٰ لحقَ بملوكِ بني جفنةَ بالشامِ ، وقالَ المُتلمِّسُ في ذٰلكَ : [من الكامل]

مَنْ مُبْلِغُ ٱلشُّعَرَاءِ عَنْ أَخَوَيْهِمِ … نَبَأً فَتَصْدُقَهُمْ بِذَاكَ ٱلْأَنْفُسُ
أَوْدَى ٱلَّذِي عَلِقَ ٱلصَّحِيفَةَ مِنْهُمَا … وَنَجَا حِذَارَ حِبَائِهِ ٱلْمُتَلَمِّسُ
أَلْقَىٰ صَحِيفَتَهُ وَنَجَّتْ كُورَهُ … وَجْنَاءُ مُجْمَرَةُ ٱلْمَنَاسِمِ عِرْمِسُ
عَيْرَانَةٌ طَبَخَ ٱلْهَوَاجِرُ لَحْمَهَا … فَكَأَنَّ نُقْبَتَهَا أَدِيمٌ أَمْلَسُ
أَلْقِ ٱلصَّحِيفَةَ لَا أَبَا لَكَ إِنَّهُ … يُخْشَىٰ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْحِبَاءِ ٱلنِّقْرِسُ

ومضىٰ طرفةُ بكتابِهِ إلى العاملِ ، فقتلَهُ .

وروىٰ عبيدٌ راويةُ الأعشىٰ قالَ : حدَّثَني الأعشىٰ قالَ : حدَّثَني المُتلمِّسُ ـ واسمُهُ عبدُ المسيحِ بنُ جريرٍ ـ قالَ : قدمتُ أنا وطرفةُ بنُ العبدِ علىٰ عمرِو ابنِ هندٍ ، وكانَ طرفةُ غلاماً مُعجَباً تائهاً ، فجعلَ يتخلَّجُ في مشيِهِ بينَ يدَيهِ ، فنظرَ إليهِ نظرةً كادَتْ تَقتلعُهُ مِنْ مجلسِهِ ، وكانَ عمرٌو لا يَتبسَّمُ ولا يضحكُ ، وكانَتِ العربُ تُسمِّيهِ : مُضَرِّطَ الحجارةِ ؛ لشدَّةِ ملكِهِ ، وملكَ ثلاثاً وخمسينَ سنةً .

وكانَتِ العربُ تهابُهُ هيبةً شديدةً ، وهوَ الذي يقولُ لهُ الذهابُ العجليُّ ؛ واسمُهُ مالكُ بنُ جندلِ بنِ سلمةَ ، من بني عجلٍ ، ولُقِّبَ بالذهابِ لقولِهِ : [من الطويل]

وَمَا سَيْرُهُنَّ إِذْ عَلَوْنَ قُرَاقِراً … بِذِي أَمَمٍ وَلَا ٱلذَّهَابُ ذَهَابُ

[قالَ] : [من الطويل]

أَبَى ٱلْقَلْبُ أَنْ يَأْتِي ٱلسَّدِيرَ وَأَهْلَهُ   وَإِنْ قِيلَ عَيْشٌ بِٱلسَّدِيرِ غَرِيرُ
بِهِ ٱلْبَقُّ وَٱلْحُمَّىٰ وَأُسْدٌ خَفِيَّةٌ   وَعَمْرُو ٱبْنُ هِنْدٍ يَعْتَدِي وَيَجُورُ

قالَ المُتلمِّسُ : فقلتُ لطرفةَ حينَ قمنا : يا طرفةُ ؛ إنِّي أخافُ عليكَ مِنْ نظرتِهِ إليكَ معَ ما قلتَ لأخيهِ ، قالَ : كلَّا ، قالَ : فكتبَ إلى المُكعبرِ ـ وكانَ عاملَهُ على البحرينِ وعُمانَ ـ لي كتاباً ولطرفةَ كتاباً ، فخرجنا ، حتىٰ إذا هبطنا بذي الركابِ مِنَ النجفِ . . إذا أنا بشيخٍ عن يساري يَتبرَّزُ ومعَهُ كِسرةٌ يأكلُها ويقصعُ القملَ ، فقلتُ : تاللهِ إن رأيتُ شيخاً أحمقَ وأضعفَ وأقلَّ عقلاً منكَ !! قالَ : ما تنكرُ ؟ قلتُ : تَتبرَّزُ وتأكلُ وتقصعُ القملَ !! قالَ : أُخرِجُ خبيثاً ، وأُدخِلُ طيّباً ، وأقتلُ عدوّاً ، وأحمقُ منّي وألأَمُ حاملُ حتفِهِ بيمينِهِ لا يدري ما فيهِ ، فنبَّهَني ، وكأنَّما كنتُ نائماً ، فإذا أنا بغلامٍ مِنْ أهلِ الحِيرةِ يسقي غُنَيمةً لهُ مِنْ نهرِ الحِيرةِ ، فقلتُ : يا غلامُ ؛ أتقرأُ ؟ قالَ : نعم ، قلتُ : اقرأْ ، فإذا فيهِ : باسمِكَ اللهمَّ ، مِنْ عمرِو ابنِ هندٍ ، إلى المُكعبرِ ، إذا أتاكَ كتابي هٰذا معَ المُتلمِّسِ . . فاقطعْ يدَيهِ ورجلَيهِ ، وادفنْهُ حَيّاً ، فألقيتُ الصَّحيفةَ في النهرِ ، وذٰلكَ حينَ أقولُ (١) : [من الطويل]

أَلْقَيْتُهَا بِٱلثِّنْيِ مِنْ جَنْبِ كَافِرٍ   كَذَٰلِكَ أَقْنُو كُلَّ قِطٍّ مُضَلِّلِ
رَضِيتُ لَهَا لَمَّا رَأَيْتُ مِدَادَهَا   يَجُولُ بِهِ ٱلتَّيَّارُ فِي كُلِّ جَدْوَلِ

وقلتُ : يا طرفةُ ؛ معَكَ واللهِ مثلُها ، قالَ : كلَّا ، ما كانَ ليكتبَ بمثلِ ذٰلكَ في عقرِ دارِ قومي ، فأتى المكعبرَ ، فقطعَ يدَيهِ ورجلَيهِ ، ودفنَهُ حيّاً .

يُضرَبُ لمَنْ يسعىٰ بنفسِهِ في حَيْنِها ويُغرِّرُها (٢) .

---

(١) انظر « ديوان المتلمس الضبعي » (ص ٦٥ ـ ٦٧) .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٢٦٧ ـ ٢٧٠) .

طالَ الأبدُ علىٰ لُبَدٍ

يعنونَ : آخرَ نسورِ لقمانِ بنِ عادٍ ، وكانَ قد عُمِّرَ عُمُرَ سبعةِ أنسرٍ ، وكانَ يأخذُ فرخَ النسرِ فيجعلُهُ في جوبةٍ في الجبلِ الذي هوَ في أصلِهِ ، فيعيشُ الفرخُ خمسَ مئةِ سنةٍ أو أقلَّ أو أكثرَ ، فإذا ماتَ . . أخذَ آخرَ مكانَهُ ، حتىٰ هلكَتْ كلُّها إلَّا السابعَ ، أخذَهُ فوضعَهُ في ذٰلكَ الموضعِ وسمَّاهُ [لُبداً] ، وكانَ أطولَها عُمُراً ، فضربَتِ العربُ بهِ المثلَ ، فقالوا : طالَ الأبدُ علىٰ لُبدٍ ، قالَ الأعشىٰ : [من الطويل]

وَأَنْتَ ٱلَّذِي أَلْهَيْتَ قَيْلاً بِكَاسِهِ ... وَلُقْمَانَ إِذْ خَيَّرْتَ لُقْمَانَ فِي ٱلْعُمْرِ
لِنَفْسِكَ أَنْ تَخْتَارَ سَبْعَةَ أَنْسُرٍ ... إِذَا مَا مَضَىٰ نَسْرٌ خَلَوْتَ إِلَىٰ نَسْرِ
فَعُمِّرَ حَتَّىٰ خَالَ أَنَّ نُسُورَهُ ... خُلُودٌ وَهَلْ تَبْقَى ٱلنُّفُوسُ عَلَى ٱلدَّهْرِ

فعاشَ لقمانُ ـ زعموا ـ ثلاثةَ آلافٍ وخمسَ مئةِ سنةٍ ، قالَ النابغةُ (١) : [من البسيط]

أَخْنَىٰ عَلَيْهَا ٱلَّذِي أَخْنَىٰ عَلَىٰ لُبَدِ

وقالَ لبيدٌ (٢) : [من الكامل]

وَلَقَدْ جَرَىٰ لُبَدٌ فَأَدْرَكَ جَرْيَهُ ... رَيْبُ ٱلْمَنُونِ وَكَانَ غَيْرَ مُثَقَّلِ
لَمَّا رَأَىٰ لُبَدُ ٱلنُّسُورَ تَطَايَرَتْ ... رَفَعَ ٱلْقَوَادِمَ كَٱلْفَقِيرِ ٱلْأَعْزَلِ
مِنْ تَحْتِهِ لُقْمَانُ يَرْجُو نَهْضَهُ ... وَلَقَدْ يَرَىٰ لُقْمَانُ أَلَّا يَأْتَلِي

قالَ أبو عبيدةَ : هوَ لقمانُ بنُ عاديا بنِ لجينِ بنِ عادِ بنِ عوصِ بنِ إرمَ بنِ

---

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ١٦) ، وهو عجز بيت ، والبيت بتمامه :
أَضْحَتْ خَلَاءً وَأَضْحَىٰ أَهْلُهَا ٱحْتَمَلُوا ... أَخْنَىٰ عَلَيْهَا ٱلَّذِي أَخْنَىٰ عَلَىٰ لُبَدِ
(٢) انظر « ديوان لبيد » رضي الله عنه (ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥) .

سامِ بنِ نوحٍ ، كأنَّهُ جعلَ عادياً وعاداً اسمَيْ رجلٍ ، والعربُ تزعمُ أنَّ لقمانَ خُيِّرَ بينَ بقاءِ سبعِ بعراتٍ سُمْرٍ مِنْ أظبٍ عُفْرٍ في جبلٍ وعرٍ لا يمسُّها القطرُ ، وبينَ بقاءِ سبعةِ أنسرٍ ، كلَّما هلكَ نسرٌ . . خلفَ بعدَهُ نسرٌ ، فاستحقرَ الأبعارَ ، واختارَ النسورَ ، فلمَّا لم يبقَ غيرُ السابعِ . . قالَ ابنُ أخٍ لهُ : يا عمُّ ؛ ما بقيَ مِنْ عمرِكَ إلَّا عمرُ هـٰذا ، فقالَ لقمانُ : هـٰذا لُبدٌ ولبدٌ بلسانِهم : الدَّهرُ ، فلمَّا انقضىٰ عمرُ لُبدٍ . . رآهُ لقمانُ واقعاً ، فناداهُ : انهضْ لُبدُ ، فذهبَ لينهضَ فلم يستطعْ ، فسقطَ وماتَ ، وماتَ لقمانُ معَهُ ، فضُرِبَ بهِ المثلُ ، فقيلَ : **طالَ الأبدُ علىٰ لُبدٍ ، وأتىٰ أبدٌ علىٰ لبدٍ**[1] .

أظنُّ ماءَكُم هـٰذا ماءَ عِناقٍ

قالوا : كانَ مِنْ حديثِهِ : أنَّ رجلاً بينا هوَ يستقي وبيتُهُ تِلقاءَ وجهِهِ ، فنظرَ فإذا هوَ برجلٍ معانقٍ امرأتَهُ يُقبِّلُها ، فأخذَ العصا وأقبلَ مسرعاً لا يَشُكُّ فيما رأىٰ ، فلمَّا رأتْهُ امرأتُهُ . . جعلَتِ الرجلَ في خالفةِ البيتِ بينَ الخالفةِ والمتاعِ ، فنظرَ يميناً وشمالاً فلم يرَ شيئاً ، وخرجَ فنظرَ في الأرضِ فلم يرَ شيئاً ، فكَذَّبَ بصرَهُ ، فقالَتِ المرأةُ كأنَّها تريهِ أنَّها قدِ استنكرَتْ مِنْ أمرِهِ شيئاً : ما دهاكَ يا أبا فلانٍ ؟ أرعبَكَ شيءٌ ؟ فكتمَها الذي رأىٰ ، ومضىٰ لحاجتِهِ .

فلمَّا كانَ في الوردِ الثاني . . قالَتْ : يا أبا فلانٍ ؛ هل لكَ أن أكفيَكَ السَّقيَ وتُودِّعَ اليومَ ؟ فإنِّي قد أشفقتُ عليكَ ، قالَ : نعم ، إن شئتِ ، فأقامَ في المنزلِ ، فانطلقَتْ تسقي وتَحَيَّنَتْ منهُ غفلةً ، فأخذَتِ العصا ثمَّ أقبلَتْ حتىٰ تفلقَ بها رأسَهُ فشَجَّتْهُ ، فقالَ : ويلَكِ !! ما لكِ وما دهاكِ ؟! قالَتْ : وما دهاني يا فاسقُ ، أينَ المرأةُ التي كانَتْ معَكَ تعانقُها ؟! فقالَ : لا واللهِ ما كانَتْ عندي امرأةٌ وما عانقتُ اليومَ امرأةً ، قالَتْ : بلىٰ ، أنا نظرتُ إليها

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٣٢٧ ـ ٣٢٨) .

بعيني وأنا على الماءِ ، فتحالفَها ، فلمَّا أكثرَتْ . . قالَ : إن تكوني صادقةً . . فإنَّ ماءَكُم هـٰذا ماءُ عِناقٍ .

يُضرَبُ مثلاً في الدواهي ، قالَهُ أبو عمرٍو ، وروىٰ غيرُهُ : عَناقٌ بفتحِ العينِ ، وقالَ : العَناقُ والعَناقةُ : الخَيبةُ ، وأنشدَ : [من الوافر]

سَرَىٰ لَكَ بِٱلْعَنَاقَةِ مِنْ سُعَادٍ خَيَالٌ فَٱجْتَنَىٰ ثَمَرَ ٱلْفُؤَادِ

وهُما مستعارانِ للخيبةِ والأمرِ المظلمِ ؛ مِنْ عَناقِ الأرضِ ، ومنهُ قولُهُم : لقيتُ منهُ أُذنَيْ عَناقٍ ؛ لأنَّهُما مسودانِ ، ولا يفارقُهُما السوادُ (١) .

عندَ الصباحِ يَحمَدُ القومُ السُّرَىٰ

قالَ المُفضَّلُ : إنَّ أولَ مَنْ قالَ ذٰلكَ : خالدُ بنُ الوليدِ ؛ لمَّا بعثَ إليهِ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُما وهوَ باليمامةِ : أن سِرْ إلى العراقِ ، فأرادَ سلوكَ المفازةِ ، فقالَ لهُ رافعٌ الطائيُّ : قد سلكتُها في الجاهليةِ ؛ هيَ خمسٌ للإبلِ الواردةِ ، ولا أظنُّكَ تَقدِرُ عليها إلَّا أن تَحمِلَ مِنَ الماءِ ، فاشترىٰ مئةَ شارفٍ ، فعَطَّشَها ، ثمَّ سقاها الماءَ حتىٰ رَوِيَتْ ، ثمَّ كتبَها وكعمَ أفواهَها ، ثمَّ سلكَ المفازةَ ، حتىٰ إذا مضىٰ يومانِ وخافَ العطشَ على الناسِ والخيلِ ، وخشيَ أن يذهبَ ما في بطونِ الإبلِ . . نحرَ الإبلَ ، واستخرجَ ما في بطونِها مِنَ الماءِ فسقى الناسَ والخيلَ ، ومضىٰ .

فلمَّا كانَ في الليلةِ الرابعةِ . . قالَ رافعٌ : انظروا هل ترون سدراً عظيماً ؛ فإن رأيتمُوها ، وإلَّا . . فهوَ الهلاكُ ، فنظرَ الناسُ ، فرأَوُا السدرَ ، فأخبروهُ ، فكَبَّرَ وكَبَّرَ الناسُ ، ثم هجموا على الماءِ ، فقالَ خالدٌ : [من مشطور الرجز]

لِلهِ دَرُّ رَافِعٍ أَنَّى ٱهْتَدَىٰ

---

(١) في هامش نسخة الأصل : (عناق الأرض : دابة سوداء) ، وانظر « مجمع الأمثال » (٢/٣٥٧ ـ ٣٥٨) .

فَــوَّزَ مِــنْ قُــرَاقِــرٍ إِلَــىٰ سُــوَىٰ
خَـمْـسـاً إِذَا سَـارَ بِـهِ ٱلْـجَـيْـشُ بَـكَـىٰ
مَـا سَـارَهَـا مِـنْ قَـبْـلِـهِ إِنْـسٌ يُـرَىٰ
عِـنْـدَ ٱلـصَّـبَـاحِ يَـحْـمَـدُ ٱلْـقَـوْمُ ٱلـسُّـرَىٰ
وَتَـنْـجَـلِـي عَـنْـهُـمْ غَـيَـابَـاتُ ٱلْـكَـرَىٰ

يُضرَبُ للرجلِ يَحتمِلُ المَشقَّةَ رجاءَ الراحةِ (١) .

عندَ جُهَينةَ الخبرُ اليقينُ

قالَ هشامُ بنُ الكلبيّ : كانَ مِنْ حديثِهِ : أنَّ حصينَ بنَ عمرِو بنِ معاويةَ بنِ كلابٍ خرجَ ومعَهُ رجلٌ مِنْ جُهَينةَ يُقالُ لهُ : الأخنسُ بنُ كعبٍ ، وكانَ الأخنسُ قد أحدثَ في قومِهِ حدثاً ، فخرجَ هارباً ، فلقيَهُ الحصينُ ، فقالَ لهُ : مَنْ أنتَ ثكلَتْكَ أُمُّكَ ؟ فقالَ لهُ الأخنسُ : بل مَنْ أنتَ ثكلَتْكَ أُمُّكَ ؟ فردَّدَ هٰذا القولَ حتىٰ قالَ الأخنسُ : أنا الأخنسُ بنُ كعبٍ ، فأخبِرْني مَنْ أنتَ ، وإلَّا . . أنفذتُ قلبَكَ بهٰذا السِّنانِ ، فقالَ لهُ الحصينُ : أنا الحصينُ بنُ عمرٍو الكلابيُّ ، ويُقالُ : بل هوَ الحصينُ بنُ سبيعٍ الغطفانيُّ ، فقالَ لهُ الأخنسُ : فما الذي تريدُ ؟ قالَ : خرجتُ لما يخرجُ لهُ الفتيانُ ، قالَ الأخنسُ : وأنا خرجتُ لمثلِ ذٰلكَ ، فقالَ لهُ الحصينُ : هل لكَ أن نتعاقدَ ألَّا نلتقيَ أحداً مِنْ عشيرتِكَ أو عشيرتي إلَّا سلبناهُ ؟ قالَ : نعم ، فتعاقدا علىٰ ذٰلكَ ، وكلاهُما فاتكٌ يَحذَرُ صاحبَهُ .

فلقيا رجلاً ، فسلباهُ ، فقالَ لهُما : هل لكما أن تردَّا عليَّ بعضَ ما أخذتُما

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٣٦٩ ـ ٣٧٠) .

منِّي وأدلُّكُما علىٰ مغنمٍ ؟ قالا : نعم ، فقالَ : هـٰذا رجلٌ مِنْ لخمٍ قد قدمَ مِنْ عندِ بعضِ الملوكِ بمغنمٍ كثيرٍ ، وهوَ خلفي في موضعِ كذا وكذا ، فردَّا عليهِ بعضَ مالِهِ وطلبا اللخميَّ ، فوجداهُ نازلاً في ظلِّ شجرةٍ وقدامَهُ طعامٌ وشرابٌ ، فحيياهُ وحيَّاهُما ، وعَرَضَ عليهِما الطعامَ ، فكرِهَ كلُّ واحدٍ أن ينزلَ قبلَ صاحبِهِ فيفتكَ بهِ ، فنزلا جميعاً ، فأكلا وشربا معَ اللخميِّ .

ثمَّ إنَّ الأخنسَ ذهبَ لبعضِ شأنِهِ ، فرجعَ واللخميُّ يَتشحَّطُ في دمِهِ ، فقالَ الجهنيُّ ـ وهوَ الأخنسُ ـ وسلَّ سيفَهُ ؛ لأنَّ سيفَ صاحبِهِ كانَ مسلولاً : ويحَكَ ويحَكَ !! فتكتَ برجلٍ قد تحرَّمْنا بطعامِهِ وشرابِهِ ، فقالَ : اقعدْ يا أخا جُهَينةَ ، فلهـٰذا وشبهِهِ خرجنا ، فشربا ساعةً وتحدَّثا .

ثمَّ إنَّ الحصينَ قالَ : يا أخا جُهَينةَ ؛ أتدري ما [صعلةٌ وما صَعْلٌ] ؟ قالَ الجُهَنيُّ : هـٰذا يومُ شربٍ وأكلٍ ، فسكتَ الحصينُ ، حتىٰ إذا ظنَّ أنَّ الجهنيَّ قد نسيَ ما يُرادُ بهِ . . قالَ : يا أخا جهينةَ : هل أنتَ للطيرِ زاجرٌ ، قالَ : وما ذاكَ ؟ قالَ : ما تقولُ هـٰذهِ العُقابُ الكاسرُ ، قالَ الجهنيُّ : وأينَ تراها ؟ قالَ : هيَ ذِهِ ، وتطاولَ ورفعَ رأسَهُ إلى السماءِ ، فوضعَ الجهنيُّ بادرةَ السيفِ في نحرِهِ فقالَ : أنا الزاجرُ والناحرُ ، واحتوىٰ علىٰ متاعِهِ ومتاعِ اللخميِّ ، وانصرفَ راجعاً إلىٰ قومِهِ .

فمرَّ ببطنَينِ مِنْ قيسٍ يُقالُ لهُما : مراحٌ وأنمارٌ ، فإذا هوَ بامرأةٍ تَنشُدُ الحصينَ بنَ سبيعٍ ، فقالَ لها : مَنْ أنتِ ؟ قالَتْ : أنا صخرةُ امرأةُ الحصينِ ، قالَ : أنا قتلتُهُ ، فقالَتْ كذبتَ ، ما مثلُكَ يقتلُ مثلَهُ ، أَمَا لو لم يكنِ الحيُّ خلواً . . ما تكلَّمتَ بهـٰذا ، فانصرفَ إلىٰ قومِهِ ، فأصلحَ أمرَهُم ، ثمَّ جاءَهُم فوقفَ حيث يُسمِعُهُم وقالَ : [من الوافر]

وَكَـمْ مِـنْ ضَـيْـغَـمٍ وَرْدٍ هَـمُـوسٍ   أَبِـي شِبْـلَـيْـنِ مَـسْـكَـنُـهُ ٱلْـعَـرِيـنُ

عَـلَـوْتُ بَـيَـاضَ مَـفْـرِقِـهِ بِـعَـضْـبٍ ... فَـأَضْـحَـىٰ فِـي ٱلْـفَـلَاةِ لَـهُ سُـكُـونُ
وَأَضْـحَـتْ عِـرْسُـهُ وَلَـهَـا عَـلَـيْـهِ ... بُـعَـيْـدَ [هُـدُوءِ لَـيْـلَـتِـهَـا رَنِـيـنُ]
وَكَـمْ مِـنْ فَـارِسٍ لَا تَـزْدَرِيـهِ ... إِذَا شَـخَـصَـتْ لِـمَـوْقِـعِـهِ ٱلْـعُـيُـونُ
كَـصَـخْـرَةَ إِذْ تُـسَـائِـلُ فِـي مَـرَاحٍ ... وَأَنْـمَـارٍ وَعِـلْـمُـهُـمَـا ظُـنُـونُ
تُـسَـائِـلُ عَـنْ حُـصَـيْـنٍ كُـلَّ رَكْـبٍ ... وَعِـنْـدَ جُـهَـيْـنَـةَ ٱلْـخَـبَـرُ ٱلْـيَـقِـيـنُ
فَـمَـنْ يَـكُ سَـائِـلاً عَـنْـهُ فَـعِـنْـدِي ... لِـصَـاحِـبِـهِ ٱلْـبَـيَـانُ ٱلْـمُـسْـتَـبِـيـنُ
جُـهَـيْـنَـةُ مَـعْـشَـرِي وَهُـمُ مُـلُـوكٌ ... إِذَا طَـلَـبُـوا ٱلْـمَـعَـالِـي لَـمْ يَـهُـونُـوا

قالَ الأصمعيُّ وابنُ الأعرابيِّ : هوَ جُفينةُ بالفاءِ ، وكانَ عندَهُ خبرُ رجلٍ مقتولٍ ، وفيهِ يقولُ الشاعرُ : [من الوافر]

تُـسَـائِـلُ عَـنْ أَبِـيـهَـا كُـلَّ رَكْـبٍ ... وَعِـنْـدَ جُـفَـيْـنَـةَ ٱلْـخَـبَـرُ ٱلْـيَـقِـيـنُ

قالَ : فسألوا جفينةَ ، فأخبرَهُم خبرَ القتيلِ ، وقالَ بعضُهُم : هوَ حُفينةُ بالحاءِ المهملةِ .

يُضرَبُ في معرفةِ الشيءِ حقيقةً (١) .

العاشيةُ تُهَيِّجُ الآبيةَ

يُقالُ : عشوتُ في معنىٰ تَعشَّيتُ ، وغدوتُ في معنىٰ تَغدَّيتُ ، ورجلٌ عشيانُ ؛ أي : مُتعشٍّ ، وقالَ ابنُ السكيتِ : عَشِيَ الرجلُ ، وَعَشِيَتِ الإبلُ تَعشىٰ عشىً ؛ إذا تَعشَّتْ ، قالَ أبو النجمِ (٢) : [من مشطور الرجز]

يَـعْـشَـىٰ إِذَا أَظْـلَـمَ عَـنْ عَـشَـائِـهِ

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٢٧٠ ـ ٢٧٢) .
(٢) انظر « ديوان أبي النجم العجلي » (ص ٦٧) .

يقولُ : يَتعشَّىٰ وقتَ الظلمةِ ، قالَ المُفضَّلُ : خرجَ السليكُ بنُ السلكةِ ، واسمُهُ الحارثُ بنُ عمرِو بنِ زيدِ مناةَ بنِ تميمٍ ، وكانَ أنكرَ العربِ وأشعرَهُم ، وكانَتْ أُمُّهُ أَمَةً سوداءَ ، وكانَ يُدعىٰ سليكَ المقانبِ ، وكانَ أدلَّ الناسِ بالأرضِ ، وأعداهُم علىٰ رجلِهِ ، لا تعلقُ بهِ الخيلُ ، وكانَ يقولُ : اللهمَّ ؛ إنَّكَ تُهيّئُ ما شئتَ لِمَا شئتَ إذا شئتَ ، إنّي لو كنتُ ضعيفاً . . لكنتُ عبداً ، ولو كنتُ امرأةً . . لكنتُ أَمَةً ، اللهمَّ ؛ إني أعوذُ بكَ مِنَ الخيبةِ ، فأمَّا الهيبةُ . . فلا هيبةَ ؛ أي : لا أهابُ أحداً .

زعموا أنَّهُ خرجَ يريدُ أن يغيرَ في ناسٍ مِنْ أصحابِهِ ، فمرَّ علىٰ بني شيبانَ في ربيعٍ والناسُ مُخصِبونَ في عشيَّةٍ فيها ضبابٌ ومطرٌ ، فإذا هوَ ببيتٍ قدِ انفردَ مِنَ البيوتِ عظيمٍ وقد أمسىٰ ، فقالَ لأصحابِهِ : كونوا بمكانِ كذا وكذا حتىٰ آتيَ هـٰذا البيتَ ، فلعلِّي أصيبُ خيراً أو آتيكم بطعامٍ ، فقالوا لهُ : افعلْ ، فانطلقَ إليهِ ، وجَنَّ عليهِ الليلُ ، فإذا البيتُ بيتُ يزيدَ بنِ رويمٍ الشيبانيِّ ، وإذا الشيخُ وامرأتُهُ بفِناءِ البيتِ ، فاحتالَ سليكٌ حتىٰ دخلَ البيتَ مِنْ مُؤخرِهِ ، فلم يلبثْ أن أراحَ ابنُ الشيخِ بإبلِهِ في الليلِ ، فلمَّا رآهُ الشيخُ . . غضبَ وقالَ : هلا كنتَ عَشَّيتَها ساعةً مِنَ الليلِ !! فقالَ ابنُهُ : إنَّها أبتِ العشاءَ ، فقالَ يزيدُ : إنَّ العاشيةَ [تهيّجُ] الآبيةَ ، فأرسلَها مثلاً .

ثمَّ نفضَ الشيخُ ثوبَهُ في وجهِها ، فرجعَتْ إلىٰ مراتعِها ، وتبعَها الشيخُ حتىٰ مالَتْ لأدنىٰ روضةٍ ، فرتعَتْ فيها ، وقعدَ الشيخُ عندَها يَتعشَّىٰ وقد خنسَ وجهَهُ في ثوبِهِ مِنَ البردِ ، وتبعَهُ السليكُ [حينَ] رآهُ انطلقَ ، فلمَّا رآهُ مُغترّاً . . ضربَهُ مِنْ ورائِهِ بالسيفِ ، فأطارَ رأسَهُ ، وأطردَ إبلَهُ ، وقد بقيَ أصحابُ السليكِ وقد ساءَ ظنُّهُم وخافوا عليه ، فإذا بِهِ يطردُ الإبلَ فأطردُوها معَهُ ، فقالَ سليكٌ في ذٰلكَ : [من الطويل]

وَعَـاشِـيَـةٍ [رُجٍّ] بِـطَـانٍ ذَعَـرْتُـهَـا بِصَوْتِ قَتِيلٍ وَسْطَهَا يَتَسَيَّفُ

أي : يُضرَبُ بالسيفِ .

كَـأَنَّ عَـلَـيْـهِ لَـوْنَ بُـرْدٍ مُـحَـبَّـرٍ   إِذَا مَـا أَتَـاهُ صَـارِخٌ مُـتَـلَـهِّـفُ

يريدُ بقولِهِ : (لونَ بردٍ مُحبَّرٍ) : طرائقَ الدمِ على القتيلِ ، وبالصارخِ : الباكيَ المُتحزِّنَ لهُ .

فَـبَـاتَ لَـهَـا أَهْـلٌ خَـلَاءٌ فِـنَـاؤُهُـمْ   وَمَـرَّتْ بِـهِـمْ طَـيْـرٌ فَـلَـمْ يَـتَـعَـيَّـفُـوا

أي : لم يزجروا الطيرَ فيعلموا مِنْ جملتِها : أيُقتَلُ هٰذا أو يَسلَمُ .

وَبَـاتُـوا يَـظُـنُّـونَ ٱلظُّـنُـونَ وَصُـحْـبَـتِـي   إِذَا مَـا عَـلَـوْا نَـشْـزاً أَهَـلُّـوا وَأَوْجَـفُـوا

أي : حملوها على الوجيفِ ؛ وهوَ ضربٌ مِنَ السيرِ .

وَمَا نِلْتُهَا حَتَّىٰ تَصَعْلَكْتُ حِقْبَةً   وَكِـدْتُ لِأَسْـبَـابِ ٱلْـمَـنِـيَّـةِ أَعْـرِفُ

أي : أصبرُ .

وَحَتَّىٰ رَأَيْتُ ٱلْجُوعَ بِٱلصَّيْفِ ضَرَّنِي   إِذَا قُـمْـتُ يَـغْـشَـانِـي ظِـلَالٌ فَـأَسْـدِفُ

خصَّ الصيفَ دونَ الشتاءِ ؛ لأنَّ بالصيفِ لا يكادُ يجوعُ أحدٌ ؛ لكثرةِ اللبنِ ، فإذا جاعَ هوَ . . دلَّ علىٰ أنَّهُ كانَ لا يملكُ شيئاً ، وقولُهُ : (أسدفُ) يريدُ : أدورُ فأدخلُ في السدفةِ ؛ وهيَ الظلمةُ ؛ يعني : يظلمُ بصري مِنْ شدةِ الجوعِ .

يُقالُ : إنَّهُ كانَ افتقرَ حتىٰ لم يبقَ عندَهُ شيءٌ ، فخرجَ علىٰ رجلَيهِ رجاءَ أن يصيبَ غرةً مِنْ بعضِ مَنْ يمرُّ عليهِ فيذهبَ بإبلِهِ ، حتىٰ إذا أمسىٰ في ليلةٍ مِنْ ليالي الشتاءِ باردةٍ مقمرةٍ . . اشتملَ الصَّمَّاءَ ؛ وهوَ أن يَرُدَّ فضلَ ثوبِهِ علىٰ عضدِهِ اليمنىٰ ثمَّ ينامَ عليها ، فبينا هوَ نائمٌ . . إذ جثمَ عليهِ رجلٌ ، فقالَ لهُ : استأسرْ ، فرفعَ سليكٌ رأسَهُ وقالَ : **الليلُ طويلٌ وأنتَ مقمرٌ** ، فذهبَ قولُهُ مثلاً ، ثمَّ جعلَ الرجلُ يلهزُهُ ويقولُ : يا خبيثُ ؛ استأسرْ ، فلمَّا آذاهُ . . أخرجَ

سليكٌ يدَهُ فضمَّ الرجلَ ضمَّةً ضرطَ منها ، فقالَ : أضرطاً وأنتَ الأعلىٰ ؟ فذهبَتْ مثلاً ، وقد ذكرتُهُ في بابِ الضادِ .

ثمَّ قالَ لهُ سليكٌ : مَنْ أنتَ ؟ فقالَ : أنا رجلٌ افتقرتُ ، فقلتُ لَأخرجَنَّ فلا أرجعُ حتىٰ أستغنيَ ، قالَ : فانطلقْ معي ، فانطلقا ، حتىٰ وجدا رجلاً قصتُهُ مثلُ قصتِهِما ، فاصطحبوا جميعاً ، حتىٰ أتوُا الجوفَ جوفَ مرادٍ الذي باليمنِ ، إذا نَعَمٌ قد ملأَ كلَّ شيءٍ مِنْ كثرتِهِ ، فهابوا أن يغيروا فيطردوا بعضَها فيلحقُهُم الحيُّ ، فقالَ لهُما سليكٌ : كونا قريباً حتىٰ آتيَ الرعاءَ ، فأعلمَ لكما علمَ الحيِّ أقريبٌ هم أم بعيدٌ ، فإن كانوا قريباً . . رجعتُ إليكما ، وإن كانوا بعيداً . . قلتُ لكما قولاً أجيءُ بهِ لكما فأغيرا .

فانطلقَ ، حتىٰ أتى الرعاءَ فلم يزلْ يَتسقَّطُهُم حتىٰ أخبروهُ بمكانِ الحيِّ ، فإذا هم بعيدٌ ، إن طلبوا . . لم يدركوا ، فقالَ السليكُ : ألا أُغنِّيكُم ؟ قالوا : بلىٰ ، فتغنَّىٰ بأعلىٰ صوتِهِ :

[من البسيط]

يَا صَاحِبَيَّ أَلَا لَا حَيَّ بِٱلْوَادِي ... إِلَّا عَبِيدٌ وَآمٍ بَيْنَ أَذْوَادِ

أَتُنْظِرَانِي قَلِيلاً رَيْثَ غَفْلَتِهِمْ ... أَمْ تَغْدُوَانِ فَإِنَّ ٱلرِّيحَ لِلْغَادِي

الوآمُ : الوفاقُ والمباهاةُ (١) ، فلمَّا سمعا ذٰلكَ . . أتياهُ ، فأطردوا الإبلَ ، فذهبوا بها ، ولمْ يبلغِ الصريخُ الحيَّ حتىٰ مضَوْا بما معَهُم (٢) .

في بيتِهِ يُؤتى الحكمُ

هٰذا ممَّا زعمَتِ العربُ عن ألسنِ البهائمِ ؛ قالوا : إنَّ الأرنبَ التقطَتْ

---

(١) لعل شرح الكلمة سبق قلم ؛ لأن المراد : (الآم) جمع (أَمَةٍ) وهي المملوكة خلاف الحرة ، كما في « لسان العرب » (١٤/٤٥) ، لا كما شرحه المؤلف رحمه الله تعالىٰ .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٣٨١ ـ ٣٨٤) .

تمرةً ، فاختلسَها الثعلبُ فأكلَها ، وانطلقا يختصمانِ إلى الضَّبِّ ، فقالَتِ الأرنبُ : يا [أبا] الحِسْلِ ؛ فقالَ : **سميعاً دعوتِ** ، قالَتْ : أتيناكَ لنختصمَ إليكَ ، قالَ : **عادلاً حَكَّمتُما** ، قالَتْ : فاخرجْ إلينا ، قالَ : **في بيتِهِ يُؤتى الحَكَمُ** ، قالَتْ : إنِّي وجدتُ تمرةً ، قالَ : **حلوةً فكليها** ، قالَتْ : فاختلسَها الثعلبُ : قالَ : **لنفسِهِ بغى الخيرَ** ، قالَتْ : فلطمتُهُ ، قالَ : **بحقِّكِ أخذتِ** ، قالَتْ : فلطمَني ، قالَ : **حرٌّ انتصرَ** ، قالَتْ : فاقضِ بينَنا ، قالَ : قد قضيتُ ، فذهبَتْ أقوالُهُ كلُّها أمثالاً .

قلتُ[1] : وممَّا يشبهُ هـٰذا **ما حُكِيَ** : أنَّ خالدَ بنَ الوليدِ لمَّا توجَّهَ مِنَ الحجازِ إلىٰ أطرافِ العراقِ . . دخلَ عليهِ عبدُ المسيحِ بنُ عمرِو بنِ نفيلةَ ، فقالَ لهُ خالدٌ : أينَ أقصىٰ أثرِكَ ؟ قالَ : ظهرُ أبي ، قالَ : مِنْ أينَ خرجتَ ؟ قالَ : مِنْ بطنِ أُمِّي ، قالَ : علامَ أنتَ ؟ قالَ : على الأرضِ ، قالَ : فيمَ أنتَ ؟ قالَ : في ثيابي ، قالَ : فمِنْ أينَ أقبلتَ ؟ قالَ : مِنْ خلفِي ، قالَ : أينَ تريدُ ؟ قالَ : أمامي ، قالَ : ابنُ كم أنتَ ؟ قالَ : ابنُ رجلٍ واحدٍ ، قالَ : أتعقلُ أنتَ ، قالَ : نعم ، وأقيِّدُ ، قالَ أحربٌ أنتَ أم سلمٍ ؟ قالَ : سلمٌ ، قالَ : فما بالُ هـٰذهِ الحصونِ ؟ قالَ : بنيناها لسفيهٍ حتىٰ يجيءَ حليمٌ فينهاهُ .

ومثلُ هـٰذا : أنَّ عديَ بنَ أرطأةَ أتىٰ إياسَ بنَ معاويةَ قاضيَ البصرةِ في مجلسِ حكمِهِ وعديٌّ أميرُ البصرةِ ، وكانَ أعرابيَّ الطبعِ ، فقالَ : [لإياسٍ] يا هناه ؛ أينَ أنتَ ؟ قالَ : بينَكَ وبينَ الحائطِ ، قالَ : فاسمعْ منِّي ، قالَ : للاستماعِ جلستُ ، قالَ : إنِّي تزوَّجتُ امرأةً ، قالَ : بالرفاءِ والبنينَ ، قالَ : وشرطتُ لأهلِها ألَّا أخرجَها مِنْ بينِهِم ، قالَ : أوفِ لهُم بالشرطِ ، قالَ : فأنا أريدُ الخروجَ ، قالَ : في حفظِ اللهِ ، قالَ : فاقضِ بينَنا ، قالَ : قد فعلتُ ، قالَ :

---

(١) القائل : هو العلامة الميداني في « مجمع الأمثال » .

فعلىٰ مَنْ حكمتَ ؟ قالَ : على ابنِ أخي عمِّكَ ، قالَ : بشهادةِ مَنْ ؟ قالَ : بشهادةِ ابنِ أختِ خالتِكَ [1] .

في سبيلِ اللهِ سرجي وبغلي

أَوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : المِقدامُ بنُ عاطفٍ العجليُّ ، وكانَ قد وفدَ علىٰ كسرىٰ فأكرمَهُ ، فلمَّا أرادَ الانصرافَ . . حملَهُ علىٰ بغلٍ مُسرَجٍ مِنْ مراكبِهِ ، فلمَّا وصلَ إلىٰ قومِهِ . . قالوا : ما هٰذا الذي أتيتَنا بهِ ؟ فأنشأَ يقولُ : [من الوافر]

أَتَيْتُكُمُ بِبَغْلٍ ذِي مَرَاحِ ... أَقَبَّ حَمُولَةِ ٱلْمَلِكِ ٱلْهُمَامِ
يَجُولُ [إِذَا] حَمَلْتَ عَلَيْهِ سَرْجاً ... كَمَا جَالَ ٱلْمُفَدَّحُ ذُو ٱللِّجَامِ
وَمَا يَزْدَادُ إِلَّا فَضْلَ جَرْيٍ ... إِذَا مَا مَسَّهُ عَرَقُ ٱلْحِزَامِ
وَلَيْسَتْ أُمُّهُ مِنْهُ وَمَا إِنْ ... أَبُوهُ مِنَ ٱلْمُسَوَّمَةِ ٱلْكِرَامِ
لَهُ أُمٌّ مُفَدَّحَةٌ صَفُونٌ ... وَكَانَ أَبُوهُ ذَا دَبَرٍ دَوَامِي

وكانَ يَروضُهُ رياضةَ الخيلِ ، فرمحَهُ رمحةً كسرَ بها شراسيفَهُ ، فمرضَ مِنْ ذٰلكَ برهةً ، وأمرَ بالبغلِ ، فحُمِلَ عليهِ الكورُ وأمتعةُ الحيِّ ولم يُعلَفْ ، فنَفَقَ البغلُ ، وبرِئَ المقدامُ مِنْ مرضِهِ ، فركبَ إلى الصيدِ ، وحملَ السرجَ علىٰ ناقةٍ لهُ عَلوقٌ ، فلمَّا ركبَها ومسَّها وقعُ الركابينِ . . هوتْ بهِ قيدَ رمحَينِ ، وطارَتْ بهِ في الأرضِ ، فلم يَقدِرْ عليها ، وتَقطَّعَ السرجُ ، فقالَ المقدامُ : [من الرمل]

نَفَقَ ٱلْبَغْلُ وَأَوْدَىٰ سَرْجُنَا ... فِي سَبِيلِ ٱللهِ سَرْجِي وَبَغْلِي [2]

يُضرَبُ في التسلِّي عمَّا يَهلِكُ ويُودي بهِ الزمانُ [3] .

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٥١٠ ـ ٥١١) .
(٢) في « تاج العروس » (٢٦/٤٣١) ، مادة : (ن ف ق) ، وفيه : (وبَغَلْ) بدل (وبَغْلي) .
(٣) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٥١٨ ـ ٥١٩) .

قد حيلَ بينَ العَيْرِ والنَّزَوَانِ

أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : صخرُ بنُ عمرٍو أخو الخنساءِ ، قالَ ثعلبٌ : غزا صخرُ بنُ عمرٍو بني أسدِ بنِ خزيمةَ ، فاكتسحَ إبلَهُم ، فجاءَهُم الصريخُ ، فركبوا ، فالتقَوْا بذاتِ الأثلِ ، فطعنَ أبو ثورٍ الأسديُّ صخراً طعنةً في جنبِهِ ، وأفلتَ الخيلُ فلم يقعصْ مكانَهُ ، وجوىٰ منها ، فمرضَ حولاً حتىٰ مَلَّهُ أهلُهُ ، فسمعَ امرأةً تقولُ لامرأتِهِ سلمىٰ : كيفَ بعلُكِ ؟ فقالَتْ : لا حيٌّ فيُرجىٰ ، ولا ميتٌ فيُنعىٰ ، لقد لقينا منهُ الأمرَّينِ ، فقالَ صَخرٌ : [من الطويل]

أَرَىٰ أُمَّ صَـخْـرٍ لَا تَـمَـلُّ عِـيَـادَتِـي

وفي روايةٍ أخرىٰ : فمرضَ زماناً حتىٰ مَلَّتْهُ امرأتُهُ ، وكانَ يكرمُها ، فمرَّ بها رجلٌ وهيَ قائمةٌ وكانَتْ ذاتَ خلقٍ وإدراكٍ ، فقالَ لها : يُباعُ الكفلُ ؟ فقالَتْ : نعم ، عمَّا قليلٍ ، وكانَ ذٰلكَ يسمعُهُ صخرٌ ، فقالَ : أَمَا واللهِ ؛ لئن قَدَرْتُ . . لأقدمنَّكِ قبلي ، ثمَّ قالَ لها : ناوليني السيفَ أنظرْ إليهِ : هل تُقِلُّهُ يدي ، فناولَتْهُ ، فإذا هوَ لا يُقِلُّهُ ، فقالَ : [من الطويل]

أَرَىٰ أُمَّ صَـخْـرٍ لَا تَـمَـلُّ عِـيَـادَتِـي ... وَمَلَّتْ سُلَيْمَىٰ مَضْجَعِي وَمَكَانِي

فَـأَيُّ ٱمْـرِئٍ سَـاوَىٰ بِـأُمٍّ حَـلِـيـلَـةً ... فَـلَا عَـاشَ إِلَّا فِـي شَـقـاً وَهَـوَانِ

أَهُـمُّ بِـأَمْـرِ ٱلْـحَزْمِ لَـوْ أَسْـتَطِـيـعُـهُ ... وَقَـدْ حِـيـلَ بَـيْـنَ ٱلْـعَـيْـرِ وَٱلـنَّـزَوَانِ

وَمَـا كُـنْـتُ أَخْـشَـىٰ أَنْ أَكُـونَ جِـنَـازَةً ... عَـلَـيْـكِ وَمَـنْ يَـغْـتَـرُّ بِـٱلْـحَـدَثَـانِ

فَـلَـلْـمَـوْتُ خَـيْـرٌ مِـنْ حَـيَـاةٍ كَـأَنَّـهَـا ... مُـعَـرَّسُ يَـعْـسُـوبٍ بِـرَأْسِ سِـنَـانِ

لَـعَـمْـرِي لَـقَـدْ نَـبَّـهْـتُ مَـنْ كَـانَ نَـائِـمـاً ... وَأَسْـمَـعْـتُ مَـنْ كَـانَـتْ لَـهُ أُذُنَـانِ

قالَ أبو عبيدةَ : فلمَّا طالَ بهِ البلاءُ وقد نتأَتْ قطعةٌ مِنْ جنبِهِ مثلُ اللبدِ في موضعِ الطعنةِ . . قيلَ لهُ : لو قطعتَها . . لرجونا أن تبرأَ ، فقالَ : شأنَكُم ،

وأشفقَ عليهِ قومٌ ، فنهَوهُ ، فأبىٰ ، فأخذوا شفرةً فقطعوا ذٰلكَ الموضعِ ، فيئسَ مِنْ نفسِهِ وقالَ : [من الطويل]

أَجَـارَتَـنَـا إِنَّ ٱلْـحُـتُـوفَ تَـنُـوبُ عَلَى ٱلنَّاسِ كُلَّ ٱلْمُخْطِئِينَ تُصِيبُ
أَجَـارَتَـنَـا إِنْ تَـسْـأَلِـينِـي فَـإِنَّـنِـي مُـقِـيـمٌ لَـعَـمْـرِي مَـا أَقَـامَ عَـسِـيـبُ
كَـأَنِّـي وَقَـدْ أَدْنُـو لِـحَـزِّ شِـفَـارِهِـمْ مِنَ ٱلصَّبْرِ دَامِي ٱلصَّفْحَتَيْنِ نَكِيبُ

ثمَّ ماتَ ، فدُفِنَ إلىٰ جنبِ عسيبٍ ؛ وهوَ جبلٌ يقربُ مِنَ المدينةِ ، وقبرُهُ معلمٌ هناكَ (١)

قد أنصفَ القارةَ مَنْ راماها

القارةُ : قبيلةٌ ؛ وهُم عَضَلٌ والدِّيشُ ابنا الهونِ بنِ خزيمةَ ، وإنَّما سُمُّوا قارةً لاجتماعِهِم والتفافِهِم لمَّا أرادَ الشداخُ أن يُفرِّقَهُم في بني كنانةَ ، فقالَ شاعرُهُم : [من الوافر]

دَعَــوْنَــا قَــارَةً لَا تَــنْــفِــرُونَــا فَنُجْفِلَ مِثْلَ إِجْفَالِ ٱلظَّلِيمِ

وهيَ رماةُ الحدقِ في الجاهليةِ ، وهُمُ اليومَ في اليمنِ ، ويزعمونَ أنَّ رجلَينِ التقيا ؛ أحدُهُما قاريٌّ ، فقالَ القاريُّ : إن شئتَ . . صارعتُكَ ، وإن شئتَ . . سابقتُكَ ، وإن شئتَ . . راميتُكَ ، فقالَ الآخَرُ : قدِ اخترتُ المراماةَ ، فقالَ القاريُّ : قد أنصفتَني ، وأنشأَ يقولُ : [من مشطور الرجز]

قَــدْ أَنْـصَـفَ ٱلْـقَـارَةَ مَـنْ رَامَـاهَـا
إِنَّـا إِذَا مَـا فِـئَـةٌ نَـلْـقَـاهَـا
تَــرُدُّ أُولَاهَـا عَـلَـىٰ أُخْـرَاهَـا

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٥٥٨ ـ ٥٥٩) .

ثُمَّ انتزعَ لهُ بسهمٍ فشكَّ بهِ فؤادَهُ .

قالَ أبو عبيدٍ : (أصلُ القارةِ : الأكمةُ ، وجمعُها : قُورٌ ، قالَ ابنُ [واقدٍ] : وإنَّما قيلَ : « أنصفَ القارةَ مَنْ راماها » في حربٍ كانَتْ بينَ قريشٍ وبينَ بكرِ بنِ عبدِ [مناةَ] بنِ كنانةَ ، قالَ : وكانَتِ القارةُ معَ قريشٍ ، وهُم قومٌ رماةٌ ، فلمَّا التقى الفريقانِ . . راماهُمُ الآخَرونَ ، فقيلَ : قد أنصفَهُم هٰؤلاءِ إذ ساوَوْهُم في العملِ الذي هوَ شأنُهُم وصناعتُهُم ، وفي بعضِ الآثارِ : ألا أخبرُكُم بأعدلِ الناسِ ؟ قيلَ : بلىٰ ، قالَ : مَنْ أنصفَ مِنْ نفسِهِ ، وفي بعضِها أيضاً : أشدُّ الأعمالِ ثلاثةٌ : إنصافُ الناسِ مِنْ نفسِكَ ، والمواساةُ بالمالِ ، وذكرُ اللهِ تعالىٰ علىٰ كلِّ حالٍ)(١) .

قد قيلَ ذٰلكَ إِنْ حقّاً وإِنْ كذباً

قالوا : إنَّ أوَّلَ مَنْ قالَ ذٰلكَ : النعمانُ بنُ المنذرِ اللخميُّ للربيعِ بنِ زيادٍ العبسيِّ ، وكانَ لهُ صديقاً ونديماً ، وإنَّ عامراً ملاعبَ الأَسِنَّةِ وعوفَ بنَ الأحوصِ وسهيلَ بنَ مالكٍ ولبيدَ بنَ ربيعةَ ، وشماساً الفزاريَّ ، وقلابةَ الأسديَّ . . قدموا على النعمانِ ، وخَلَّفوا لبيداً يراعي إبلَهُم ، وكانَ أحدثَهُم سنّاً ، وجعلوا يغدونَ إلى النعمانِ ويروحونَ ، فأكرمَهُم وأحسنَ نُزُلَهُم ، غيرَ أنَّ الربيعَ كانَ أعظمَ عندَهُ قدراً .

فبينَما هُم ذاتَ يومٍ عندَ النعمانِ . . إذ رجزَ بهِمُ الربيعُ وعابَهُم ، وذكرَهُم بأقبحِ ما قَدَرَ عليهِ ، فلمَّا سمعَ القومُ ذٰلكَ . . انصرفوا إلىٰ رحالِهِم وكلُّ إنسانٍ منهُم مُقبلٌ علىٰ بَثِّهِ ، ورَوَّحَ لبيدٌ [الشَّولَ] ، فلمَّا رأىٰ أصحابَهُ وما بهِم مِنَ الكآبةِ . . سألَهُم : ما لكُم ؟ فكتموهُ ، فقالَ لهُم : واللهِ ؛ لا أحفظُ

(١) الأمثال (ص ١٣٧) للقاسم بن سلام ، وانظر « مجمع الأمثال » (٢/٥٦٥ ـ ٥٦٦) .

لكُم متاعاً ، ولا أُسرِّحُ لكُم إبلاً أو تخبروني بالذي كنتُم فيهِ ، وإنَّما كتموا عنهُ ؛ لأنَّ أُمَّ لبيدٍ امرأةٌ مِنْ بني عبسٍ ، وكانَتْ يتيمةً في حجرِ الربيعِ ، فقالوا : خالُكَ قد غلبَنا على الملكِ ، وصدَّ بوجههِ عنَّا ، فقالَ لبيدٌ : هل فيكُم مَنْ يكفيني الإبلَ وتدخلونَني على النعمانِ معَكُم ، فواللَّاتِ والعُزَّىٰ ؛ لأدعَنَّهُ لا ينظرُ إليهِ أبداً .

فخَلَّفُوا في إبلِهِم قلابةَ الأسديَّ ، وقالوا للبيدٍ : أوَعندَكَ خيرٌ ؟ قالَ : سترونَ ، قالوا : إنَّا نبلوكَ في هٰذهِ البقلةِ ـ لبقلةٍ بينَ أيديهِم دقيقةِ الأغصانِ ، قليلةِ الأوراقِ ، لاصقةٍ بالأرضِ ، تُدعى التربةَ ـ صفْها لنا واشتُمْها ، فقالَ : هٰذهِ التربةُ التي لا تذكي ناراً ، ولا تُؤهِلُ داراً ، ولا تَسُرُّ جاراً ، عودُها ضئيلٌ ، وفرعُها كليلٌ ، وخيرُها قليلٌ ، شرُّ البقولِ مرعىً ، وأقصرُها فرعاً ، فتعساً لها وجدعاً ، القَوْا بي أخا عبسٍ . . أردُّهُ عنكُم بتعسٍ ، وأدعْهُ مِنْ أمرِهِ في لبسٍ ، قالوا : نصبحُ فنرىٰ رأيَنا .

فقالَ لهُم عامرٌ : انظروا هٰذا الغلامَ ؛ فإن رأيتُموهُ نائماً . . فليسَ أمرُهُ بشيءٍ ، إنَّما يَتكلَّمُ بما جاءَ علىٰ لسانِهِ ، ويَهذي بما يهجسُ في خاطرِهِ ، وإن رأيتُموهُ ساهراً . . فهوَ صاحبُكُم ، فرمقوهُ ، فرأَوْهُ قد ركبَ رحلاً حتىٰ أصبحَ .

فخرجَ القومُ وهوَ معَهُم ، حتىٰ دخلوا على النعمانِ وهوَ يَتغدَّىٰ والربيعُ يأكلُ معَهُ ، فقالَ لبيدٌ : أبيتَ اللعنَ ، أتأذنُ لي في الكلامِ ؟ فأذنَ لهُ ، فأنشأَ يقولُ : [من مشطور الرجز]

يَـا رُبَّ هَـيْـجَـا هِـيَ خَـيْـرٌ مِـنْ دَعَـهْ

أَكُـلَّ يَـوْمٍ هَـامَـتِـي مُـقَـرَّعَـهْ

نَـحْـنُ بَـنُـو أُمِّ ٱلْـبَـنِـيـنَ ٱلْأَرْبَـعَـهْ

وَنَـحْـنُ خَـيْـرُ عَـامِـرِ بْـنِ صَـعْـصَـعَـهْ

اَلْـمُـطْـعِـمُـونَ ٱلْـجَـفْـنَـةَ ٱلْـمُـدَعْـدَعَـهْ

وَٱلْـضَّـارِبُـونَ ٱلْـهَـامَ تَـحْـتَ ٱلْـخَـيْـضَـعَـهْ

يَـا وَاهِـبَ ٱلْـخَـيْـرِ ٱلْـكَـثِـيـرِ مِـنْ سَـعَـهْ

إِلَـيْـكَ جَـاوَزْنَـا بِـلَاداً مَـسْـبَـعَـهْ

نُـخْـبِـرُ عَـنْ هَـٰذَا خَـبِـيـراً فَـٱسْـمَـعَـهْ

مَـهْـلاً أَبَـيْـتَ ٱلـلَّـعْـنَ لَا تَـأْكُـلْ مَـعَـهْ

إِنَّ ٱسْـتَـهُ مِـنْ بَـرَصٍ [مُـلَـمَّـعَـهْ]

وَإِنَّـهُ يُـدْخِـلُ فِـيـهَـا إِصْـبَـعَـهْ

يُـدْخِـلُـهَـا حَـتَّـىٰ يُـوَارِي أَشْـجَـعَـهْ

كَـأَنَّـهُ يَـطْـلُـبُ شَـيْـئـاً أَطْـمَـعَـهْ

ويُروىٰ : (ضَيَّعَهْ) ، فلمَّا سمعَ النعمانُ الشعرَ . . أفَّفَ ورفعَ يدَهُ مِنَ الطعامِ ، وقالَ للربيعِ : أكذاكَ أنتَ ؟! قالَ : لا واللَّاتِ ، لقد كذبَ ابنُ الفاعلةِ ، قالَ النعمانُ : لقد خَبُثَ عليَّ طعامي ، فغضبَ الربيعُ وقامَ وهوَ يقولُ : [من البسيط]

لَئِنْ رَحَلْتُ رِكَابِي إِنَّ لِي سَعَةً ... مَا مِثْلَهَا سَعَةٌ عَرْضاً وَلَا طُولَا

وَلَوْ جَمَعْتُ بَنِي لَخْمٍ بِأَسْرِهِمِ ... مَا وَازَنُوا رِيشَةً مِنْ رِيشِ سَمْوِيلَا

فَٱبْرُقْ بِأَرْضِكَ يَا نُعْمَانُ مُتَّكِئاً ... مَعَ ٱلنِّطَاسِيِّ طَوْراً وَٱبْنِ تَوْفِيلَا

وقالَ : لا أبرحُ أرضَكَ حتىٰ تبعثَ إليَّ مَنْ يُفتِّشُني فتعلمَ أنَّ الغلامَ كاذبٌ ، فأجابَهُ النعمانُ : [من البسيط]

شَرِّدْ بِرَحْلِكَ عَنِّي حَيْثُ شِئْتَ وَلَا ... تُكْثِرْ عَلَيَّ وَدَعْ عَنْكَ ٱلْأَبَاطِيلَا

فَقَدْ رَمَيْتَ بِدَاءٍ لَسْتَ غَاسِلَهُ ... مَا جَاوَرَ ٱلنِّيلَ يَوْماً أَهْلُ إِبْلِيلَا

قَدْ قِيلَ ذَٰلِكَ إِنْ حَقّاً وَإِنْ كَذِباً ... فَمَا ٱعْتِذَارُكَ عَنْ شَيْءٍ إِذَا قِيلَا

قولُهُ : (بنو أُمِّ البنينَ الأربعهْ) هم خمسةٌ : مالكُ بنُ جعفرٍ ملاعبُ الأسنَّةِ ، وطفيلُ بنُ مالكٍ أبو عامرِ بنِ الطفيلِ ، وربيعةُ بنُ مالكٍ ، وعبيدةُ بنُ مالكٍ ، ومعاويةُ بنُ مالكٍ ، وهُم أشرافُ بني عامرٍ ، فجعلَهُم أربعةً لأجلِ القافيةِ .

وسَمْويلُ : أحدُ أجدادِ الربيعِ ؛ وهوَ في الأصلِ اسمُ طائرٍ ، وأرادَ بالنِّطاسيِّ : رومياً يُقالُ لهُ : سرحونُ ، وابنُ توفيلَ : روميٌّ آخَرُ ، كانا ينادمانِ النعمانَ (١) .

كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعجَبةٌ

يُضرَبُ في عجبِ الرجلِ برهطِهِ وعشيرتِهِ ، وأوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : العجفاءُ بنتُ علقمةَ السعديُّ ؛ وذٰلكَ أنَّها وثلاثَ نسوةٍ مِنْ قومِها خرجنَ ، فاتَّعَدنَ بروضةٍ يَتحدَّثْنَ فيها ، فوافينَ بها ليلاً في قمرٍ زاهرٍ ، وليلةٍ طلقةٍ ساكنةٍ ، [وروضةٍ] (٢) معشبةٍ خصبةٍ ، فلمَّا جلسنَ . . قلنَ : ما رأينا كالليلةِ ليلةً ، ولا كهٰذهِ الروضةِ روضةً ، أطيبَ ريحاً ولا أنضرَ ، ثمَّ أفضنَ في الحديثِ ، فقلنَ : أيُّ النساءِ أفضلُ ؟

قالَتْ إحداهُنَّ : الخَرودُ الوَدودُ الوَلودُ .

قالَتِ الأخرىٰ : خيرُهُنَّ ذاتُ الغَناءِ ، وطيبِ الثناءِ ، وشدَّةِ الحياءِ .

قالَتِ الثالثةُ : خيرُهُنَّ السَّموعُ الجَموعُ النَّفوعُ غيرُ المنوعِ .

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٥٧٠ ـ ٥٧٢) .

(٢) في الأصل : (ورضة) .

قالَتِ الرابعةُ : خيرُهُنَّ الجامعةُ لأهلِها الوادعةُ ، الرافعةُ لا الواضعةُ .

قلنَ : فأيُّ الرجالِ أفضلُ ؟

قالَتْ إحداهُنَّ : خيرُهُمُ الحَظيُّ الرَّضيُّ ، غيرُ الحظالِ ولا التبالِ .

قالَتِ الثانيةُ : خيرُهُمُ السيدُ الكريمُ ، ذو الحَسَبِ العميمِ ، والمجدِ القديمِ .

قالَتِ الثالثةُ : خيرُهُمُ السَّخيُّ الوفيُّ الرَّضيُّ ، الذي لا يُغيِّرُ الحُرَّةَ ، ولا يَتَّخِذُ الضَّرَّةَ .

قالَتِ الرابعةُ : وأبيكُنَّ ؛ إنَّ في أبي لنعتَكُنَّ ؛ كرمُ الأخلاقِ والصدقُ عندَ التلاقِ ، والفلجُ عندَ السباقِ ، ويَحمَدُهُ أهلُ الرفاقِ ، قالَتِ [العجفاءُ] عندَ ذٰلكَ : كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعجَبةٌ .

وفي بعضِ الرواياتِ : أنَّ إحداهُنَّ قالَتْ : إنَّ أبي يُكرِمُ الجارَ ، ويعظِمُ النارَ ، وينحرُ العِشارَ بعدَ الحِوارِ ، ويَحملُ الأمورَ الكبارَ .

فقالَتِ الثانيةُ : إنَّ أبي عظيمُ الخطرِ ، منيعُ الوزرِ ، عزيزُ النفرِ ، يُحمَدُ منهُ الوردُ والصَّدرُ .

فقالَتِ الثالثةُ : إنَّ أبي صدوقُ اللسانِ ، كثيرُ الأعوانِ ، يروي السِّنانَ عندَ الطعانِ .

قالَتِ الرابعةُ : إنَّ أبي كريمُ النزالِ ، منيفُ المقالِ ، كثيرُ النوالِ ، قليلُ السؤالِ ، كريمُ الفَعالِ .

ثمَّ تَنافَرْنَ إلىٰ كاهنةٍ معَهُنَّ في الحيِّ ، فقلنَ لها : اسمعي ما قلنا ، واحكمي بينَنا ، واعدلي ، ثمَّ أعدنَ عليها قولَهُنَّ ، فقالَتْ لهُنَّ : كلُّ واحدةٍ منكُنَّ ماردةٌ على الإحسانِ جاهدةٌ ، لصواحباتِها حاسدةٌ ، ولٰكنِ اسمعنَ قولي : خيرُ النساءِ المبقيةُ علىٰ بعلِها ، الصابرةُ على الضَّرَّاءِ مخافةَ أن ترجعَ

إلىٰ أهلِها مطلقةً ، فهيَ تؤثرُ حظَّ زوجِها علىٰ حظِّ نفسِها ، فتلكَ الكريمةُ الكاملةُ ، وخيرُ الرجالِ الجوادُ البطلُ ، القليلُ الفشلِ ، إذا سألَهُ الرجلُ . . ألفاهُ قليلَ العللِ ، كثيرَ النفلِ ، ثمَّ قالَتْ : كلُّ واحدةٍ منكُنَّ بأبيها معجبةٌ[1] .

كلُّ شاةٍ برجلِها مُعلَّقةٌ

قالَ ابنُ الكلبيِّ : أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : وكيعُ بنُ سلمةَ بنِ زهيرِ بنِ إيادٍ ، وكانَ وليَ أمرَ البيتِ بعدَ جُرْهُمَ ، فبنىٰ صَرحاً بأسفلِ مكةَ عندَ سوقِ الخيَّاطينَ اليومَ ، وجعلَ فيهِ أَمَةً يُقالُ لها : [حَزْوَرَةُ] ، وبها سُمِّيَتْ [حَزْوَرَةُ] مكةَ ، وجعلَ في الصَّرحِ سُلَّماً ، فكانَ يَرقاهُ ويزعمُ أنَّهُ يناجي اللهَ تعالىٰ ، وكانَ يَنطِقُ بكثيرٍ مِنَ الخيرِ ، وكانَ علماءُ العربِ يزعمونَ أنَّهُ صِدِّيقٌ مِنَ الصِّدِّيقينَ ، وكانَ مِنْ قولِهِ : مرضعةٌ أو فاطمةٌ ، ووادعةٌ وقاصمةٌ ، والقطيعةُ والفجيعةُ ، وصلةُ الرحمِ وحسنُ الكلمِ .

ومِنْ كلامِهِ : زعمَ ربُّكُم ليَجزيَنَّ بالخيرِ ثواباً ، وبالشرِّ عقاباً ؛ إنَّ مَنْ في الأرضِ عبيدٌ لِمَنْ في السماءِ ، هلكَتْ جُرْهُمُ وربلَتْ [إيادٌ] ، وكذٰلكَ الصلاحُ والفسادُ .

فلمَّا حضرَتْهُ الوفاةُ . . جمعَ إياداً ، فقالَ لهُمُ : اسمعوا وصيَّتي ؛ الكلامُ كلمتانِ ، والأمرُ بعدَ البيانِ ، مَنْ رشدَ . . فاتبعوهُ ، ومَنْ غوىٰ . . فارفضوهُ ، وكلُّ شاةٍ برجلِها مُعلَّقةٌ ، فأرسلَها مثلاً ، قالَ : وماتَ وكيعٌ ، فنُعِيَ على الجبالِ ، وفيهِ يقولُ بشيرُ بنُ الحجيرِ الإياديُّ : [من المتقارب]

وَنَحْنُ إِيَادٌ عِبَادُ ٱلْإِلَٰهِ ... وَرَهْطُ مُنَاجِيهِ فِي سُلَّمِ

وَنَحْنُ وُلَاةُ حِجَابِ ٱلْعَتِيقِ ... زَمَانَ ٱلنُّخَاعِ عَلَىٰ جُرْهُمِ

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣/١٣ ـ ١٥) .

يُقالُ : إنَّ اللهَ سَلَّطَ علىٰ جرهمَ داءً يقالُ لهُ : النخاعُ ، فهلكَ منهُم ثمانونَ كهلاً في ليلةٍ واحدةٍ سوى الشبَّانِ ، وفيهِم قالَ بعضُ العربِ : [من الخفيف]

هَلَكَتْ جُرْهُمُ ٱلْكِرَامُ فِعَالاً وَوُلَاةُ ٱلْبَنِيَّةِ ٱلْحُجَّابُ
نُخِعُوا لَيْلَةً ثَمَانُونَ كَهْلاً وَشَبَاباً كَفَىٰ بِهِمْ مِنْ شَبَابِ (١)

كيفَ أُعاوِدُكَ وهٰذا أثرُ فأسِكَ

أصلُ هٰذا المثلِ علىٰ ما حكتْهُ العربُ علىٰ لسانِ الحيَّةِ : أنَّ أخوَينِ كانا في إبلٍ لهُما ، فأجدبَتْ بلادُهُما ، وكانَ بالقربِ منهُما وادٍ خصيبٌ ، وفيه حيَّةٌ تحميهِ مِنْ كلِّ أحدٍ ، فقالَ أحدُهُما للآخَرِ : يا فلانُ ؛ لو أنِّي أتيتُ هٰذا الواديَ المكلئَ فرعيتُ فيهِ إبلي وأصلحتُها ، فقالَ لهُ أخوهُ : إنِّي أخافُ عليكَ الحيَّةَ ، ألا ترىٰ أنَّ أحداً لا يهبطُ ذٰلكَ الواديَ إلَّا أهلكَتْهُ ؟! قالَ : فواللهِ ؛ لَأفعلَنَّ ، فهبطَ الواديَ ، ورعىٰ بهِ إبلَهُ زماناً ، ثمَّ إنَّ الحيةَ نهشَتْهُ فقتلَتْهُ ، فقالَ أخوهُ : واللهِ ؛ ما في الحياةِ بعدَ أخي خيرٌ ، فلَأطلبَنَّ الحيةَ ولَأقتلَنَّها ، أو لَأتَّبِعَنَّ أخي .

فهبطَ ذٰلكَ الواديَ ، وطلبَ الحيَّةَ ليقتلَها ، فقالَتِ الحيَّةُ لهُ : ألستَ ترىٰ أنِّي قتلتُ أخاكَ ، فهل لكَ في الصُّلحِ فأدعَكَ بهٰذا الوادي تكونُ فيهِ وأعطيَكَ كلَّ يومٍ ديناراً ما بقيتَ ؟ قالَ : أوَفاعلةٌ أنتِ ؟ قالَتْ : نعم ، قالَ : إنِّي أفعلُ ، فحلفَ لها ، وأعطاها المواثيقَ لا يَضُرُّها ، وجعلَتْ تعطيهِ كلَّ يومٍ ديناراً ، فكَثُرَ مالُهُ ، حتىٰ صارَ مِنْ أحسنِ الناسِ حالاً .

ثمَّ إنَّهُ ذكرَ أخاهُ ، فقالَ : كيفَ ينفعُني العيشُ وأنا أنظرُ إلىٰ قاتلِ أخي ، فعَمَدَ إلىٰ فأسٍ فأخذَها ، ثمَّ قعدَ لها ، فمَرَّتْ بهِ ، فتبعَها ، فضربَها ،

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣/٣٠ ـ ٣١) .

فأخطأَها ، ودخلَتِ الجحرَ ، ووقعَتِ الفأسُ بالجبلِ فوقَ جحرِها فأثَّرَتْ فيهِ ، فلمَّا رأتْ ما فعلَ . . قطعَتْ عنهُ الدينارَ ، فخافَ الرجلُ شرَّها وندمَ ، فقالَ لها : هل لكِ في أن نتواثقَ ونعودَ إلىٰ ما كنَّا عليهِ ؟ فقالَتْ : **كيفَ أعاودُكَ وهٰذا أثرُ فأسِكَ ؟!**

يُضرَبُ لِمَنْ لا يفي بالعهدِ ، وهٰذا مِنْ مشاهيرِ أمثالِ العربِ ، قالَ نابغةُ بني ذبيانَ (١) : [من الطويل]

وَإِنِّي لَأَلْقَىٰ مِنْ ذَوِي ٱلْغَيِّ مِنْهُمُ ... وَمَا أَصْبَحَتْ تَشْكُو مِنَ ٱلشَّجْوِ سَاهِرَهْ
كَمَا لَقِيَتْ ذَاتُ ٱلصَّفَا مِنْ حَلِيفِهَا ... وَكَانَتْ تُرِيهِ ٱلْمَالَ غِبّاً وَظَاهِرَهْ
فَلَمَّا رَأَىٰ أَنْ ثَمَّرَ ٱللهُ مَالَهُ ... وَأَثَّلَ مَوْجُوداً وَسَدَّ مَفَاقِرَهْ
أَكَبَّ عَلَىٰ فَأْسٍ يَحُدُّ غُرَابَهَا ... مُذَكَّرَةٍ مِنَ ٱلْمَعَاوِلِ بَاتِرَهْ
فَقَامَ لَهَا مِنْ فَوْقِ جُحْرٍ مُشَيَّدٍ ... لِيَقْتُلَهَا أَوْ تُخْطِئُ ٱلْكَفُّ بَادِرَهْ
فَلَمَّا وَقَاهَا ٱللهُ ضَرْبَةَ فَأْسِهِ ... وَلِلشَّرِّ عَيْنٌ لَا تُغَمَّضُ نَاظِرَهْ
فَقَالَ تَعَالَيْ نَجْعَلِ ٱللهَ بَيْنَنَا ... عَلَىٰ مَا لَنَا أَوْ تُنْجِزِي لِيَ آخِرَهْ
فَقَالَتْ يَمِينَ ٱللهِ أَفْعَلُ إِنَّنِي ... رَأَيْتُكَ مَشْؤُوماً يَمِينُكَ فَاجِرَهْ
أَبَىٰ لِيَ [قَبْرٌ] لَا يَزَالُ مُقَابِلِي ... وَضَرْبَةُ فَأْسٍ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرَهْ (٢)

كلاهُما وتمراً

ويروىٰ : (كلَيهما) ، أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : عمرُو بنُ حمرانَ الجعديُّ ، وكانَ حمرانُ رجلاً لَسِناً مارداً ، وإنَّهُ خطبَ صدوفَ ؛ وهيَ امرأةٌ كانَتْ تؤبدُ

---

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ١٥٤ ـ ١٥٦) .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (٣/٣٥ ـ ٣٦) .

الكلامَ ، وتسجعُ في المَنطِقِ[1] ، وكانَتْ ذاتَ مالٍ كثيرٍ ، وقد أتاها قومٌ كثيرٌ يَخطُبونَها ، فردَّتْهُم ، وكانَتْ تَتعنَّتُ خُطَّابَها في المسألةِ ، وتقولُ : لا أتزوَّجُ إلَّا مَنْ يَعلمُ ما أسألُهُ عنهُ ، ويجيبُني بكلامٍ علىٰ حدِّهِ لا يعدوهُ .

فلمَّا انتهىٰ إليها حمرانُ . . قامَ قائماً لا يجلسُ ، وكانَ لا يأتيها خاطبٌ إلَّا جلسَ قبلَ إذنِها ، فقالَتْ : ما يمنعُكَ مِنَ الجلوسِ ؟ قالَ : حتىٰ يُؤذَنَ لي ، قالَتْ : وهل عليكَ أميرٌ ؟ قالَ : ربُّ المنزلِ أحقُّ بفِنائِهِ ، وربُّ الماءِ أحقُّ بسقائِهِ ، وكلٌّ لهُ ما في وعائِهِ ، فقالَتِ : اجلسْ ، فجلسَ .

قالَتْ لهُ : ما أردتَ ؟ قالَ : حاجةً ولم آتكِ لحاجةٍ ، قالَتْ : تُسِرُّها أم تعلنُها ؟ قالَ : تُسَرُّ وتُعلَنُ ، قالَتْ : فما حاجتُكَ ؟ قالَ : قضاؤُها هَيِّنٌ ، وأمرُها بَيِّنٌ ، وأنتِ بها أخبرُ ، وبنُجْحِها أبصرُ ، قالَتْ : فأخبِرْني بها .

قالَ : قد عَرَّضتُ ، وإن شئتِ . . بَيَّنتُ ، قالَتْ : مَنْ أنتَ ؟ قالَ : أنا بَشَرٌ ، ولدتُ صغيراً ، ونشأتُ كبيراً ، ورأيتُ كثيراً ، قالَتْ : فما اسمُكَ ؟ قالَ : مَنْ شاءَ أحدثَ اسماً ، وقالَ ظُلماً ، ولم يكنِ الاسمُ عليهِ حتماً ، قالَتْ : فمَنْ أبوكَ ؟ قالَ : والدي الذي ولدَني ، ووالدهُ جدِّي ، فلم يعشْ بعدي ، قالَتْ : فما مالُكُ ؟ قالَ : بعضُهُ ورثتُهُ ، وأكثرُهُ اكتسبتُهُ ، قالَتْ : فممَّنْ أنتَ ؟ قالَ : مِنْ بشرٍ كثيرٍ عددُهُ ، معروفٍ ولدُهُ ، قليلٍ صعدُهُ ، يفنيهِ أبدُهُ ، قالَتْ : ما وَرَّثَكَ أبوكَ عن أوَّليهِ ؟ قالَ : حُسْنَ الهممِ ، قالَتْ : فأينَ تنزلُ ؟ قالَ : علىٰ بساطٍ واسعٍ في بلدٍ شاسعٍ ، قريبُهُ بعيدٌ ، وبعيدُهُ قريبٌ ، قالَتْ : فمَنْ قومُكَ ؟ قالَ : الذين أنتمي إليهِم ، وأجني عليهِم ، ووُلِدتُ لديهِم .

قالَتْ : فهل لكَ امرأةٌ ؟ قالَ : لو كانَتْ لي لم أطلبْ غيرَها ، ولم أُضيِّعْ

---

(١) في « مجمع الأمثال » : (تؤيد الكلام وتشجع في المنطق) .

خيرَها ، قالَتْ : كأنَّكَ ليسَتْ لكَ حاجةٌ ؟ قالَ : لو لم تكنْ لي حاجةٌ . . لم أُنِخْ ببابِكِ ، ولم أتعرَّضْ لجوابِكِ ، وأتعلَّقْ بأسبابِكِ ، قالَتْ : إنَّكَ لحمرانُ بنُ الأقرعِ الجعديُّ ، قالَ : إنَّ ذٰلكَ ليُقالُ ، فأنكحَتْهُ نفسَها ، وفَوَّضَتْ إليهِ أمرَها .

ثمَّ إنَّها ولدَتْ لهُ غلاماً ، فسمَّاهُ عمراً ، فنشأَ مارداً مُفوَّهاً ، فلمَّا أدركَ . . جعلَهُ أبوهُ راعياً يرعىٰ لهُ الإبلَ ، فبينا هوَ يوماً : إذ رُفِعَ إليهِ رجلٌ قد أضرَّ بهِ العطشُ والسّغوبُ وعمرو قاعدٌ وبينَ يدَيهِ زبدٌ وتمرٌ وتامكٌ ، فدنا منهُ الرجلُ فقالَ : أطعمْني مِنْ هٰذا الزبدِ والتامكِ ، فقالَ عمرٌو : نعم ، كلاهُما وتمراً ، فأطعمَ الرجلَ حتى انتهىٰ ، وسقاه لبناً حتىٰ رَوِيَ ، وأقامَ عندَهُ أياماً ، فذهبَتْ كلمتُهُ مثلاً .

ورفعَ (كلاهُما) أي : لكَ كلاهما ، ونصبَ (تمراً) علىٰ معنىٰ ، وأزيدُكَ تمراً ، ومَنْ روىٰ (كلَيهِما) فإنَّما نصبَهُ علىٰ معنىٰ : أطعمُكَ كلَيهِما وتمراً ، وقالَ قومٌ : مَنْ رفعَ . . حكىٰ أنَّ الرجلَ قالَ : أنلْني ممَّا بينَ يدَيكَ ، فقالَ عمرٌو : أيُّما أحبُّ إليكَ : زبدٌ أم سنامٌ ؟ فقالَ الرجلُ : كلاهُما وتمراً ؛ أي : مطلوبي كلاهما وأزيدُ معَهُما تمراً ، أو وزِدْني تمراً[1] .

لن يَهلِكَ امرُؤٌ عرفَ قَدْرَهُ

قالَ المُفضَّلُ : إنَّ أوَّلَ مَنْ قالَ ذٰلكَ : أكثمُ بنُ صيفيٍّ في وصيَّةٍ كتبَ بها إلىٰ طيءٍ ؛ كتبَ إليهِم : أوصيكم بتقوى اللهِ ، وصلةِ الرحمِ ، وإيَّاكُم ونكاحَ الحمقاءِ ؛ فإنَّ نكاحَها غررٌ ، وولدَها ضياعٌ ، وعليكُم بالخيلِ فأكرموها ؛ فإنَّها حصونُ العربِ ، ولا تضعوا رقابَ الإبلِ في غيرِ حقِّها ؛ فإنَّ فيها ثمنَ الكريمةِ ، ورقوءَ الدمِ ، وبألبانِها يتحفُ الكبيرُ ، ويُغذَّى الصغيرُ ، ولو أنَّ

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣/٤٧ ـ ٤٩) .

الإبلَ كُلِّفَتِ الطَّحنَ . . لطحنَتْ ، ولن يهلكَ امرُؤٌ عرفَ قَدْرَهُ ، والعدمُ عدمُ العقلِ ، لا عدمُ المالِ ، ولَرجلٌ خيرٌ مِنْ ألفِ رجلٍ ، ومَنْ عتبَ على الدهرِ . . طالَتْ معتبتُهُ ، ومَنْ رضيَ بالقسمِ . . طابَتْ معيشتُهُ ، وآفةُ الرأيِ الهوىٰ ، والعادةُ أملكُ ، والحاجةُ مع المحبةِ خيرٌ مِنَ البغضِ معَ الغنىٰ ، والدنيا دولٌ ، فما كانَ لكَ . . أتاكَ علىٰ ضَعفِكَ ، وما كانَ عليكَ . . لم تَدفعْهُ بقُوَّتِكَ ، والحسدُ داءٌ ليسَ لهُ دواءٌ ، والشَّماتةُ تعقبُ ، ومَنْ يرَ يوماً . . يرهُ ، قبلَ الرماءِ تُملأُ الكنائنُ ، الندامةُ معَ السفاهةِ ، دعامةُ العقلِ الحلمُ ، خيرُ الأمورِ مَغبَّةُ الصَّبرِ ، بقاءُ المودَّةِ عدلُ التعاهدِ ، مَنْ يزرْ غبّاً . . يزددْ حبّاً ، التغريرُ مفتاحُ البؤسِ ، مِنَ التواني والعجزِ نُتِجَتِ الهلكةُ ، لكلِّ شيءٍ ضراوةٌ ، فضرِّ لسانَكَ بالخيرِ ، عيُّ الصمتِ أحسنُ مِنْ عيِّ المنطقِ ، الحزمُ حفظُ ما كُلِّفْتَ وتركُ ما كُفيتَ ، كثيرُ التنصُّحِ يهجمُ علىٰ كثيرِ الظِنَّةِ ، مَنْ ألحفَ في المسألةِ . . ثقُلَ ، مَنْ سألَ فوقَ قدرِهِ . . استحقَّ الحرمانَ ، الرفقُ يُمْنٌ ، والخرقُ شؤمٌ ، خيرُ السخاءِ ما وافقَ الحاجةَ ، خيرُ العفوِ ما كانَ بعدَ القدرةِ .

فهٰذهِ خمسةٌ وثلاثونَ مثلاً في نظامٍ واحدٍ (١) .

لا ماءَكِ أبقيتِ ، ولا حركِ أنقيتِ

ويروىٰ : (ولا درنكِ) أصلُهُ : أنَّ رجلاً كانَ في سفرٍ ومعَهُ امرأتُهُ وكانَتْ عاركاً فطهرَتْ ، وكانَ معَهُما ماءٌ يسيرٌ ، فاغتسلَتْ ، فلم يكفِها لغسلِها ، وأنفدَتِ الماءَ ، فبقيا عطشانَينِ ، فعندَها قالَ لها هٰذا القولَ .

وقالَ المُفضَّلُ : أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : الضَّبُّ بنُ أروى الكلاعيُّ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ خرجَ تاجراً مِنَ اليمنِ إلى الشامِ ، فسارَ أياماً ، ثمَّ حادَ عن أصحابِهِ ، فبقيَ مُفرَداً في تيهٍ مِنَ الأرضِ ، حتىٰ سقطَ إلىٰ قومٍ لا يدري مَنْ هُم ، فسألَ عنهُم ،

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣/١١٤ ـ ١١٥) .

فأُخبِرَ أَنَّهُم هَمْدانُ ، فنزلَ بِهم ، وكانَ طريراً ظريفاً ، وإنَّ امرأةً منهُم يُقالُ لها : عمرةُ بنتُ سبيعٍ هَوِيَتْهُ وهَوِيَها ، فخطبَها الضَّبُّ إلىٰ أهلِ بيتِها ، وكانوا لا يُزوِّجونَ إلَّا شاعراً ، أو عائفاً ، أو عالماً بعيونِ الماءِ ، فسألوهُ عن ذٰلكَ ، فلم يَعرِفْ منها شيئاً ، فأبَوا تزويجَهُ ، فلمْ يزلْ بِهم حتىٰ أجابوهُ ، فتزوَّجَها .

ثمَّ إنَّ حيّاً مِنْ أحياءِ العربِ أرادوا الغارةَ عليهِم ، فتطيَّروا بالضَّبِّ ، فأخرجوهُ وامرأتَهُ وهيَ طامثٌ ، فانطلقا ومعَ الضَّبِّ سقاءٌ مِنْ ماءٍ ، فسارَ يوماً وليلةً وأمامَهُما عينٌ يظنَّانِ أنَّهُما يُصبِّحانِها ، فقالَتْ لهُ : ادفعْ إليَّ هٰذا السِّقاءَ حتىٰ أغتسلَ ، فقد قاربْنا العينَ ، فدفعَ إليها السِّقاءَ ، فاغتسلَتْ بما فيهِ ولم يكفِها ، ثمَّ صبَّحا العينَ ، فوجداها ناضيةً ، وأدركَهُما العطشُ ، فقالَ لها الضَّبُّ : لا ماءَكِ أبقيتِ ، ولا حركِ أنقيتِ ، ثمَّ استظلَّا بشجرةٍ حيالَ العينِ ، فأنشأَ الضَّبُّ يقولُ : [من المنسرح]

تَـاللهِ مَـا طَـلَّـةٌ أَصَـابَ بِـهَـا ... بَـعْـلاً سِـوَايَ قَـوَارِعُ ٱلْـعَـطَـبِ

وَأَيُّ مَـهْـرٍ يَـكُـونُ أَثْـقَـلَ مِـمَّـا طَـلَـبُـوهُ إِذاً مِـنَ ٱلـضَّـبِّ

أَنْ يَعْرِفَ ٱلْمَاءَ تَحْتَ صُمِّ ٱلصَّفَا ... وَيُـخْـبِـرَ ٱلنَّـاسَ مَنْطِقَ ٱلْخُطَبِ

أَخْـرَجَـنِـي قَـوْمُـهَـا بِـأَنَّ ٱلـرَّحَـا ... دَارَتْ بِشُؤْمٍ لَهُمْ عَلَى ٱلْقُطْبِ

فلمَّا سمعَتِ امرأتُهُ ذٰلكَ . . فرحَتْ وقالَتِ : ارجعْ إلى القومِ ؛ فإنَّكَ شاعرٌ ، فانطلقا راجعَينِ ، فلمَّا وصلا . . خرجَ القومُ إليهِما وقصدوا ضربَهُما وردَّهُما ، فقالَ لهُمُ الضَّبُّ : اسمعوا شعري ثمَّ اقتلوني ، فأنشدَهُم شعرَهُ ، فنجا ، وصارَ فيهِم آثرَ مِنْ بعضِهِم ، قالَ الفرزدقُ : [من الطويل]

وَكُنْتُ كَذَاتِ ٱلْحَيْضِ لَمْ تُبْقِ مَاءَهَا ... وَلَا هِـيَ مِـنْ مَـاءِ ٱلْـعُـذَابَـةِ طَـاهِـرُ (١)

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣/١٨٨ ـ ١٨٩) .

لا يكنْ حبُّكَ كَلَفاً ، ولا بُغضُكَ تَلَفاً

ويُروىٰ عن بعضِ الحكماءِ أنَّهُ قالَ : لا تكنْ في الإخاءِ مكثراً ثمَّ تكونَ فيهِ مدبراً ، فيُعرَفَ سرفُكَ في الإكثارِ بجفائِكَ في الإدبارِ .

ومنهُ الحديثُ : « أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْماً مَا ، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْناً مَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يوماً مَا »[1] ، ومنهُ قولُ النمرِ بنِ تولبٍ : [من المتقارب]

أَحْبِبْ حَبِيبَكَ حُبّاً رُوَيْداً فَلَيْسَ يَعُولُكَ أَنْ تَصْرِمَا

وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ بُغْضاً رُوَيْداً إِذَا أَنْتَ حَاوَلْتَ أَنْ تَحْكُمَا

وقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « إِنَّمَا ٱلْمَرْءُ بِخَلِيلِهِ ، فَلْيَنْظُرِ ٱمْرُؤٌ مَنْ يُخَالِلُ »[2] ، وقريبٌ منهُ بيتُ عديِّ بنِ زيدٍ : [من الطويل]

عَنِ ٱلْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَأَبْصِرْ قَرِينَهُ فَإِنَّ ٱلْقَرِينَ بِٱلْمُقَارِنِ يَقْتَدِي[3]

لا ناقتي في هٰذا ولا جملي

أصلُ المثلِ للحارثِ بنِ عُبادٍ حينَ قتلَ جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ كُليباً ، وهاجَتِ الحربُ بينَ الفريقَينِ ، وكانَ الحارثُ اعتزلَهُما ، قالَ الراعي : [من البسيط]

وَمَا هَجَرْتُكِ حَتَّىٰ قُلْتِ مُعْلِنَةً لَا نَاقَةٌ لِيَ فِي هَـٰذَا وَلَا [جَمَلُ]

يُضرَبُ عندَ التبرّي مِنَ الظلمِ والإساءةِ ، وذكروا أنَّ محمدَ بنَ عميرِ بنِ عطاردِ بنِ حاجبٍ [شُوورَ] لمَّا خرجَ الناسُ على الحَجَّاجِ ، فقالَ : لا ناقتي في ذا ولا جملي ، فلمَّا دخلَ بعدَ ذٰلكَ على الحَجَّاجِ . . قالَ : أنتَ القائلُ :

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٩٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أبو داوود (٤٨٠٠) ، والترمذي (٢٣٧٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) انظر « مجمع الأمثال » (٣/١٨٩ ـ ١٩٠) .

لا ناقتي في ذا ولا جملي ؟! لا جعلَ اللهُ لكَ فيهِ ناقةً ولا جملاً ولا رحلاً ، فشمتَ بهِ حجارُ بنُ أبجرَ العجليُّ وهوَ عندَ الحَجَّاجِ ، فلمَّا دعا بغدائِهِ . . جاؤوا [بفرنيَّةٍ] ، فقالَ : ضعوها بينَ يدَيْ أبي عبدِ اللهِ ؛ فإنَّهُ لبنيٌّ يُحِبُّ اللَّبَنَ ، أرادَ أن يدفعَ عنهُ شماتةَ حجارٍ .

وقالَ بعضُهُم : إنَّ أوَّلَ مَنْ قالَ ذٰلكَ : الصَّدوفُ بنتُ حليسٍ العذريةُ ، وكانَ مِنْ شأنِها أنَّها كانَتْ عندَ زيدِ بنِ الأخنسِ العذريِّ ، وكانَ لزيدٍ بنتٌ مِنْ غيرِها يُقالُ لها : الفارعةُ ، وإنَّ زيداً عزلَ ابنتَهُ عنِ امرأتِهِ في خباءٍ لها وأخدمَها خادماً ، وخرجَ زيدٌ إلى الشامِ ، وإنَّ رجلاً مِنْ عذرةَ يُقالُ لهُ : شبثٌ ، هَوِيَها وهَوِيَتْهُ ، ولم يزلْ بها حتىٰ طاوعَتْهُ ، فكانَتْ تأمرُ راعيَ أبيها أن يُعجِّلَ ترويحَ إبلِهِ ، وأن يحلبَ لها حلبةَ إبلِها قَيْلاً ، فتشربَ اللَّبنَ نهاراً ، حتىٰ إذا أمستْ وهدأَ الحيُّ . . رُحِلَ لها جملٌ كانَ لأبيها ذَلولٌ ، فقعدَتْ عليهِ وانطلقا ، حتىٰ كانا ينتهيانِ إلىٰ متيهةٍ مِنَ الأرضِ ، فيكونانِ بها ليلتَهُما ، ثمَّ يقبلانِ في وجهِ الصبحِ ، فكانَ ذٰلكَ دأبَهُما .

فلمَّا فصلَ أبوها مِنَ الشامِ . . مرَّ بكاهنةٍ علىٰ طريقِهِ ، فسألَها عن أهلِهِ ، فنظرَتْ لهُ وقالَتْ : أرىٰ جملَكَ يُرحَّلُ ليلاً ، وحلبةٌ تَحْلبُ إبلَكَ قيلاً ، وأرىٰ نَعَماً وخيلاً ، فلا لبثَ ، فقد كانَ حدثٌ ، بآلِ شبثٍ .

فأقبلَ زيدٌ لا يلوي علىٰ شيءٍ حتىٰ أتىٰ أهلَهُ ليلاً ، فدخلَ على امرأتِهِ ، وخرجَ مِنْ عندِها مسرعاً ، حتىٰ دخلَ خباءَ ابنتِهِ ، فإذا هيَ ليسَتْ فيهِ ، فقالَ لخادمِها : أينَ الفارعةُ ثكلَتْكِ أُمُّكِ ؟ قالَتْ : خرجَتْ تمشي وهيَ حرودٌ ، زائرةٌ تعودُ ، لم ترَ بعدَكَ شمساً ، ولا شَهِدَتْ عرساً ، فانفتلَ عنها إلى امرأتِهِ ، فلمَّا رأتْهُ . . عرفَتِ الشرَّ في وجهِهِ ، فقالَتْ : يا زيدُ ؛ لا تعجلْ وٱقْفُ الأثرَ ، فلا ناقةٌ لي في هٰذا ولا جملٌ ، فهيَ أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ [1] .

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣/١٩٣ ـ ١٩٤) .

لا تراهنْ على الصَّعبةِ ، ولا تُنشِدِ القريضَ حتىٰ يحيلَ

هـٰذا المثلُ للحطيئةِ ، لمَّا حضرَتْهُ الوفاةُ . . اكتنفَهُ أهلُهُ وبنو عمِّهِ ، فقيلَ لهُ : يا حُطَيْءُ ؛ أوصِ ، قالَ : وبمَ [أوصي] مالي بينَ بنيَّ ، قالوا : قد علمنا أنَّ مالَكَ بينَ بنيكَ ، فأوصِ ، فقالَ : **ويلٌ للشعرِ مِنْ راويةِ السوءِ** ، فأرسلَها مثلاً ، فقالوا : أوصِ ، فقالَ : أخبروا أهلَ ضابئِ بنِ الحارثِ أنَّهُ كانَ شاعراً حيثُ يقولُ : [من الطويل]

لِـكُـلِّ جَـدِيـدٍ لَـذَّةٌ غَـيْـرَ أَنَّـنِـي وَجَدْتُ جَدِيدَ ٱلْمَوْتِ غَيْرَ لَذِيذِ

ثمَّ قالَ : **لا تراهنْ على الصَّعبةِ ، ولا تُنشِدِ القريضَ حتىٰ يُحِيلَ** ، فأرسلَها مثلاً ، يُضرَبُ في التحذيرِ .

وفي بعضِ الرواياتِ أنَّهُ قيلَ لهُ : يا أبا مليكةَ ؛ أوصِهْ ، قالَ : مالي للذُّكورِ دونَ الإناثِ ، قالوا : إنَّ اللهَ لم يأمرْ بذا ، قالَ : فإنِّي آمرَ ، قالَ : أوصِهْ ، قالَ : أخبروا آلَ الشمَّاخِ أنَّ أخاهُم أشعرُ العربِ حيثُ يقولُ [1] : [من الطويل]

وَظَلَّـتْ بِـأَعْـرَافٍ صِـيَـامـاً كَـأَنَّـهَـا رِمَاحٌ نَحَاهَا وِجْهَةَ ٱلرِّيحِ رَاكِزُ

قالوا : أوصِهْ ؛ فإنَّ هـٰذا لا يغني عنكَ شيئاً ، قالَ : أبلغوا كندةَ أنَّ أخاهُم أشعرُ العربِ حيثُ يقولُ : [من الطويل]

فَيَـا لَـكَ مِـنْ لَـيْـلٍ كَـأَنَّ نُـجُـومَـهُ بِـأَمْـرَاسِ كَـتَّـانٍ إِلَـىٰ صُـمِّ جَـنْـدَلِ

يعني : امرَأَ القيسِ [2] ، قالوا : أوصِهْ ؛ فإنَّ هـٰذا لا يغني عنكَ شيئاً ، قالَ :

---

(١) انظر « ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني » (ص ٢٠١) .

(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٩) ، وقد تبع المؤلف الميداني في « مجمع الأمثال » في رواية هـٰذا البيت ، وهما بيتان في « ديوان امرئ القيس » الصدر من بيت ، والعجز من البيت الثاني ، وهما :

فَـيَـا لَـكَ مِـنْ لَـيْـلٍ كَـأَنَّ نُـجُـومَـهُ بِـكُـلِّ مُـغَـارِ ٱلْـفَـتْـلِ شُـدَّتْ بِـيَـذْبُـلِ
كَـأَنَّ ٱلـثُّـرَيَّـا عُـلِّـقَـتْ فِـي مَـصَـامِـهَـا بِـأَمْـرَاسِ كَـتَّـانٍ إِلَـىٰ صُـمِّ جَـنْـدَلِ

أخبروا الأنصارَ أنَّ أخاهُم أمدحُ العربِ حيثُ يقولُ (١) : [من الكامل]

يُـغْـشَـوْنَ حَـتَّـىٰ مَـا تَـهِـرُّ كِـلَابُـهُـمْ لَا يَـسْـأَلُـونَ عَـنِ ٱلـسَّـوَادِ ٱلْـمُـقْـبِـلِ

قالوا : أوصِهْ ؛ فإن هٰذا لا يغني عنكَ شيئاً ، قالَ : أوصيكُم بالشعرِ خيراً ، ثمَّ أنشأَ يقولُ : [من مشطور الرجز]

اَلـشِّـعْـرُ صَـعْـبٌ وَطَـوِيـلٌ سُـلَّـمُـهْ

إِذَا ٱرْتَـقَـىٰ فِـيـهِ ٱلَّـذِي لَا يَـعْـلَـمُـهْ

زَلَّـتْ بِـهِ إِلَى ٱلْـحَـضِـيـضِ قَـدَمُـهْ

وَٱلـشِّـعْـرُ لَا يُـطِـيـعُـهُ مَـنْ يَـظْـلِـمُـهْ

يُـرِيـدُ أَنْ يُـعْـرِبَـهُ فَـيُـعْـجِـمُـهْ

وَلَـمْ يَـزَلْ مِـنْ حَـيْـثُ يَـأْتِـي يَـحْـرِمُـهْ (٢)

مَـنْ يَـسِـمِ ٱلْأَعْـدَاءَ يَـبْـقَـىٰ مِـيـسَـمُـهْ

قالوا : أوصِهْ ؛ فإنَّ هٰذا لا يغني عنكَ شيئاً ، قالَ : [من مشطور الرجز]

كُـنْـتُ أَحْـيَـانـاً شَـدِيـدَ ٱلْـمُـعْـتَـمَـدْ

وَكُـنْـتُ أَحْـيَـانـاً عَـلَـىٰ خَـصْـمِـي أَلَـدّْ

قَـدْ وَرَدَتْ نَـفْـسِـي وَمَـا كَـادَتْ تَـرِدْ

قالوا : أوصِهْ ؛ فإنَّ هٰذا لا يغني عنكَ شيئاً ، قالَ : وا جزعاهْ على المديحِ الجيدِ يمدحُ بهِ مَنْ ليسَ مِنْ أهلِهِ ، قالوا : أوصِهْ ؛ فإنَّ هٰذا لا يغني عنكَ شيئاً ، فبكىٰ ، قالوا : وما يبكيكَ ؟ قالَ : أبكي الشعرَ الجيدَ مِنْ راويةِ السوءِ ،

---

(١) ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه (١/٧٤) .

(٢) في « مجمع الأمثال » : (يخرمه) بالمعجمة .

قالوا : أوصِ للمساكينِ بشيءٍ ، قالَ : أوصيهم بالمسألةِ ، وأوصي الناسَ ألَّا يعطوهُم ، قالوا : أعتقْ غلامَكَ ؛ فإنَّهُ قد رعىٰ عليكَ ثلاثينَ سنةً ، قالَ : هوَ عبدٌ ما بقيَ على الأرضِ عبسيٌّ ، ثمَّ قالَ : احملوني علىٰ حماري ، ودوروا بي حولَ هـٰذا التلِّ ؛ فإنَّهُ لم يمتْ على الحمارِ كريمٌ ، فعسىٰ ربِّي أن يرحمَني ، فحملَهُ ابناهُ ، وأخذا بضبعَيهِ ، ثمَّ جعلا يَسوقانِ الحمارَ حولَ التلِّ وهوَ يقولُ : [من البسيط]

قَدْ عَجَّلَ ٱلدَّهْرُ وَٱلْأَحْدَاثُ يُتْمَكُمَا ... فَٱسْتَغْنِيَا بِوَشِيكٍ إِنَّنِي فَانِ

وَدَلِّيَانِيَ فِي غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ ... كَمَا تُدَلَّىٰ [دِلَاءٌ] بينَ أَشْطَانِ

قالوا : يا أبا مليكةَ ؛ مَنْ أشعرُ العربِ ؟ قالَ : هـٰذا الجحيرُ ، إذا طمع بخيرٍ ، وأشارَ بيدِهِ إلىٰ فيهِ ، وكانَ آخِرَ كلامِهِ ، فماتَ وكانَ لهُ عشرونَ ومئةُ سنةٍ ؛ منها سبعونَ في الجاهليةِ ، وخمسونَ في الإسلامِ .

ويُروىٰ : أنَّهُ أرادَ سفراً ، فلمَّا قدمَ راحلتَهُ . . قالَتْ لهُ امرأتُهُ : متىٰ ترجعُ ؟ فقالَ : [من الكامل]

عُدِّي ٱلسِّنِينَ لِغَيْبَتِي وَتَصَبَّرِي ... وَدَعِ ٱلشُّهُورَ فَإِنَّهُنَّ قِصَارُ

فقالَتْ :

أُذْكُرْ صَبَابَتَنَا إِلَيْكَ وَشَوْقَنَا ... وَٱرْحَمْ بَنَاتِكَ إِنَّهُنَّ صِغَارُ

قالوا : وما مدحَ قوماً إلَّا رفعَهُم ، وما هجا قوماً إلَّا وضعَهُم ، وقالَ يهجو نفسَهُ وقد نظرَ في المرآةِ وكانَ دميماً : [من الطويل]

أَبَتْ شَفَتَايَ ٱلْيَوْمَ إِلَّا تَكَلُّماً ... بِسُوءٍ فَمَا أَدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهْ

أَرَىٰ لِيَ وَجْهاً شَوَّهَ ٱللهُ خَلْقَهُ ... فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهٍ وَقُبِّحَ حَامِلُهْ (١)

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣/١٩٨ ـ ٢٠١) .

لا غزوَ إلَّا التعقيبُ

يُقالُ : عَقَّبَ الرجلُ ؛ وهوَ أن يغزوَ مَرَّةً ، ثمَّ يثني مِنْ سنتِهِ ، قالَ طفيلٌ يصفُ الخيلَ[1] : [من الطويل]

طِوَالُ ٱلْهَوَادِي وَٱلْمُتُونُ صَلِيبَةٌ	مَغَاوِيرُ فِيهَا لِلْأَرِيبِ مُعَقَّبُ

وأوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : حجرُ بنُ الحارثِ بنِ عمرٍو آكلُ المرارِ ؛ وذٰلكَ أنَّ الحارثَ بنَ مندلةَ ملكَ الشامِ ، وكانَ مِنْ ملوكِ سليحٍ ، مِنْ ملوكِ الضجاعمِ ، وهوَ الذي ذكرَهُ مالكُ بنُ [جوينٍ] الطائيُّ في شعرِهِ فقالَ : [من الطويل]

هُنَالِكَ لَا أُعْطِي رَئِيساً مَقَادَةً	وَلَا مَلِكاً حَتَّىٰ يَؤُوبَ ٱبْنُ مَنْدَلَهْ

وكانَ قد أغارَ علىٰ أرضِ نجدٍ ؛ وهيَ أرضُ حجرِ بنِ الحارثِ هٰذا ؛ وذٰلكَ علىٰ عهدِ بهرامَ جورَ ، وكانَ بها أهلُ حجرٍ ، فوجدَ القومَ خُلُوفاً ، ووجدَ حجراً قد غزا أهلَ نجرانَ ، فاستاقَ ابنُ مندلةَ مالَ حجرٍ ، وأخذَ امرأتَهُ هندَ الهنودِ ، ووقعَ بها ، فأعجبَها ، وكانَ آكلُ المرارِ شيخاً كبيراً ، وابنُ مندلةَ شابّاً جميلاً ، فقالَتْ لهُ : النجاءَ النجاءَ ؛ فإنَّ وراءَكَ طالباً حثيثاً ، وجمعاً كثيراً ، ورأياً صليباً ، وحزماً وكيداً .

فخرجَ ابنُ مندلةَ مُغِذّاً إلى الشامِ ، وجعلَ يقسمُ المرباعَ نهارَهُ أجمعَ ، فإذا كانَ الليلُ . . أُسرِجَتْ لهُ السرجُ يقسمُ عليها .

فلمَّا رجعَ حجرٌ . . وجدَ مالَهُ قدِ استيقَ ، ووجدَ هنداً قد أُخِذَتْ ، فقالَ : مَنْ أغارَ عليكُم ؟ قالوا : ابنُ مندلةَ ، قالَ : مذ كم ؟ فقالوا : مذ ثمانِ ليالٍ ، فقالَ حجرٌ : ثمانٌ في ثمانٍ ، **لا غزوَ إلَّا التعقيبُ** ، فأرسلَها مثلاً ؛ يعني : غزوَهُ الأوَّلَ والثانيَ .

---

(١) انظر « ديوان طفيل الغنوي » (ص ٥٨) .

قلتُ[١] : قولُهُ : (ثمانٌ في ثمانٍ) يعني : ثمانَ ليالٍ أُدخِلَتْ في ثمانٍ أخرىٰ ؛ إذ كانَتْ غزوةُ نجرانَ كذا ، فقرنَتْ بمثلِها مِنْ هـٰذا الغزوِ الآخرِ ، أو أرادَ ثمانَ ليالٍ في أثرِ ثمانِ ليالٍ ؛ يعني : أنَّهُ سبقَهُ بثمانِ ليالٍ حين أغارَ علىٰ قومِهِ ، وسيلحقُهُ في ثمانِ ليالٍ ، ثمَّ أقبلَ مُجِدّاً في طلبِ ابنِ مندلةَ ، حتىٰ دفعَ إلىٰ وادٍ دونَ منزلِ ابنِ مندلةَ ، فكَمَنَ فيه ، وبعثَ سدوسَ بنَ شيبانَ بنِ ذُهلِ بنِ ثعلبةَ ، وكانَ مِنْ مناكيرِ العربِ ، فقالَ لهُ حجرٌ : اذهبْ مُتنكِّراً إلى القومِ حتىٰ تعلمَ لنا علمَهُم ، فانطلقَ سدوسٌ حتى انتهىٰ إلى ابنِ مندلةَ ، وقد نزلَ في سفحِ الجبلِ ، وأوقد ناراً ، وأقبلَ يقسمُ المرباعَ ، ونثرَ تمراً ، وقالَ : مَنْ جاءَ بحزمةِ حطبٍ ، فذهبَ سدوسٌ وأتىٰ بحزمةِ حطبٍ وألقاها على النارِ ، وأخذَ قبضةً مِنْ تمرٍ فألقاها في كنانتِهِ ، وجلسَ معَ القومِ يستمعُ إلىٰ ما يقولونَ وهندٌ خلفَ ابنِ مندلةَ تُحدِّثُهُ ، فقالَ ابنُ مندلةَ : يا هندُ ؛ ما ظنُّكِ الآن بحجرٍ ؟ قالَتْ : أراهُ ضارباً بجوشنِهِ علىٰ واسطةِ رحلِهِ وهوَ يقولُ : سيروا سيروا ، لا غزوَ إلَّا التعقيبُ ، وذٰلكَ مثلَ ما قالَ زوجُها سواءً ، ثمَّ قالَتْ هندٌ لابنِ مندلةَ : واللهِ ؛ ما نامَ حجرٌ قطُّ إلَّا وعضوٌ منهُ حيٌّ ، قالَ ابنُ مندلةَ : وما علمُكِ بذٰلكَ ؟! وانتهرَها ، قالَتْ : بلىٰ ، كنتُ لهُ فاركاً ، فبينَما هوَ ذاتَ يومٍ في منزلٍ لهُ قد أخرجَ إليهِ رابعاً ، فضُرِبَتْ لهُ قبةٌ مِنْ قبابِهِ ، ثمَّ أمرَ بجُزُرٍ فنُحِرَتْ ، وبشاءٍ فذُبِحَتْ ، فصنعَ ذٰلكَ ، ثم أرسلَ للناسِ فدعاهُم فأطعمَهُم ، فلمَّا طعموا وخرجوا . . نامَ كما هوَ مكانَهُ وأنا جالسةٌ عندَ بابِ القُبَّةِ ، فأقبلَتْ حيَّةٌ وهوَ نائمٌ باسطٌ رجلَهُ ، فذهبَتِ الحيَّةُ لتنهشَهُ ، فقبضَ رجلَهُ ، ثمَّ تَحوَّلَتْ مِنْ قبلِ يدِهِ لتنهشَهُ ، فقبضَ يدَهُ إليهِ ، ثمَّ تَحوَّلَتْ مِنْ قِبَلِ رأسِهِ ، فلمَّا دنَتْ منهُ وهوَ يَغِطُّ . . قعدَ جالساً ، فنظرَ إلى الحيَّةِ ، فقالَ : ما هـٰذهِ يا هندُ ؟! فقلتُ : ما فطنتُ لها حتىٰ جلستَ ، قالَ : لا واللهِ ، وذٰلكَ

---

(١) القائل : هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال » .

كلُّهُ بمسمعِ سدوسٍ ، فلمَّا سمعَ الحديثَ . . رجعَ إلىٰ حجرٍ ، فنثرَ التمرَ مِنَ الكنانةِ بينَ يدَيهِ وقالَ : [من الوافر]

أَتَـاكَ ٱلْـمُـرْجِـفُـونَ بِـأَمْـرِ غَـيْـبٍ ... عَـلَـىٰ دَهَـشٍ وَجِـئْـتُـكَ بِـٱلْـيَـقِـيـنِ

فلمَّا حدَّثَهُ بحديثِ امرأتِهِ معَ ابنِ مندلةَ . . عرفَ أنَّهُ قد صدقَهُ ، فضربَ بيدِهِ على المرارِ ـ وهيَ شجرةٌ مُرَّةٌ إذا أكلَتْ منها الإبلُ . . قلصَتْ مشافرُها ـ فأكلَ منها مِنَ الغضبِ ، فلم يَضُرُّهُ ، فسَمَّتْهُ العربُ : آكلَ المِرارِ .

ثمَّ خرجَ حتىٰ أغارَ على ابنِ مندلةَ ، فنذرَ بهِ ابنُ مندلةَ ، فوثبَ علىٰ فرسِهِ ووقفَ ، فقالَ لهُ : آكلُ المرارِ : هل لكَ في المبارزةِ ، فأيُّنا قتلَ صاحبَهُ . . انقادَ لهُ جندُ المقتولِ ؟ قالَ لهُ ابن مندلةَ : أنصفتَ ، وذٰلكَ بعينِ هندٍ ، فاختلفا بينَهُما بطعنتَينِ ، فطعنَهُ آكلُ المِرارِ طعنةً جندلَهُ بها عن فرسِهِ ، فوثبَتْ هندٌ إلى ابنِ مندلةَ تفديهِ ، وانتزَعَتِ الرمحَ مِنْ نحرِهِ وخرجَتْ نفسُهُ ، فظفرَ آكلُ المِرارِ بجندِهِ ، واستنقذَ جميعَ ما كانَ ذهبَ بهِ مِنْ مالِهِ ومالِ أهلِ بلادِهِ ، وأخذَ هنداً فقتلَها مكانَهُ ، وأنشأَ يقولُ : [من الخفيف]

لِـمَـنِ ٱلـنَّـارُ أُوقِـدَتْ بِـحَـفِـيـرِ ... لَـمْ يَـنَـمْ غَـيْـرُ مُـصْـطَـلٍ مَـقْـرُورُ

إِنَّ مَـنْ يَـأْمَـنُ ٱلـنِّـسَـاءَ بِـشَـيْءٍ ... بَـعْـدَ هِـنْـدٍ لَـجَـاهِـلٌ مَـغْـرُورُ

كُـلُّ أُنْـثَـىٰ وَإِنْ تَـبَـيَّـنْـتَ مِـنْـهَـا ... آيَـةَ ٱلْـحُـبِّ حُـبُّـهَـا خَـيْـتَـعُـورُ (١)

لا تَجزعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أنتَ سِرْتَها

قالوا : إنَّ أوَّلَ مَنْ قالَ ذٰلكَ : خالدُ ابنُ أختِ أبي ذؤيبٍ الهذليّ ؛ وذٰلكَ أنَّ أبا ذؤيبٍ كانَ قد نزلَ في بني عامرِ بنِ صعصعةَ علىٰ رجلٍ يُقالُ لهُ :

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣/٢٤٥ ـ ٢٤٧) .

عبدُ عمرِو بنِ عامرٍ ، فعشقَتْهُ امرأةُ عبدِ عمرٍو وعشقَها ، [فخبَّبَها] علىٰ زوجِها ، وحملَها وهربَ بها إلىٰ قومِهِ ، فلمَّا قدمَ منزلَهُ . . تَخوَّفَ أهلَهُ ، فأسَرَّها منهُم في موضعٍ لا يُعلَمُ ، وكانَ يختلفُ إليها إذا أمكنَهُ ، وكانَ الرسولُ بينَها وبينَهُ ابنَ أختٍ لهُ يُقالُ لهُ : خالدٌ ، وكانَ غلاماً حَدَثاً لهُ منظرٌ وصباحةٌ ، فمكثَ بذٰلكَ برهةً مِنْ دهرٍ ، وشبَّ خالدٌ وأدركَ ، فعشقَتْهُ المرأةُ ، ودعتْهُ إلىٰ نفسِها ، فأجابَها وهَوِيَها ، ثمَّ إنَّهُ حملَها مِنْ مكانِها ذٰلكَ ، فأتىٰ بها مكاناً غيرَهُ ، وجعلَ يختلفُ إليها فيهِ ، ومنعَ أبا ذؤيبٍ عنها ، فأنشأَ أبو ذؤيبٍ يقولُ[1] : [من الطويل]

مَا حُمِّلَ ٱلْبُخْتِيُّ عَامَ [غِيَارِهِ] ... عَلَيْهِ ٱلْوُسُوقُ بُرُّهَا وَشَعِيرُهَا
بِأَعْظَمَ مِمَّا كُنْتُ حَمَّلْتُ خَالِداً ... وَبَعْضُ أَمَانَاتِ ٱلرِّجَالِ غُرُورُهَا
فَلَمَّا تَرَامَاهُ ٱلشَّبَابُ وَغَيُّهُ ... وَتُبِّعَ مِنْهُ فِتْنَةٌ وَفُجُورُهَا
لَوَىٰ رَأْسَهُ عَنَّا وَمَالَ بِوُدِّهِ ... أَغَانِيجُ خَوْدٍ كَانَ فِيهَا يَزُورُهَا

فلمَّا بلغَ ذٰلكَ ابنَ أختِهِ خالداً . . أنشأَ يقولُ : [من الطويل]

فَهَلْ أَنْتَ إِمَّا أُمُّ عَمْرٍو تَبَدَّلَتْ ... سِوَاكَ خَلِيلاً دَائِماً تَسْتَجِيرُهَا
فَرَرْتَ بِهَا مِنْ عِنْدِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ ... وَهِيْ هَمُّهَا فِي نَفْسِهَا وَسَجِيرُهَا[2]
فَلَا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا ... فَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا
وَلَا تَكُ كَٱلثَّوْرِ ٱلَّذِي دُفِنَتْ لَهُ ... حَدِيدَةُ [حَتْفٍ] دَائِباً يَسْتَثِيرُهَا[3]

---

(١) انظر « ديوان الهذليين » (١/١٥٤ ـ ١٥٥) .
(٢) رواية البيت في « شرح أشعار الهذليين » (ص ٢١٣) :
أَلَمْ تَتَنَقَّذْهَا مِنِ ٱبْنِ عُوَيْمِرٍ ... وَأَنْتَ صَفِيُّ نَفْسِهِ وَسَجِيرُهَا
(٣) انظر « مجمع الأمثال » (٣/٢٤٨ ـ ٢٤٩) .

ما وراءَكِ يا عصامُ

قالَ المُفضَّلُ : أوّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : الحارثُ بنُ عمرٍو ملكُ كندةَ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ لمَّا بلغَهُ جمالُ ابنةِ عوفِ بنِ مُحلِّمٍ الشيبانيِّ وكمالُها وقُوَّةُ عقلِها . . دعا امرأةً مِنْ كندةَ يُقالُ لها : عصامُ ، ذاتُ عقلٍ ولسانٍ ، وأدبٍ وبيانٍ ، وقالَ لها : اذهبي حتىٰ تعلمي لي علمَ ابنةِ عوفٍ ، فمضَتْ حتى انتهَتْ إلىٰ أُمِّها ؛ وهيَ أُمامةُ ابنةُ الحارثِ ، فأعلمَتْها ما قدمَتْ لهُ ، فأرسلَتْ أُمامةُ إلى ابنتِها ، وقالَتْ : أي بنيَّةُ ؛ هـٰذهِ خالتُكِ أتتْكِ لتنظرَ إليكِ ، فلا تستري عنها شيئاً إن أرادَتِ النظرَ مِنْ وجهٍ أو خلفٍ ، وناطقيها إنِ استنطقَتْكِ ، فدخلَتْ إليها ، فنظرَتْ إلىٰ ما لم ترَ قطُّ مثلَهُ ، فخرجَتْ مِنْ عندِها وهيَ تقولُ : **تركَ الخداعَ مَنْ كشفَ القناعَ** ، فأرسلَتْها مثلاً .

ثمَّ انطلقَتْ إلى الحارثِ ، فلمَّا رآها مقبلةً . . قالَ لها : ما وراءكِ يا عصامُ ؟ قالَتْ : صَرَّحَ المخضُ عنِ الزبدِ ؛ رأيتُ جبهةً كالمرآةِ المصقولةِ ، يزينُها شعرٌ حالكٌ كأذنابِ الخيلِ ، إن أرسلَتْهُ . . خلتَهُ السلاسلَ ، وإن مشطَتْهُ . . قلتَ : عناقيدُ جلَّاها الوابلُ ، وحاجبَينِ كأنَّما خُطَّا بقلمٍ أو سُوِّدا بحممٍ ، تَقوَّسا علىٰ مثلِ عينَيْ ظبيةٍ عبهرةٍ ، بينَهُما أنفٌ كحدِّ السيفِ الصنيعِ ، حُفَّتْ بهِ وجنتانِ كالأُرجوانِ ، في بياضٍ كالجمانِ ، شُقَّ فيهِ فمٌ كالخاتمِ لذيذُ المبتسمِ ، فيهِ ثنايا غُرٌّ ذاتُ أشرٍ ، تَقلَّبَ فيهِ لسانٌ ذو فصاحةٍ وبيانٍ ، بعقلٍ وافرٍ ، وجوابٍ حاضرٍ ، تلتقي فيهِ شفتانِ حمراوانِ تحلبانِ ريقاً كالشَّهدِ إذا دلكَ ، في رقبةٍ بيضاءَ كالفضةِ ، رُكِّبَتْ في صدرٍ كصدرِ تمثالِ دميةٍ ، وعضدانِ مدمجانِ يتصلُ بهما ذراعانِ ليسَ فيهِما عظمٌ يُمَسُّ ، ولا عرقٌ يُحَسُّ ، رُكِّبَتْ فيهما كفَّانِ دقيقٌ قصبُهُما ، لينٌ عصبُهُما ، تعقدُ إن شئتَ منهُما الأناملَ ، نتأَ في ذٰلكَ الصدرِ ثديانِ كالرُّمَّانتَينِ يَخرِقانِ عليها ثيابَها ، تحتَ ذٰلكَ بطنٌ طُويَ طيَّ القباطيِّ المدمجةِ ، كُسِرَ عُكُناً كالقراطيسِ المدرجةِ ، تحيطُ بتلكَ العُكَنِ

سرَّةُ كالمدهنِ المَجلوِّ ، خلفَ ذٰلكَ ظهرٌ فيهِ كالجدولِ ، ينتهي إلىٰ خصرٍ لولا رحمةُ اللهِ . . لانبترَ ، لها كفلٌ يقعدُها إذا نهضَتْ ، وينهضُها إذا قعدَتْ ؛ كأنَّهُ دعصُ الرملِ ، لبَّدَهُ سقوطُ الطلِّ ، يحملُهُ فخذانِ لُفَّا كأنَّما قُلِبا علىٰ نضدِ جمانٍ ، تحتَهُما ساقانِ خدلتانِ كالبَرْديَّتَينِ ، وُشِّيتا بشعرٍ أسودَ كأنَّهُ حلقُ الزردِ ، يحملُ ذٰلكَ قدمانِ كحذوِ اللسانِ ، فتباركَ اللهُ معَ صغرِهِما كيفَ يطيقانِ حملَ ما فوقَهُما !!

فأرسلَ الملكُ إلىٰ أبيها ، فخطبَها ، فزَوَّجَها إيَّاهُ ، وبعثَ بصَداقِها ، فجُهِّزَتْ ، فلمَّا أرادوا أن يحملوها إلىٰ زوجِها . . قالَتْ لها أُمُّها : أي بنيةُ ؛ إنَّ الوصيةَ لو تُرِكَتْ لفضلِ أدبٍ . . تُرِكَتْ لذٰلكَ منكِ ، ولٰكنَّها تذكرةٌ للغافلِ ، ومعونةٌ للعاقلِ ، ولو أنَّ امرأةً استغنَتْ عنِ الزوجِ لغنىٰ أبوَيها وشدَّةِ حاجتِهِما إليها . . كنتِ أغنى الناسِ عنهُ ، ولٰكنَّ النساءَ للرجالِ خُلِقْنَ ، ولهُنَّ خُلِقَ الرجالُ .

أي بنيةُ ؛ إنَّكِ فارقتِ الجوَّ الذي منهُ خرجتِ ، وخَلَّفتِ العُشَّ الذي فيهِ درجتِ ، إلىٰ وَكْرٍ لم تعرفيهِ ، وقرينٍ لم تألفيهِ ، فأصبحَ بملكِهِ عليكِ رقيباً ومليكاً ، فكوني لهُ أَمَةً . . يكنْ لكِ عبداً وشيكاً .

يا بنيةُ ؛ احملي عنِّي عشرَ خصالٍ . . تكنْ لكِ ذخراً وذكراً ؛ الصحبةُ بالقناعةِ ، والمعاشرةُ بحسنِ السمعِ والطاعةِ ، والتعهُّدُ لموقعِ عينِهِ ، والتفقدُ لموضعِ أنفِهِ ، فلا تقعُ عينُهُ منكِ علىٰ قبيحٍ ، ولا يَشَمُّ منكِ إلَّا طيبَ ريحٍ ، الكحلُ أحسنُ الحسنِ ، والماءُ أطيبُ الطيبِ المفقودِ ، والتعهُّدُ لوقتِ طعامِهِ ، والهدْءُ عنهُ عندَ منامِهِ ، فإنَّ حرارةَ الجوعِ ملهبةٌ ، وتنغيصُ النومِ مبغضةٌ ، والاحتفاظُ ببيتِهِ ومالِهِ ، والإرعاءُ علىٰ نفسِهِ وحشمِهِ وعيالِهِ ؛ فإنَّ الاحتفاظَ بالمالِ حسنُ التقديرِ ، والإرعاءُ على العيالِ والحشمِ جميلُ حسنُ التدبيرِ ، ولا تفشي لهُ سرّاً ، ولا تعصي لهُ أمراً ؛ فإنَّكِ إن أفشيتِ سِرَّهُ . . لم

تأمني غدرَهُ ، وإن عصيتِ أمرَهُ . . أوغرتِ صدرَهُ ، ثمَّ اتقي معَ ذلكَ الفرحَ إن كانَ تَرِحاً ، والاكتئابَ عندَهُ إن كانَ فَرِحاً ؛ فإنَّ الخصلةَ الأُولىٰ مِنَ التقصيرِ ، والثانيةَ مِنَ التكديرِ ، وكوني أشدَّ ما تكونينَ لهُ إعظاماً . . يكنْ أشدَّ ما يكونُ لكِ إكراماً ، وأشدَّ ما تكونينَ لهُ موافقةً . . يكنْ أطولَ ما تكونينَ لهُ مرافقةً ، واعلمي : أنَّكِ لا تصلينَ إلىٰ ما تحبينَ حتىٰ تؤثري رضاهُ علىٰ رضاكِ ، وهواهُ علىٰ هواكِ ، فيما أحببتِ وكرهتِ ، واللهُ يخيرُ لكِ ، فحُمِلَتْ ، فسُلِّمَتْ إليهِ ، فعظمَ موقعُها منهُ ، وولدَتْ لهُ الملوكَ السبعةَ الذينَ ملكوا بعدَهُ اليمنَ .

ورویٰ أبو عبيدٍ : (ما وراءَكَ ؟) على التذكيرِ ، وقالَ : (يُقالُ : إنَّ المُتكلِّمَ بهِ النابغةُ الذبيانيُّ ، قالَهُ لعصامِ بنِ شهيرٍ حاجبِ النعمانِ ، وكانَ مريضاً)[١] ، وقد أُرجِفَ بموتِهِ ، فسألَهُ النابغةُ عن حالِ النعمانِ ، فقالَ : ما وراءَكَ يا عصامُ ؟ ومعناهُ : ما خَلَّفتَ مِنْ أمرِ العليلِ ، أو ما أمامَكَ مِنْ حالِهِ ، و(وراءَ) مِنَ الأضدادِ .

قلتُ[٢] : يجوزُ أن يكونَ أصلُ المثلِ ما ذكرتُ ، ثمَّ اتفقَ الاسمانِ ، فخُوطِبَ كلٌّ بما استحقَّ مِنَ التذكيرِ والتأنيثِ[٣] .

مقتلُ الرجلِ بينَ فكَّيهِ

المقتلُ : القتلُ ، وموضعُ القتلِ أيضاً ، ويجوزُ أن يجعلَ اللسانُ قتلاً مبالغةً في وصفِهِ بالإفضاءِ إليهِ ، قالَ[٤] : [من البسيط]

[فَـإِنَّـمَـا] هِـيَ إِقْـبَـالٌ وَإِدْبَـارُ

---

(١) الأمثال (ص ٢٠٥) للقاسم بن سلام .

(٢) القائل : هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال » .

(٣) انظر « مجمع الأمثال » (٣/٢٨٠ ـ ٢٨٢) .

(٤) عجز بيت للخنساء رضي الله عنها ، انظر « ديوانها » (ص ٣٨٣) ، والبيت بتمامه :

ويجوزُ أن يُجعَلَ موضعَ القتلِ ؛ أي : بسببِهِ يَحصُلُ القتلُ ، ويجوزُ أن يكونَ بمعنى القاتلِ .

فالمصدرُ ينوبُ عنِ الفاعلِ ؛ كأنَّهُ قالَ : قاتلُ الرجلِ بينَ فكَّيهِ .

قالَ المُفضَّلُ : أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : أكثمُ بنُ صيفيٍّ في وصيةٍ لبنيهِ ، وكانَ جمعَهُم فقالَ :

ـ تبارُّوا ؛ فإنَّ البِرَّ يبقىٰ عليهِ العددُ ، وكُفُّوا ألسنتَكُم ؛ فإنَّ مَقتلَ الرجلِ بينَ فكَّيهِ .

ـ إنَّ قولَ الحقِّ لم يدعْ لي [صديقاً] .

ـ الصدقُ منجاةٌ .

ـ لا ينفعُ التوقِّي ممَّا هوَ واقعٌ .

ـ في طلبِ المعالي يكونُ العَناءُ .

ـ الاقتصادُ في السعْيِ أبقىٰ للجمامِ .

ـ مَنْ لم يأسَ علىٰ ما فاتَهُ . . وَدَّعَ بدنَهُ ، ومَنْ قنعَ بما هوَ فيهِ . . قَرَّتْ عينُهُ .

ـ التقدُّمُ قبلَ التندُّمِ .

ـ أُصبِحُ عندَ رأسِ الأمرِ . . أحبُّ إليَّ مِنْ أن أُصبِحَ عندَ ذَنَبِهِ .

ـ لم يَهلِكْ مِنْ مالِكَ ما وعظَكَ .

ـ ويلٌ لعالمِ أمرٍ مِنْ جاهلِهِ .

← تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّىٰ إِذَا ٱدَّكَرَتْ ... فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ

ـ يتشابهُ الأمرُ إذا أقبلَ ، وإذا أدبرَ عرفَهُ الكيسُ والأحمقُ .

ـ البطرُ عندَ الرخاءِ حمقٌ ، والعجزُ عنِ البلاءِ أمنٌ .

ـ لا تغضبوا مِنَ اليسيرِ ؛ فإنَّهُ يجني الكثيرَ .

ـ لا تجيبوا فيما لا تُسأَلُوا عنهُ ، ولا تضحكوا ممَّا لا يُضحَكُ منهُ .

ـ تناءَوا في الديارِ ، ولا تباغضوا ؛ فإنَّهُ مَنْ يجتمعْ . . يقعقعْ عندَهُ .

ـ ألزموا النساءَ المهانةَ .

ـ نِعْمَ لهْوُ الغِرَّةِ المِغزلُ .

ـ حيلةُ مَنْ لا حيلةَ لهُ الصَّبرُ .

ـ إن تعشْ . . ترَ ما لم ترَهُ .

ـ المِكثارُ كحاطبِ ليلٍ .

ـ مَنْ أكثرَ . . أسقطَ .

ـ لا تجعلوا سرّاً إلىٰ أَمَةٍ .

فهٰذهِ تسعةٌ وعشرونَ مثلاً ، منها قد مرَّ ذكرُهُ فيما سبقَ مِنَ الكتابِ ، ومنها ما يأتي إن شاءَ اللهُ تعالىٰ .

وقد أحسنَ مَنْ قالَ : رحمَ اللهُ امرأً أطلقَ ما بينَ كفَّيهِ ، وأمسكَ ما بينَ فكَّيهِ ، وللهِ درُّ أبي الفتحِ البستيِّ حيثُ يقولُ في هٰذا المثلِ[1] : [من الطويل]

تَكَلَّمْ وَسَدِّدْ مَا ٱسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا ... كَلَامُكَ حَيٌّ وَٱلسُّكُوتُ جَمَادُ

فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَوْلاً سَدِيداً تَقُولُهُ ... فَصَمْتُكَ عَنْ غَيْرِ ٱلسَّدَادِ سَدَادُ

---

(١) انظر « ديوان أبي الفتح البستي » (ص ١٢٦) .

واحتذاهُ القاضي أبو أحمدَ منصورُ بنُ محمدٍ الهرويُّ ، فقالَ : [من الطويل]

إِذَا كُنْتَ ذَا عِلْمٍ وَمَارَاكَ جَاهِلٌ ... فَأَعْرِضْ فَفِي تَرْكِ ٱلْجَوَابِ جَوَابُ

وَإِنْ لَمْ تُصِبْ فِي ٱلْقَوْلِ فَٱسْكُتْ فَإِنَّمَا ... سُكُوتُكَ عَنْ غَيْرِ ٱلصَّوَابِ صَوَابُ

وضَمَّنَ الشيخُ أبو سهلٍ النيليُّ شرائطَ الكلامِ قولَهُ : [من الكامل]

أُوصِيكَ فِي نَظْمِ ٱلْكَلَامِ بِخَمْسَةٍ ... إِنْ كُنْتَ لِلْمُوصِي ٱلشَّفِيقِ مُطِيعَا

لَا تُغْفِلَنْ سَبَبَ ٱلْكَلَامِ وَوَقْتَهُ ... وَٱلْكَيْفَ وَٱلْكَمْ وَٱلْمَكَانَ جَمِيعَا

« مَنْ صدقَ اللهَ . . نجا »

روىٰ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ أَنَّهُ قالَ : « إِنَّ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ ٱنْطَلَقُوا إِلَى ٱلصَّحْرَاءِ ، فَمَطَرَتْهُمُ ٱلسَّمَاءُ ، فَلَجَؤُوا إِلَىٰ كَهْفٍ فِي جَبَلٍ يَنْتَظِرُونَ إِقْلَاعَ ٱلْمَطَرِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَٰلِكَ . . إِذْ هَبَطَتْ صَخْرَةٌ مِنَ ٱلْجَبَلِ وَجَثَمَتْ عَلَىٰ بَابِ ٱلْغَارِ ، فَيَئِسُوا مِنَ ٱلْحَيَاةِ وَٱلنَّجَاةِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : لِيَنْظُرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ إِلَىٰ أَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلَهُ فَلْيَذْكُرْهُ ، ثُمَّ لِيَدْعُ ٱللهَ تَعَالَىٰ ، عَسَىٰ أَنْ يَرْحَمَنَا وَيُنَجِّيَنَا .

فَقَالَ أَحَدُهُمْ : ٱللَّهُمَّ ؛ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ بَارّاً بِوَالِدَيَّ ، وَكُنْتُ آتِيهِمَا بِغَبُوقِهِمَا فَيَغْتَبِقَانِهِ ، فَأَتَيْتُ لَيْلَةً بِغَبُوقِهِمَا ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا ، وَكَرِهْتُ ٱلرُّجُوعَ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَاكَ دَأْبِي حَتَّىٰ طَلَعَ ٱلْفَجْرُ ، فَإِنْ كُنْتُ عَمِلْتُ ذَٰلِكَ لِوَجْهِكَ . . فَٱفْرُجْ عَنَّا ، فَمَالَتِ ٱلصَّخْرَةُ عَنْ مَكَانِهَا حَتَّىٰ دَخَلَ عَلَيْهِمُ ٱلضَّوْءُ .

وَقَالَ ٱلْآخَرُ : ٱللَّهُمَّ ؛ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي هَوِيتُ ٱمْرَأَةً ، وَلَقِيتُ فِي شَأْنِهَا أَهْوَالاً حَتَّىٰ ظَفِرْتُ بِهَا ، وَقَعَدْتُ مِنْهَا مَقْعَدَ ٱلرَّجُلِ مِنَ ٱلْمَرْأَةِ ، قَالَتْ : إِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ خَاتَمِي إِلَّا بِحَقِّهِ ، فَقُمْتُ عَنْهَا ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ مَا حَمَلَنِي

عَلَىٰ ذَٰلِكَ إِلَّا مَخَافَتُكَ . . فَٱفْرُجْ عَنَّا ، فَٱنْفَرَجَتِ ٱلصَّخْرَةُ حَتَّىٰ لَوْ شَاءَ ٱلْقَوْمُ أَنْ يَخْرُجُوا لَقَدَرُوا .

وَقَالَ ٱلثَّالِثُ : اللَّهُمَّ ؛ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي ٱسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ ، فَعَمِلُوا لِي ، فَوَفَّيْتُهُمْ أُجُورَهُمْ إِلَّا رَجُلاً وَاحِداً تَرَكَ أَجْرَهُ عِنْدِي وَخَرَجَ مُغَاضِباً ، فَرَبَّيْتُ أَجْرَهُ حَتَّىٰ نَمَا وَبَلَغَ مَبْلَغاً ، ثُمَّ جَاءَ ٱلْأَجِيرُ فَطَلَبَ أُجْرَتَهُ ، فَقُلْتُ : هَاكَ مَا تَرَىٰ مِنَ ٱلْمَالِ ، فَإِنْ كُنْتُ عَمِلْتُ ذَٰلِكَ لَكَ . . فَٱفْرُجْ عَنَّا ، فَمَالَتِ ٱلصَّخْرَةُ ، وَٱنْطَلَقُوا سَالِمِينَ » .

فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « مَنْ صَدَقَ ٱللهَ . . نَجَا »(١) ، ومعنىٰ (صدقَ اللهَ) : لقيَ اللهَ بالصدقِ ؛ وهوَ أن يُحقِّقَ قولَهُ فعلُهُ .

منكَ أنفُكَ وإن كانَ أجدعَ

يُضرَبُ لِمَنْ يلزمُكَ خيرُهُ وشرُّهُ وإن كانَ ليسَ بمستحكمِ القربِ .

وأوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : قنفذُ بنُ جعونةَ المازنيُّ للربيعِ بنِ كعبٍ المازنيِّ ؛ وذٰلكَ أنَّ الربيعَ دفعَ فرساً كانَ قد أبرَّ على الخيلِ كرماً وجودةً إلىٰ أخيهِ كَميشٍ ليأتيَ بهِ أهلَهُ ، وكانَ كميشٌ أَنْوَكَ مشهوراً بالحمقِ ، وقد كانَ رجلٌ مِنْ بني مالكٍ يُقالُ لهُ : قرادُ بنُ جرمٍ ، قدمَ علىٰ أصحابِ الفرسِ ليصيبَ منهُم غرَّةً فيأخذَها ، فكانَ داهيةً ، فمكثَ فيهِم مقيماً لا يَعرِفونَ نسبَهُ ولا يظهرُهُ هوَ ، فلمَّا نظرَ إلىٰ كميشٍ راكباً الفرسَ . . ركبَ ناقتَهُ ، ثمَّ عارضَهُ فقالَ : يا كميشُ ؛ هل لكَ في عانةٍ لم أرَ مثلَها سمناً ولا عظماً ، وعَيْرٌ معَها مِنْ ذهبٍ ؟ فأمَّا الأتنُ . . فتروحُ بها إلىٰ أهلِكَ فتملأُ قدُورَهُم ، وتُفرِحُ صُدورَهُم ، وأمَّا العَيْرُ . . فلا افتقارَ بعدَهُ ؟ قالَ لهُ كميشٌ : وكيفَ لنا بهِ ؟ قالَ : أنا لكَ

---

(١) أخرجه الطبراني في « الدعاء » (١٩٦) عن سيدنا عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنهما .

بهِ ، وليسَ يُدرَكُ إلَّا علىٰ فرسِكَ هـٰذا ، ولا يُرىٰ إلَّا بليلٍ ، ولا يراهُ غيري ، قالَ كميشٌ : فدونَكَهُ ، قالَ : نعم ، وأمسكْ أنتَ راحلتي ، فركبَ قرادٌ الفرسَ وقالَ : انتظرْني في هـٰذا المكانِ إلىٰ هـٰذهِ الساعةِ مِنْ غدٍ ، قالَ : نعم ، ومضىٰ قُرادٌ ، فلمَّا توارىٰ . . أنشأَ يقولُ : [من مشطور الرجز]

ضَـيَّـعْـتَ فِـي ٱلْـعَـيْـرِ ضَـلَالاً مُـهْـرَكَـا
لِـتُـطْـعِـمَ ٱلْـحَـيَّ جَـمِـيـعـاً عَـيْـرَكَـا
فَـسَـوْفَ تَـأْتِـي بِـٱلْـهَـوَانِ أَهْـلَـكَـا
وَقَـبْـلَ هَـٰذَا مَـا خَـدَعْـتُ ٱلْأَنْـوَكَـا

فلم يزلْ كميشٌ ينتظرُه حتىٰ أمسىٰ مِنْ غدِهِ وجاعَ ، فلمَّا لم يرَ لهُ أثراً . . انصرفَ إلىٰ أهلِهِ وقالَ في نفسِهِ : إن سألَني أخي عنِ الفرسِ . . قلتُ : تَحوَّلَ ناقةً ، فلمَّا رآهُ أخوهُ الربيعُ . . عرفَ أنَّهُ خُدِعَ عنِ الفرسِ ، فقالَ لهُ : أينَ الفرسُ ؟ قالَ : تَحوَّلَ ناقةً ، قالَ : فما فعلَ السرجُ ؟ قالَ : لم أذكرِ السرجَ فأطلبَ لهُ عِلَّةً ، فصرعَهُ الربيعُ ليقتلَهُ ، فقالَ لهُ قنفذُ بنُ جعونةَ : ٱلْهُ عمَّا فاتَكَ ؛ فإنَّ أنفَكَ منكَ وإن كانَ أجدعَ ، فذهبَتْ مثلاً ، وقدمَ قُرادُ بنُ [جرمٍ] علىٰ أهلِهِ بالفرسِ ، وقالَ في ذٰلكَ : [من الطويل]

رَأَيْـتُ كَـمِـيـشـاً نَـوْكُـهُ لِـيَ نَـافِـعٌ ... وَلَـمْ أَرَ نَـوْكـاً قَـبْـلَ ذَٰلِكَ يَـنْـفَـعُ
يُـؤَمِّـلُ عَـيْـراً مِـنْ نُـضَـارٍ وَعَـسْـجَـدٍ ... فَهَلْ كَانَ لِي فِي غَيْرِ ذَٰلِكَ مَطْمَعُ
وَقُلْتُ لَهُ أَمْسِكْ قَلُوصِي وَلَا تَرُمْ ... خِدَاعـاً لَـهُ إِذْ ذُو ٱلْـمَـكَـايِـدِ يَـخْـدَعُ
فَـأَصْـبَـحَ يَـرْمِـي ٱلْـخَـافِـقَـيْـنِ بِـطَـرْفِـهِ ... وَأَصْـبَـحَ تَـحْـتِـي ذُو أَفَـانِـيـنَ جُرْشُـعُ
أَبَرُّ عَلَى [ٱلْجُرْدِ] ٱلْعَنَاجِيجِ كُلِّهَا ... فَلَـيْـسَ وَلَـوْ أَقْـحَـمْـتَـهُ ٱلْـوَعْـرَ يَـكْـسَـعُ (١)

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣/٣٦٠ ـ ٣٦٢) .

مَنْ يَرَ يوماً . . يُرَ بهِ

قالَ المُفضَّلُ : أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : كلحبُ بنُ شُؤبوبٍ الأسديُّ ، وكانَ يغيرُ علىٰ طيءٍ وحدَهُ ، فدعا حارثةُ بنُ لَأْمٍ الطائيُّ رجلاً مِنْ قومِهِ يُقالُ لهُ : عترمٌ ، وكانَ بطلاً شجاعاً ، فقالَ لهُ : أما تستطيعُ أن تكفيَني هٰذا الخبيثَ ؟ فقالَ : بلىٰ ، ثمَّ أرسلَ معَهُ عشرةً مِنَ العيونِ حتىٰ علموا مكانَهُ .

وانطلقَ إليهِ الرجلُ في جماعةٍ ، فوجدوهُ نائماً في ظلِّ أراكةٍ وفرسُهُ مشدودةٌ عندَهُ ، فنزلَ عندَهُ الرجلُ ومعَهُ آخرُ إليهِ ، فأخذَ كلُّ واحدٍ منهُما بإحدىٰ يدَيهِ ، فانتبهَ ، فنزعَ يدَهُ اليمنىٰ مِنْ ممسكِها وقبضَ علىٰ حَلْقِ الآخَرِ فقتلَهُ ، وبادرَ الباقونَ إليهِ فأخذوهُ وشدُّوهُ وثاقاً ، فقالَ لهُمُ ابنُ المقتولِ وهوَ حوذةُ بنُ عترمٍ : دعوني أقتلْهُ كما قتلَ أبي ، قالوا : حتىٰ نأتيَ بهِ حارثةَ ، فأبىٰ ، فقالوا لهُ : واللهِ ؛ لَئن قتلتَهُ لنقتُلَنَّكَ .

وأتَوا بهِ حارثةَ بنَ لَأْمٍ ، فقالَ لهُ حارثةُ : يا كلحبُ ؛ إن كنتَ أسيراً . . فطالما أسرتَ ، فقالَ كلحبُ : مَنْ يَرَ يوماً . . يُرَ بهِ ، فأرسلَها مثلاً ، وقالَ حوذةُ لحارثةَ : أعطنيهِ أقتلْهُ كما قتلَ أبي ، قالَ : دونَكَهُ ، وجعلوا يُكلِّمونَهُ وهوَ يعالجُ كتافَهُ حتى انحلَّ ثمَّ وثبَ علىٰ رجليهِ يجاريهِم ، وتواثبوا على الخيلِ واتبعوهُ فأعجزَهُم ، فقالَ حوذةُ في ذٰلكَ : [من الطويل]

إِلَى ٱللهِ أَشْكُو أَنْ أَؤُوبَ وَقَدْ ثَوَىٰ   قَتِيلاً فَأَوْدَىٰ سَيِّدُ ٱلْقَوْمِ عَتْرَمُ

فَمَاتَ ضَيَاعاً هٰكَذَا بِيَدِ ٱمْرِئٍ   لَئِيمٍ فَلَوْلَا قِيلَ ذُو ٱلْوِتْرِ مُعْلِمُ

فأجابَهُ كلحبٌ : [من الطويل]

أَحَوْذَةُ إِنْ تَفْخَرْ وَتَزْعُمْ أَنَّنِي   لَئِيمٌ فَمِنِّي عَتْرَمُ ٱللُّؤْمِ أَلْأَمُ

فَأُقْسِمُ بِٱلْبَيْتِ ٱلْمُحَرَّمِ مِنْ مِنىً   أَلِيَّةَ بَرٍّ صَادِقٍ حِينَ يُقْسِمُ

لَـضَـبٌّ بِـقَـفْـرٍ مِـنْ قَـفَـارٍ وَضَـبَّـةٌ ... خَـمُـوعٌ وَيَـرْبُـوعُ ٱلْـفَـلَا مِـنْـكَ أَكْـرَمُ
فَـهَـلْ أَنْـتَ إِلَّا خُـنْـفُـسَـاءُ لَـئِـيـمَـةٌ ... وَخَـالُـكَ يَـرْبُـوعٌ وَجَـدُّكَ شَـيْـهَـمُ
أَتُـوعِـدُنِـي بِـٱلْـمُـنْـكَـرَاتِ وَإِنَّـنِـي ... صَبُورٌ عَلَىٰ مَا نَابَ جَلْدٌ صَلَخْدَمُ
فَـإِنْ أَفْـنَ أَوْ أُعْـمَـرْ إِلَـىٰ وَقْـتِ هَـٰذِهِ ... فَإِنِّي ٱبْنُ شُؤْبُوبٍ جَسُورٍ غَشَمْشَمُ

مَنْ يشتري سيفي وهـٰذا أثرُهُ

قالَ المُفضَّلُ : أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : الحارثُ بنُ ظالمٍ المريُّ ؛ وذٰلكَ أنَّ خالدَ بنَ جعفرِ بنِ كلابٍ لمَّا قتلَ زهيرَ بنَ جذيمةَ العبسيَّ . . ضاقَتْ بهِ الأرضُ ، وعلمَ أنَّ غطفانَ غيرُ تاركيهِ ، فخرجَ حتىٰ أتى النعمانَ ، فاستجارَ بهِ ، فأجارَهُ ومعَهُ أخوهُ عتبةُ بنُ جعفرٍ ، ونهضَ قيسُ بنُ زهيرٍ فاستعدَّ لمحاربةِ بني عامرٍ ، وهجمَ الشتاءُ ، فقالَ الحارثُ بنُ ظالمٍ : يا قيسُ ؛ أنتُم أعلمُ وحربَكُم ، وأنا رائحٌ إلىٰ خالدٍ حتىٰ أقتلَهُ ، قالَ قيسٌ : قد أجارَهُ النعمانُ ، قالَ الحارثُ : لَأقتلَنَّهُ ولو كانَ في حجرِهِ .

وكانَ النعمانُ قد ضربَ علىٰ خالدٍ وعلىٰ أخيهِ قُبَّةً ، وأمرَهُما بحضورِ طعامِهِ ومُدامِهِ ، فأقبلَ الحارثُ ومعَهُ تابعٌ لهُ مِنْ بني محاربٍ ، فأتىٰ بابَ النعمانِ ، فاستأذنَ ، فأذنَ لهُ النعمانُ وفرحَ بهِ ، فدخلَ الحارثُ وكانَ مِنْ أحسنِ الناسِ وجهاً وحديثاً ، وأعلمِ الناسِ بأيامِ العربِ ، فأقبلَ النعمانُ عليهِ بوجهِهِ وحديثِهِ وبينَ أيديهِم تمرٌ يأكلونَهُ ، فلمَّا رأىٰ خالدٌ إقبالَ النعمانِ على الحارثِ . . غاظَهُ ، فقالَ : يا أبا ليلىٰ ؛ ألا تشكرُني ؟ قالَ : فيماذا ؟ قالَ : قتلتُ زهيراً فصرتَ بعدَهُ سيدَ غطفانَ ، وفي يدِ الحارثِ تمراتٌ ، فاضطربَتْ يدُهُ ، وجعلَ يُرعِدُ ويقولُ : أنتَ قتلتَهُ ؟ والتمرُ يسقطُ مِنْ يدِهِ ، ونظرَ النعمانُ إلىٰ ما بهِ مِنَ الزمعِ ، فنخسَ خالداً بقضيبِهِ وقالَ : هـٰذا يقتلُكَ .

وافترقَ القومُ ، وبقيَ الحارثُ عندَ النعمانِ ، وأشرجَ خالدٌ قُبَّتَهُ عليهِ وعلىٰ أخيهِ ، وناما ، وانصرفَ الحارثُ إلىٰ رحلِهِ ، فلمَّا هدأَتِ العيونُ . . خرجَ الحارثُ بسيفِهِ شاهرَهُ حتىٰ أتىٰ قبَّةَ خالدٍ ، فهتكَ شرجَها بسيفِهِ ودخلَ ، فرأىٰ خالداً نائماً وأخوهُ إلىٰ جنبِهِ ، فأيقظَ خالداً واستوىٰ قائماً ، فقالَ لهُ الحارثُ : يا خالدُ ؛ أظننتَ أنَّ دمَ زهيرٍ كانَ سائغاً لكَ وعلاهُ بسيفِهِ حتىٰ قتلَهُ ، وانتبهَ عتبةُ ، فقالَ لهُ الحارثُ : لئن نبسْتَ . . لَأُلحقَنَّكَ بهِ ، وانصرفَ الحارثُ وركبَ فرسَهُ ومضىٰ علىٰ وجهِهِ .

وخرجَ عتبةُ صارخاً ، حتىٰ أتىٰ بابَ النعمانِ ، فنادىٰ : يا سوءَ جواراهْ !! فأُجيبَ : لا روعَ عليكَ ، فقالَ : دخلَ الحارثُ علىٰ خالدٍ فقتلَهُ وأخفرَ الملكَ ، فوَجَّهَ النعمانُ فوارسَ في طلبِهِ ، فلحقوهُ سَحَراً ، فعطفَ عليهِم فقتلَ منهُم جماعةً ، وكثروا عليهِ فجعلَ لا يقصدُ جماعةً إلَّا فرَّقَها ، ولا لفارسٍ إلَّا قتلَهُ ، وهوَ يرتجزُ ويقولُ : [من الرجز]

أَنَا أَبُو لَيْلَىٰ وَسَيْفِي ٱلْمَعْلُوبْ مَنْ يَشْتَرِي سَيْفِي وَهَٰذَا أَثَرُهْ

وارتدعَ القومُ عنهُ ، وانصرفوا إلى النعمانِ .

يُضرَبُ في المحاذرةِ مِنْ شيءٍ قدِ ابتُلِيَ بمثلِهِ مَرَّةً ، قالَ الأغلبُ العجليُّ : [من الرجز]

قَالَتْ لَهُ فِي بَعْضِ مَا تُسَطِّرُهْ مَنْ يَشْتَرِي سَيْفِي وَهَٰذَا أَثَرُهْ (١)

« انصرْ أخاكَ ظالماً أو مظلوماً »

يُروىٰ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ قالَ هٰذا ، فقيلَ : يا رسولَ اللهِ ؛

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣/٣٧٧ ـ ٣٧٨) .

هٰذا ننصرُهُ مظلوماً ، فكيفَ ننصرُهُ ظالماً ؟! فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « تَرُدُّهُ عَنِ ٱلظُّلْمِ »[١] .

قالَ أبو عبيدٍ : (أمَّا الحديثُ . . فهٰكذا ، وأمَّا العربُ . . فكانَ مذهبُها في المثلِ نصرتَهُ علىٰ كلِّ حالٍ)[٢] .

قالَ المُفضَّلُ : أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : جندبُ [بنُ] العنبرِ بنِ تميمِ بنِ عمرٍو ، وكانَ رجلاً دميماً فاحشاً ، وكانَ شجاعاً ، وأنَّهُ جلسَ هوَ وسعدُ بنُ زيدِ مناةَ يشربانِ ، فلمَّا أخذَ الشرابُ فيهِما . . قالَ جندبُ لسعدٍ وهوَ يمازحُهُ : يا سعدُ ؛ لَشربُ لبنِ اللقاحِ ، وطولُ النكاحِ ، وحسنُ المزاحِ . . أحبُّ إليكَ مِنَ الكفاحِ ، ودعسِ الرماحِ ، وركضِ الوقاحِ ، قالَ سعدٌ : كذبتَ واللهِ ؛ إنِّي لأُعْمِلُ العاملَ ، وأنحرُ البازلَ ، وأُسكِتُ القائلَ ، قالَ جندبٌ : إنَّكَ لَتعلمُ أنَّكَ لو فزعتَ . . دعوتَني عَجِلاً ، وما ابتغيتَ لي بدلاً ، ولَرأيتَني بطلاً ، أركبُ العزيمةَ ، وأمنعُ الكريمةَ ، وأحمي الحريمةَ ، فغضبَ سعدٌ وأنشأَ يقولُ : [من الخفيف]

هَلْ يَسُودُ ٱلْفَتَىٰ إِذَا قَبُحَ ٱلْوَجْـ ـهُ وَأَمْسَىٰ قِرَاهُ غَيْرَ عَتِيدِ
وَإِذَا ٱلنَّاسُ فِي ٱلنَّدِيِّ رَأَوْهُ نَاطِقاً قَالَ قَوْلَ غَيْرِ سَدِيدِ

فأجابَهُ جندبٌ :

لَيسَ زَيْنُ ٱلْفَتَى ٱلْجَمَالَ وَلَٰكِنْ زَيْنُهُ ٱلضَّرْبُ بِٱلْحُسَامِ ٱلتَّلِيدِ
إِنْ يَنَلْكَ ٱلْغِنَىٰ فَزَيْنٌ وَإِلَّا رُبَّمَا ضَنَّ بِٱلْيَسِيرِ ٱلْعَتِيدِ

قالَ سعدٌ وكان عائفاً : أَمَا والذي أَحلِفُ بهِ ؛ لتأسرنَّكَ ظعينةٌ ، بينَ العرينةِ

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٤) عن سيدنا أنسٍ رضي الله عنه .
(٢) الأمثال (ص ١٨١) للقاسم بن سلام .

والدهينةِ ، ولقد أخبرَني طيري ؛ أنَّهُ لا يَفكُّكَ غيري ، فقالَ جندبٌ : كلَّا ، إنَّكَ لَجبانٌ ، تكرهُ الطِّعانَ ، وتُحِبُّ القيانَ .

فتَفرَّقا علىٰ ذٰلكَ ، فغبرا حيناً ، ثمَّ إنَّ جندباً خرجَ علىٰ فرسٍ لهُ يَطلبُ القنصَ ، فأتىٰ علىٰ أمةٍ لبني تميمٍ يُقالُ : إنَّ أصلَها مِنْ جُرْهُمَ ، فقالَ لها : لتُمكِّنِنِّي مسرورةً ، أو تُقهَرينَ مجبورةً ، قالَتْ : مهلاً ؛ فإنَّ المرءَ مِنْ نَوْكِهِ . . يشربُ مِنْ سِقاءٍ لم يوكِهِ ، فنزلَ إليها عن فرسِهِ مُدِلّاً ، فلمَّا دنا منها . . قبضَتْ علىٰ يديهِ بيدٍ واحدةٍ ، فما زالَتْ تعصرُهُما حتىٰ صارَ لا يستطيعُ أن يُحرِّكَهُما ، ثمَّ كتفَتْهُ بعنانِ فرسِهِ ، وراحَتْ بهِ معَ غنمِها وهيَ تحدو بهِ وتقولُ : [من مشطور الرجز]

لَا تَأْمَنَنَّ بَعْدَهَا ٱلْوَلَائِدَا

فَسَوْفَ تَلْقَىٰ بَاسِلاً مَوَارِدَا

وَحَيَّةً تُضْحِي لِحَيٍّ رَاصِدَا

قالَ : فمرَّ بسعدٍ في إبلِهِ ، فقالَ : يا سعدُ ؛ أغثْني ، قالَ سعدٌ : إنَّ الجبانَ لا يغيثُ ، فقالَ جندبٌ : [من مشطور الرجز]

يَا أَيُّهَا ٱلْمَرْءُ ٱلْكَرِيمُ ٱلْمَشْكُومْ

ٱنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُومْ

فأقبلَ إليهِ سعدٌ فأطلقَهُ ، ثمَّ قالَ : لولا أن يُقالَ : قتلَ امرأةً . . لَقتلتُكِ ، [قالَتْ][1] : كلَّا ، لم يكنْ ليكذبَ طيرُكَ ، ويَصدُقَ غيرُكَ ، قالَ : صدقتِ .

قولُهُ : (انصرْ أخاكَ ظالماً) يجوزُ أن يكونَ (ظالماً أو مظلوماً) حالَينِ

---

(١) في الأصل : (قال) .

مِنْ قولِهِ : (أخاكَ) ، ويجوزُ أن يكونا حالَينِ مِنَ الضَّميرِ المُستكنِّ في الأمرِ ؛ يعني : انصرْهُ ظالماً إن كنتَ خصمَهُ ، أو مظلوماً مِنْ جهةِ خصمِهِ ؛ أي : لا تسلِمْهُ في أيِّ حالٍ كنتَ[1] .

ويلٌ للشجيِّ مِنَ الخليِّ

ذكرتُ قصتَهُ في حرفِ الصَّادِ ؛ عندَ قولِهِم : صُغْراها شُرَّاها[2] ، وهٰذهِ روايةٌ أخرىٰ : قالَ المدائنيُّ ومحمدُ بنُ سلَّامٍ الجمحيُّ : أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : أكثمُ بنُ صيفيٍّ التميميُّ ، وكانَ مِنْ حديثِهِ أنَّهُ لمَّا ظهرَ النبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ بمكةَ ، ودعا الناسَ إلى الإسلامِ . . بعثَ أكثمُ بنُ صيفيٍّ ابنَهُ حُبَيشاً ، فأتاهُ بخبرِهِ ، فجمعَ بني تميمٍ وقالَ : يا بني تميمٍ ؛ لا تُحضروني سفيهاً ، فإنَّهُ مَنْ يسمعْ . . يَخَلْ ؛ إنَّ السفيهَ يوهِنُ مَنْ فوقَهُ ، ويثبتُ مَنْ دونَهُ ، لا خيرَ فيمَنْ لا عقلَ لهُ ، كبرَتْ سنِّي ، ودخلَتْني ذلةٌ ، فإذا رأيتُم منِّي حسناً . . فاقبلوهُ ، وإن رأيتُم منِّي غيرَ ذٰلكَ . . فقوِّمُوني أستقمْ ، إنَّ ابني شافهَ هٰذا الرجلَ مشافهةً وأتاني بخبرِهِ وكتابِهِ ؛ يأمرُ فيهِ بالمعروفِ ، وينهىٰ عن المنكرِ ، ويأخذُ فيهِ بمحاسنِ الأخلاقِ ، ويدعو إلىٰ توحيدِ اللهِ تعالىٰ ، وخلعِ الأوثانِ ، وتركِ الحلفِ بالنيرانِ ، وقد عرفَ ذَوُو الرأيِ منكُم أنَّ الفضلَ فيما يدعو إليهِ ، وأنَّ الرأيَ تركُ ما ينهىٰ عنهُ .

إنَّ أحقَّ الناسِ بمعونةِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ومساعدتِهِ علىٰ أمرِهِ . . أنتُم ، فإن يكنِ الذي يدعو إليهِ حقّاً . . فهوَ لكُم دونَ الناسِ ، وإن يكنْ باطلاً . . كنتُم أحقَّ الناسِ بالكفِّ عنهُ ، وبالسترِ عليهِ ، وقد كانَ أُسقُفُّ نجرانَ يُحدِّثُ بصفتِهِ ، وكانَ سفيانُ بنُ مجاشعٍ يُحدِّثُ بهِ قبلَهُ ، وسمَّى ابنَهُ

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣/٤٣٦ ـ ٤٣٨) .

(٢) تقدم (٣/١٢٣) ، والسياق للعلامة الميداني في « مجمع الأمثال » .

محمداً ، فكونوا في أمرِهِ أوَّلاً ، ولا تكونوا آخراً ، ائتوا طائعينَ قبلَ أن تأتوا كارهينَ .

إنَّ الذي يدعو إليهِ محمدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ لو لم يكنْ ديناً . . كانَ في أخلاقِ الناسِ حسناً ، أطيعوني واتبعوا أمري . . أسألْ لكُم أشياءَ لا تُنزَعُ منكم أبداً ، وأصبحتُم أعزَّ حيٍّ في العربِ ، وأكثرَهُم عدداً ، وأوسعَهُم داراً ، فإنِّي أرىٰ أمراً لا يجتنبُهُ عزيزٌ إلَّا ذلَّ ، ولا يلزمُهُ ذليلٌ إلَّا عزَّ ، إنَّ الأوَّلَ لم يدعْ للآخِرِ شيئاً ، وهٰذا أمرٌ لهُ ما بعدَهُ ، مَنْ سبقَ إليهِ . . غمرَ المعاليَ ، واقتدىٰ بهِ التالي ، والعزيمةُ حزمٌ ، والاختلافُ عجزٌ .

فقالَ مالكُ بنُ نويرةَ : قد خَرِفَ شيخُكُم ، فقالَ أكثمُ : ويلٌ للشجيِّ مِنَ الخليِّ ، وا لهفي علىٰ أمرٍ لم أشهدْهُ ولم يسعْني !!

هلمَّ جرّاً

قالَ المُفضَّلُ : أي : تعالَوا علىٰ هينتِكُم كما يسهلُ عليكُم ، وأصلُ ذٰلكَ مِنَ الجرِّ في السوقِ ؛ وهو أن تُترَكَ الإبلُ والغنمُ ترعىٰ في سيرِها ، قالَ الراجزُ : [من مشطور الرجز]

لَطَالَمَا جَرَرْتُكُنَّ جَرَّا
حَتَّىٰ نَوَى ٱلْأَعْجَفُ وَٱسْتَمَرَّا
فَٱلْيَوْمَ لَا آلُو ٱلرِّكَابَ شَرَّا

وأوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : المستطعمُ عمرَو بنَ حمرانَ الجعديَّ زبداً وتامكاً ، حتىٰ قالَ لهُ عمرٌو : كلاهما وتمراً ، وقد مرَّ ذكرُهُما في حرفِ الكافِ [1] ، واسمُ

---

(١) تقدم (١٤٨/٣) ، والسياق للعلامة الميداني في « مجمع الأمثال » .

ذٰلكَ الرجلِ عائذٌ ، وكانَ لهُ أخٌ يُسمَّىٰ : جندلةَ ، وهما ابنا يزيدَ اليشكريِّ ، ولمَّا رجعَ عائذٌ . . قالَ لهُ أخوهُ جندلةُ : [من الوافر]

أَعَـائِـذُ لَـيْـتَ شِـعْـرِي أَيُّ أَرْضٍ ... رَمَـتْ بِكَ بَـعْـدَمَا قَـدْ غِبْـتَ دَهْـرَا
فَـلَـمْ يَـكُ يُـرْتَـجَـىٰ لَـكُـمُ إِيَـابٌ ... وَلَـمْ نَـعْـرِفْ لِـدَارِكَ مُـسْـتَـقَـرَّا
فَـقَـدْ كَـانَ ٱلْـفِـرَاقُ أَذَابَ جِـسْـمِـي ... وَكَـانَ ٱلْـعَـيْـشُ بَـعْـدَ ٱلـصَّـفْـوِ كَـدْرَا
وَكَـمْ قَـاسَـيْـتُ عَـائِـذُ مِـنْ فَـظِـيـعٍ ... وَكَـمْ جَـاوَزْتُ أَمْـلَـسَ مُـقْـشَـعِـرَّا
إِذَا جَـاوَزْتُـهَـا ٱسْـتَـقْـبَـلْـتُ أُخْـرَىٰ ... وَأُقْـودُ مُـشْـمَـخِـرَّ ٱلـنِّـيـقِ وَعْـرَا

فأجابَهُ عائذٌ فقالَ : [من الوافر]

أَجَـنْـدَلُ كَـمْ قَـطَـعْـتُ إِلَـيْـكَ أَرْضـاً ... يَـمُـوتُ بِـهَـا أَبُـو ٱلْأَشْـبَـالِ ذُعْـرَا
قَـطَـعْـتُ وَلَامِـعَـاتُ ٱلْآلِ تَـجْـرِي ... وَقَـدْ أَوْتَـرْتُ فِـي ٱلْـمُـومَـاتِ كَـدْرَا
وَطَـامِـسَـةُ ٱلْـمُـتُـونِ ذُعِـرْتُ فِـيـهَـا ... خَـوَاضِـبُ ذَاتُ أَرْآلٍ وَغُـبْـرَا
وَإِنْ جَـاوَزْتُ مُـقْـفِـرَةً رَمَـتْ بِـي ... إِلَـىٰ أُخْـرَىٰ كَـتِـلْـكَ هَـلُـمَّ جَـرَّا
فَـلَـمَّـا لَاحَ لِـي سَـغَـبٌ وَلُـوحٌ (١) ... وَقَـدْ مَـتَـعَ ٱلـنَّـهَـارُ لَـقِـيـتُ عَـمْـرَا
فَـقُـلْـتُ فَـهَـاتِ زُبْـداً أَوْ سَـنَـامـاً ... فَـقَـالَ كِـلَاهُـمَـا وَتُـزَادُ تَـمْـرَا
فَـقَـدَّمَ لِـلْـقِـرَىٰ شَـطْـبـاً وَزُبْـداً ... وَظِـلْـتُ لَـدَيْـهِ عَـشْـراً ثُـمَّ عَـشْـرَا (٢)

يسارُ الكواعبِ

كـانَ مِنْ حديثِهِ : أنَّـهُ كـانَ عبداً أسـودَ يرعىٰ لأهلِهِ إبلاً ، وكـانَ معَهُ

---

(١) أي : جوع وعطش .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (٣/٥٧٧ ـ ٥٧٨) .

عبدٌ يراعيهِ ، وكانَ لمولىٰ يسارٍ بنتٌ ، فمرَّتْ يوماً بإبلِهِ وهيَ ترتعُ في روضٍ معشبٍ ، فجاءَ يسارٌ بعلبةِ لبنٍ فسقاها ، وكانَ أفحجَ الرجلَينِ ، فنظرَتْ إلىٰ فحجِهِ فتبسَّمَتْ ، ثمَّ شربَتْ وجزتْهُ خيراً ، فانطلقَ فرحاً حتىٰ أتى العبدَ المراعيَ ، وقصَّ عليهِ القصَّةَ ، وذكرَ لهُ فرحَها وتبسُّمَها ، فقالَ لهُ صاحبُهُ : يا يسارُ ؛ كُلْ مِنْ لحمِ الحوارِ ، واشربْ لبنَ العشارِ ، وإيَّاكَ وبناتِ الأحرارِ ، فقالَ : دحكَتْ إليَّ دحكةً لا أُخيِّبُها ، يقولُ : ضحكَتْ ضحكةً .

ثمَّ قامَ إلىٰ علبةٍ فملأَها وأتىٰ بها ابنةَ مولاهُ ، فنبَّهَها فشربَتْ ، ثمَّ اضجعَتْ ، وجلسَ العبدُ حذاءَها ، فقالَتْ : ما جاءَ بكَ ؟ فقالَ : ما خفيَ عليكِ ما جاءَ بي ، فقالَتْ : وأيُّ شيءٍ هوَ ؟ قالَ : دحكُكِ الذي دحكتِ إليَّ ، فقالَتْ : حيَّاكَ اللهُ ، وقامَتْ إلىٰ سفطٍ لها ، فأخرجَتْ منهُ بخوراً ودهناً ، وتعمَّدَتْ إلىٰ موسىٰ ، ودعَتْ بمِجمرةٍ وقالَتْ لهُ : إنَّ ريحَكَ ريحُ الإبلِ ، وهٰذا دهنٌ طيِّبٌ ، فوضعَتِ البخورَ تحتَهُ ، وتطأطأَتْ كأنَّها تصلحُ البخورَ ، وأخذَتْ مذاكيرَهُ وقطعَتْها بالموسىٰ ، ثمَّ شممَتْهُ الدهنَ ، فسلتَتْ أنفَهُ وأذنيهِ ، وتركَتْهُ ، فصارَ مثلاً لكلِّ جانٍ علىٰ نفسِهِ ومُتعدٍّ طورَهُ ، قالَ الفرزدقُ لجريرٍ :

وَإِنِّي لَأَخْشَىٰ إِنْ خَطَبْتَ إِلَيْهِمُ ... عَلَيْكَ ٱلَّذِي لَاقَىٰ يَسَارُ ٱلْكَوَاعِبِ

ويُقالُ أيضاً : يسارُ النساءِ ، وكانَ مِنَ العبيدِ الشعراءِ ، ولهُ ابنٌ شاعرٌ يُقالُ لهُ : إسماعيلُ بنُ يسارِ النساءِ ، وكانَ مُفْلِقاً (١) .

* * *

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣/٥٩٨ ـ ٥٩٩) .

[نُخَبٌ مِنْ كلامِ الفصحاءِ والبلغاءِ]

هٰذا ؛ وممَّا يفيدُ عقلَكَ نوراً ، ويزيدُ نفسَكَ سروراً ، ويكونَ لفكرِكَ هادياً ، ولمرآةِ ذهنِكَ جالياً ، ولهُ بالأمثالِ شبهٌ . . ما صدرَ عن أولي الألبابِ ؛ مِنْ صحابةِ الأنبياءِ ، وغيرِهِم مِنَ الحكماءِ ، وهـٰأنا مثبتٌ أنموذجَ ذٰلكَ :

مِنْ كلامِ أميرِ المؤمنينَ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ

ـ قالَ : وأكثرُ ما كانَ يقولُ ذٰلكَ إذا فرغَ مِنْ صلاةِ الليلِ : (أشهدُ أنَّ السماواتِ والأرضَ وما بينَهُما آياتٌ تدلُّ عليكَ ، وشواهدُ تشهدُ بما إليهِ دعوتَ ، كلٌّ يُؤدِّي عنكَ الحُجَّةَ ، ويشهدُ لكَ بالربوبيةِ ، موسومٌ بآثارِ نعمتِكَ ، ومعالمِ تدبيرِكَ ، علوتَ بها عن خلقِكَ ، فأوصلتَ إلى القلوبِ مِنْ معرفتِكَ ما آنسَها مِنْ وحشةِ الفكرِ ، وكفاها رجمَ الاحتجاجِ ، فهيَ معَ معرفتِكَ بكَ ، ولهِها إليكَ . . شاهدةٌ بأنَّكَ لا تأخذُكَ الأوهامُ ، ولا تدركُكَ العقولُ ولا الأبصارُ ، أعوذُ بكَ أن أشيرَ بقلبٍ أو لسانٍ أو يدٍ إلىٰ غيرِكَ ، لا إلـٰهَ إلَّا أنتَ ، واحداً أحداً ، فرداً صمداً ، ونحنُ لكَ مسلمونَ)(١) .

ـ وقالَ : (إلـٰهي ؛ كفاني فخراً أن تكونَ لي ربّاً ، وكفاني عزّاً أن أكونَ لكَ عبداً ، أنتَ كما أريدُ ، فاجعلْني كما تريدُ)(٢) .

ـ وقالَ : (ما خابَ امرؤٌ عدلَ في حكمِهِ ، وأطعمَ مِنْ قُوتِهِ ، ودخرَ مِنْ دنياهُ لآخرتِهِ)(٣) .

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٥) لابن أبي الحديد .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٥) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٥) .

ـ وقالَ : (أفضِلْ علىٰ مَنْ شئتَ . . تكنْ أميرَهُ ، واستغنِ عمَّنْ شئتَ . . تكنْ نظيرَهُ ، واحتَجْ إلىٰ مَنْ شئتَ . . تكنْ أسيرَهُ)[١] .

ـ وقالَ : (لولا ضَعفُ اليقينِ . . ما كانَ لنا أن نشكوَ مِحنةً يسيرةً نرجو في العاجلِ سرعةَ زوالِها ، وفي الآجلِ عظيمَ ثوابِها ، بينَ أضعافِ نِعَمٍ لوِ اجتمعَ أهلُ السماواتِ والأرضِ علىٰ إحصائِها . . ما وَفَوا [بها] ، فضلاً عنِ القيامِ بشكرِها)[٢] .

ـ وقالَ : (مِنْ علاماتِ المأمونِ علىٰ دينِ اللهِ بعدَ الإقرارِ والعملِ : الحزمُ في أمرِهِ ، والصدقُ في قولِهِ ، والعدلُ في حكمِهِ ، والشفقةُ علىٰ رعيتِهِ ، لا تخرجُهُ القدرةُ إلىٰ خُرقٍ ـ أي : حمقٍ ـ ولا اللينُ إلىٰ ضَعفٍ ، ولا تمنعُهُ العزةُ مِنْ كرمِ عفوٍ ، ولا يدعوهُ العفوُ إلىٰ إضاعةِ حقٍّ ، ولا يدخلُهُ الإعطاءُ في سَرَفٍ ، ولا يَتخطَّىٰ بهِ القصدُ إلىٰ بخلٍ ، ولا تأخذُهُ نعمةٌ للهِ ببطرٍ)[٣] .

ـ وقالَ : (الفسقُ نجاسةٌ في الهمَّةِ ، وكلبٌ في الطبيعةِ)[٤] .

ـ وقالَ : (قلوبُ الجُهَّالِ تستفزُّها الأطماعُ ، وترتهنُ بالأمانيِّ ، وتتعلَّقُ بالخدائعِ ، وكثرةُ الصمتِ زمامُ اللسانِ ، وحسمُ الفطنةِ ، وإماطةُ الخاطرِ ، وعذابُ الحِسِّ)[٥] .

ـ وقالَ : (عداوةُ الضُّعفاءِ للأقوياءِ ، والسُّفهاءِ للحكماءِ ، والأشرارِ للأخيارِ . . طبعٌ لا يُستطاعُ تغييرُهُ)[٦] .

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٥) .
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٥) .
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٥ ـ ٢٥٦) .
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٦) .
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٦) .
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٦) .

ـ وقالَ : (العقلُ في القلبِ ، والرحمةُ في الكبدِ ، والنفسُ في الرئةِ)[1] .

ـ وقالَ : (إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيراً . . حالَ بينَهُ وبينَ شهوتِهِ ، وحجزَ بينَهُ وبينَ قلبِهِ ، وإذا أرادَ اللهُ بهِ شرّاً . . وَكَلَهُ إلىٰ نفسِهِ)[2] .

ـ وقالَ : (الصَّبرُ مطيةٌ لا تكبو ، والقناعةُ سيفٌ لا ينبو)[3] .

ـ وقالَ : (رحمَ الله عبداً اتقىٰ ربَّهُ ، وناصحَ نفسَهُ ، وقَدَّمَ توبتَهُ ، وغلبَ شهوتَهُ ؛ فإنَّ أجلَهُ مستورٌ عنهُ ، وأملَهُ خادعٌ لهُ ، والشيطانَ مُوكَّلٌ بهِ)[4] .

ـ وقالَ : (ثلاثٌ منجياتٌ : خشيةُ اللهِ في السرِّ والعلانيةِ ، والقصدُ في الفقرِ والغنىٰ ، والعدلُ في الغضبِ والرضا)[5] .

ـ وقالَ : (إيَّاكُم والفحشَ ؛ فإنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الفحشَ ، وإيَّاكُم والشُّحَّ ؛ فإنَّهُ أهلكَ مَنْ كانَ قبلَكُم ، هوَ الذي سفكَ دماءَ الرجالِ ، وهوَ الذي قطعَ أرحامَها ، فاجتنبوهُ)[6] .

ـ وقالَ : (إذا فعلتَ كلَّ شيءٍ . . فكنْ كمَنْ لم يفعلْ شيئاً)[7] .

ـ وقالَ : وقد سألَهُ رجلٌ فقالَ : بماذا أَسُوءُ عدوِّي ؟ فقالَ : (أن تكونَ علىٰ غايةِ الفضائلِ ؛ لأنَّهُ إن كانَ يَسوءُهُ أن يكونَ لكَ فرسٌ فارهٌ ، أو كلبٌ صَيودٌ . . فهوَ لِأن تُذكَرَ بالجميلِ ويُنسَبَ إليكَ . . أشدُّ مساءةً)[8] .

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٦) .
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٦) .
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٦) .
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٦) .
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٧) .
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٨) .
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٨) .
(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٨) .

ـ وقالَ : (إذا قُذِفتَ بشيءٍ . . فلا تَتهاونْ بهِ وإن كانَ كذباً ، بل تَحرَّزْ مِنْ طرقِ القذفِ جهدَكَ ، فإنَّ القولَ وإن لم يثبتْ . . يُوجِبُ ريبةً وشَكّاً)(١) .

ـ وقالَ : (عدمُ الأدبِ سببُ كلِّ شرٍّ ، والجهلُ بالفضائلِ عدلُ الموتِ)(٢) .

ـ وقالَ : (ما أصعبَ علىٰ مَنِ استعبدَتْهُ الشهواتُ أن يكونَ فاضلاً)(٣) .

ـ وقالَ : (مَنْ لم يقهرْ حسدَهُ . . كانَ جسدُهُ قبراً لنفسِهِ)(٤) .

ـ وقالَ : (احمدْ مَنْ يغلظُ عليكَ [ويعظُكَ] ، لا مَنْ يزكِّيكَ ويَتملَّقُكَ)(٥)

ـ وقالَ : (اخترْ أن تكونَ مغلوباً وأنت منصفٌ ، ولا تخترْ أن تكونَ غالباً وأنتَ ظالمٌ)(٦) .

ـ وقالَ : (لا تهضمنَّ محاسنَكَ بالفخرِ والتكبُّرِ)(٧) .

ـ وقالَ : (لا تنفكُّ المدينةُ مِنْ شرٍّ حتىٰ تجتمعَ معَ قُوَّةِ السُّلطانِ قُوَّةُ دينِهِ وقُوَّةُ حكمتِهِ)(٨) .

ـ وقالَ : (إذا أردتَ أن تُحمَدَ . . فلا يظهرْ منكَ حرصٌ على الحمدِ)(٩) .

ـ وقالَ : (مَنْ كثرَ همُّهُ . . سقمَ بدنُهُ ، ومَنْ ساءَ خُلُقُهُ . . عَذَّبَ نفسَهُ ،

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٨) .
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٨) .
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٨) .
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٨) .
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٨) .
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٨) .
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٨) .
(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٨) .
(٩) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٩) .

ومَنْ لاحى الرجالَ . . سقطَتْ مروءتُهُ ، وذهبَتْ كرامتُهُ ، وأفضلُ إيمانِ العبدِ أن يرى اللهَ معَهُ حيثُ كانَ)[1] .

ـ وقالَ : (في التجارِبِ علمٌ مستأنفٌ ، والاعتبارُ يفيدُكَ الرشادَ ، وكفاكَ أدباً لنفسِكَ ما كرهتَهُ مِنْ غيرِكَ ، وعليكَ لأخيكَ مثلُ الذي عليهِ لكَ)[2] .

ـ وقالَ : (الغضبُ يثيرُ كامنَ الحقدِ ، ومَنْ عرفَ الأيامَ . . لم يُغفِلِ الاستعدادَ ، ومَنْ أمسكَ عنِ الفُضولِ . . عَدَّلَتْ رأيَهُ العقولُ)[3] .

ـ وقالَ : (اسكتْ واسترْ . . تسلمْ ، وما أحسنَ العلمَ يزينُهُ العملُ !! وما أحسنَ العملَ يزينُهُ الرفقُ !!) .

ـ وقالَ : (أكبرُ الفخرِ ألَّا تفخرَ)[4] .

ـ وقالَ : (ما أصعبَ اكتسابَ الفضائلِ وأيسرَ إتلافِها !!)[5] .

ـ وقالَ : (لا تنازعْ جاهلاً ، ولا تشايعْ وامقاً ، ولا [تعادِ] مسلطاً)[6] .

ـ وقالَ : (ما كنتَ كاتمَهُ عدوَّكَ مِنْ سرٍّ . . فلا يَطَّلِعَنَّ عليهِ صديقُكَ ، واعرفْ قَدْرَكَ يستعلِ أمرُكَ ، وكفىٰ ما مضىٰ مخبراً عمَّا بقي)[7] .

اِحْـذَرْ عَـدُوَّكَ مَـرَّةً ... وَٱحْـذَرْ صَـدِيـقَـكَ أَلْـفَ مَـرَّهْ
فَـلَـرُبَّـمَـا ٱنْـقَـلَـبَ ٱلـصَّـدِيـ ... ـقُ فَـكَـانَ أَعْـرَفَ بِـٱلْـمَـضَـرَّهْ[8]

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٩) .
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٩) .
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٩) .
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٩) .
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٩) .
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٩) .
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٠) .
(٨) البيتان من مجزوء الكامل ، وانظر « شرح نهج البلاغة » (١٩/٣٩) دون نسبة لسيدنا علي رضي الله عنه .

ـ وقالَ : (لا تَعِدَنَّ عِدةً تحقرُها قِلَّةُ الثقةِ بنفسِكَ ، ولا يَغُرَّنَّكَ المرتقى السهلُ إذا كانَ المنحدرُ وَعْراً)[١] .

ـ وقالَ : (اتقِ العواقبَ عالماً بأنَّ للأعمالِ جزاءً وأجراً ، واحذرْ تبعاتِ الأمورِ بتقديمِ الحزمِ فيها)[٢] .

ـ وقالَ : (مَنِ استرشدَ غيرَ العقلِ . . أخطأَ منهاجَ الرأيِ ، ومَنْ أخطأَتْهُ وجوهُ المطالبِ . . خذلَتْهُ الحيلُ ، ومَنْ أخلَّ بالصَّبرِ . . أخلَّ بهِ حسنُ العاقبةِ ؛ فإنَّ الصَّبرَ قُوَّةٌ مِنْ قُوى العقلِ ، وبقدرِ موادِّ العقلِ وقُوَّتِها يَقوى الصَّبرُ)[٣] .

ـ وقالَ : (الخطأُ في إعطاءِ مَنْ لا ينبغي ، ومَنْعِ مَنْ ينبغي . . واحدٌ)[٤] .

ـ وقالَ : (العشقُ مرضٌ ليسَ فيهِ أجرٌ ولا عوضٌ)[٥] .

ـ وقالَ : (الخصومةُ تَمحقُ الدِّينَ)[٦] .

ـ وقالَ : (الجهادُ ثلاثةٌ : جهادٌ باليدِ ، وجهادٌ باللسانِ ، وجهادٌ بالقلبِ ؛ فأوَّلُ ما يغلبُ عليهِ مِنَ الجهادِ يدُكَ ، ثمَّ لسانُكَ ، ثمَّ يصيرُ إلى القلبِ ، فإن كانَ لا يعرفُ معروفاً ولا ينكرُ منكراً . . نكسَ ، فجُعِلَ أعلاهُ أسفلَهُ)[٧] .

ـ وقالَ : (ما أنعمَ اللهُ على عبدٍ نعمةً فشكرَها بقلبِهِ . . إلَّا استوجبَ المزيدَ عليها قبلَ ظهورِها على لسانِهِ)[٨] .

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٠/٢٠) .
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٠/٢٠) .
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٠/٢٠) .
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٠/٢٠) .
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٠/٢٠) .
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٠/٢٠) .
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٠/٢٠) .
(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦١/٢٠) .

ـ وقالَ : (الحاجةُ مسألةٌ ، والدعاءُ زيادةٌ ، والحمدُ شكرٌ ، والندمُ توبةٌ)[1] .

ـ وقالَ : (لِنْ واحلُمْ تنبلْ ، ولا تكنْ مُعجَباً فتُمقَتَ وتُمتهَنَ)[2] .

ـ وقالَ : (ما لي أرى الناسَ إذا قُرِّبَ إليهِمُ الطعامُ ليلاً . . تَكلَّفوا إنارةَ المصابيحِ ؛ ليبصروا ما يدخلونَ في بطونِهِم ، ولا يَهتمُّونَ بغذاءِ النفسِ بأن ينيروا مصابيحَ ألبابِهِم بالعلمِ ؛ ليسلموا مِنْ لواحقِ الجهالةِ والذُّنوبِ في اعتقاداتِهِم وأعمالِهِم ؟!)[3] .

ـ وقالَ : (الفقرُ هوَ أصلُ حسنِ سياسةِ الناسِ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ إذا كانَ مِنْ حسنِ السياسةِ أن يكونَ بعضُ الناسِ يَسوسُ ، وبعضُهُم يُساسُ ، وكانَ مَنْ يُساسُ لا يستقيمُ أنْ يُساسَ مِنْ غيرِ أن يكونَ فقيراً محتاجاً . . فقد تَبيَّنَ أنَّ الفقرَ هوَ السببُ الذي بهِ يقومُ حسنُ السياسةِ)[4] .

ـ وقالَ : (لا تَتكلَّمْ بينَ يدَيْ أحدٍ مِنَ الناسِ دونَ أن تَسمعَ كلامَهُ ، وتَقيسَ ما في نفسِكَ مِنَ العلمِ إلىٰ ما في نفسِهِ ؛ فإن وجدتَ ما في نفسِهِ أكثرَ . . فحينَئذٍ ينبغي لكَ أن تَرومَ زيادةَ الشيءِ الذي بهِ يَفضُلُ علىٰ ما عندَكَ)[5] .

ـ وقالَ : (إذا كانَ اللسانُ آلةً لترجمةِ ما يَخطُرُ في النفسِ . . فليسَ ينبغي أن تَستعمِلَهُ فيما لم يَخطُرْ فيها)[6] .

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦١) .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦١) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦١) .

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦١) .

(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦١) .

(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦١) .

ـ وقالَ : (إذا كانَ الآباءُ هُمُ السببَ في الحياةِ . . فمُعلِّمو الحكمةِ [والدِّينِ] هُمُ السببُ في جودتِها)[١] .

ـ وقالَ وشكا إليهِ رجلٌ تَعذُّرَ الرزقِ فقالَ : (لا تجاهدِ الرزقَ جهادَ المغالبِ ، ولا تتكلْ على القَدَرِ اتكالَ المستسلمِ ؛ فإنَّ ابتغاءَ الفضلِ مِنَ السُّنَّةِ ، والإجمالَ في الطَّلبِ مِنَ العِفَّةِ ، وليسَتِ العِفَّةُ دافعةً رزقاً ، ولا الحرصُ جالباً فضلاً ؛ لأنَّ الرزقَ مقسومٌ ، وفي شدةِ الحرصِ اكتسابُ المآثمِ)[٢] .

ـ وقالَ[٣] : [من الوافر]

إِذَا ٱسْتَغْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فَدَعْهُ وَخُذْ مَا أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ

ـ وقالَ : (العمرُ أقصرُ مِنْ أن تعلمَ كلَّ ما يَحسُنُ بكَ عملُهُ ، فتعلَّمِ الأهمَّ فالأهمَّ)[٤] .

ـ وقالَ : (مَنْ رضيَ بما قسمَ اللهُ لهُ . . استراحَ قلبُهُ وبدنُهُ)[٥] .

ـ وقالَ : (أبعدُ ما يكونُ العبدُ مِنْ ربِّهِ إذا كانَ همُّهُ بطنَهُ وفرجَهُ)[٦] .

ـ وقالَ : (ليسَ في الحواسِّ الظاهرةِ شيءٌ أشرفَ مِنَ العينِ ، فلا تعطوها سُؤْلَها فتشغلَكُم عن ذكرِ اللهِ)[٧] .

ـ وقالَ : (ارحموا ضُعفاءَكُم ؛ فالرحمةُ لهُم سببُ رحمةِ اللهِ لكُم)[٨] .

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦١) .
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦١ ـ ٢٦٢) .
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٢) .
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٢) .
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٢) .
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٢) .
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٢) .
(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٢) .

ـ وقالَ : (إزالةُ الجبالِ أسهلُ مِنْ إزالةِ دولةٍ قد أقبلَتْ ، فاستعينوا باللهِ واصبروا ؛ فإنَّ الأرضَ للهِ يورثُها مَنْ يشاءُ)[1] .

ـ وقالَ : (ليسَ المُوسِرُ مَنْ كانَ يسارُهُ باقياً عندَهُ زماناً يسيراً ، ويمكنُ أن يَغتصِبَهُ غيرُهُ منهُ ، ولا يبقىٰ بعدَ موتِهِ لهُ ، لٰكنِ اليسارُ على الحقيقةِ هوَ الباقي دائماً عندَ مالكِهِ ، ولا يمكنُ أن يُؤخَذَ منهُ ، ويبقىٰ لهُ بعدَ موتِهِ ؛ وذٰلكَ هوَ الحكمةُ)[2] .

ـ وقالَ : (الشَّرفُ اعتقادُ المننِ في أعناقِ الرجالِ)[3] .

ـ وقالَ : (يضرُّ الناسُ أنفسَهُم في ثلاثةِ أشياءَ : الإفراطُ في الأكلِ اتكالاً على الصحَّةِ ، وتكلُّفُ حملِ ما لا يُطاقُ اتكالاً على القُوَّةِ ، والتفريطُ في العملِ اتكالاً على القدرِ)[4] .

ـ وقالَ : (أحزمُ الناسِ مَنْ ملكَ جدُّهُ هزلَهُ ، وقهرَ رأيُهُ هواهُ ، وأعربَ عن ضميرِهِ فعلُهُ ، لم يختدعْهُ رضاهُ عن حظِّهِ ، ولا غضبُهُ عن كيدِهِ)[5] .

ـ وقالَ : (مَنْ لم يُصلِحْ خلائقَهُ . . لم ينفعِ الناسَ تأديبُهُ)[6] .

ـ وقالَ : (مَنِ اتبعَ هواهُ . . ضلَّ ، ومَنْ جادَ . . سادَ ، وخمودُ الذِّكرِ أجملُ مِنْ ذميمِ الذكرِ)[7] .

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٢) .
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٢) .
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٢) .
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٣) .
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٣) .
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٣) .
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٣) .

ـ وقالَ : (لهبُ الشَّوقِ أخفُّ محملاً مِنْ مقاساةِ الملالةِ)[١] .

ـ وقالَ : (بالرفقِ تُنالُ الحاجةُ ، وبحسنِ التأنّي تَسهُلُ المطالبُ)[٢] .

ـ وقالَ : (بعزيمةِ الصَّبرِ تُطفَأُ نارُ الهوىٰ ، وبنفيِ العجبِ يُؤمَنُ كيدُ الحُسَّادِ)[٣] .

ـ وقالَ : (بحَسَبِ مجاهدةِ النفوسِ ، وردِّها عن شهَواتِها ، ومنعِها عن مسافحةِ لذَّاتِها ، ومنعِ ما أدَّتْ إليهِ العيونُ الطامحةُ مِنْ لحظاتِها . . تكونُ المثوباتُ والعقوباتُ ، والحازمُ مَنْ ملكَ هواهُ فكانَ بملكِهِ لهُ قاهراً ، ولِمَا قدحَتِ الأفكارُ مِنْ سوءِ الظنونِ زاجراً ؛ فمتىٰ لم تُرَدَّ النفسُ عن ذٰلكَ . . هجمَ عليها الفكرُ بمطالبةِ ما [شُغِفَتْ] بهِ ، فعندَ ذٰلكَ تأنسُ [بالآراءِ] الفاسدةِ ، والأطماعِ الكاذبةِ ، والأمانيّ المتلاشيةِ .

وكما أنَّ البصرَ إذا اعتلَّ رأىٰ أشباحاً أو خيالاتٍ لا حقيقةَ لها . . كذٰلكَ النفسُ إذا اعتلَّتْ بحُبِّ الشهَواتِ وانطوَتْ علىٰ قبيحِ الإراداتِ رأتِ الآراءَ الكاذبةَ ، فإلى اللهِ سبحانَهُ نرغبُ في إصلاحِ ما فسدَ مِنْ قلوبِنا ، وبهِ نستعينُ علىٰ إرشادِ نفوسِنا ؛ فإنَّ القلوبَ بيدِهِ يُصرِّفُها كيفَ يشاءُ)[٤] .

ـ وقالَ : (ما شيءٌ أحقُّ بطولِ سجنٍ مِنْ لسانٍ)[٥] .

ـ وقالَ : (لا نذرَ في معصيةٍ ، ولا يمينَ في قطيعةٍ)[٦] .

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٣) .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٣) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٣) .

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٤) .

(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٣) .

(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٣) .

ـ وقالَ : (لكلِّ شيءٍ ثمرةٌ ، وثمرةُ المعروفِ تعجيلُ السراحِ)(١) .

ـ وقالَ : (إيَّاكُم والكسلَ ؛ فإنَّهُ مَنْ كَسِلَ .. لمْ يؤدِّ للهِ حقّاً)(٢) .

ـ وقالَ : (احسُبوا كلامَكُم مِنْ أعمالِكُم ، وأقلُّوهُ إلّا في الخيرِ)(٣) .

ـ وقالَ : (أَحسِنوا صحبةَ النِّعمِ ؛ فإنَّها تزولُ ، وتشهدُ علىٰ صاحبِها بما عملَ فيها)(٤) .

ـ وقالَ : (لا تُؤاخيَنَّ الفاجرَ ؛ فإنَّهُ يُزيِّنُ لكَ فعلَهُ ، ويَودُّ لو أنَّكَ مثلُهُ ، ويُحسِّنُ لكَ أقبحَ خصالِهِ ، ومدخلُهُ ومخرجُهُ مِنْ عندِكَ شينٌ وعارٌ ونقصٌ ، ولا الأحمقَ ؛ فإنَّهُ يجهدُ لكَ نفسَهُ ، ولا ينفعُكَ ، وربَّما أرادَ أن يَنفعَكَ فضَرَّكَ ، سكوتُهُ خيرٌ لكَ مِنْ نطقِهِ ، وبُعْدُهُ خيرٌ لكَ مِنْ قُربِهِ ، وموتُهُ خيرٌ لكَ مِنْ حياتِهِ ، ولا الكذَّابَ ؛ فإنَّهُ لا يَنفعُكَ معَهُ عيشٌ ، يَنقلُ حديثَكَ وينقلُ الحديثَ إليكَ ؛ حتىٰ إنَّهُ لَيُحدِّثُ بالصِّدقِ فلا يُصدَّقُ)(٥) .

ـ وقالَ : (ما استقصىٰ كريمٌ قطُّ ؛ قالَ تعالىٰ في وصفِ نبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : ﴿ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ﴾)(٦) .

ـ وقالَ : (ربَّ كلمةٍ يجترعُها حليمٌ مخافةَ ما هوَ شرٌّ منها ، وكفىٰ بالحلمِ ناصراً)(٧) .

ـ وقالَ : (مَنْ جمعَ ستَّ خصالٍ .. لم يدعْ للجنَّةِ مطلباً ، ولا عنِ النارِ

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٣) .
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٣) .
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٣) .
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٣) .
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٤) .
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٤) ، والآية من سورة التحريم : (٣) .
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٤) .

مهرباً ؛ مَنْ عرفَ اللهَ فأطاعَهُ ، وعرفَ الشيطانَ فعصاهُ ، وعرفَ الحقَّ فاتبعَهُ ، وعرفَ الباطلَ فاتقاهُ ، وعرفَ الدنيا فرفضَها ، وعرفَ الآخرةَ فطلبَها)[١] .

ـ وقالَ : (مَنِ استحيا مِنَ الناسِ ولم يستحيِ مِنْ نفسِهِ . . فليسَ لنفسِهِ عندَهُ قَدْرٌ)[٢]

ـ وقالَ : (غايةُ الأدبِ أن يستحييَ الإنسانُ مِنْ نفسِهِ)[٣] .

ـ وقالَ : (البلاغةُ البصرُ بالحُجَّةِ ، والمعرفةُ بمواضعِ الفُرْصةِ ، ومِنَ البصرِ بالحُجَّةِ : أن يدعَ الإفصاحَ بها إلى الكنايةِ عنها إذا كانَ الإفصاحُ أوعرَ طريقةً ، وكانَتِ الكنايةُ أبلغَ في الدَّرَكِ ، وأحقَّ بالظَّفَرِ)[٤] .

ـ وقالَ : (إيَّاكَ والشهَواتِ ، وليكنْ ممَّا تستعينُ بهِ علىٰ كفِّها علمُكَ بأنَّها ملهيةٌ لعقلِكَ ، مهجنةٌ لرأيِكَ ، شائنةٌ لعِرْضِكَ ، شاغلةٌ لكَ عن معاظمِ أمورِكَ ، مُشتدَّةٌ بها التبعةُ عليك في آخرتِكَ ، إنَّما الشهَواتُ لعبٌ ، فإذا حضرَ اللعبُ . . غابَ الجدُّ ، ولن يُقامَ الدِّينُ وتصلحَ الدنيا إلَّا بالجدِّ ، فإذا نازعَتْكَ نفسُكَ إلى اللهوِ واللذَّاتِ . . فاعلمْ : أنَّها قد نزعَتْ بكَ إلىٰ شرِّ منزعٍ ، وأرادَتْ بكَ أفضحَ الفضوحِ ، فغالبْها مغالبةَ ذٰلكَ ، وامتنعْ منها امتناعَ ذٰلكَ ، وليكنْ مرجعُكَ منها إلى الحقِّ ؛ فإنَّها مهما تتركْ مِنَ الحقِّ . . لا تتركْهُ إلَّا إلى الباطلِ ، ومهما تدعْ مِنَ الصَّوابِ . . لا تدعْهُ إلَّا إلى الخطأ ، فلا تداهنَنَّ هواكَ في اليسيرِ ، فيطمعَ منكَ فِي الكثيرِ .

وليسَ شيءٌ ممَّا أوتيتَ فاضلاً عمَّا يصلحُكَ ، وليسَ لعمرِكَ وإن طالَ

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٤) .
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٥) .
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٥) .
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٥) .

فضلٌ عمَّا ينوبُكَ مِنَ الحقِّ اللازمِ لكَ ، ولا بمالِكَ وإن كَثُرَ فضلٌ عمَّا يجبُ عليكَ فيهِ ، ولا بقُوَّتِكَ وإن تَمَّتْ فضلٌ عن أداءِ حقِّ اللهِ عليكَ ، ولا برأيِكَ وإن حزمَ فضلٌ عمَّا لا تُعذَرُ بالخطأِ فيهِ ، فليمنعَنَّكَ علمُكَ بذٰلكَ مِنْ أن تبطلَ لكَ عمراً في غيرِ نفعٍ ، أو تُضيّعَ لكَ مالاً في غيرِ حقٍّ ، أو أن تُصرَفَ لكَ قُوَّةٌ في غيرِ عبادةٍ ، أو تَعدِلَ لكَ رأياً في غيرِ رشدٍ ، فالحفظَ [الحفظَ] لِمَا أُوتِيتَ ؛ فإنَّ بكَ إلىٰ صغيرِ ما أوتيتَ والكبيرِ منهُ أشدَّ الحاجةِ ، وعليكَ بما أضعتَهُ منهُ أشدَّ المرزأةِ ، ولا سيَّما العمرُ الذي كلُّ منفدٍ[1] سواهُ مستخلفٌ ، وكلُّ ذاهبٍ بعدَهُ مرتجعٌ .

فإن كنتَ شاغلاً نفسَكَ بلذَّةٍ . . [فلتكنْ] لذتُكَ في محادثةِ العلماءِ ، ودرسِ كتبِهِم ؛ فإنَّهُ ليسَ سرورُكَ بالشهَواتِ بالغاً منكَ مبلغاً إلَّا وإكبابُكَ علىٰ ذٰلكَ ونظرُكَ فيهِ بالغُهُ منكَ ، غيرَ أنَّ ذٰلكَ يَجمعُ إلىٰ عاجلِ السُّرورِ تمامَ السعادةِ ، وخلافُ ذٰلكَ يَجمعُ إلىٰ عاجلِ الغيِّ وخامةَ العاقبةِ ، وقديماً قيلَ : أسعدُ الناسِ أدركُهُم لهواهُ إذا كانَ هواهُ في رشدِهِ ، فإذا كانَ هواهُ في غيرِ رشدِهِ . . فقد شقيَ بما أدركَ منهُ ، وقديماً قيلَ : عَوِّدْ نفسَكَ الجميلَ ، فباعتيادِكَ إيَّاهُ يعودُ لذيذاً)[2] .

ـ وقالَ : (وُكِّلَ ثلاثٌ بثلاثٍ : الرزقُ بالحمقِ ، والحرمانُ بالعقلِ ، والبلاءُ بالمَنطِقِ)[3] .

ـ وقالَ : (ثلاثةٌ إن لم تظلمْهُم . . ظلموكَ : عبدُكَ ، وزوجتُكَ ، وابنُكَ)[4] .

ـ وقالَ : (للمنافقينَ علاماتٌ يُعرَفونَ بها : تحيتُهُم لعنةٌ ، وطعامُهُم تُهَمَةٌ ،

---

(١) في « شرح نهج البلاغة » : (منفذ) .
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٥) .
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٦) .
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٦) .

وغنيمتُهُم غُلولٌ ، لا يَعرِفونَ المساجدَ إلا هُجراً ، ولا يأتونَ الصلاةَ إلَّا دبراً ، مستكبرينَ ، لا يَألفونَ ولا يُؤلَفونَ ، خُشُبٌ بالليلِ ، صُخُبٌ بالنهارِ)[1] .

ـ وقالَ : (الحسدُ حزنٌ لازمٌ ، وعقلٌ هائمٌ ، ونَفَسٌ دائمٌ ، والنعمةُ على المحسودِ نعمةٌ ، وهيَ على الحاسدِ نقمةٌ)[2] .

ـ وقالَ : (يا حملةَ العلمِ ؛ لمَ تحملونَهُ ؟! فإنَّما العلمُ لِمَنْ علمَ ، ثمَّ عملَ بما علمَ ، ووافقَ عملُهُ علمَهُ ، وسيكونُ أقوامٌ يحملونَ العلمَ لا يجاوزُ تراقيَهُم ، تخالفُ سريرتُهُم علانيتَهُم ، ويخالفُ علمُهُم عملَهُم ، يقعدونَ حِلَقاً ، فيباهي بعضُهُم بعضاً ، حتىٰ إنَّ الرجلَ لَيغضبُ علىٰ جليسِهِ أن يجلسَ إلىٰ غيرِهِ ، أولئكَ لا تَصعَدُ أعمالُهُم في مجالسِهِم تلكَ إلى اللهِ سبحانَهُ)[3] .

ـ وقالَ : (تَعلَّموا العلمَ صغاراً . . تسودوا بهِ كباراً ، وتَعلَّموا العلمَ ولو لغيرِ اللهِ ؛ فإنَّهُ سيصيرُ للهِ ، العلمُ ذَكَرٌ لا يُحِبُّهُ إلَّا ذكرٌ مِنَ الرجالِ)[4] .

ـ وقالَ : (ليسَ شيءٌ أحسنَ مِنْ عقلٍ زانَهُ علمٌ ، ومِنْ علمٍ زانَهُ حِلْمٌ ، ومِنْ حِلْمٍ زانَهُ صدقٌ ، ومِنْ صدقٍ زانَهُ رفقٌ ، ومِنْ رفقٍ زانَهُ تقوىٰ ، إنَّ مِلاكَ العقلِ ومكارمِ الأخلاقِ صونُ العِرْضِ ، والجزاءُ بالقرضِ[5] ، والأخذُ بالفضلِ ، والوفاءُ بالعهدِ ، والإنجازُ للوعدِ ، ومَنْ حاولَ أمراً بالمعصيةِ . . كانَ أقربَ إلىٰ ما يَخافُ ، وأبعدَ ممَّا يرجو)[6] .

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٦) .
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٧) .
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٧) .
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٧) .
(٥) في « شرح نهج البلاغة » : (القرض) .
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٧) .

ـ وقالَ : (إذا جرَتِ المقاديرُ بالمكارهِ . . سبقَتِ الآفةُ إلى العقلِ فحَيَّرَتْهُ ، وانطلقَتِ الألسنُ بما فيهِ تلفُ الأنفسِ)[1] .

ـ وقالَ : (لا تصحبوا الأشرارَ ؛ فإنَّهُم يَمنُّونَ عليكُم بالسلامةِ منهُم)[2] .

ـ وقالَ : (لا تَقسِروا أولادَكُم علىٰ آدابِكُم ؛ فإنَّهُم مخلوقونَ لزمانٍ غيرِ زمانِكُم)[3] .

ـ وقالَ : (لا تطلبْ سرعةَ العملِ ، واطلبْ تجويدَهُ ؛ فإنَّ الناسَ لا يَسألونَ في كم فرغَ مِنَ العملِ ، إنَّما يَسألونَ عن جودةِ صنعتِهِ)[4] .

ـ وقالَ : (ليسَ كلُّ ذي عينٍ يبصرُ ، ولا كلُّ ذي أُذنٍ يسمعُ ، فتَصدَّقوا علىٰ ذوي العقولِ الزمنةِ والألبابِ الحائرةِ بالعلومِ التي هيَ أفضلُ صدقاتِكُم ، ثمَّ تلىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾)[5] .

ـ وقالَ : (المؤمنُ لا تختلُهُ كثرةُ المصائبِ وتواترُ النوائبِ عنِ التسليمِ لربِّهِ ، والرضاءِ بقضائِهِ ؛ كالحمامةِ التي تُؤخَذُ فراخُها مِنْ وَكرِها ثمَّ تعودُ إليهِ)[6] .

ـ وقالَ : (ما ماتَ مَنْ أحيا علماً ، ولا افتقرَ مَنْ ملكَ فهماً)[7] .

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٧) .
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٧) .
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٧) .
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٧) .
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٧ ـ ٢٦٨) ، والآية من سورة البقرة : (١٥٩) .
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٨) .
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٨) .

ـ وقالَ : (العلمُ صبغُ النفسِ ، وليسَ يفوقُ صبغُ الشيءِ حتىٰ يَنْظُفَ مِنْ كلِّ دنسٍ)[1] .

ـ وقالَ : (اعلمْ : أنَّ الذي مدحَكَ بما ليسَ فيكَ إنَّما هوَ مُخاطِبٌ غيرَكَ ، وثوابُهُ وجوابُهُ قد سقطا عنكَ)[2] .

ـ وقالَ : (إحسانُكَ إلى الحرِّ يُحرِّكُهُ على المكافأةِ ، وإحسانُكَ إلى النذلِ يبعثُهُ علىٰ معاودةِ المسألةِ)[3] .

ـ وقالَ : (الأشرارُ يتبعونَ مساويَ الناسِ ، ويتركونَ محاسنَهُم ؛ كما يتبعُ الذبابُ المواضعَ الفاسدةَ مِنَ الجسدِ ، ويتركُ الصحيحَ منهُ)[4] .

ـ وقالَ : (موتُ الرُّؤَساءِ أسهلُ مِنْ رئاسةِ [السَّفِلَةِ])[5] .

ـ وقالَ : (ينبغي لِمَنْ وليَ أمرَ قومٍ أن يبدأَ بتقويمِ نفسِهِ قبلَ أن يشرعَ في تقويمِ رعيتِهِ ، وإلَّا . . كانَ بمنزلةِ مَنْ رامَ استقامةَ ظلِّ العُودِ قبلَ أن يستقيمَ ذٰلكَ العُودُ)[6] .

ـ وقالَ : (إذا قويَ الوالي في عملِهِ . . حَرَّكَتْهُ ولايتُهُ علىٰ حَسَبِ ما هوَ مركوزٌ في طبعِهِ مِنَ الخيرِ والشرِّ)[7] .

ـ وقالَ : (ينبغي للوالي أن يعملَ بخصالٍ ثلاثٍ : تأخيرُ العقوبةِ في سلطانِ الغضبِ ، والأناةُ فيما يَرتئيهِ مِنْ رأيٍ ، وتعجيلُ مكافأةِ المحسنِ

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٨) .
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٨) .
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٨) .
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٩) .
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٩) .
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٩) .
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٩) .

بالإحسانِ ؛ فإنَّ في تأخيرِ العقوبةِ إمكانَ العفوِ ، وفي تعجيلِ المكافأةِ بالإحسانِ طاعةَ الرعيةِ ، وفي الأناةِ انفساخَ الرأيِ ، وحمدَ العاقبةِ ، ووضوحَ الصَّوابِ)[١] .

ـ وقالَ : (مِنْ حقِّ العالمِ على المُتعلِّمِ : ألَّا يكثرَ عليهِ السؤالَ ، ولا يُعنِّتَهُ في الجوابِ ، ولا يُلِحَّ عليهِ إذا كَسِلَ ، ولا يُفشِيَ لهُ سرّاً ، ولا يَغتابَ عندَهُ أحداً ، ولا يطلبَ عثرتَهُ ، فإذا زلَّ . . تأنَّيْتَ أوبتَهُ ، وقبلتَ مَعذِرتَهُ ، وأن تُعظِّمَهُ وتُوقِّرَهُ ما حفظَ أمرَ اللهِ وعَظَّمَهُ ، وألَّا تجلسَ أمامَهُ ، وإن كانَتْ لهُ حاجةٌ . . سبقتَ غيرَكَ إلىٰ خدمتِهِ فيها ، ولا تَضجرَنَّ مِنْ صحبتِهِ ، فإنَّما هوَ بمنزلةِ النخلةِ تنتظرُ متىٰ يسقطُ عليكَ منها منفعةٌ ، وخُصَّهُ بالتحيةِ ، واحفظْ شاهدَهُ وغائبَهُ ، وليكنْ ذٰلكَ كلُّهُ للهِ عزَّ وجلَّ ، فإنَّ العالمَ أفضلُ مِنَ الصائمِ القائمِ المجاهدِ في سبيلِ اللهِ ، وإذا ماتَ العالمُ . . ثُلِمَ في الإسلامِ ثُلْمَةٌ لا يَسُدُّها إلَّا خَلَفٌ منهُ ، وطالبُ العلمِ تُشيِّعُهُ الملائكةُ حتىٰ يرجعَ)[٢] .

ـ وقالَ : (وَصُولٌ مُعدِمٌ خيرٌ مِنْ جافٍ مكثرٍ ، ومَنْ أرادَ أن ينظرَ ما لهُ عندَ اللهِ . . فلينظرْ ما للهِ عندَهُ)[٣] .

ـ وقالَ : (لقد سبقَ إلىٰ جنَّاتِ عدنٍ أقوامٌ ما كانوا أكثرَ الناسِ صلاةً ولا صياماً ولا حَجّاً ولا اعتماراً ، ولٰكنْ عقلوا عنِ اللهِ أمرَهُ ، فحَسُنَتْ طاعتُهُم ، وصحَّ وَرَعُهُم ، وكَمُلَ يقينُهُم ، ففاقوا غيرَهُم بالحُظْوةِ ورفيعِ المنزلةِ)[٤] .

ـ وقالَ : (إنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالىٰ أدَّبَ نبيَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ فقالَ لهُ :

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٩/٢٠) .
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٩/٢٠) .
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٠/٢٠) .
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٠/٢٠) .

﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [١] ، فلمَّا علمَ أنَّهُ قد تأدَّبَ .. قالَ لهُ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [٢] ، فلمَّا استحكمَ لهُ مِنْ رسولِهِ ما أحبَّ .. قالَ : ﴿ مَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾) [٣] .

ـ وقالَ : كنتُ أنا والعباسُ وعمرُ نتذاكرُ المعروفَ ؛ فقلتُ أنا : خيرُ المعروفِ سترُهُ ، وقالَ العباسُ : خيرُهُ تصغيرُهُ ، وقالَ عمرُ : خيرُهُ تعجيلُهُ ، فخرجَ علينا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : « فِيمَ أَنْتُمْ ؟ » فذكرنا لهُ ، فقالَ : « خَيْرُهُ أَنْ يَكُونَ هَـٰذَا كُلُّهُ فِيهِ » [٤] .

ـ وقالَ : (العفوُ يفسدُ مِنَ اللئيمِ بقَدْرِ ما يُصلِحُ مِنَ الكريمِ) [٥] .

ـ وقالَ : (إذا خبثَ الزمانُ .. كَسَدَتِ الفضائلُ وضَرَّتْ ، ونفقَتِ الرذائلُ ونفعَتْ ، وكانَ خوفُ الموسرِ أشدَّ مِنْ خوفِ المعسرِ) [٦]

ـ وقالَ : (انظرْ إلى المُتنصِّحِ إليكَ ، فإن دخلَ مِنْ حيثُ يُضارُّ الناسُ .. فلا تقبلْ نصيحتَهُ ، وتَحرَّزْ منهُ ، وإن دخلَ مِنْ حيثُ العدلُ والصلاحُ .. فاقبلْها منهُ) [٧] .

ـ وقالَ : (أعداءُ الرجلِ قد يكونونَ أنفعَ مِنْ إخوانِهِ ؛ لأنَّهُم يبدونَ إليهِ عيوبَهُ فيتجنَّبُها ، ويَخافُ شماتتَهُم بهِ فيَضبطُ نعمتَهُ ، ويَتحرَّزُ مِنْ زوالِها بغايةِ طوقِهِ) [٨] .

---

(١) سورة البقرة : (٦٧) .
(٢) سورة القلم : (٤) .
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٠/٢٠) ، والآية من سورة الأعراف : (١٩٩) .
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٠/٢٠) .
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٠/٢٠) .
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٠/٢٠) .
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٠/٢٠ ـ ٢٧١) .
(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١/٢٠) .

ـ وقالَ : (المِرآةُ التي ينظرُ الإنسانُ فيها إلىٰ أخلاقِهِ هيَ الناسُ ؛ لأنَّهُ يرىٰ محاسنَهُ مِنْ أوليائِهِ منهُم ، ومساويَهُ مِنْ أعدائِهِ فيهِم)[١] .

ـ وقالَ : (انظرْ وجهَكَ كلَّ وقتٍ في المِرآةِ ؛ فإن كانَ حسناً . . فاستقبحْ أن تضيفَ إليهِ فعلاً قبيحاً وتشينَهُ بهِ ، وإن كانَ قبيحاً . . فاستقبحْ أن تَجمعَ بينَ قبيحَينِ)[٢] .

ـ وقالَ : (موقعُ الصَّوابِ مِنَ الجُهَّالِ مثلُ موقعِ الخطأ مِنَ العلماءِ)[٣] .

ـ وقالَ : (ذَكِّ قلبَكَ بالأدبِ كما تُذكَّى النارُ بالحطبِ)[٤] .

ـ وقالَ : (لا تَصرِمْ أخاكَ على ارتيابٍ ، ولا تَقطعْهُ دونَ استعتابٍ)[٥] .

ـ وقالَ : (خيرُ المَقالِ ما صَدَّقَهُ الفِعالُ)[٦] .

ـ وقالَ : (إذا لم تُرزَقْ غنىً . . فلا تُحْرَمَنْ مِنْ تقوىٰ)[٧] .

ـ وقالَ : (مَنْ عرفَ الدنيا . . لم يحزنْ للبلوىٰ)[٨] .

ـ وقالَ : (دعِ الكذبَ تَكرُّماً إن لم تدعْهُ تأثُّماً)[٩] .

ـ وقالَ : (المعتذرُ مِنْ غيرِ ذنبٍ يُوجِبُ علىٰ نفسِهِ الذنبَ)[١٠] .

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١/٢٠) .
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١/٢٠) .
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١/٢٠) .
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١/٢٠) .
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١/٢٠) .
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١/٢٠) .
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١/٢٠) .
(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١/٢٠) .
(٩) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١/٢٠) .
(١٠) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١/٢٠) .

ـ وقالَ : (كثرةُ الجدالِ تُوجِبُ الشكَّ)[1] .

ـ وقالَ : (خيرُ القلوبِ أوعاها)[2] .

ـ وقالَ : (الحياءُ لباسٌ سابغٌ ، وحجابٌ مانعٌ ، وسترٌ مِنَ المَساوي واقٍ ، وحليفٌ للدينِ ، وموجبٌ للمحبةِ ، وعينٌ كالئةٌ تَذودُ عنِ الفسادِ ، وتنهىٰ عنِ الفحشاءِ ، والعجلةُ في الأمورِ مكسبةٌ للمَذلَّةِ ، وزمامٌ للندامةِ ، وسلبٌ للمروءةِ ، وشينٌ للحجا ، ودليلٌ علىٰ ضَعفِ العقدةِ)[3] .

ـ وقالَ : (إذا بلغَ المرءُ مِنَ الدنيا فوقَ قدرِهِ . . تَنكَّرَتْ للناسِ أخلاقُهُ)[4] .

ـ وقالَ : (لا تصحبِ الشريرَ ؛ فإنَّ طبعَكَ يَسرِقُ مِنْ طبعِهِ شرّاً وأنتَ لا تعلمُ)[5] .

ـ وقالَ : (ينبغي للعاقلِ أن يَتذكَّرَ عندَ حلاوةِ الغذاءِ مرارةَ الدواءِ)[6] .

ـ وقالَ : (إن حسدَكَ أخٌ مِنْ إخوانِكَ علىٰ فضيلةٍ ظهرَتْ منكَ ، فسعىٰ في مكروهِكَ . . فلا تقابلْهُ بمثلِ ما كافحَكَ بهِ ، فيعذرَ نفسَهُ في الإساءةِ ، وتشرحَ لهُ طريقاً إلىٰ ما يحبُّهُ فيكَ ، لـٰكنِ اجتهدْ في التزيُّدِ مِنْ تلكَ الفضيلةِ التي حسدَكَ عليها ؛ فإنَّها تَسوءُهُ مِنْ غيرِ أن تُوجِدَهُ حُجَّةً عليكَ)[7] .

ـ وقالَ : (إذا أردتَ أن تَعرِفَ طبعَ الرجلِ . . فاستشرْهُ ؛ فإنَّكَ تقفُ مِنْ مشورتِهِ علىٰ عدلِهِ وجورِهِ ، وخيرِهِ وشرِّهِ)[8] .

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٢) .
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٢) .
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٢) .
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٢) .
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٢) .
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٢) .
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٢) .
(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٢) .

ـ وقـــالَ : (يـجـبُ عـليـكَ أن تـشـفـقَ عـلـىٰ ولـــدِكَ مِـــنْ إشـفـاقِـكَ عليهِ)[١] .

ـ وقالَ : (إذا خدمتَ رئيساً . . فلا تلبسْ مثلَ ملبوسِهِ ، ولا تركبْ مثلَ مركوبِهِ ، ولا تستخدمْ مثلَ خدمِهِ ، فعساكَ تَسلَمُ منهُ)[٢] .

ـ وقالَ : (لا تُحدِّثْ بالعلمِ السفهاءَ فيُكذِّبوكَ ، ولا الجُهَّالَ فيستثقلوكَ ، ولـٰكنْ حَدِّثْ بهِ مَنْ يَتلقَّاهُ مِنْ أهلِهِ بقَبولٍ وفهمٍ . . يَفهمْ عنكَ ما تقولُ ، ويكتمْ عليكَ ما يسمعُ ، فإنَّ لعلمِكَ عليكَ حقّاً ، كما أنَّ عليكَ في مالِكَ حقّاً ؛ بذلُهُ لمُستحِقِّهِ ، ومنعُهُ عن غيرِ مُستحِقِّهِ)[٣] .

ـ وقالَ : (إيَّاكَ وصاحبَ السوءِ ؛ فإنَّهُ كالسيفِ المسلولِ ، يروقُ منظرُهُ ، ويقبحُ أثرُهُ)[٤] .

ـ وقالَ : (العاقلُ مَنِ اتهمَ رأيَهُ ، ولم يثقْ بما سَوَّلَتْهُ لهُ نفسُهُ)[٥] .

ـ وقـالَ : (أمرٌ لا تـدري متىٰ يغشاكَ لا يمنعُكَ أن تَستعِدَّ لـهُ قبلَ أن يَفجاكَ)[٦] .

ـ وقـــالَ : (لـيسَ فـي الـبـرقِ الـخـاطـفِ [مـسـتـمـتـعٌ] لِـمَـنْ يـخـوضُ فـي الظلمةِ)[٧] .

ـ وقـالَ : (إذا أعـجبَكَ ما يتواصفُهُ الناسُ مِنْ محاسنِكَ . . فانظرْ فيما

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٢) .
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٣) .
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٣) .
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٣) .
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٣) .
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٣) .
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٤) .

بطنَ مِنْ مساويكَ ، ولتكنْ معرفتُكَ بنفسِكَ أوثقَ عندَكَ مِنْ مدحِ المادحينَ لكَ)[١] .

ـ وقالَ : (خيارُ الناسِ يَترفَّعونَ عن ذكرِ معايبِ الناسِ ، ويَتَّهمونَ المخبرَ بها ، ويؤثرونَ الفضائلَ ، ويَتعصَّبونَ لأهلِها ، ويَستعرِضونَ مآثرَ الرُّؤساءِ وأفضالَهُم عليهِم ، ويطالبونَ أنفسَهُم بالمكافأةِ عليها ، وحسنِ الرعايةِ لها)[٢] .

ـ وقالَ : (مِنْ كرمِ المرءِ بكاؤُهُ على ما مضى مِنْ زمانِهِ ، وحنينُهُ إلى أوطانِهِ ، وحفظُهُ قديمَ إخوانِهِ)[٣] .

ـ وقالَ : (مكارمُ الأخلاقِ عشرُ خصالٍ : السخاءُ ، والحياءُ ، والصدقُ ، وأداءُ الأمانةِ ، والتواضعُ ، والغَيرةُ ، والشجاعةُ ، والحلمُ ، والصَّبرُ ، والشكرُ)[٤] .

ـ وقالَ : (مِنْ أداءِ الأمانةِ المكافأةُ على الصنيعةِ ؛ لأنَّها كالوديعةِ عندَكَ)[٥] .

ـ وقالَ : ([الخَيِّرُ] النفسِ تكونُ الحركةُ عليهِ في الخيرِ سهلةً مُتيسِّرةً ، والحركةُ في الإضرارِ عسرةً بطيئةً ، والشريرُ بالضِّدِّ مِنْ ذلكَ)[٦] .

ـ وقالَ : (لا تقبلَنْ في استعمالِ عُمَّالِكَ وأُمرائِكَ شفاعةً إلَّا شفاعةَ الكفايةِ والأمانةِ)[٧] .

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٤) .
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٤) .
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٤) .
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٥) .
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٥) .
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٥) .
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٦) .

ـ وقالَ : (إذا استشارَكَ عدوُّكَ فجَرِّدْ لهُ النصيحةَ ؛ لأنَّهُ باستشارتِكَ قد خرجَ مِنْ عداوتِكَ ، ودخلَ في مَودَّتِكَ)(١) .

ـ وقالَ : (العدلُ صورةٌ واحدةٌ ، والظلمُ صورُهُ كثيرةٌ ، ولهٰذا سَهُلَ ارتكابُ الجورِ ، وصَعُبَ تحرّي العدلِ ، وهما يشبهانِ الإصابةَ في الرمايةِ والخطأَ فيها ، وإنَّ الإصابةَ تحتاجُ إلى ارتياضٍ وتعهُّدٍ ، والخطأَ لا يحتاجُ إلىٰ شيءٍ مِنْ ذٰلكَ)(٢) .

ـ وقالَ : (لا يُخطِئُ المُخلِصَ في الدعاءِ إحدىٰ ثلاثٍ : ذنبٌ يُغفَرُ ، أو خيرٌ يُعجَّلُ ، أو شرٌّ يُؤَجَّلُ)(٣) .

ـ وقالَ : (لا ينتصفُ ثلاثةٌ مِنْ ثلاثةٍ : بَرٌّ مِنْ فاجرٍ ، وعاقلٌ مِنْ جاهلٍ ، وكريمٌ مِنْ لئيمٍ)(٤) .

ـ وقالَ : (أشرفُ الملوكِ مَنْ لم يخالطْهُ البطرُ ، ولم يَحُلْ عنِ الحقِّ ، وأغنى الأغنياءِ مَنْ لم يكنْ للحرصِ أسيراً ، وخيرُ الأصدقاءِ مَنْ لم يكنْ علىٰ إخوانِهِ مستصعباً ، وخيرُ الأخلاقِ [أعونُها] على التقىٰ والورعِ)(٥) .

ـ وقالَ : (إيَّاكَ ومواقفَ الاعتذارِ ؛ فربَّ عذرٍ أثبتَ الحُجَّةَ علىٰ صاحبِهِ وإن كانَ بريئاً)(٦) .

ـ وقالَ : (قُوتُ الأجسامِ الغذاءُ ، وقُوتُ العقولِ الحكمةُ ؛ فمتىٰ فَقَدَ واحدٌ منهُما قُوتَهُ . . بارَ واضمحلَّ)(٧) .

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٦) .
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٦) .
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٦) .
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٦) .
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٦) .
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٧) .
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٨) .

ـ وقـالَ : (لا تفرحْ بسقطةِ غيـرِكَ ، فإنَّـكَ لا تـدري ما تَـتـصرَّفُ الأيـامُ بكَ)[1] .

ـ وقالَ : (غضبُ العاقلِ في فعلِهِ ، وغضبُ الجاهلِ في قولِهِ)[2]

ـ وقـالَ : (مُرُوا الأحـداثَ بالمراءِ والجدالِ ، والكهولَ بالفكرِ ، والشيوخَ بالصمتِ)[3] .

ـ وقـالَ : (بلوغُ أعلى المنازلِ مِنْ غيرِ استحقاقٍ . . مِنْ أكبرِ أسبابِ الهلكةِ)[4] .

ـ وقالَ : (ليتَ شعري !! ما أدركَ مَنْ فاتَهُ العلمُ ؟! بل أيُّ شيءٍ فاتَ مَنْ أدركَ العلمَ ؟!)[5] .

ـ وقـالَ : (ذو الهِمَّةِ وإن حَطَّ نفسَهُ يأبىٰ إلَّا علواً ؛ كالشعلةِ مِنَ النارِ يخفيها صاحبُها وتأبىٰ إلَّا ارتفاعاً)[6] .

ـ وقالَ : (العاقلُ إذا تَكلَّمَ بكلمةٍ . . أتبعَها حكمةً ومثلاً ، والأحمقُ إذا تَكلَّمَ بكلمةٍ . . أتبعَها حَلِفاً)[7] .

ـ وقالَ : (ابتداءُ الصَّنيعةِ نافلةٌ ، وربُّها فريضةٌ)[8] .

ـ وقالَ : (رُبَّ صَلَفٍ أدَّىٰ إلىٰ تَلَفٍ)[9] .

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٩/٢٠) .
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٨٥/٢٠) .
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٨٥/٢٠) .
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٨٧/٢٠) .
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٨٩/٢٠) .
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٨٩/٢٠) .
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٨٩/٢٠) .
(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٩٠/٢٠) .
(٩) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٩٠/٢٠) .

ـ وقالَ : (المروءةُ التامَّةُ مباينةُ العامَّةِ)[1] .

ـ وقالَ : ([السَّفِلَةُ] إذا تَعلَّموا . . تَكبَّروا ، وإذا تَموَّلوا . . استطالوا ، والعِلْيةُ إذا تَعلَّموا . . تواضعوا ، وإذا افتقروا . . صالوا)[2] .

ـ وقالَ : (أعجزُ الناسِ مَنْ قَصَّرَ في طلبِ الصديقِ ، وأعجزُ منهُ مَنْ وجدَهُ فضَيَّعَهُ)[3] .

ـ وقالَ : (إذا قعدتَ وأنتَ صغيرٌ حيثُ تُحِبُّ . . قعدتَ وأنتَ كبيرٌ حيثُ تكرهُ)[4] .

ـ وقالَ : (عاملوا الأحرارَ بالكرامةِ المحضةِ ، والأوساطَ بالرغبةِ والرهبةِ ، والسَّفِلَةَ بالهوانِ)[5] .

ـ وقالَ : (لا تبلغْ في سلامِكَ على الإخوانِ حدَّ النفاقِ ، ولا تُقصِّرْ بهِم عن درجةِ الاستحقاقِ)[6] .

ـ وقالَ : (ارحمِ الفقراءَ لقِلَّةِ صبرِهِم ، والأغنياءَ لقِلَّةِ شكرِهِم ، وارحمِ الجميعَ لطولِ غفلتِهِم)[7] .

ـ وقالَ : (مَنْ كَذَبَ . . ذهبَ بماءِ وجهِهِ ، ومَنْ ساءَ خُلُقُهُ . . كَثُرَ غَمُّهُ ، ونقلُ الصُّخورِ مِنْ مواضعِها أهونُ مِنْ تفهيمِ مَنْ لا يفهمُ)[8] .

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٩٠) .
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٩٠) .
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٩٧) .
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٠٠) .
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣١١) .
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣١٥) .
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٢٥) .
(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٢٦) .

ـ وقالَ : (لمَّا عرفَ أهلُ النقصِ حالَهُم عندَ أهلِ الكمالِ . . استعانوا بالكِبْرِ ؛ ليُعظِّمَ صغيراً ، ويَرفعَ حقيراً ، وليسَ بفاعلٍ)[1] .

ـ وقالَ : (مَنْ كَثُرَ مزاحُهُ . . لم يَسلَمْ مِنِ استخفافٍ بهِ ، أو حقدٍ عليهِ)[2] .

ـ وقالَ : (لا تقطعْ أخاكَ إلَّا بعدَ عجزِ الحِيلةِ عنِ استصلاحِهِ ، ولا تُتْبِعْهُ بعدَ القطيعةِ وقيعةً فيهِ فتَسُدَّ طريقَهُ عنِ الرُّجوعِ إليكَ ، ولعلَّ التجارِبَ أنْ تَرُدَّهُ عليكَ ، وتُصلِحَهُ لكَ)[3] .

ـ وقالَ : (الجاهلُ صغيرٌ وإن كانَ شيخاً ، والعالمُ كبيرٌ وإن كانَ حَدَثاً)[4] .

ـ وقالَ : (الفُرصةُ سريعةُ الفَوتِ ، بطيئةُ العودِ)[5] .

ـ وقالَ : (عقلُ الكاتبِ في قلمِهِ)[6] .

ـ وقالَ : (الأدبُ عندَ الأحمقِ كالماءِ العذبِ في أصولِ الحنظلِ ؛ كلَّما زادَ ريّاً . . ازدادَ مرارةً)[7] .

ـ وقالَ : (ممَّا تكتسبُ بهِ المحبةَ أن تكونَ عالماً كجاهلٍ ، وواعظاً كموعوظٍ)[8] .

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٢٧/٢٠) .
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٢٧/٢٠) .
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٢٧/٢٠) .
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٢٧/٢٠) .
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٢٨/٢٠) .
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٢٨/٢٠) .
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٣٠/٢٠) .
(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٣٠/٢٠) .

ـ وقالَ : (لَأعجبُ للسلطانِ كيفَ يُحسِنُ وهوَ إذا أساءَ . . وجدَ مَنْ يُزكِّيهِ ويَمدحُهُ ؟!)[1] .

ـ وقالَ : (إذا صادقتَ إنساناً . . وجبَ أن تكونَ صديقَ صديقِهِ ، وليسَ يجبُ عليكَ أن تكونَ عدوَّ عدوِّهِ ؛ لأنَّ هـٰذا إنَّما يجبُ علىٰ خادمِهِ ، لا علىٰ مماثلٍ لهُ)[2] .

ـ وقالَ : (ليسَ يَكمُلُ فضيلةُ الرجلِ حتىٰ يكونَ صديقاً لمتعاديَينِ)[3] .

ـ وقالَ : (العقلُ الإصابةُ بالظَّنِّ ، ومعرفةُ ما لم يكنْ بما كانَ)[4] .

ـ وقالَ : (تَعرِفُ خساسةَ المرءِ بكثرةِ كلامِهِ فيما لا يعنيهِ ، وإخبارِهِ عمَّا لا يُسأَلُ عنهُ)[5] .

ـ وقالَ : (خيرُ ما عُوشِرَ بهِ الملكُ قِلَّةُ الخلافِ ، وتخفيفُ المؤنةِ)[6] .

ـ وقالَ : (أَولى الأشياءِ أن يَتعلَّمَها الأحداثُ . . الأشياءُ التي إذا صاروا رجالاً احتاجوا إليها)[7] .

ـ وقالَ : (لا تطلبِ الحياةَ لتأكلَ ، بلِ اطلبِ الأكلَ لتحيا)[8] .

ـ وقالَ : (مَنْ أمضىٰ يومَهُ في غيرِ حقٍّ قضاهُ ، أو فرضٍ أدَّاهُ ، أو

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٣٠) .
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٣١) .
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٣١) .
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٣١) .
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٣٢) .
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٣٣) .
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٣٣) .
(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٣٣) .

مجدٍ بناهُ ، أو حمدٍ حَصَّلَهُ ، أو خيرٍ أسَّسَهُ ، أو علمٍ اقتبسَهُ . . فقد عَقَّ يومَهُ)[1] .

ـ وقالَ : (خيرُ الشِّعرِ ما كانَ مَثَلاً ، وخيرُ الأمثالِ ما لم يكنْ شعراً)[2] .

ـ وقالَ : (ولدُكَ ريحانتُكَ سبعاً ، وخادمُكَ سبعاً ، ثمَّ هوَ عدوُّكَ أو صديقُكَ)[3] ؛ يعني : بحسن التربية وسوئها .

* * *

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٣٤) .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٣٦) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٤٣) .

[أرجوزةُ ابنِ حِجَّةَ الحَمَويِّ]

وممَّا يناسبُ ما أوردنا ، ويكونُ حفظُهُ كمالاً لطالبِ صناعةِ الإنشاءِ . . طرفُ الأراجيزِ التي ضَمَّنَها أصحابُها أمثالَ تلكَ المعاني ، فعليهِ أن يطلبَها مِنْ مظانِّها ، ونوردُ منها الأرجوزةَ التي استخلصَها تقيُّ الدينِ أبو بكرِ ابنُ حِجَّةَ الحمويُّ مِنْ كتابِ « الصادحِ والباغمِ »[1] ، ورَتَّبَ أبياتَها كما استحسنَ غيرَ ترتيبِها في ذٰلكَ الكتابِ ؛ وهيَ :

[من الرجز]

اَلْـحَـمْـدُ لِلّٰهِ ٱلَّـذِي هَـذَّبَـنَـا ... وَٱخْـتَـارَنَـا لِـلْـعِـلْـمِ إِذْ أَدَّبَـنَـا

فَـإِنَّ لِـلْآدَابِ فَـضْـلاً يُـذْكَـرُ ... فَـلَا تُـخَـاطِـبْ كُـلَّ مَـنْ لَا يَـشْـعُـرُ

يَـا مُـدَّعِـي ٱلْـحِـكْـمَـةِ فِـي كَـلَامِـهِ ... وَمَـنْ يَـرُومُ ٱلـسِّـحْـرَ فِـي نِـظَـامِـهِ

خُـذْ حِـكَـمـاً وَكُـلُّـهَـا أَمْـثَـالُ ... لَـيْـسَ لَـهَـا فِـي عَـصْـرِنَـا مِـثَـالُ

أَلَّـفَـهَـا ٱبْـنُ حِـجَّـةٍ لِـلـنُّـجَـبَـا ... لِأَنَّ فِـيـهَـا رَأْسَ مَـالِ ٱلْأُدَبَـا

وَٱخْـتَـارَهَـا مِـنْ مُـفْـرَدَاتِ ٱلـصَّـادِحِ ... فَـكَـانَ ذَا مِـنْ أَكْـبَـرِ ٱلْـمَـصَـالِـحِ

مِـنْ كُـلِّ بَـيْـتٍ إِنْ تَـمَـثَّـلْـتَ بِـهِ ... سَـكَـنْـتَ مِـنْ سَـامِـعِـهِ فِـي قَـلْـبِـهِ

وَقَـدْ تَـهَـجَّـمْـتُ عَـلَى ٱلـشَّـرِيـفِ ... لَـٰكِـنَّـنِي خَـاطَـبْـتُ بِـٱلْـمَـعْـرُوفِ

وَجِـئْـتُ مِـنْ كَـلَامِـهِ بِـنُـبْـذَةِ ... تَـجْـلِـبُ لِـلـسَّـامِـعِ كُـلَّ لَـذَّةِ

وَتَـرْفَـعُ ٱلْأَدِيـبَ إِنْ تَـمَـثَّـلَا ... بِـهَـا إِذَا خَـاطَـبَ أَرْبَـابَ ٱلْـعُـلَا

مِـنْ حِـكَـمٍ تَـتْـبَـعُـهَـا وَصَـايَـا ... مَـقْـبُـولَـةٌ مِـنْ أَحْـسَـنِ ٱلـسَّـجَـايَـا

مِـنْ أَوَّلٍ وَأَوْسَـطٍ وَآخِـرِ ... جَـمَـعْـتُـهَـا جَـمْـعَ أَدِيـبٍ شَـاعِـرِ

---

(١) ذكرها في « خزانة الأدب » (٢/١٨٠) .

حَتَّىٰ دَنَا ٱلْبَعِيدُ لِلْقَرِيبِ وَٱنْتَظَمَ ٱلْبَدِيعُ بِٱلْغَرِيبِ
وَٱنْسَجَمَتْ فِي جَمْعِهَا أُرْجُوزَهْ بَدِيعَةٌ غَرِيبَةٌ وَجِيزَهْ
وَكُلُّ مَنْ أَنْكَرَ مَا أَحْكَمْتُ فِي تَرْتِيبِهَا يَكُونُ غَيْرَ مُنْصِفِ
فَلْيَنْظُرِ ٱلْأَصْلَ لِيَعْرِفَ ٱلسَّبَبْ وَيَعْتَرِفْ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ ٱلْأَدَبْ
أَوَّلُ مَا يُرْغَبُ فِي ٱسْتِهْلَالِهِ مِنْ نَظْمِهِ ٱلْمُحْكَمِ فِي مَقَالِهِ
اَلْعَيْشُ بِٱلرِّزْقِ وَبِٱلتَّقْدِيرِ وَلَيْسَ بِٱلرَّأْيِ وَلَا ٱلتَّدْبِيرِ
فِي ٱلنَّاسِ مَنْ تُسْعِدُهُ ٱلْأَقْدَارُ وَفِعْلُهُ جَمِيعُهُ إِدْبَارُ
مَنْ عَرَفَ ٱللهَ أَزَالَ ٱلتُّهْمَهْ وَقَالَ كُلُّ فِعْلِهِ لِلْحِكْمَهْ
مَنْ أَنْكَرَ ٱلْقَضَاءَ فَهْوَ مُشْرِكُ إِنَّ ٱلْقَضَاءَ بِٱلْعِبَادِ أَمْلَكُ
وَنَحْنُ لَا نُشْرِكُ بِٱللهِ وَلَا نَقْنَطُ مِنْ رَحْمَتِهِ إِذْ نُبْتَلَىٰ
عَارٌ عَلَيْنَا وَقَبِيحُ ذِكْرِ أَنْ نَجْعَلَ ٱلْكُفْرَ مَكَانَ ٱلشُّكْرِ
وَلَيْسَ فِي ٱلْعَالَمِ ظُلْمٌ جَارِي إِذْ كَانَ مَا يَجْرِي بِأَمْرِ ٱلْبَارِي
وَأَسْعَدُ ٱلْعَالَمِ عِنْدَ ٱللهِ مَنْ سَاعَدَ النَّاسَ بِفَضْلِ ٱلْجَاهِ
وَمَنْ أَغَاثَ ٱلْبَائِسَ ٱلْمَلْهُوفَا أَغَاثَهُ ٱللهُ إِذَا أُخِيفَا
إِنَّ ٱلْعَظِيمَ يَدْفَعُ ٱلْعَظِيمَا كَمَا ٱلْجَسِيمُ يَحْمِلُ ٱلْجَسِيمَا
فَإِنَّ مِنْ خَلَائِقِ ٱلْكِرَامِ رَحْمَةَ ذِي ٱلْبَلَاءِ وَٱلْأَسْقَامِ
وَإِنَّ مِنْ شَرَائِطِ ٱلْعُلُوِّ اَلْعَطْفَ فِي ٱلْبُؤْسِ عَلَى ٱلْعَدُوِّ
قَدْ قَضَتِ ٱلْعُقُولُ أَنَّ ٱلشَّفَقَهْ عَلَى ٱلصَّدِيقِ وَٱلْعَدُوِّ صَدَقَهْ
وَقَدْ عَلِمْتَ وَٱللَّبِيبُ يَعْلَمُ بِٱلطَّبْعِ لَا يُرْحَمُ مَنْ لَا يَرْحَمُ

فَٱلْمَرْءُ لَا يَدْرِي مَتَىٰ يُمْتَحَنُ فَإِنَّهُ فِي دَهْرِهِ مُرْتَهَنُ
وَإِنْ نَجَا ٱلْيَوْمَ فَمَا يَنْجُو غَدَا لَا يَأْمَنُ ٱلْآفَاتِ إِلَّا ذُو ٱلرَّدَىٰ
لَا تَغْتَرِرْ بِٱلْخَفْضِ وَٱلسَّلَامَهْ فَإِنَّمَا ٱلْحَيَاةُ كَٱلْمُدَامَهْ
وَٱلْعُمْرُ مِثْلُ ٱلْكَأْسِ وَٱلدَّهْرُ ٱلْقَذَرْ وَٱلصَّفْوُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ ٱلْكَدَرْ
وَكُلُّ إِنْسَانٍ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ صَاحِبٍ يَحْمِلُ مَا أَثْقَلَهُ
جَهْدُ ٱلْبَلَاءِ صُحْبَةُ ٱلْأَضْدَادِ فَإِنَّهَا كَيٌّ عَلَى ٱلْفُؤَادِ
أَعْظَمُ مَا يَلْقَى ٱلْفَتَىٰ مِنْ جَهْدِ أَنْ يُبْتَلَىٰ فِي جِنْسِهِ بِٱلضِّدِّ
فَإِنَّمَا ٱلرِّجَالُ بِٱلْإِخْوَانِ وَٱلْيَدُ بِٱلسَّاعِدِ وَٱلْبَنَانِ
لَا يَحْقِرُ ٱلصُّحْبَةَ إِلَّا جَاهِلُ أَوْ مَارِقٌ عَنِ ٱلرَّشَادِ غَافِلُ
صُحْبَةُ يَوْمٍ نَسَبٌ قَرِيبُ وَذِمَّةٌ يَحْفَظُهَا ٱللَّبِيبُ
وَمُوجِبُ ٱلصَّدَاقَةِ ٱلْمُسَاعَدَهْ وَمُقْتَضَى ٱلْمَوَدَّةِ ٱلْمُعَاضَدَهْ
لَا سِيَّمَا فِي ٱلنُّوَبِ ٱلشَّدَائِدِ وَٱلْمِحَنِ ٱلْعَظِيمَةِ ٱلْأَوَابِدِ
فَٱلْمَرْءُ يُحْيِي أَبَداً أَخَاهُ وَهْوَ إِذَا مَا عُدَّ مِنْ أَعْدَاهُ
وَإِنَّ مَنْ عَاشَرَ قَوْماً يَوْمَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَخَافُ لَوْمَا
وَإِنَّ مَنْ حَارَبَ مَنْ لَا يَقْوَىٰ لِحَرْبِهِ جَرَّ إِلَيْهِ ٱلْبَلْوَىٰ
فَحَارِبِ ٱلْأَكْفَاءَ وَٱلْأَقْرَانَا فَٱلْمَرْءُ لَا يُحَارِبُ ٱلسُّلْطَانَا
وَٱقْنَعْ إِذَا حَارَبْتَ بِٱلسَّلَامَهْ وَٱحْذَرْ فِعَالاً تُوجِبُ ٱلنَّدَامَهْ
فَٱلتَّاجِرُ ٱلْكَيِّسُ فِي ٱلتِّجَارَهْ مَنْ خَافَ فِي مَتْجَرِهِ ٱلْخَسَارَهْ
يَجْهَدُ فِي تَحْصِيلِ رَأْسِ مَالِهِ ثُمَّ يَرُومُ ٱلرِّبْحَ بِٱحْتِيَالِهِ

وَإِنْ رَأَيْتَ ٱلنَّصْرَ قَدْ لَاحَ لَكَا فَلَا تُقَصِّرْ وَٱحْتَرِزْ أَنْ تَهْلِكَا
وَٱسْبِقْ إِلَى ٱلْأَجْوَدِ سَبْقَ ٱلنَّاقِدِ فَسَبْقُكَ ٱلْخَصْمَ مِنَ ٱلْمَكَايِدِ
وَٱنْتَهِزِ ٱلْفُرْصَةَ إِنَّ ٱلْفُرْصَهْ تَصِيرُ إِنْ لَمْ تَنْتَهِزْهَا غُصَّهْ
كَمْ بَطِرَ ٱلْغَالِبُ يَوْماً فَتَرَكْ عَنْهُ ٱلتَّوَقِّي وَٱسْتَهَانَ فَهَلَكْ
وَمَنْ أَضَاعَ جُنْدَهُ فِي ٱلسِّلْمِ لَمْ يَحْفَظُوهُ فِي لِقَاءِ ٱلْخَصْمِ
وَإِنَّ مَنْ لَا يَحْفَظُ ٱلْقُلُوبَا يُخْذَلُ حِينَ يَشْهَدُ ٱلْحُرُوبَا
وَٱلْجُنْدُ لَا يَرْعَوْنَ مَنْ أَضَاعَهُمْ كَلَّا وَلَا يَحْمُونَ مَنْ أَجَاعَهُمْ
وَأَضْعَفُ ٱلْمُلُوكِ طُرّاً عَقْدَا مَنْ غَرَّهُ ٱلسِّلْمُ فَأَقْصَى ٱلْجُنْدَا
وَٱلْحَزْمُ وَٱلتَّدْبِيرُ رُوحُ ٱلْعَزْمِ لَا خَيْرَ فِي عَزْمٍ بِغَيْرِ حَزْمِ
وَٱلْحَزْمُ كُلُّ ٱلْحَزْمِ فِي ٱلْمُطَاوَلَهْ وَٱلصَّبْرِ لَا فِي سُرْعَةِ ٱلْمُزَاوَلَهْ
وَفِي ٱلْخُطُوبِ تَظْهَرُ ٱلْجَوَاهِرُ مَا غَلَبَ ٱلْأَيَّامَ إِلَّا ٱلصَّابِرُ
لَا تَيْئَسَنْ مِنْ فَرَجٍ وَلُطْفِ وَقُوَّةٍ تَظْهَرُ بَعْدَ ضَعْفِ
فَرُبَّمَا جَاءَكَ بَعْدَ ٱلْيَاسِ رُوحٌ بِلَا كَدٍّ وَلَا ٱلْتِمَاسِ
فِي لَمْحَةِ ٱلطَّرْفِ بُكَاءٌ وَضَحِكْ وَنَاجِزٌ بَادٍ وَدَمْعٌ يَنْسَفِكْ
تَنَالُ بِٱلرِّفْقِ وَبِٱلتَّأَنِّي مَا لَمْ تَنَلْ بِٱلْحِرْصِ وَٱلتَّعَنِّي
مَا أَحْسَنَ ٱلثَّبَاتَ وَٱلتَّجَلُّدَا وَأَقْبَحَ ٱلْحَيْرَةَ وَٱلتَّبَلُّدَا
لَيْسَ ٱلْفَتَىٰ إِلَّا ٱلَّذِي إِنْ طَرَقَهْ خَطْبٌ تَلَقَّاهُ بِصَبْرٍ وَثِقَهْ
إِذَا ٱلرَّزَايَا أَقْبَلَتْ وَلَمْ تَقِفْ فَثَمَّ أَحْوَالُ ٱلرِّجَالِ تَخْتَلِفْ
وَكَمْ لَقِيتُ لَذَّةً فِي زَمَنِي فَٱصْبِرُ ٱلْآنَ لِهَٰذِي ٱلْمِحَنِ

فَـٱلْـمَـوْتُ لَا يَـكُـونُ إِلَّا مَـرَّهْ وَٱلْـمَـوْتُ أَحْـلَـىٰ مِـنْ حَـيَـاةٍ مُـرَّهْ

إِنِّـي مِـنَ ٱلْـمَـوْتِ عَـلَـىٰ يَـقِـيـنِ فَـأَجْـهَـدُ ٱلْآنَ لِـمَـا يَـقِـيـنِـي

صَـبْـراً عَـلَـىٰ أَهْـوَالِـهَـا وَلَا ضَـجَـرْ وَرُبَّـمَـا فَـازَ ٱلْـفَـتَـىٰ إِذَا صَـبَـرْ

لَا يَـجْـزَعُ ٱلْـحُـرُّ مِـنَ ٱلْـمَـصَـائِـبِ كَـلَّا وَلَا يَـخْـضَـعُ لِـلـنَّـوَائِـبِ

فَـٱلْـحُـرُّ لِـلْـعِـبْءِ ٱلثَّـقِـيـلِ يَـحْـمِـلُ وَٱلـصَّـبْـرُ عِـنْـدَ ٱلـنَّـائِـبَـاتِ يَـجْـمُـلُ

لِـكُـلِّ شَـيْءٍ مُـدَّةٌ وَتَـنْـقَـضِـي مَـا غَـلَـبَ ٱلْأَيَّـامَ إِلَّا مَـنْ رَضِـي

قَـدْ صَـدَقَ ٱلْـقَـائِـلُ فِـي ٱلْـكَـلَامِ لَـيْـسَ ٱلـنُّـهَـىٰ بِـعِـظَـمِ ٱلْـعِـظَـامِ

لَا خَـيْـرَ فِـي جَـسَـامَـةِ ٱلْأَجْـسَـامِ بَـلْ هُـوَ فِـي ٱلْـعُـقُـولِ وَٱلْأَفْـهَـامِ

فَـٱلْـخَـيْـلُ لِـلْـحَـرْبِ وَلِـلْـجَـمَـالِ وَٱلْإِبْـلُ لِـلْـحَـمْـلِ وَلِـلـتَّـرْحَـالِ

لَا تَـحْـتَـقِـرْ شَـيْـئـاً صَـغِـيـراً مُـحْـتَـقَـرْ فَـرُبَّـمَـا أَسَـالَـتِ ٱلـدَّمَ ٱلْإِبَـرْ

لَا تُـحْـرِجِ ٱلْـخَـصْـمَ فَـفِـي إِحْـرَاجِـهِ جَـمِـيـعُ مَـا تَـكْـرَهُ مِـنْ لَـجَـاجِـهِ

لَا تَـطْـلُـبِ ٱلْـفَـائِـتَ بِـٱلـلَّـجَـاجِ وَكُـنْ إِذَا كُـوِيـتَ ذَا إِنْـضَـاجِ

فَـعَـاجِـزٌ مَـنْ تَـرَكَ ٱلْـمَـوْجُـودَا طَـمَـاعَـةً وَطَـلَـبَ ٱلْـمَـفْـقُـودَا

وَفَـتِّـشِ ٱلْأُمُـورَ عَـنْ أَسْـرَارِهَـا كَـمْ نُـكْـتَـةٍ جَـاءَتْـكَ مَـعْ إِظْـهَـارِهَـا (١)

لَـزِمْـتَ لِـلْـجَـهْـلِ قَـبِـيـحَ ٱلـظَّـاهِـرِ وَمَـا نَـظَـرْتَ حَـسَـنَ ٱلـسَّـرَائِـرِ

لَـيْـسَ يَـضُـرُّ ٱلْـبَـدْرَ فِـي ثَـنَـاهُ أَنَّ ٱلـضَّـرِيـرَ قَـطُّ لَا يَـرَاهُ

كَـمْ حِـكْـمَـةٍ أَضْـحَـتْ بِـهَـا ٱلْـمَـحَـافِـلُ نَـافِـقَـةً وَأَنْـتَ عَـنْـهَـا غَـافِـلُ

وَيَـغْـفُـلُـونَ عَـنْ خَـفِـيِّ ٱلْـحِـكْـمَـهْ وَلَـوْ رَأَوْهَـا لَأَزَالُـوا ٱلـتُّـهَـمَـهْ

---

(١) في « خزانة الأدب » : (نكبة) بدل (نكتة) .

كَـمْ حَـسَـنٍ ظَـاهِـرُهُ قَـبِـيـحُ وَسَـمِـجٍ عُـنْـوَانُـهُ مَـلِـيـحُ
وَٱلْـحَـقُّ قَـدْ تَـعْـلَـمُـهُ ثَـقِـيـلُ يَـأْبَـاهُ إِلَّا نَـفَـرٌ قَـلِـيـلُ
فَـٱلْـعَـاقِـلُ ٱلْـكَـامِـلُ فِـي ٱلـرِّجَـالِ لَا يَـنْـثَـنِـي لِـزُخْـرُفِ ٱلْـمَـقَـالِ
إِنَّ ٱلْـعَـدُوَّ قَـوْلُـهُ مَـرْدُودُ وَقَـلَّـمَـا يُـصَـدَّقُ ٱلْـحَـسُـودُ
لَا تَـقْـبَـلِ ٱلـدَّعْـوَىٰ بِـغَـيْـرِ شَـاهِـدِ لَا سِـيَّـمَـا إِنْ كَـانَ مِـنْ مُـعَـانِـدِ
أَيُـؤْخَـذُ ٱلْـبَـرِيءُ بِـٱلـسَّـقِـيـمِ وَٱلـرَّجُـلُ ٱلْـمُـحْـسِـنُ بِـٱللَّـئِـيـمِ
كَـذَاكَ مَـنْ يَـسْـتَـنْـصِـحُ ٱلْأَعَـادِي يُـرْدُونَـهُ بِـٱلْـغِـشِّ وَٱلْـفَـسَـادِ
إِنَّ أَكَـلَّ مَـنْ تَـرَىٰ أَذْهَـانَـا مَـنْ حَـسِـبَ ٱلْإِسَـاءَةَ ٱلْإِحْـسَـانَـا
فَـٱدْفَـعْ إِسَـاءَةَ ٱلْـعِـدَا بِـٱلْـحُـسْـنَـىٰ وَلَا تَـخَـلْ يُـسْـرَاكَ مِـثْـلَ ٱلْـيُـمْـنَـىٰ
وَلِـلـرِّجَـالِ فَـٱعْـلَـمَـنْ مَـكَـايِـدُ وَخِـدَعٌ مُـنْـكَـرَةٌ شَـدَائِـدُ
فَـٱلـنَّـدْبُ لَا يَـخْـضَـعُ لِـلـشَّـدَائِـدِ قَـطُّ وَلَا يَـغْـتَـاظُ بِـٱلْـمَـكَـايِـدِ
فَـرَقِّـعِ ٱلْـخَـرْقَ بِـلُـطْـفٍ وَٱجْـتَـهِـدْ وَٱمْـكُـرْ إِذَا لَـمْ يَـنْـفَـعِ ٱلـصِّـدْقُ وَكِـدْ
فَـهَـٰكَـذَا ٱلْـحَـازِمُ إِذْ يَـكِـيـدُ يَـبْـلُـغُ فِـي ٱلْأَعْـدَاءِ مَـا يُـرِيـدُ
وَهْـوَ بَـرِيءٌ مِـنْـهُـمُ فِـي ٱلـظَّـاهِـرِ وَغَـيْـرُهُ مُـخْـتَـضِـبُ ٱلْأَظَـافِـرِ
وَٱلـشَّـهْـمُ مَـنْ يُـصْـلِـحُ أَمْـرَ نَـفْـسِـهِ وَلَـوْ بِـقَـتْـلِ وُلْـدِهِ وَعِـرْسِـهِ
فَـإِنَّ مَـنْ يَـقْـصِـدُ قَـلْـعَ ضِـرْسِـهِ لَـمْ يَـعْـتَـمِـدْ إِلَّا صَـلَاحَ نَـفْـسِـهِ
وَإِنَّ مَـنْ خَـصَّ ٱللَّـئِـيـمَ بِـٱلـنَّـدَىٰ وَجَـدْتَـهُ كَـمَـنْ يُـرَبِّـي أَسَـدَا
وَلَـيْـسَ فِـي طَـبْـعِ ٱللَّـئِـيـمِ شُـكْـرُ وَلَـيْـسَ فِـي أَصْـلِ ٱلـدَّنِـيءِ نَـصْـرُ
وَإِنَّ مَـنْ أَلْـزَمَـهُ [وَكَـلَّـفَـهْ] ضِـدُّ ٱلَّـذِي فِـي طَـبْـعِـهِ مَـا أَنْـصَـفَـهْ

كَـذَاكَ مَـنْ يَـصْـطَـنِـعُ ٱلْـجُـهَّـالَا وَيُـــؤْثِـــرُ ٱلْأَرْذَالَ وَٱلْأَنْـــذَالَا
لَـــوْ أَنَّـــكُـــمْ أَفَـــاضِـــلٌ أَحْـــرَارُ مَـــا ظَـهَـرَتْ بَـيْـنَـكُـمُ ٱلْأَسْـرَارُ
إِنَّ ٱلْأُصُـــولَ تَـجْـذِبُ ٱلْـفُـرُوعَـا وَٱلْـعِـرْقُ دَسَّـاسٌ إِذَا [أُطِـيـعَـا]
مَـا طَـابَ فَـرْعٌ أَصْـلُـهُ خَـبِـيـثُ وَلَا زَكَـا مَـنْ مَـجْـدُهُ حَـدِيـثُ
قَـدْ يُـدْرِكُـونَ رُتَـبـاً فِـي ٱلـدُّنْـيَـا وَيَـبْـلُـغُـونَ وَطَـراً مِـنْ بُـغْـيَـا
لَٰكِنَّهُمْ لَا يَـبْـلُـغُـونَ فِـي ٱلْـكَـرَمْ مَـبْـلَـغَ مَـنْ كَـانَ لَـهُ فِـيـهَـا قَـدَمْ
وَكُـلُّ مَـنْ تَـمَـاثَـلَـتْ أَطْـرَافُـهُ فِـي طِـيـبِـهَـا وَكَـرُمَـتْ أَسْـلَافُـهُ
كَـانَ خَـلِـيـقـاً بِـٱلْـعُـلَا وَبِـٱلْـكَـرَمْ وَبَـرَعَـتْ فِـي أَصْـلِـهِ حُـسْـنُ ٱلشِّـيَـمْ
لَـوْلَا بَـنُـو آدَمَ بَـيْـنَ ٱلْـعَـالَـمِ مَـا بَـانَ لِـلْـعُـقُـولِ فَـضْـلُ ٱلْـعَـالِـمِ
فَـوَاحِـدٌ يُـعْـطِـيـكَ فَـضْـلاً وَكَـرَمْ فَـذَاكَ مَـنْ يَـكْـفُـرُهُ فَـقَـدْ ظَـلَـمْ
وَوَاحِـدٌ يُـعْـطِـيـكَ لِـلْـمُـصَـانَـعَـهْ أَوْ حَـاجَـةٍ لَـهُ إِلَـيْـكَ وَاقِـعَـهْ
لَا تَـشْـرَهَـنْ إِلَـىٰ حُـطَـامٍ عَـاجِـلِ كَـمْ أَكْـلَـةٍ أَوْدَتْ بِـنَـفْـسِ ٱلْآكِـلِ
وَٱحْـذَرْ أُخَـيَّ يَـا فَـتَـىٰ مِـنَ ٱلشَّـرَهْ وَقِـسْ بِـمَـا رَأَيْـتَـهُ مَـا لَـمْ تَـرَهْ
فَـلَـيْـسَ مِـنْ عَـقْـلِ ٱلْـفَـتَـىٰ أَوْ كَـرَمِـهْ إِفْـسَـادُ شَـخْـصٍ كَـامِـلٍ لِـقَـرَمِـهْ
فَـٱلْـبَـغْـيُ دَاءٌ مَـا لَـهُ دَوَاءُ لَـيْـسَ لِـمُـلْـكٍ مَـعَـهُ بَـقَـاءُ
وَٱلْـبَـغْـيُ فَـٱحْـذَرْهُ وَخِـيـمُ ٱلْـمَـرْتَـعِ وَٱلْـعُـجْـبُ فَـٱتْـرُكْـهُ شَـدِيـدُ ٱلْـمَـصْـرَعِ
وَٱلْـغَـدْرُ بِـٱلْـعَـهْـدِ قَـبِـيـحٌ جِـدَّا شَـرُّ ٱلْـوَرَىٰ مَـنْ لَـيْـسَ يَـرْعَـى ٱلْـعَـهْـدَا
عِـنْـدَ تَـمَـامِ ٱلْأَمْـرِ يَـبْـدُو نَـقْـصُـهُ وَرُبَّـمَـا ضَـرَّ ٱلْـحَـرِيـصَ حِـرْصُـهُ
وَرُبَّـمَـا ضَـرَّكَ بَـعْـضُ مَـالِـكَـا وَسَـاءَكَ ٱلْـمُـحْـسِـنُ مِـنْ رِجَـالِـكَـا

فَٱلْـمَـرْءُ يَـفْـدِي نَـفْـسَـهُ بِـوَفْـرِهْ عَـسَـاهُ أَنْ يَـنْـجُـو بِـهِ مِـنْ أَسْـرِهْ
لَا تُـعْـطِـيَـنْ شَـيْـئـاً بِـغَـيْـرِ فَـائِـدَهْ فَـإِنَّـهَـا مِـنَ ٱلـسَّـجَـايَـا ٱلْـفَـاسِـدَهْ
هَـٰذَا ٱلَّـذِي أَلَّـفْـتُـهُ وَٱخْـتَـرْتُـهُ مِـنْ رَجَـزِ ٱلـشَّـرِيـفِ وَٱنْـتَـخَـبْـتُـهُ
وَحُـرْمَـةُ ٱلْآدَابِ يَـا أَهْـلَ ٱلْأَدَبْ إِنَّ ٱلـشَّـرِيـفَ قَـدْ أَتَـانَـا بِـٱلْـعَـجَـبْ
قُـلْـنَـا جَـمِـيـعـاً إِذْ سَـمِـعْـنَـا رَجْـزَهْ كَـمْ قَـدْ أَتَـىٰ مُـحَـمَّـدٌ بِـمُـعْـجِـزَهْ
مِـنْ كُـلِّ بَـيْـتٍ شَـطْـرُهُ قَـصِـيـدُ وَكُـلُّـنَـا لِـبَـيْـتِـهِ عَـبِـيـدُ
فَـرَحْـمَـةُ ٱللهِ لَـهُ فِـي ٱلْآخِـرَهْ خَـاتِـمَـةٌ مَـعَ ٱلْـهِـبَـاتِ ٱلْـوَافِـرَهْ
ثُـمَّ ٱلـصَّـلَاةُ وَٱلـسَّـلَامُ دَائِـمَـا عَـلَى ٱلَّـذِي لِـلـرُّسْـلِ جَـاءَ خَـاتِـمَـا

والشريفُ المذكورُ صاحبُ « الصادحِ والباغمِ » هوَ المشهورُ بالرضيّ ، وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ مِنْ أكبرِ أُمراءِ زمانِهِ ، تَولَّىٰ نقابةَ الأشرافِ ببغدادَ وغيرَها مِنَ الوظائفِ الجليلةِ ، وقد أفاضَ اللهُ عليهِ مِنْ بركاتِ بيتِهِ النبويِّ العلويِّ ، فلم يكنْ أشعرُ منهُ على الإطلاقِ ، ولا يطمعُ أحدٌ أن يجاريَهُ في سباقٍ ، شعرُهُ مُدوَّنٌ في أربعةِ أجزاءٍ ، وقدِ اقتفىٰ أثرَهُ فأحسنَ تلميذُهُ وصنيعتُهُ مهيارٌ الديلميُّ ، وسنوردُ عليكَ إن شاءَ اللهُ ـ متىٰ أفضنا في أمرِ الشعرِ ـ مِنْ كلامِهِما مصداقَ ذٰلكَ .

❋ ❋ ❋

[وظائفُ مريدِ صناعةِ الإنشاءِ]

هٰذا ؛ وعلىٰ مَنْ يريدُ المهارةَ في صناعةِ الإنشاءِ أن يكثرَ مِنْ حفظِ جيادِ الأشعارِ ، مُتفهِّماً معانيَها ، مُتأمِّلاً حسنَ سياقاتِها ؛ لِمَا في ذٰلكَ لهُ مِنْ جميلِ الفوائدِ ، التي منها معرفةُ المعاني المودعةِ فيها ، بعدَ كدِّ أفكارِ ذوي العقولِ في تحصيلِها .

ومنها الاستشهادُ بشطرِ بيتٍ أو أكثرَ ، علىٰ ما يكونُ أسلفَهُ في نثرِهِ مِنَ الدعاوىٰ ، ومِنَ التضمينِ ؛ بأن يُتمِّمَ المعنى الذي أبرزَهُ النثرُ بشطرِ بيتٍ أو أكثرَ ، أو يقرنَ معنىً بما يناسبُهُ .

ومنها استعمالُهُ في الحَلِّ الذي سبقَ التنبيهُ عليهِ في البديعِ [1] ، نُقِلَ أنَّ عبدَ الرحيمِ البيسانيَّ المشهورَ بالقاضي الفاضلِ لمَّا وردَ الديارَ المصريَّةَ في آخرِ دولةِ العبيديينَ ، علىٰ نيَّةِ الإقامةِ بها ، والتعيُّشِ فيها بحرفةِ الكُتَّابِ . . لقيَ ابنَ الخلالِ رئيسَ الكتَّابِ إذ ذاكَ ، وعرضَ عليهِ نيَّتَهُ ، وأنَّهُ استعدَّ لذٰلكَ بحفظِ القرآنِ الشريفِ ، وبعضِ الأخبارِ النبويَّةِ ، و« ديوانِ الحماسةِ » ؛ وهو كتابٌ جمعَ فيهِ أبو تمامٍ أشعاراً انتخبَها مِنْ أشعارِ العربِ وأجادَ الانتخابَ ؛ حتىٰ إنَّهُ قيلَ : إنَّهُ في اختيارِهِ أشعرُ منهُ في شعرِهِ ، ورَتَّبَهُ علىٰ عشرةِ أبوابٍ ، كلُّ بابٍ في نوعٍ مِنْ أنواعِ الشعرِ .

فأمرَهُ أن يبتدئَ التعلُّمَ بحلِّ أبياتِ ذٰلكَ الديوانِ ، وإخراجِها مِنْ صورةِ النظمِ إلىٰ صورةٍ نثريةٍ لا تنقصُ ملاحتُها عمَّا كانَتْ عليهِ وهيَ نظمٌ ، فلمَّا أتمَّ ذٰلكَ . . عرضَهُ عليهِ ، فأظهرَ استحسانَهُ ، وأثنىٰ عليهِ ، وأمرَهُ أن يحلَّها

---

(١) تقدم في العقد والحل (٢/٤٠٥) .

مَرَّةً ثانيةً ، فعندَ ذٰلكَ تَصرَّفَ قلمُهُ في الصناعةِ ، ولم يزلْ يَترقَّىٰ حتىٰ كانَ الواحدَ المشارَ إليهِ في الدولةِ الكرديَّةِ الماحيةِ للدولةِ العبيديةِ .

[نبذةٌ مِنْ أشعارِ « ديوانِ الحماسةِ »]

وإذ كانَ ذٰلكَ كذٰلكَ . . فلا بدَّ أن نوردَ لكَ مِنْ كلِّ بابٍ مِنْ أبوابِ الحماسةِ جملةً صالحةً تحفظُها ، وتتأمَّلُ معانيَها ، وتفتكرُ في استعمالِها لتلكَ الأغراضِ ، حتىٰ تجدَ الزمنَ الذي تَتمكَّنُ فيهِ بتوفيقِ اللهِ تعالىٰ أن تطلعَ علىٰ جميعِ الكتابِ وغيرِهِ ممَّا يلزمُ لطالبِ الأدبِ أن يطلعَ عليهِ مِنَ الكتبِ .

فمِنْ بابِ الحماسةِ ـ والحماسةُ : الشدَّةُ ، وبها سُمِّيَتِ الأشعارُ التي يُذكَرُ فيها الشِّدةُ على النفسِ في احتمالِ المكارهِ ، والصَّبرُ عليها لحفظِ الشرفِ وحمايةِ ما يجبُ على الإنسانِ حمايتُهُ ـ :

قالَ رجلٌ مِنْ قومٍ يقُال لهُم : بنو العنبرِ ـ وسُنَّةُ العربِ في النطقِ بأمثالِ هٰذهِ العبارةِ أن يقولوا : بَلْعنبرِ وبَلْحارثِ ، أغارَتْ علىٰ إبلِهِ جماعةٌ يقالُ لهُم : بنو اللقيطةِ ، فلم يعنْهُ قومُهُ على استنقاذِها منهُم ، وركنَ إلىٰ بني مازنٍ ، فأعانوهُ ، واستخلصوا إبلَهُ ـ يشكرُهُم ويهجو قومَهُ[1] : [من البسيط]

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِبِلِي ... بَنُو ٱللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَا
إِذاً لَقَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرٌ خُشُنٌ ... عِنْدَ ٱلْحَفِيظَةِ إِنْ ذُو لُوثَةٍ لَانَا
قَوْمٌ إِذَا ٱلشَّرُّ أَبْدَىٰ نَاجِذَيْهِ لَهُمْ ... طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا
لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ ... فِي ٱلنَّائِبَاتِ عَلَىٰ مَا قَالَ بُرْهَانَا
لَٰكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ ... لَيْسُوا مِنَ ٱلشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » للتبريزي (١/٥) ، وهو قُريط بن أُنيف .

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ ٱلظُّلْمِ مَغْفِرَةً   وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ ٱلسُّوءِ إِحْسَانَا
كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِخَشْيَتِهِ   سِوَاهُمُ مِنْ جَمِيعِ ٱلنَّاسِ إِنْسَانَا
فَلَيْتَ لِي بِهِمُ قَوْماً إِذَا رَكِبُوا   شَنُّوا ٱلْإِغَارَةَ فُرْسَاناً وَرُكْبَانَا

اللَّوثةُ ـ بفتحٍ فسكونٍ ـ : الشِّدةُ والقُوَّةُ ، ومنها اشتقاقُ اللَّيثِ ، وبضمٍّ فسكونٍ مرسلٍ : الضِّعفُ والاسترخاءُ ، وكلتاهُما يَحتمِلُ البيتُ ، وهوَ على الأُولىٰ أبلغُ في وصفِ بني مازنٍ بالشجاعةِ ، وفي الثانيةِ تعريضٌ بقومِهِ .

وقالَ ثابتُ بنُ جابرٍ المشهورُ بتأبَّطَ شرّاً ـ يُقالُ : إنَّهُ يوماً مِنَ الأيامِ أخذَ سيفاً تحتَ إبْطِهِ وخرجَ ، فسُئِلَتْ عنهُ أُمُّهُ ، فقالَتْ : لا أدري ، تأبَّطَ شرّاً ومضىٰ ، فغلبَ عليهِ ذٰلكَ اللقبُ ـ يذكرُ بعضَ ماجرياتِهِ ، وكانَ شجاعاً فاتكاً مِغواراً ، عُرِفَ بذٰلكَ مِنْ صغرِهِ ، **وحاصلُ القصَّةِ التي فيها الأبياتُ** : أنَّهُ كانَ استكشفَ في أرضِ بعضِ أعدائِهِ غاراً في رأسِ جبلٍ قائمٍ ، ليسَ لهُ إلَّا طريقٌ واحدةٌ ضيقةٌ اتخذَتْهُ نحلٌ بيتاً ، فكانَ يجيءُ يشتارُّهُ رأسَ كلِّ سنةٍ ، فاتفقَ أن فطنَ بهِ قومٌ مِنْ أعدائِهِ أهلِ الناحيةِ ، فأخذوا عليهِ الطريقَ ، ودعَوهُ إلى الخروجِ ، فعرفَهُم وقالَ : علىٰ شريطةٍ ماذا أخرجُ ؟ فقالوا : علىٰ غيرِ شريطةٍ ، فطاولَهُم الكلامَ ، وأخذَ يريقُ العسلَ على الجانبِ الثاني مِنَ الجبلِ ، ثمَّ وضعَ صدرَهُ على الصفَا وأرخىٰ نفسَهُ ، فذهبَ يهوي حتىٰ وصلَ أسفلَ الجبلِ سالماً ، وكانَ بينَ الموضعِ الذي استقرَّ فيهِ والموضعِ الذي فيهِ أعداؤُهُ مسيرةُ ثلاثةِ أيامٍ يدورونَ معَ الجبلِ ، وهٰذهِ الأبياتُ (١) :   [من الطويل]

إِذَا ٱلْمَرْءُ لَمْ يَحْتَلْ وَقَدْ جَدَّ جَدُّهُ   أَضَاعَ وَقَاسَىٰ أَمْرَهُ وَهْوَ مُدْبِرُ
وَلَٰكِنْ أَخُو ٱلْحَزْمِ ٱلَّذِي لَيْسَ نَازِلاً   بِهِ ٱلْخَطْبُ إِلَّا وَهْوَ لِلْقَصْدِ مُبْصِرُ
فَذَاكَ قَرِيعُ ٱلدَّهْرِ مَا عَاشَ [حُوَّلٌ]   إِذَا سُدَّ مِنْهُ مَنْخِرٌ جَاشَ مَنْخِرُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٣٨ ـ ٤١) .

أَقُولُ لِلِحْيَانٍ وَقَدْ صَفِرَتْ لَهُمْ وَطَابِي وَيَوْمِي ضَيِّقُ ٱلْحُجْرِ مُعْوِرُ
هُمَا خُطَّتَا إِمَّا إِسَارٌ وَمِنَّةٌ وَإِمَّا دَمٌ وَٱلْقَتْلُ بِٱلْحُرِّ أَجْدَرُ
وَأُخْرَىٰ أُصَادِي ٱلنَّفْسَ عَنْهَا وَإِنَّهَا لَمَوْرِدُ حَزْمٍ إِنْ فَعَلْتُ وَمَصْدَرُ
فَرَشْتُ لَهَا صَدْرِي فَزَلَّ عَنِ ٱلصَّفَا بِهِ جُؤْجُؤٌ عَبْلٌ وَمَتْنٌ مُخَصَّرُ
فَخَالَطَ سَهْلَ ٱلْأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ ٱلصَّفَا بِهِ كَدْحَةً وَٱلْمَوْتُ خَزْيَانُ يَنْظُرُ
فَأُبْتُ إِلَىٰ فَهْمٍ وَمَا كِدْتُ آيِباً وَكَمْ مِثْلِهَا فَارَقْتُهَا وَهْيَ تَصْفِرُ

قريعُ الدهرِ : الذي قرعَتْهُ الأيامُ بنوائبِها حتىٰ عرفَ وجوهَ المنافعِ والمَضارِّ بالممارسةِ والتجارِبِ ؛ فإنَّ معرفةَ ذٰلكَ تكونُ أثبتَ وأمكنَ مِنْ معرفةِ مَنْ كانَتْ طريقُهُ إليهَا التعلُّمَ والأخذَ عنِ الأخبارِ ، يُقالُ : فلانٌ صنيعةُ الدَّهرِ ، وحَنَّكَتْهُ التجارِبُ ، وأدَّبَتْهُ الأيامُ والليالي . . . إلىٰ غيرِ تلكَ مِنَ العباراتِ .

وقولُهُ : (**هما خُطَّتا إمَّا إسارٌ . . .**) يُروىٰ برفعِ (إسارٌ) وما بعدَهُ بدلاً ، فحذفُ النونِ شاذٌّ ، ويُروىٰ بالخفضِ ، فالحذفُ للإضافةِ .

وقولُهُ : (**صَفِرَتْ لهُم وطابي**) هوَ مثلٌ يُضرَبُ لمفارقةِ الروحِ البدنَ ؛ أي : كانَ ذٰلكَ في خيالِهِم ، وَحَسَبَ مَا سَوَّلَتْ لهُم تلكَ المكنةُ منهُ .

وقولُهُ : (**إذا سُدَّ منهُ مَنْخِرٌ**) أي : كلَّما ضاقَ عليهِ أمرٌ مِنَ الحيلةِ . . اتَّسعَ لهُ آخَرُ .

وقولُهُ : (**وكم مثلِها فارقتُها**) أي : كمْ مثلِ تلكَ المنزلةِ فارقتُها وأهلُها يَتحسَّرونَ علىٰ إفلاتي وفواتي مِنْ يدِهِم .

وقالَ أبو كبيرٍ الهذليُّ يَذكُرُ ثابتاً هٰذا وهوَ غلامٌ ، وكانَ قد تَزوَّجَ أُمَّهُ ، فكانَ يرىٰ مِنْ عينَيهِ استنكافَهُ لذٰلكَ ، وأنَّهُ يُضمِرُ لهُ السُّوءَ ، فَعَرضَ ذٰلكَ علىٰ أُمِّهِ ، فسمحَتْ نفسُها بأن يعملَ فيهِ ما شاءَ ، فأصبحَ ذاتَ يومٍ وقالَ :

يا ثابتُ ؛ هل لكَ في الغزوِ ؟ فقالَ : ذٰلكَ مِنْ أمري ، فخرجا وأبو كبيرٍ يريدُ بهِ السُّوءَ ، ولم يكنْ يَتمكَّنُ لنباهةِ الغلامِ وشدَّةِ حرصِهِ ، ولم يكونا تزوَّدا لسفرِهما ، فاشتدَّ الجوعُ في الليلةِ الثانيةِ بأبي كبيرٍ ، ولاحَتْ لهُما مِنْ بعيدٍ نارٌ ، فقالَ : يا ثابتُ ؛ اقصدِ النارَ وأنا أنتظرُكَ ، عسىٰ أن تجدَ ما نأكلُ ، فقالَ : أهٰذا وقتُ أكلٍ ؟! فقالَ : لا بدَّ مِنْ ذٰلكَ .

فلمَّا قصدَ النارَ . . وجدَها لرجلَينِ مِنْ مشاهيرِ لصوصِ العربِ ، فهمَّا بهِ ، وجرىٰ أمامَهُما ، حتىٰ أطمعَهُما في نفسِهِ ، ثمَّ انعطفَ فقتلَ أقربَهُما لهُ ، ثمَّ جرىٰ للآخَرِ فألحقَهُ بهِ ، وجاءَ النارَ فأخذَ ما كانَ مِنْ طعامٍ ، وأحضرَهُ إلىٰ أبي كبيرٍ وقالَ : كُلْ لا أشبعَ اللهُ بطنَكَ ، فسألَهُ عمَّا جرىٰ ، فقالَ : كُلْ ولا تسألْ ، فألحَّ عليهِ حتىٰ أخبرَهُ بما كانَ ، فعندَ ذٰلكَ عَظُمَ في صدرِهِ جدّاً ، واشتدَّتْ مهابتُهُ لهُ وخوفُهُ منهُ .

ثمَّ سارا حتىٰ وجدا إبلاً ، فاستاقاها ورجعا قافلَينِ ، فكانَ يسيرُ بهِ اليومَ أجمعَ ، وصدراً مِنَ الليلِ ، ثمَّ يقولُ لهُ : أنامُ وتحرسُ ، ثمَّ تنامُ وأحرسُ ، وكانَ ذٰلكَ دأبَهُما ، فبينا ثابتٌ نائمٌ في بعضِ نوباتِهِ . . إذ بدا لأبي كبيرٍ أن يقتلَهُ ، وأرادَ أن يختبرَهُ أوَّلاً إن كانَ قد غمرَهُ النومُ أو لا ، فأخذَ حصاةً ونبذَها ناحيةَ رأسِهِ ، فنهضَ ثابتٌ قائماً كأنَّهُ كعبُ قناةٍ وقالَ : ما هٰذهِ الوجبةُ ؟ فقالَ أبو كبيرٍ : لا أدري ، سمعتُ كما سمعتَ ، فطافَ ثابتٌ حولَ الإبلِ وعسَّ ، فلم يجدْ شيئاً ، ثمَّ رجعَ ونامَ ، فنبذَ أبو كبيرٍ حصاةً أصغرَ مِنَ الأُولىٰ ، فكانَ منهُما كما كانَ في المَرَّةِ الأُولىٰ ، فلمَّا كانَتِ الثالثةُ . . قالَ ثابتٌ : يا هٰذا ؛ قد رابَني أمرُكَ منذُ الليلةِ ، واللهِ ؛ لئن عُدتُ سمعتُ شيئاً . . قتلتُكَ .

قالَ أبو كبيرٍ : فملأَني الخوفُ منهُ حتىٰ سهرتُ بقيةَ الليلةِ أطوفُ حولَ الإبلِ ؛ مخافةَ أن يتحرَّكَ بعضُها فيسمعَ فيبرَّ قسمَهُ ، فلمَّا رجعا . . قالَ أبو كبيرٍ

لأُمّ ثابتٍ : ليسَتْ أمُّ مثلِ هـٰذا لي بزوجةٍ ، وهـٰذهِ الأبياتُ[(١)] : [من الكامل]

وَلَقَدْ سَرَيْتُ عَلَى ٱلظَّلَامِ بِمِغْشَمٍ ... جَلْدٍ مِنَ ٱلْفِتْيَانِ غَيْرِ مُثَقَّلِ
مِمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ وَهُنَّ قَوَاعِدٌ ... حُبُكَ ٱلنِّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهَبَّلِ
وَمُبَرَّأً مِنْ كُلِّ غُبَّرِ حَيْضَةٍ ... وَفَسَادِ مُرْضِعَةٍ وَدَاءٍ مُغْيِلِ
حَمَلَتْ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَزْؤُودَةٍ ... كَرْهاً وَعَقْدُ نِطَاقِهَا لَمْ يُحْلَلِ
فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ ٱلْفُؤَادِ مُبَطَّناً ... سُهُداً إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ ٱلْهَوْجَلِ
فَإِذَا نَبَذْتَ لَهُ ٱلْحَصَاةَ رَأَيْتَهُ ... يَنْزُو لِوَقْعَتِهَا طُمُورَ ٱلْأَخْيَلِ
وَإِذَا يَهُبُّ مِنَ ٱلْمَنَامِ رَأَيْتَهُ ... كَرُتُوبِ كَعْبِ ٱلسَّاقِ لَيْسَ بِزُمَّلِ
مَا إِنْ يَمَسُّ ٱلْأَرْضَ إِلَّا مَنْكِبٌ ... مِنْهُ وَحَرْفُ ٱلسَّاقِ طَيَّ ٱلْمِحْمَلِ
وَإِذَا رَمَيْتَ بِهِ ٱلْفِجَاجَ رَأَيْتَهُ ... يَهْوِي مَخَارِمَهَا هُوِيَّ ٱلْأَجْدَلِ
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَىٰ أَسِرَّةِ وَجْهِهِ ... بَرَقَتْ كَبَرْقِ ٱلْعَارِضِ ٱلْمُتَهَلِّلِ
صَعْبِ ٱلْكَرِيهَةِ لَا يُرَامُ جَنَابُهُ ... مَاضِي ٱلْعَزِيمَةِ كَٱلْحُسَامِ ٱلْمُصْقَلِ
يَحْمِي ٱلصِّحَابَ إِذَا تَكُونُ عَظِيمَةٌ ... وَإِذَا هُمُ نَزَلُوا فَمَأْوَى ٱلْعُيَّلِ

قولُهُ : (مِغْشَمٍ) هوَ صيغةُ الآلةِ إذا كانَ الغرضُ صفةَ الشيءِ بكونِهِ عدةً للفعلِ ، فهوَ بمنزلةِ آلتِهِ ، عَبَّرَ عنهُ بصيغتِها ؛ كقولِ امرئِ القيسِ في صفةِ الفرسِ[(٢)] : [من الطويل]

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤٢/١ ـ ٤٥) .
(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٩) ، والبيت بتمامه :
مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً ... كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ ٱلسَّيْلُ مِنْ عَلِ

بكسرِ ميمَيْ (مِكرٍّ ومِفرٍّ) ، وإذا أُريدَ صفتُهُ بكونِهِ قويّاً في الفعلِ ، ثابتاً فيهِ مستمرّاً . . عُبِّرَ عنهُ بصيغةِ (فَعولٍ) إحدىٰ صيغِ المبالغةِ المشهورةِ ؛ كصَبورٍ وصَدوقٍ ، وإذا أُريدَ صفتُهُ بكثرةِ الفعلِ معَ تخلُّلِ التركِ . . عُبِّرَ بفَعَّالٍ ؛ كقولِهِم : طلَّاعِ أنجادٍ ، وخوَّاضِ غمراتٍ ، وإذا أُريدَ صفتُهُ بكونِهِ لهُ عادةً . . عُبِّرَ بمِفْعالٍ ؛ كقولِهِم : هوَ مِنحارٌ للإبلِ ، وهوَ فرقٌ ينبغي التنبُّهُ لهُ ؛ ليُستعمَلَ كلُّ شيءٍ في موضعِهِ .

وقولُهُ (**مُهبَّلِ**) أي : غيرِ مشتومٍ ؛ بأن يُقالَ لهُ : هبلَتْكَ أُمُّكَ ؛ أي : فقدَتْكَ ، كما يُقالُ لِمَنْ لا خيرَ فيهِ ، بل هوَ [مُفدّىً] يُقالُ لهُ : جُعِلتُ فداءَكَ ، كما يُقالُ لِمَنْ يُؤَمَّلُ منهُ النفعُ ، **والمُهبَّلُ** أيضاً : اللحيمُ المورمُ الوجهِ .

وقولُهُ : (**حملَتْ بهِ في ليلةٍ**) يُقالُ : إنَّ المرأةَ إذا أُكرِهَتْ على الجِماعِ . . ضعفَتْ شهوتُها ، وكانَتِ القُوَّةُ الفَعَّالةُ لشهوةِ الرجُلِ ، فإذا حملَتْ في تلكَ الحالةِ . . جاءَ الولدُ نجيباً شهماً خفيفاً ندباً .

وقولُهُ : (**وإذا نظرتَ إلىٰ أَسِرَّةِ وجهِهِ**) **الأَسِرَّةُ** : الخطوطُ التي تظهرُ في الجبينِ ، وقد شَرَّفَتْ أُمُّ المؤمنينَ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها هٰذا البيتَ ؛ حيثُ تَمثَّلَتْ بهِ وقد نظرَتْ إلىٰ وجهِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ يَتحدَّرُ منهُ العرقُ ، وهوَ مُقبِلٌ علىٰ مباشرةِ خصفِ نعلِهِ ، فقالَتْ : كأنَّ أبا كبيرٍ رآكَ حيثُ يقولُ : [من الكامل]

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَىٰ أَسِرَّةِ وَجْهِهِ . . . . البيتَ

فقامَ لها النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ وقبَّلَها بينَ عينَيها[1] .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢/٤٥) عن أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

وقالَ رجلٌ مِنْ بني قيسِ بنِ ثعلبةَ ، وقيلَ : إنَّها لبشامةَ بنِ حزنٍ النهشليِّ ، ومَنْ يقولُ : إنَّها للقيسيِّ . . يروي قولَهُ الآتي :

إِنَّـا بَـنِـي مَـالِـكٍ لَا نَـدَّعِـي لِأَبٍ

وأهلُ القولِ الثاني يروونَ : (إِنَّا بَنِي نَهْشَلٍ . . .) [1] : [من البسيط]

إِنَّـا مُـحَيُّوكِ يَا سَلْمَىٰ فَحَيِّينَا ... وَإِنْ سَقَيْتِ كِرَامَ ٱلنَّاسِ فَٱسْقِينَا

وَإِنْ دَعَـوْتِ إِلَـىٰ جُـلَّـىٰ وَمَـكْـرُمَـةٍ ... يَـوْماً سَرَاةَ كِرَامِ ٱلنَّاسِ فَٱدْعِـينَا

إِنَّـا بَـنِـي نَـهْـشَـلٍ لَا نَـدَّعِـي لِأَبٍ ... عَـنْـهُ وَلَا هُـوَ بِـٱلْأَبْـنَـاءِ يَـشْـرِينَـا

إِنْ تُـبْـتَـدَرْ غَـايَـةٌ يَـوْماً لِـمَـكْـرُمَـةٍ ... تَـلْـقَ ٱلـسَّـوَابِـقَ مِـنَّـا وَٱلْـمُـصَـلِّـينَـا

وَلَـيْـسَ يَـهْـلِـكُ مِـنَّـا سَـيِّـدٌ أَبَـداً ... إِلَّا ٱفْـتَـلَـيْـنَـا غُـلَاماً سَـيِّداً فِـينَـا

إِنَّـا لَـنُـرْخِـصُ يَـوْمَ ٱلـرَّوْعِ أَنْـفُـسَـنَـا ... وَلَـوْ نُـسَـامُ بِـهَـا فِـي ٱلْأَمْـنِ أَغْـلَـيْـنَـا

بِـيضٌ مَـفَـارِقُـنَـا تَـغْـلِـي مَـرَاجِـلُـنَـا ... نَـأْسُـوا بِـأَمْـوَالِـنَـا آثَـارَ أَيْـدِيـنَـا

إِنِّـي لَـمِـنْ مَـعْـشَـرٍ أَفْـنَـىٰ أَوَائِـلَـهُـمْ ... قِـيلُ ٱلْـكُـمَـاةِ إِلَـىٰ أَيْـنَ ٱلْـمُـحَـامُـونَـا

لَـوْ كَـانَ فِـي ٱلْأَلْـفِ مِـنَّـا وَاحِـدٌ فَـدَعَـوْا ... مَـنْ فَـارِسٌ خَـالَـهُـمْ إِيَّـاهُ يَـعْـنُـونَـا

إِذَا ٱلْـكُـمَـاةُ تَـنَـحَّـوْا أَنْ يُـصِـيـبَـهُـمُ ... حَـدُّ ٱلـظُّـبَـاةِ وَصَـلْـنَـاهَـا بِـأَيْـدِيـنَـا

وَلَا تَـرَاهُـمْ وَإِنْ جَـلَّـتْ مُـصِـيـبَـتُـهُـمْ ... مَـعَ ٱلْـبُـكَـاةِ عَـلَـىٰ مَـنْ مَـاتَ يَـبْـكُـونَـا

وَنَـرْكَـبُ ٱلْـكُـرْهَ أَحْـيَـانـاً فَـيَـفْـرُجُـهُ ... عَـنَّـا ٱلْـحِـفَـاظُ وَأَسْـيَـافٌ تُـوَاتِـيـنَـا

قولُهُ : (وإن سقيتِ كرامَ الناسِ) أي : وإن أردتِ أن تَدْعي بالسُّقيا لكرامِ الناسِ فادعي لنا ؛ فإنَّا هم ، وليسَ الغرضُ الدعاءَ حقيقةً ، ولـٰكنِ التعجُّبُ

---

(1) انظر « شرح ديوان الحماسة » (1/50 ـ 55) .

واستعظامُ الأمرِ ، فإنَّ مَنِ استعظمَ شيئاً . . يقولُ : سقاهُ اللهُ ، وعندَ استحسانِكَ عملَ إنسانٍ تقولُ : حيَّاكَ اللهُ .

وقولُهُ : (**تلقى السَّوابقَ منَّا والمُصلِّينا**) هما مِنْ أسماءِ خيلِ الحلبةِ ؛ أي : خيلِ السباقِ ، وكانَ مِنْ عادتِهِم أن يجروها عشرةً عشرةً ، فكانَتْ تجيءُ العشرةُ نحوَ الغايةِ ، وهيَ القصبُ المركوزُ في آخرِ مسافةِ السباقِ التي يُقالُ فيها : أحرزَ قصبَ السبقِ ، فكانَ أَوَّلُ حصانٍ يُسمَّى : المُجلِّي والسابقُ ؛ لأنَّهُ جلَّىٰ عن نفسِهِ ، **والثاني** يُسمَّى : المُصلِّي ؛ لأنَّ جحفلتَهُ تكونُ عندَ صلوي السابقِ ، **والصَّلوانِ** : عرقانِ يكتنفانِ الصُّلبَ ، أو عظمانِ ، اختُلِفَ في تفسيرِهِما ، **والثالثُ** يُسمَّى : المُسلِّي ، **والرابعُ** : التالي ، **والخامسُ** : المرتاحُ ، **والسادسُ** : العاطفُ ، **والسابعُ** : المُؤمِّلُ ، والسبعةُ لها أنصبةٌ مِنْ مبلغِ المراهنةِ ، **والثامنُ** : الحظيُّ ، **والتاسعُ** : اللطيمُ ، **والعاشرُ** : السُّكَيتُ ؛ مثلُ كُمَيتٍ ، ويُشدَّدُ فيُقالُ : سِكِّيتٌ ؛ كجِمِّيزٍ ، ويُسمَّىٰ أيضاً : فسكلاً ؛ كقُنْفُذٍ وزِبْرِجٍ ، وذكرَ هٰذهِ الأسماءَ في نظمٍ وصفَ بهِ حلبةَ سباقٍ محمدُ بنُ يزيدَ بنِ مسلمةَ بنِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ فقالَ (١) : [من المتقارب]

فَجَلَّى ٱلْأَغَرُّ وَصَلَّى ٱلْكُمَيْتُ ... وَسَلَّىٰ فَلَمْ يُذْمَمِ ٱلْأَدْهَمُ
وَأَتْبَعَهَا رَابِعٌ تَالِياً ... وَأَنَّىٰ مِنَ ٱلْمُنْجِدِ ٱلْمُتْهِمُ
وَمَا ذُمَّ مُرْتَاحُهَا خَامِساً ... وَقَدْ جَاءَ يَقْدُمُ مَا يَقْدُمُ
وَسَادِسُهَا ٱلْعَاطِفُ ٱلْمُسْتَحِيرُ ... يَكَادُ لِحَيْرَتِهِ يُحْرِمُ
وَخَابَ ٱلْمُؤَمِّلُ فِيمَا يَخِيبُ ... وَعَنَّ لَهُ ٱلطَّائِرُ ٱلْأَشْأَمُ
وَجَاءَ ٱلْحَظِيُّ لَهَا ثَامِناً ... فَأَسْهَمَ حِصَّتَهُ ٱلْمُسْهِمُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٥٢) .

حَـدَا سَـبْـعَـةً وَأَتَـىٰ ثَـامِـنـاً وَثَـامِـنَـةُ ٱلْـخَـيْـلِ لَا تُـسْـهَـمُ
وَجَـاءَ ٱلـلَّـطِـيـمُ لَـهَـا تَـاسِـعـاً فَـمِـنْ كُـلِّ نَـاحِـيَـةٍ يُـلْـطَـمُ
يَـخُـبُّ ٱلـسُّـكَـيْـتُ عَـلَـىٰ إِثْـرِهَـا وَعُـلْـيَـاهُ مِـنْ قَـنْـبِـهِ أَعْـظَـمُ
عَـلَـىٰ سَاقَـةِ ٱلْـخَـيْـلِ يَـعْـدُو بِـهَـا مُـلِـيـمـاً وَسَـائِـسُـهَـا أَلْـوَمُ
إِذَا قِـيـلَ مَـنْ رَبُّ ذَا لَـمْ يُـجِـبْ مِنَ ٱلْحَزْنِ بِٱلصَّمْتِ مُسْتَعْصِمُ

خيبةُ المُؤمّلِ : كونُهُ أقلَّ ذواتِ الأنصباءِ .

وقولُهُ : (أسهمَ حصَّتَهُ المسهمُ) أي : كانَتْ حصتُهُ سهماً لذوي السِّهامِ ، وحِصَّتُهُ التي لهُ لو لم يجئْ ثامناً .

وقولُهُ : (افتلَيْنا) أي : انتزعْنا ومَيَّزْنا ، كما يُنزَعُ الفُلُوُّ عن أُمّهِ عندَ الفِطامِ ، والفُلُوُّ ـ كسُمُوٍّ وعَدُوٍّ ـ : المهرُ الصغيرُ عندَ فطامِهِ .

وقولُهُ : (الكُماةُ) جمعُ كامٍ ؛ كقاضٍ ، وقولُهُم : (جمعُ كَمِيٍّ) مسامحةٌ ، وسُمِّيَ الشجاعُ كمِيّاً ؛ لأنَّهُ يكتمُ صفاتِ نفسِهِ حتىٰ تُعبِّرَ عنها أعمالُهُ أو يسترَ نفسَهُ في السلاحِ .

وقالَ زفرُ بنُ الحارثِ يُقِرُّ لأعدائِهِ بالغَلَبةِ[1] : [من الطويل]

وَكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً لَـيَـالِـيَ لَاقَـيْـنَـا جُـذَامَ وَحِـمْـيَـرَا
فَلَمَّا قَرَعْنَا ٱلنَّبْعَ بِٱلنَّبْعِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ أَبَتْ عِيدَانُهُ أَنْ تَكَسَّرَا
وَلَـمَّـا لَـقِـيـنَـا عُـصْـبَـةً تَـغْـلِـبِـيَّـةً يَـقُـودُونَ جُـرْداً لِـلْـمَـنِـيَّـةِ ضُـمَّـرَا
سَقَيْنَاهُمُ كَأْساً سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا وَلَـٰكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى ٱلْمَوْتِ أَصْبَرَا

وتغلبُ التي ذكرَها في الشعرِ : قومٌ مِنْ قضاعةَ ، وليسَتْ تغلبَ وائلٍ .

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٧٩ ـ ٨٠) .

وقالَ يَذكُرُ هزيمتَهُ في تلكَ الواقعةِ ويعتذرُ [1] : [من الطويل]

أَرِينِي سِلَاحِي لَا أَبَا لَكِ إِنَّنِي ... أَرَى ٱلْحَرْبَ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا
وَلَمْ تُرَ مِنِّي نَبْوَةٌ قَبْلَ هَٰذِهِ ... فِرَارِي وَتَرْكِي صَاحِبَيَّ وَرَائِيَا
عَشِيَّةَ أَجْرِي بِٱلصَّعِيدِ وَلَا أَرَىٰ ... مِنَ ٱلنَّاسِ إِلَّا مَنْ عَلَيَّ وَلَا لِيَا
أَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ أَنْ أَسَأْتُهُ ... بِصَالِحِ أَيَّامِي وَحُسْنِ بَلَائِيَا
وَقَدْ يَنْبُتُ ٱلْمَرْعَىٰ عَلَىٰ دِمَنِ ٱلثَّرَىٰ ... وَتَبْقَىٰ حَزَازَاتُ ٱلنُّفُوسِ كَمَا هِيَا

وقالَ عمرُو بنُ معديكربَ الزبيديُّ [2] : [من الطويل]

وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلْخَيْلَ زُوراً كَأَنَّهَا ... جَدَاوِلُ زَرْعٍ أُرْسِلَتْ فَٱسْبَطَرَّتِ
فَجَاشَتْ إِلَيَّ ٱلنَّفْسُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ... فَرُدَّتْ عَلَىٰ مَكْرُوهِهَا فَٱسْتَقَرَّتِ
عَلَامَ تَقُولُ ٱلرُّمْحَ يُثْقِلُ عَاتِقِي ... إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعُنْ إِذَا ٱلْخَيْلُ كَرَّتِ
لَحَا ٱللهُ جَرْماً كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقٌ ... وُجُوهَ كِلَابٍ هَارَشَتْ فَٱزْبَأَرَّتِ
فَلَمْ تُغْنِ جَرْمٌ نَهْدَهَا إِذْ تَلَاقَتَا ... وَلَٰكِنَّ جَرْماً فِي ٱللِّقَاءِ ٱبْذَعَرَّتِ
ظَلِلْتُ كَأَنِّي لِلرِّمَاحِ دَرِيَّةٌ ... أُقَاتِلُ عَنْ أَبْنَاءِ جَرْمٍ وَفَرَّتِ
فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنطَقَتْنِي رِمَاحُهُمْ ... نَطَقْتُ وَلَٰكِنَّ ٱلرِّمَاحَ أَجَرَّتِ

اسبطرَّتِ : امتدَّتْ في استرسالِها ، وازبأرَّتْ : تَهيَّأَتْ ، وابذعرَّتْ : تَفرَّقَتْ وتناكصَتْ ، وأصلُ الإجرارِ : أن يُشَقَّ لسانُ الفصيلِ ويُوضَعَ فيهِ عُودٌ يُمنَعُ بذٰلكَ مِنْ رضاعِ أُمِّهِ ، واستُعِيرَ ها هنا لقبيحِ الإسكاتِ والمنعِ مِنَ النطقِ بالثناءِ ، وجَرْمُ هٰؤلاءِ كانوا نزلوا في جوارِ عمرٍو وفيهِم ثأرٌ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٨٠ ـ ٨١) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٨٢ ـ ٨٤) .

لنهدٍ ، فجاؤوا يَطلبونَهُ منهُم ، فأرادَ يدفعُهُم عمرٌو ويعينُ جيرانَهُ ، فثبتَ ولم يثبتوا .

وقالَ أنيفُ بنُ زبَّانَ النبهانيُّ مِنْ طيءٍ [1] : [من الطويل]

جَمَعْنَا لَكُمْ مِنْ حَيِّ عَوْفٍ وَمَالِكٍ ... كَتَائِبَ يُرْدِي ٱلْمُقْرِفِينَ نَكَالُهَا
لَهُمْ عَجُزٌ بِٱلرَّمْلِ فَٱلْحُزْنِ فَٱللِّوَىٰ ... وَقَدْ جَاوَزَتْ حَيَّيْ جَدِيسَ رِعَالُهَا
وَتَحْتَ نُحُورِ ٱلْخَيْلِ حَرْشَفُ رَجْلَةٍ ... تُتَاحُ لِغِرَّاتِ ٱلْقُلُوبِ نِبَالُهَا
أَبَىٰ لَهُمُ أَنْ يَعْرِفُوا ٱلضَّيْمَ أَنَّهُمْ ... بَنُو نَاتِقٍ كَانَتْ كَثِيراً عِيَالُهَا
فَلَمَّا أَتَيْنَا ٱلسَّفْحَ مِنْ بَطْنِ حَائِلٍ ... بِحَيْثُ تَلَاقَىٰ طَلْحُهَا وَسَيَالُهَا
دَعَوْا لِنِزَارٍ وَٱنْتَمَيْنَا لِطَيِّىءٍ ... كَأُسْدِ ٱلشَّرَىٰ أَقْدَامُهَا وَنِزَالُهَا
فَلَمَّا ٱلْتَقَيْنَا بَيَّنَ ٱلسَّيْفُ بَيْنَنَا ... لِسَائِلَةٍ عَنَّا حَفِيٍّ سُؤَالُهَا
وَلَمَّا تَدَانَوْا بِٱلرِّمَاحِ تَضَلَّعَتْ ... صُدُورُ ٱلْقَنَا مِنْهُمْ وَعَلَّتْ نِهَالُهَا
وَلَمَّا عَصَيْنَا بِٱلسُّيُوفِ تَقَطَّعَتْ ... وَسَائِلُ كَانَتْ قَبْلُ سِلْماً حِبَالُهَا
فَوَلَّوْا وَأَطْرَافُ ٱلرِّمَاحِ عَلَيْهِمُ ... قَوَادِرُ مَرْبُوعَاتُهَا وَطِوَالُهَا

حَرْشَفُ رَجْلَةٍ ـ بفتحِ أولِهما وسكونِ ثانيهِما ـ : جماعةُ المشاةِ الكثيرةِ .

وقالَ عمرُو بنُ معديكربَ [2] : [من مجزوء الكامل]

لَيْسَ ٱلْجَمَالُ بِمِئْزَرٍ ... فَٱعْلَمْ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدَا
إِنَّ ٱلْجَمَالَ مَعَادِنٌ ... وَمَنَاقِبٌ أَوْرَثْنَ مَجْدَا
أَعْدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَا ... بِغَةً وَعَدَّاءً عَلَنْدَىٰ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٨٨ ـ ٩٠) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٩٠ ـ ٩٣) .

نَـــهْـــداً وَذَا شَـــطْـــبٍ يَـــقُـــدُّ ٱلْـــبَـــيْـــضَ وَٱلْأَبْـــدَانَ قَـــدَّا
وَعَـــلِـــمْـــتَ أَنِّـــي يَـــوْمَ ذَا كَ مُـــنَـــازِلٌ كَـــعْـــبـــاً وَنَـــهْـــدَا
قَـــوْمٌ إِذَا لَـــبِـــسُـــوا ٱلْـــحَـــدِيـــدَ تَـــنَـــمَّـــرُوا حَـــلَـــقـــاً وَقِـــدَّا
كُـــلُّ ٱمْـــرِئٍ يَـــجْـــرِي إِلَـــىٰ يَـــوْمِ ٱلْـــهِـــيَـــاجِ بِـــمَـــا ٱسْـــتَـــعَـــدَّا
لَـــمَّـــا رَأَيْـــتُ نِـــسَـــاءَنَـــا يَـــفْـــحَـــصْـــنَ بِـــٱلْـــمَـــعْـــزَاءِ شَـــدَّا
وَبَـــدَتْ لَـــمِـــيـــسُ كَـــأَنَّـــهَـــا بَـــدْرُ ٱلـــسَّـــمَـــاءِ إِذَا تَـــبَـــدَّىٰ
وَبَـــدَتْ مَـــحَـــاسِـــنُـــهَـــا ٱلَّـــتِـــي تَـــخْـــفَـــىٰ وَكَـــانَ ٱلْأَمْـــرُ جِـــدَّا
نَـــازَلْـــتُ كَـــبْـــشَـــهُـــمُ وَلَـــمْ أَرَ مِـــنْ نِـــزَالِ ٱلْـــكَـــبْـــشِ بُـــدَّا
هُـــمْ يَـــنْـــذِرُونَ دَمِـــي وَأَنْـــذِرُ إِنْ لَـــقِـــيـــتُ بِـــأَنْ أَشُـــدَّا
كَـــمْ مِـــنْ أَخٍ لِـــيَ صَـــالِـــحٍ بَـــوَّأْتُـــهُ بِـــيَـــدَيَّ لَـــحْـــدَا
مَـــا إِنْ جَـــزِعْـــتُ وَلَا هَـــلِـــعْـــتُ وَلَا يَـــرُدُّ بُـــكَـــايَ زَنْـــدَا
أُغْـــنِـــي غَـــنَـــاءَ ٱلـــذَّاهِـــبِـــيـــنَ أُعَـــدُّ لِـــلْأَعْـــدَاءِ عِـــدَّا
ذَهَـــبَ ٱلَّـــذِيـــنَ أُحِـــبُّـــهُـــمْ وَبَـــقِـــيـــتُ مِـــثْـــلَ ٱلـــسَّـــيْـــفِ فَـــرْدَا

قولُهُ : (إِنَّ الجمالَ معادنٌ) أي : غرائزُ وطبائعُ ، وقد أقرَّ ذٰلكَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ حيثُ قالَ : « ٱلنَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ، خِيَارُهُمْ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي ٱلْإِسْلَامِ »(١) .

والمناقبُ : هيَ الأحوالُ والأفعالُ ، وبها وبالغرائزِ يكونُ تمامُ الشرفِ في الإنسانِ ، والعَلَنْدَى : الشَّديدُ ، يُوصَفُ بهِ الخيلُ والإبلُ ، والبِيضُ : جمعُ

---

(١) وتمامه : « إذا فَقُهوا » ، والحديث أخرجه البخاري (٣٣٨٣) ، ومسلم (١٦٠/٢٦٣٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

بيضةٍ ؛ وهيَ والمِغفرُ والخوذةُ : وِقاءُ الرأسِ مِنْ ضمنِ السلاحِ ، والأبدانُ : جمعُ بدنٍ ؛ لصنفٍ مِنْ أصنافِ الدُّروعِ ، والقِدُّ : درعٌ مِنْ جلدٍ .

وقولُهُ : (ولا يَرُدُّ بُكايَ زَنْدا) أي : لا يَرُدُّ شيئاً ؛ كما يُقالُ : لا يَرُدُّ فتيلاً .

وقالَ قيسُ بنُ الخَطِيمِ [١] : [من الطويل]

طَعَنْتُ ٱبْنَ عَبْدِ ٱلْقَيْسِ طَعْنَةَ ثَائِرٍ ... لَهَا نَفَذٌ لَوْلَا ٱلشُّعَاعُ أَضَاءَهَا
مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا ... يَرَىٰ قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا
يَهُونُ عَلَيَّ أَنْ تَرُدَّ جِرَاحُهَا ... عُيُونَ ٱلْأَوَاسِي إِذْ حَمِدْتُ بَلَاءَهَا
وَسَاعَدَنِي فِيهَا ٱبْنُ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ ... خِدَاشٌ فَأَدَّىٰ نِعْمَةً وَأَفَاءَهَا
وَكُنْتُ ٱمْرَأً لَا أَسْمَعُ ٱلدَّهْرَ سُبَّةً ... أُسَبُّ بِهَا إِلَّا كَشَفْتُ غِطَاءَهَا
فَإِنِّيَ فِي ٱلْحَرْبِ ٱلضَّرُوسِ مُوَكَّلٌ ... بِأَقْدَامِ نَفْسٍ مَا أُرِيدُ بَقَاءَهَا
إِذَا مَا ٱصْطَبَحْتُ أَرْبَعاً خَطَّ مِئْزَرِي ... وَأَتْبَعْتُ دَلْوِي فِي ٱلسَّمَاحِ رِشَاءَهَا
مَتَىٰ يَأْتِي هَـٰذَا ٱلْمَوْتُ لَا تُلْقَ حَاجَةٌ ... لِنَفْسِي إِلَّا قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءَهَا
ثَأَرْتُ عَدِيّاً وَٱلْخَطِيمَ فَلَمْ أُضِعْ ... وِلَايَةَ أَشْيَاخٍ جُعِلْتُ إِزَاءَهَا

وقالَ الحارثُ بنُ هشامٍ أخو أبي جهلٍ يَعتذِرُ مِنْ فِرارِهِ يومَ بدرٍ وتركِهِ أخاهُ وبقيةَ أهلِهِ ، حتىٰ عَيَّرَهُ حسانُ بنُ ثابتٍ حيثُ يقولُ [٢] : [من الكامل]

إِنْ كُنْتِ كَاذِبَةَ ٱلَّذِي حَدَّثْتِنِي ... فَنَجَوْتِ مَنْجَى ٱلْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ
تَرَكَ ٱلْأَحِبَّةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ ... وَنَجَا بِرَأْسِ طِمِرَّةٍ وَلِجَامِ

دعا عليها بلُحوقِ العارِ والفضيحةِ كما لحقَ هـٰذا الفارَّ ، وذكرَ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٩٥ ـ ٩٧) .
(٢) انظر « ديوان حسان بن ثابت » رضي الله عنه (١/٢٩) .

ذٰلكَ في ضمنِ أبياتِ الحماسةِ للجَمْعِ بينَ الشيءِ وضدِّهِ ، وهٰذه أبياتُ الاعتذارِ[1] : [من الكامل]

اَللهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ حَتَّىٰ عَلَوْا فَرَسِي بِأَشْقَرَ مُزْبِدِ
وَشَمِمْتُ رِيحَ ٱلْمَوْتِ مِنْ تِلْقَائِهِمْ فِي مَأْزِقٍ وَٱلْخَيْلُ لَمْ [تَتَبَدَّدِ]
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أُقَاتِلْ وَاحِداً أُقْتَلْ وَلَا يَضْرُرْ عَدُوِّي مَشْهَدِي
فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَٱلْأَحِبَّةُ فِيهِمُ طَمَعاً لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُرْصَدِ

الأشقرُ المزبدُ : هوَ الدمُ الخارجُ ؛ إمَّا مِنْ جرحِهِ ، أو جرحِ فرسِهِ .

وقالَ حيَّانُ بنُ الحكمِ السلميُّ المشهورُ بالفرَّارِ يَتبجَّحُ بالفِرارِ ، وأنَّهُ مُقتضى العقلِ ، وأنَّ مِنْ أمرِهِ أنَّهُ يوافقُ السفهاءَ في آرائِهِم حتىٰ يشتبكوا ، فإذا اشتبكوا . . رجعَ هوَ إلىٰ ما هوَ الخيرُ عندَهُ[2] : [من الكامل]

وَكَتِيبَةٍ لَبَّسْتُهَا بِكَتِيبَةٍ حَتَّىٰ إِذَا ٱلْتَبَسَتْ نَفَضْتُ لَهَا يَدِي
فَتَرَكْتُهُمْ تَقِصُ ٱلرِّمَاحُ ظُهُورَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُنْعَفِرٍ وَآخَرَ مُسْنَدِ
مَا كَانَ يَنْفَعُنِي فَعَالُ نِسَائِهَا وَقُتِلْتُ دُونَ نِسَائِهِمْ لَا تَبْعَدِ

يُقالُ : إنَّ بعضَ العلماءِ سُئِلَ تفسيرَ قولِهِ : (وكتيبةٍ . . .) فقالَ : هوَ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ . . . ﴾ الآيةَ[3] .

وقالَ الحصينُ بنُ الحِمامِ المريُّ[4] : [من الطويل]

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي ٱلْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٩٧ ـ ٩٨) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٩٩) .
(٣) سورة الحشر : (١٦) .
(٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/١٠٣) .

فَلَسْنَا عَلَى ٱلْأَعْقَابِ تَدْمَىٰ كُلُومُنَا وَلَـٰكِنْ عَلَىٰ أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ ٱلدَّمَا
نُفَلِّقَ هَاماً مِنْ رِجَالٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

فاعلُ (تقطرُ) ضميرُ (الكلومِ) ، والدمُ : مفردٌ مفعولٌ .

وقالَ رجلٌ مِنْ بني عقيلٍ وقد حاربَهُ بنو عمِّهِ ، فقتلَ منهُم : [من الوافر]

بِكُرْهِ سَرَاتِنَا يَا آلَ عَمْرٍو نُغَادِيكُمْ بِمُرْهَفَةٍ صِقَالِ
نُفَدِّيهِنَّ[1] يَوْمَ ٱلرَّوْعِ عَنْكُمْ وَإِنْ كَانَتْ مُثَلَّمَةَ ٱلنِّصَالِ
لَهَا لَوْنٌ مِنَ ٱلْهَامَاتِ كَابٍ وَإِنْ كَانَتْ تُحَادِثُ بِٱلصِّقَالِ
وَنَبْكِي حِينَ نَقْتُلُكُمْ عَلَيْكُمْ وَنَقْتُلُكُمْ كَأَنَّا لَا نُبَالِي

مِنْ هـٰذا أخذَ البحتريُّ قولَهُ ، وحَلَّاهُ بحليةِ البديعِ المزاوجةِ[2] : [من الطويل]

إِذَا ٱحْتَرَبَتْ يَوْماً فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا تَذَكَّرَتِ ٱلْقُرْبَىٰ فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا

وهـٰذا الكلامُ في الانتقامِ والأخذِ بالثأرِ عن قريبٍ مِنْ قريبٍ آخَرَ ، وقدِ اختلفَتْ آراؤُهُم في ذٰلكَ ؛ فمنهُم مَنْ رَجَّحَ الانتقامَ لتبريدِ الغُلَّةِ ودفعِ الهوانِ ، وإن كانَ فيهِ نقصُ عددِ الحُماةِ والأنصارِ ، ومنهُم مَنْ رَجَّحَ العفوَ ؛ إبقاءً لوفورِ العددِ .

فمِنَ الأوَّلِ ما مضىٰ ، وقولُ قيسِ بنِ زهيرٍ[3] : [من الوافر]

شَفَيْتُ ٱلنَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرٍ وَسَيْفِي مِنْ حُذَيْفَةَ قَدْ شَفَانِي
فَإِنْ أَكُ قَدْ بَرَدْتُ بِهِمْ غَلِيلِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي

---

(١) في « شرح ديوان الحماسة » (نعدِّهِنَّ) بمعنىٰ : نصرفهُنَّ .
(٢) انظر « ديوان البحتري » (١٢٩٩/٢) .
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٦/١) .

وكانَ حملٌ وحذيفةُ قريبَينِ قتلا قريباً لهُ ، فقتلَهُما .

وقولُهُ : (**فإن أكُ قد بردتُ بهِم غليلي**) جمعَ الضَّميرَ لأنَّهُ رَدَّهُ على القتيلَينِ وقومِهِما ، فإنَّهُ قتلَهُما وأدخلَ الحزنَ على قومِهِما ، وفرِحَ هوَ وقومُهُ ، وبذٰلكَ بردَ غليلُهُ .

ومِنَ الثاني قولُ الحارثِ بنِ وعلةَ الذهليِّ (١) : [من الكامل]

قَـوْمِـي هُـمُ قَـتَـلُـوا أُمَـيْـمَ أَخِـي ... فَـإِذَا رَمَـيْـتُ يُـصِـيـبُـنِـي سَـهْـمِـي

فَـلَـئِـنْ عَـفَـوْتُ لَأَعْـفُـوَنْ جَـلَـلاً ... وَلَـئِـنْ سَـطَـوْتُ لَأُوهِـنَـنْ عَـظْـمِـي

وقولُ أعرابيٍّ (٢) : [من البسيط]

أَقُـولُ لِـلـنَّـفْـسِ تَـأْسَـاءً وَتَـعْـزِيَـةً ... إِحْـدَىٰ يَـدَيَّ أَصَـابَـتْـنِـي وَلَـمْ تُـرِدِ

كِـلَاهُـمَـا خَـلَـفٌ مِـنْ بَـعْـدِ صَـاحِـبِـهِ ... هَـٰذَا أَخِـي حِـيـنَ أَدْعُـوهُ وَذَا وَلَـدِي

وفي هـٰذا قليلُ بعدٍ عمَّا قبلَهُ ؛ فإنَّهُ جعلَ سببَ العفوِ القرابةَ وعدمَ الإرادةِ ، والسابقُ جعلَ السببَ محضَ القرابةِ .

وقالَ بعضُ بني فقعسٍ (٣) : [من الطويل]

رَأَيْـتُ مَـوَالِـيَّ ٱلْأُلَـىٰ يَـخْـذُلُـونَـنِـي ... عَـلَـىٰ حَـدَثَـانِ ٱلـدَّهْـرِ إِذْ يَـتَـقَـلَّـبُ

فَـهَـلَّا أَعَـدُّونِـي لِـمِـثْـلِـي تَـفَـاقَـدُوا ... إِذَا ٱلْخَـصْـمُ أَبْزَىٰ مَائِلُ ٱلرَّأْسِ أَنْكَبُ

وَهَـلَّا أَعَـدُّونِـي لِـمِـثْـلِـي تَـفَـاقَـدُوا ... وَفِي ٱلْأَرْضِ مَبْثُوثٌ شُجَاعٌ وَعَقْرَبُ

فَـلَا تَـأْخُـذُوا عَـقْـلاً مِـنَ ٱلْـقَـوْمِ إِنَّـنِـي ... أَرَى ٱلْـعَـارَ يَـبْـقَـىٰ وَٱلْـمَـعَـاقِـلُ تَـذْهَـبُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/١٠٧) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/١١٠ ـ ١١١) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/١١٥ ـ ١١٦) .

كَأَنَّكَ لَمْ تُسْبَقْ مِنَ ٱلدَّهْرِ لَيْلَةً إِذَا أَنْتَ أَدْرَكْتَ ٱلَّذِي كُنْتَ تَطْلُبُ

قولُهُ : (**رأيتُ مواليَّ الأُلىٰ**) أي : رأيتُ بني عمِّي همُ الأُلىٰ ، فالأُلىٰ : مفعولٌ ثانٍ .

وقولُهُ ([**إذا**] **الخصمُ أبزىٰ**) مُذكَّرُ بزواءَ ، ومِنْ معاني البزاءِ ـ ومنهُ الاستعارةُ ـ : خروجُ الصدرِ ، ودخولُ الظهرِ ، يفعلُ ذٰلكَ الخصمُ تكبُّراً .

وقولُهُ : (**شجاعٌ وعقربُ**) كنايةٌ عن العدوِّ ، ولذٰلكَ صحَّ أن يكونَ مبتدأً ومعطوفاً عليهِ ، و(**مبثوثٌ**) خبرٌ دونَ تثنيةٍ ؛ إذِ المعنىٰ : وعدوٌّ مبثوثٌ في الأرضِ ، ولهُم في هٰذا المعنىٰ ـ وهو تفظيعُ أخذِ الديةِ ، والتحريضُ على الثأرِ ـ كلام كثيرٌ .

وقالَ عنترةُ طيِّئٍ[1] : [من الوافر]

أَطِلْ حَمْلَ ٱلشَّنَاءَةِ لِي وَبُغْضِي وَعِشْ مَا شِئْتَ فَٱنْظُرْ مَنْ تَضِيرُ
فَمَا بِيَدَيْكَ نَفْعٌ أَرْتَجِيهِ وَغَيْرُ صُدُودِكَ ٱلْخَطْبُ ٱلْكَبِيرُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ شِعْرِي سَارَ عَنِّي وَشِعْرُكَ حَوْلَ بَيْتِكَ مَا يَسِيرُ
إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي كَأَنَّ ٱلشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ

وقالَ الطرماحُ بنُ حكيمٍ مِنْ وادي هٰذا الكلامِ[2] : [من الطويل]

لَقَدْ زَادَنِي حُبّاً لِنَفْسِيَ أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَىٰ كُلِّ ٱمْرِئٍ غَيْرِ طَائِلِ
وَإِنِّي شَقِيٌّ بِٱللِّئَامِ وَلَا تَرَىٰ شَقِيّاً بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ ٱلشَّمَائِلِ
إِذَا مَا رَآنِي قَطَّعَ ٱلطَّرْفَ بَيْنَهُ وَبَيْنِيَ فِعْلَ ٱلْعَارِفِ ٱلْمُتَجَاهِلِ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/١١٩) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/١٢٢ ـ ١٢٣) .

مَلأْتُ عَلَيْهِ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ كَأَنَّهَا   مِنَ ٱلضِّيقِ فِي عَيْنَيْهِ كِفَّةُ حَابِلِ
أَكُلُّ ٱمْرِئٍ أَلْفَىٰ أَبَاهُ مُقَصِّراً   مُعَادٍ لِأَهْلِ ٱلْمَكْرُمَاتِ ٱلْأَوَائِلِ
إِذَا ذُكِرَتْ مَسْعَاةُ وَالِدِهِ ٱضْطَنَىٰ   وَلَا يَضْطَنِي مِنْ شَتْمِ أَهْلِ ٱلْفَضَائِلِ
وَمَا مُنِعَتْ دَارٌ وَلَا عَزَّ أَهْلُهَا   مِنَ ٱلنَّاسِ إِلَّا بِٱلْقَنَا وَٱلْقَنَابِلِ

القنابلُ : جمعُ قَنْبَلٍ أو قَنْبَلةٍ بفتحٍ فسكونٍ ففتحٍ ، للجماعةِ مِنَ الناسِ أو الخيلِ .

وقالَ يزيدُ بنُ الحكمِ الكلابيُّ (١) : [من الطويل]

دَفَعْنَاكُمُ بِٱلْقَوْلِ حَتَّىٰ بَطِرْتُمُ   وَبِٱلرَّاحِ حَتَّىٰ كَانَ دَفْعَ ٱلْأَصَابِعِ
فَلَمَّا رَأَيْنَا جَهْلَكُمْ غَيْرَ مُنْتَهٍ   وَمَا غَابَ مِنْ أَحْلَامِكُمْ غَيْرَ رَاجِعِ
مَسِسْنَا مِنَ ٱلْآبَاءِ شَيْئاً وَكُلُّنَا   إِلَىٰ حَسَبٍ فِي قَوْمِهِ غَيْرِ وَاضِعِ
فَلَمَّا بَلَغْنَا ٱلْأُمَّهَاتِ وَجَدْتُمُ   بَنِي عَمِّكُمْ كَانُوا كِرَامَ ٱلْمَضَاجِعِ
بَنِي عَمِّنَا لَا تَشْتُمُونَا وَدَافِعُوا   عَلَىٰ حَسَبٍ مَا فَاتَ قِيدَ ٱلْأَكَارِعِ
وَكُنَّا بَنِي عَمٍّ نَزَا ٱلْجَهْلُ بَيْنَنَا   فَكُلٌّ يُوَفِّي حَقَّهُ غَيْرَ وَادِعِ

قولُهُ : (ما فاتَ قِيدَ) أي : لم يزلْ عن موضعِهِ قدرَ كراعٍ ، وضعَ الجمعَ موضعَ المفردِ ؛ لإقامةِ الشعرِ ، ولأنَّ الجمعَ لا يقعُ بهِ اشتباهٌ ؛ إذِ الغرضُ التقليلُ ، وذلكَ يأتي مِنْ حقارةِ الكُراعِ بضمِّ أوَّلِهِ .

وقالَ إبراهيمُ بنُ كنيفٍ النبهانيُّ (٢) : [من الطويل]

تَعَزَّ فَإِنَّ ٱلصَّبْرَ بِٱلْحُرِّ أَجْمَلُ   وَلَيْسَ عَلَىٰ رَيْبِ ٱلزَّمَانِ مُعَوَّلُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/١٢٤ ـ ١٢٥) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/١٣٦ ـ ١٣٨) .

فَلَوْ كَانَ يُغْنِي أَنْ يُرَى ٱلْمَرْءُ جَازِعاً لِحَادِثَةٍ أَوْ كَانَ يُغْنِي ٱلتَّذَلُّلُ

لَكَانَ ٱلتَّعَزِّي عِنْدَ كُلِّ مُصِيبَةٍ وَنَائِبَةٍ بِٱلْحُرِّ أَوْلَىٰ وَأَجْمَلُ

فَكَيْفَ وَكُلٌّ لَيْسَ يَعْدُو حِمَامَهُ وَمَا لِٱمْرِئٍ عَمَّا قَضَى ٱللهُ مُزْحَلُ

فَإِنْ تَكُنِ ٱلْأَيَّامُ فِينَا تَبَدَّلَتْ بِبُؤْسَىٰ وَنُعْمَىٰ وَٱلْحَوَادِثُ تَفْعَلُ

فَمَا لُيِّنَتْ مِنَّا قَنَاةٌ صَلِيبَةٌ وَلَا ذَلَّلَتْنَا لِلَّتِي لَيْسَ تَجْمُلُ

وَلَٰكِنْ رَحَلْنَاهَا نُفُوساً كَرِيمَةً تُحَمَّلُ مَا لَا يُسْتَطَاعُ فَتَحْمِلُ

وَقَيْنَا بِحُسْنِ ٱلصَّبْرِ مِنَّا نُفُوسَنَا فَصَحَّتْ لَنَا ٱلْأَعْرَاضُ وَٱلنَّاسُ هُزَّلُ

قولُهُ : (مزحلُ) مِنْ زحلَ ؛ أي : لا يتجاوزُ ولا يفوتُ المرءَ ما قضاهُ اللهُ عليهِ .

وقالَ عويفُ القوافيِّ الفزاريُّ [١] : [من الكامل]

ذَهَبَ ٱلرُّقَادُ فَمَا يُحَسُّ رُقَادُ مِمَّا شَجَاكَ وَنَامَتِ ٱلعُوَّادُ

خَبَرٌ أَتَانِي عَنْ عُيَيْنَةَ مُوجِعٌ كَادَتْ عَلَيْهِ تَصَدَّعُ ٱلْأَكْبَادُ

بَلَغَ ٱلنُّفُوسَ بَلَاؤُهُ فَكَأَنَّنَا مَوْتَىٰ وَفِينَا ٱلرُّوحُ وَٱلْأَجْسَادُ

يَرْجُونَ عَثْرَةَ جَدِّنَا وَلَوَ ٱنَّهُمْ لَا يَدْفَعُونَ بِنَا ٱلْمَكَارِهَ بَادُوا

لَمَّا أَتَانِي عَنْ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ أَمْسَىٰ عَلَيْهِ تَظَاهَرَ ٱلْأَقْيَادُ

نَخَلَتْ لَهُ نَفْسِي ٱلنَّصِيحَةَ أَنَّهُ عِنْدَ ٱلشَّدَائِدِ تَذْهَبُ ٱلْأَحْقَادُ

وَذَكَرْتُ أَيُّ فَتىً يَسُدُّ مَكَانَهُ بِٱلرِّفْدِ حِينَ تَقَاصَرَ ٱلْأَرْفَادُ

أَمْ مَنْ يُهِينُ لَنَا كَرَائِمَ مَالِهِ وَلَنَا إِذَا عُدْنَا إِلَيْهِ مَعَادُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/١٣٩ ـ ١٤٠) .

الأجسادُ في الشعرِ : جمعُ جسدٍ ، والمرادُ بهِ : الدمُ ، كما هوَ المرادُ في قولِ النابغةِ (١) : [من البسيط]

وَمَا هُرِيقَ عَلَى ٱلْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ

وقالَ بشرُ بنُ المغيرةِ أخي المُهلَّبِ بنِ أبي صفرةَ ، وهوَ أبو يزيدَ المذكورُ في الشعرِ ، وكانَ المُهلَّبُ أميرَ العسكرِ إذ ذاكَ ، وهوَ مشهورٌ ، يَتوجَّعُ في هٰذهِ [الأبياتِ] مِنْ عمِّهِ وأبيهِ وابنِ عمِّهِ (٢) : [من الطويل]

جَفَانِي ٱلْأَمِيرُ وَٱلْمُغِيرَةُ قَدْ جَفَا وَأَمْسَىٰ يَزِيدُ لِي قَدِ ٱزْوَرَّ جَانِبُهْ
وَكُلُّهُمُ قَدْ نَالَ شِبْعاً لِبَطْنِهِ وَشِبْعُ ٱلْفَتَىٰ لُؤْمٌ إِذَا جَاعَ صَاحِبُهْ
فَيَا عَمِّ مَهْلاً وَٱتَّخِذْنِي لِنَوْبَةٍ تَنُوبُ فَإِنَّ ٱلدَّهْرَ جَمٌّ عَجَائِبُهْ
أَنَا ٱلسَّيْفُ إِلَّا أَنَّ لِلسَّيْفِ نَبْوَةً وَمِثْلِيَ لَا تَنْبُو عَلَيْكَ مَضَارِبُهْ

وقالَ رجلٌ في ابنِهِ واختُلِفَ في تسميتِهِ ؛ فقيلَ : هوَ أبو الشغبِ العبسيُّ ، وقيلَ غيرُ ذٰلكَ (٣) : [من الطويل]

رَأَيْتُ رِبَاطاً حِينَ تَمَّ شَبَابُهُ وَوَلَّىٰ شَبَابِي لَيْسَ فِي بِرِّهِ عَتْبُ
إِذَا كَانَ أَوْلَادُ ٱلرِّجَالِ حَزَازَةً فَأَنْتَ ٱلْحَلَالُ ٱلْحُلْوُ وَٱلْبَارِدُ ٱلْعَذْبُ
لَنَا جَانِبٌ مِنْهُ دَمِيثٌ وَجَانِبٌ إِذَا رَامَهُ ٱلْأَعْدَاءُ مُمْتَنِعٌ صَعْبُ
وَتَأْخُذُهُ عِنْدَ ٱلْمَكَارِمِ هِزَّةٌ كَمَا ٱهْتَزَّ تَحْتَ ٱلْبَارِحِ ٱلْغُصْنُ ٱلرَّطْبُ

الحزازةُ : تألُّمُ النفسِ غيظاً ؛ أي : إذا كانوا سببَها .

---

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٢٥) والبيت بتمامه :
فَلَا لَعَمْرُ ٱلَّذِي مَسَّحْتُ كَعْبَتَهُ وَمَا هُرِيقَ عَلَى ٱلْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/١٤١) .
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/١٤٤ ـ ١٤٥) .

وقالَ إسحاقُ بنُ خلفٍ[1] : [من البسيط]

لَوْلَا أُمَيْمَةُ لَمْ أَجْزَعْ مِنَ ٱلْعَدَمِ وَلَمْ أُقَاسِ ٱلدُّجَىٰ فِي حِنْدِسِ ٱلظُّلَمِ
وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي ٱلْعَيْشِ مَعْرِفَتِي ذُلَّ ٱلْيَتِيمَةِ يَجْفُوهَا ذَوُو ٱلرَّحِمِ
أُحَاذِرُ ٱلْفَقْرَ يَوْماً أَنْ يُلِمَّ بِهَا فَيَهْتِكَ ٱلسَّتْرَ عَنْ لَحْمٍ عَلَىٰ وَضَمِ
تَهْوَىٰ حَيَاتِي وَأَهْوَىٰ مَوْتَهَا شَفَقاً وَٱلْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَّالٍ عَلَى ٱلْحُرَمِ
أَخْشَىٰ فَظَاظَةَ عَمٍّ أَوْ جَفَاءَ أَخٍ وَكُنْتُ أُبْقِي عَلَيْهَا مِنْ أَذَى ٱلْكَلِمِ

وقالَ حطَّانُ بنُ المُعلَّىٰ[2] : [من السريع]

أَنْزَلَنِي ٱلدَّهْرُ عَلَىٰ حُكْمِهِ مِنْ شَامِخٍ عَالٍ إِلَىٰ خَفْضِ
وَغَالَنِي ٱلدَّهْرُ بِوَفْرِ ٱلْغِنَىٰ فَلَيْسَ لِي مَالٌ سِوَىٰ [عِرْضِي]
أَبْكَانِيَ ٱلدَّهْرُ وَيَا رُبَّمَا أَضْحَكَنِي ٱلدَّهْرُ بِمَا يُرْضِي
لَوْلَا بُنَيَّاتٌ كَزُغْبِ ٱلْقَطَا رُدِدْنَ مِنْ بَعْضٍ إِلَىٰ بَعْضِ
لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ فِي ٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلطُّولِ وَٱلْعَرْضِ
وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا بَيْنَنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى ٱلْأَرْضِ
لَوْ هَبَّتِ ٱلرِّيحُ عَلَىٰ بَعْضِهِمْ لَٱمْتَنَعَتْ عَيْنِي مِنَ ٱلْغَمْضِ

قولُهُ : (**لولا بنياتٌ كزُغْبِ القطا**) أي : ضعافٌ كفراخِ القطا التي لم يقوَ ريشُها بعدُ ، بل هوَ زغبٌ ، فهيَ في الاحتياجِ إلىٰ ما يعولُها ويجلبُ رزقَها .

وقولُهُ : (**رددنَ مِنْ بعضٍ إلىٰ بعضٍ**) يريدُ : أنَّ كبارَهُنَّ وإن قَوِيَتْ بنيتُهُنَّ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/١٥١) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/١٥٢ ـ ١٥٣) .

حتىٰ رُدَّتْ إليهِنَّ الصِّغارُ ليَحفظنَهُنَّ ويُدبِّرنَ أُمورَهُنَّ . . فهُنَّ ضِعافُ العقولِ والعزائمِ بحيثُ يرددنَ إلى الصِّغارِ ، ويجعلْنَ مِنْ عددِهِنَّ ؛ إذِ الفريقانِ في الضَّعفِ سواءٌ ، فخُلاصةُ المعنىٰ : أنَّ البناتِ في عدمِ غنائِهِنَّ واحتياجِهِنَّ إلىٰ مَنْ يَكفلُهُنَّ ويعولُ أمرَهُنَّ . . لا تَميُّزَ لبعضِهِنَّ عنِ البعضِ .

وقالَ رجلٌ أسديٌّ (١) : [من الطويل]

وَمَا أَنَا بِٱلنِّكْسِ ٱلدَّنِيءِ وَلَا ٱلَّذِي ... إِذَا صَدَّ عَنِّي ذُو ٱلْمَوَدَّةِ أَحْرَبُ

وَلَٰكِنَّنِي إِنْ دَامَ دُمْتُ وَإِنْ يَكُنْ ... لَهُ مَذْهَبٌ عَنِّي فَلِي عَنْهُ مَذْهَبُ

أَلَا إِنَّ خَيْرَ ٱلْوُدِّ وُدٌّ تَطَوَّعَتْ ... لَهُ ٱلنَّفْسُ لَا وُدٌّ أَتَىٰ وَهْوَ مُتْعَبُ

يُقالُ : إنَّ الأفصحَ إذا أُخبِرَ بموصولٍ عن ضميرِ مُتكلِّمٍ أو مُخاطَبٍ أن يُؤتىٰ بالضَّمائرِ طبقَ الموصولِ ضمائرَ غَيبةٍ ، وهٰذا الشعرُ علىٰ خلافِ ذٰلكَ ، فكانَ يقولُ : (إذا صُدَّ عنهُ ذو المودةِ . . يحربُ) ، ويحربُ : يغتاظ ، ومِنْ كلامِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ (٢) : [من مشطور الرجز]

أَنَا ٱلَّذِي سَمَّتْنِ أُمِّي حَيْدَرَهْ

فهوَ كالشعرِ .

وقالَ بشامةُ بنُ حزنٍ (٣) : [من الكامل]

وَلَقَدْ غَضِبْتُ لِخِنْدِفٍ وَلِقَيْسِهَا ... لَمَّا وَنَىٰ عَنْ نَصْرِهَا خُذَّالُهَا

دَافَعْتُ عَنْ أَعْرَاضِهَا فَمَنَعْتُهَا ... وَلَدَيَّ فِي أَمْثَالِهَا أَمْثَالُهَا

إِنِّي ٱمْرُؤٌ أَسِمُ ٱلْقَصَائِدَ لِلْعِدَا ... إِنَّ ٱلْقَصَائِدَ شَرُّهَا أَغْفَالُهَا

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/١٥٧) .
(٢) انظر « الروض الأنف » (٧/١٠٧) .
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٢٠٦ ـ ٢٠٨) .

قَوْمِي بَنُو ٱلْحَرْبِ ٱلْعَوَانِ بِجَمْعِهِمْ ... وَٱلْمَشْرِفِيَّةُ وَٱلْقَنَا إِشْعَالُهَا
مَا زَالَ مَعْرُوفاً لِمُرَّةَ فِي ٱلْوَغَىٰ ... عَلُّ ٱلْقَنَا وَعَلَيْهِمُ إِنْهَالُهَا
مِنْ عَهْدِ عَادٍ كَانَ مَعْرُوفاً لَنَا ... أَسْرُ ٱلْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقِتَالُهَا

في « القاموس » : (ولدَ إلياسُ بنُ مُضَرَ عمراً وهوَ مُدركةُ ، وعامراً وهوَ طابخةُ ، وعميراً وهوَ قمعةُ ، وأُمُّهُم خِنْدِفُ كزبْرِجٍ ؛ وهيَ ليلىٰ بنتُ حلوانَ بنِ عمرانَ ، وكانَ إلياسُ خرجَ في نُجعةٍ ، فنفرَتْ إبلُهُ مِنْ أرنبٍ ، فخرجَ إليها عمرٌو فأدركَها ، وخرجَ عامرٌ فتصيَّدَها وطبخَها ، وانقمعَ عميرٌ في الخباءِ ، وخرجَتْ أُمُّهُم تسرعُ ، فقالَ لها إلياسُ : أينَ تخندفينَ ؟ فقالَتْ : ما زلت أخندفُ في أثرِكُم ، فلُقِّبوا : مدرِكةَ وطابخةَ وقمعةَ وخِنْدِفَ)[1] ، فسُمِّيَتِ القبيلةُ باسمِ أُمِّها .

وقولُهُ : (أَسِمُ القصائدَ) : وسمُ القصيدةِ عبارةٌ عن ذكرِ مَنْ قيلَتْ برسمِهِ مِنْ ممدوحٍ أو مهجوٍّ .

وقالَ العباسُ بنُ مرداسٍ ، وهيَ مِنَ المُنصفاتِ ؛ إذ لم يكتمْ حالَ أعدائِهِ[2] : [من الطويل]

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ ٱلْحَيِّ حَيّاً مُصَبَّحاً ... وَلَا مِثْلَنَا يَوْمَ ٱلْتَقَيْنَا فَوَارِسَا
أَكَرَّ وَأَحْمَىٰ لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمُ ... وَأَضْرَبَ مِنَّا بِٱلسُّيُوفِ ٱلْقَوَانِسَا
إِذَا مَا شَدَدْنَا شَدَّةً نَصَبُوا لَنَا ... صُدُورَ ٱلْمَذَاكِي وَٱلرِّمَاحَ ٱلْمَدَاعِسَا
إِذَا ٱلْخَيْلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيعٍ نَكُرُّهَا ... عَلَيْهِمْ فَمَا يَرْجِعْنَ إِلَّا عَوَابِسَا

ذكاءُ الخيلِ : تمامُها وخروجُها مِنْ سنِّ الفتاءِ .

---

(١) القاموس المحيط (٣/٢٠٣) مادة (خ ن د ف) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٢٢٨ ـ ٢٢٩) .

وقالَ عبدُ الشارقِ بنُ عبدِ العزى الجهنيُّ مِنَ المنصفاتِ أيضاً [١] : [من الوافر]

أَلَا حُيِّيتِ عَنَّا يَا رُدَيْنَا ... نُحَيِّيهَا وَإِنْ كَرُمَتْ عَلَيْنَا
رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ غَدَاةَ جِئْنَا ... عَلَىٰ أَضْمَاتِنَا وَقَدِ [ٱخْتَوَيْنَا]
فَأَرْسَلْنَا أَبَا عَمْرٍو رَبِيئاً ... فَقَالَ أَلَا ٱنْعَمُوا بِٱلْقَوْمِ عَيْنَا
وَدَسُّوا فَارِساً مِنْهُمْ عِشَاءً ... فَلَمْ نَغْدِرْ بِفَارِسِهِمْ لَدَيْنَا
فَجَاؤُوا عَارِضاً بَرِداً وَجِئْنَا ... كَمِثْلِ ٱلسَّيْلِ نَرْكَبُ وَازِعِينَا
تَنَادَوْا يَا لَبُهْثَةَ إِذْ رَأَوْنَا ... فَقُلْنَا أَحْسِنِي مَلأً جُهَيْنَا
سَمِعْنَا دَعْوَةً عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ ... فَجُلْنَا جَوْلَةً ثُمَّ ٱرْعَوَيْنَا
فَلَمَّا أَنْ تَوَاقَفْنَا قَلِيلاً ... أَنَخْنَا لِلْكَلَاكِلِ فَٱرْتَمَيْنَا
فَلَمَّا لَمْ نَدَعْ قَوْساً وَسَهْماً ... مَشَيْنَا نَحْوَهُمْ وَمَشَوْا إِلَيْنَا
تَلَأْلُؤَ مُزْنَةٍ بَرَقَتْ لِأُخْرَىٰ ... إِذَا حَجَلُوا بِأَسْيَافٍ رَدَيْنَا
شَدَدْنَا شَدَّةً فَقَتَلْتُ مِنْهُمْ ... ثَلَاثَةَ فِتْيَةٍ وَقَتَلْتُ قَيْنَا
وَشَدُّوا شَدَّةً أُخْرَىٰ فَجَرُّوا ... بِأَرْجُلِ مِثْلِهِمْ وَرَمَوْا جُوَيْنَا
وَكَانَ أَخِي جُوَيْنٌ ذَا حِفَاظٍ ... وَكَانَ ٱلْقَتْلُ لِلْفِتْيَانِ زَيْنَا
فَآبُوا بِٱلرِّمَاحِ مُكَسَّرَاتٍ ... وَأُبْنَا بِٱلسُّيُوفِ قَدِ ٱنْحَنَيْنَا
فَبَاتُوا بِٱلصَّعِيدِ لَهُمْ أُحَاحٌ ... وَلَوْ خَفَّتْ لَنَا ٱلْكَلْمَىٰ سَرَيْنَا

قولُهُ : (**نحيِّيها وإن كرمتْ علينا**) تحقُّقُ المنافرةِ ؛ بأن يُرادَ بتحيَّتِها

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٢٢٩ ـ ٢٣٣) .

تحيةُ الوداعِ ، أو تحيةُ الغائبِ ؛ أداءً لواجبِ المَحبَّةِ علىٰ لسانِ رسولٍ مراغمةً للغيرةِ ، أو يُرادَ بكرمِها عليه : تعذُّرُها وامتناعُها .

وقولُهُ : (علىٰ أضماتِنا وقدِ اختوينا) أي : علىٰ أشدِّ أحقادِنا وقد أخلينا أجوافَنا ، وكانَتْ تلكَ لهُم عادةً إذا أرادوا الحربَ .

وقولُهُ : (نركبُ وازعينا) أي : لا يطيعُ أحدُ الجيشَينِ وازعَهُ ورئيسَهُ إذا أرادَ أن يَكُفَّهُ عنِ الإقدامِ ، والملأُ في قولِهِ : (أحسني ملأً) معناهُ : الخُلُقُ ، وبهثةُ : ولدُ الزنا ، وهوَ اسمٌ للقبيلةِ هنا .

وقالَ المساورُ بنُ هندِ بنِ زهيرٍ[1] : [من الكامل]

أَوْدَى ٱلشَّبَابُ فَمَا لَهُ مُتَقَفَّرُ ... وَفَقَدْتُ أَتْرَابِي فَأَيْنَ ٱلْمَغْبَرُ
وَأَرَى ٱلْغَوانِي بَعْدَ مَا أَوْجَهْنَنِي ... أَعْرَضْنَ ثُمَّتَ قُلْنَ شَيْخٌ أَعْوَرُ
وَرَأَيْنَ رَأْسِي صَارَ وَجْهاً كُلُّهُ ... إِلَّا قَفَايَ وَلِحْيَةً مَا تُضْفَرُ
وَرَأَيْنَ شَيْخاً قَدْ تَحَنَّىٰ ظَهْرُهُ ... يَمْشِي فَيُقْعِسُ أَوْ يُكِبُّ فَيَعْثُرُ
لَمَّا رَأَيْتُ ٱلنَّاسَ هَرُّوا فِتْنَةً ... عَمْيَاءَ تُوقَدُ نَارُهَا وَتُسَعَّرُ
وَتَشَعَّبُوا شُعَباً فَكُلُّ جَزِيرَةٍ ... فِيهَا أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمِنْبَرُ
وَلَتَعْلَمَنْ ذُبْيَانُ إِنْ هِيَ أَعْرَضَتْ ... أَنَّا لَنَا ٱلشَّيْخُ ٱلْأَعَزُّ ٱلْأَكْبَرُ
وَلَنَا قَنَاةٌ مِنْ رُدَيْنَةَ صَدْقَةٌ ... زَوْرَاءُ حَامِلُهَا كَذَٰلِكَ أَزْوَرُ

اقتفرَ الشيءَ : تَتبَّعَهُ ، وقولُهُ : (ولحيةً لا تضفرُ) تَأسَّفَ علىٰ فقدِ الذوائبِ التي مِنْ شأنِها الضفرُ ، وقولُهُ : (يقعسُ) أي : يكونُ كالأقعسِ ؛ وهوَ مقابلُ الأحدبِ ، وفي قولِهِ : (يُكِبُّ فيعثرُ) قلبٌ ؛ لأمنِ اللبسِ .

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/٥ ـ ٦) .

وقالَ عروةُ بنُ الوردِ العبسيُّ (١) : [من الطويل]

قُلْتُ لِقَوْمٍ فِي ٱلْكَنِيفِ تَرَوَّحُوا عَشِيَّةَ بِتْنَا عِنْدَ مَاوَانَ رُزَّحِ
تَنَالُوا ٱلْغِنَىٰ أَوْ تَبْلُغُوا بِنُفُوسِكُمْ إِلَىٰ مُسْتَرَاحٍ مِنْ حِمَامٍ مُبَرِّحِ
وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتِراً مِنَ ٱلْمَالِ يَطْرَحْ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحِ
لِيَبْلُغَ عُذْراً أَوْ يُصِيبَ رُغَيْبَةً وَمُبْلِغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحِ

كانَ عروةُ غائباً ، فلمَّا حضرَ . . وجدَ قومَهُ قد نهكَهُمُ ٱلْجَدْبُ وهُم رُزَّحٌ قاعدونَ في مُلتفٍّ مِنَ الشجرِ ـ وهوَ الكنيفُ ـ ينتظرونَ الهلاكَ ، فقالَ لهُم : تروَّحوا ، يُحرِّضُهُم على النهوضِ في طلبِ المعيشةِ ، فترتيبُ البيتِ الأوَّلُ : قلتُ لقومٍ رُزَّحٍ في الكنيفِ عشيةَ بتنا عندَ ماوانَ : تَروَّحوا تنالوا الغنىٰ ، أو تُقتَلوا فتريحوا أنفسَكُم مِنْ حالةٍ تشبهُ الحِمامَ ، لٰكنَّهُ حِمامٌ مُبرِّحٌ .

وقالَ ربيعةُ بنُ مقرومٍ (٢) : [من الوافر]

أَخُوكَ أَخُوكَ مَنْ يَدْنُو وَتَرْجُو مَوَدَّتَهُ وَإِنْ دُعِيَ ٱسْتَجَابَا
إِذَا حَارَبْتَ حَارَبَ مَنْ تُعَادِي وَزَادَ سِلَاحُهُ مِنْكَ ٱقْتِرَابَا
وَكُنْتُ إِذَا قَرِينِي جَاذَبَتْهُ حِبَالِي مَاتَ أَوْ تَبِعَ ٱلْجِذَابَا
فَإِنْ أَهْلِكْ فَذِي حَنَقٍ لَظَاهُ عَلَيَّ تَكَادُ تَلْتَهِبُ ٱلْتِهَابَا
مَخَضْتُ بِدَلْوِهِ حَتَّىٰ تَحَسَّىٰ ذُنُوبَ ٱلشَّرِّ مَلْأَىٰ أَوْ قُرَابَا
بِمِثْلِي فَٱشْهَدِ ٱلنَّجْوَىٰ وَعَالِنْ بِيَ ٱلْأَعْدَاءَ وَٱلْقَوْمَ ٱلْغِضَابَا
فَإِنَّ ٱلْمُوعِدِيَّ يَرَوْنَ دُونِي أُسُودَ خَفِيَّةَ ٱلْغُلْبَ ٱلرِّقَابَا

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/٧ ـ ٨) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/٥٣ ـ ٥٥) .

كَـأَنَّ عَـلَـىٰ سَـوَاعِـدِهِـنَّ وَرْسـاً   عَـلَا لَـوْنَ ٱلْأَشَـاجِـعِ أَوْ خِـضَـابَـا

قولُهُ : (فذي حَنَقٍ) أي : فربَّ ، حذفَها بعدَ الفاءِ ، وهوَ أحدُ مواضعِ حذفِها ، وقولُهُ : (الغلبَ الرقابَا) نصبَ معمولَ الصفةِ على التشبيهِ بالمفعولِ بهِ .

وقالَ سنانُ بنُ الفحلِ أخو بني أمِّ الكهفِ مِنْ طيّئٍ [1] :   [من الوافر]

وَقَـالُـوا قَـدْ جُـنِـنْـتَ فَـقُـلْـتُ كَـلَّا   وَرَبِّـي مَـا جُـنِـنْـتُ وَمَـا ٱنْـتَـشَـيْـتُ

وَلَـٰكِنِّي ظُـلِـمْـتُ فَـكِـدْتُ أَبْـكِـي   مِـنَ ٱلـظُّـلْـمِ ٱلْـمُـبَـيَّـنِ أَوْ بَـكَـيْـتُ

فَـإِنَّ ٱلْـمَـاءَ مَـاءُ أَبِـي وَجَـدِّي   وَبِـئْـرِي ذُو حَـفَـرْتُ وَذُو طَـوَيْـتُ

وَقَـبْـلَـكَ رُبَّ خَـصْـمٍ قَـد تَـمَـالَـوْا   عَـلَـيَّ فَـمَـا هَـلِـعْـتُ وَلَا دَعَـوْتُ

وَلَـٰكِنِّي نَـصَـبْـتُ لَـهُـمْ جَـبِـيـنِـي   وَآلَـةَ فَـارِسٍ حَـتَّـىٰ قَـرَيْـتُ

تمالَوا : أصلُهُ : تمالَؤوا بالهمزِ ، فخُفِّفَ وصارَ مُعتلّاً ، وفي الأبياتِ (ذو) الطائيةُ ، وهيَ بمعنى (التي) ، والشاعرُ مِنْ أهلِ أشهرِ لغاتِ طيّئٍ في استعمالِ كلمةِ (ذو) الذينَ ينطقونَ بها علىٰ صورةٍ واحدةٍ دائماً .

وقالَ إياسُ بنُ مالكٍ الطائيُّ [2] :   [من الطويل]

سَمَوْنَا إِلَىٰ جَيْشِ ٱلْحَرُورِيِّ بَعْدَمَا   تَـنَـاذَرَهُ أَعْـرَابُـهُـمْ وَٱلْـمُـهَـاجِـرُ

بِـجَـمْـعٍ تَـظَـلُّ ٱلْأُكْـمُ سَـاجِـدَةً لَـهُ   وَأَعْـلَامُ سَـلْـمَىٰ وَٱلْـهِـضَـابُ ٱلـنَّـوَادِرُ

فَـلَـمَّـا ٱدَّرَكْـنَـاهُـمْ وَقَـدْ قَـلَّـصَـتْ بِـهِـمْ   إِلَى ٱلْحَيِّ خُوصٌ كَٱلْحَنِيِّ ضَوَامِرُ

أَنَـخْـنَـا إِلَـيْـهِـمْ مِـثْـلَـهُـنَّ وَزَادُنَـا   جِـيَـادُ ٱلسُّـيُـوفِ وَٱلـرِّمَـاحُ ٱلْـخَـوَاطِـرُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/٧٢ ـ ٧٣) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/٧٥ ـ ٧٦) .

كِـلَا ثَـقَـلَـيْـنَـا طَـامِـعٌ بِـغَـنِـيـمَـةٍ   وَقَـدْ قَـدَّرَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَـا هُـوَ قَـادِرُ

فَـلَـمْ أَرَ يَـوْمـاً كَـانَ أَكْـثَـرَ سَـالِـبـاً   وَمُـسْـتَـلِـبـاً سِـرْبَـالَـهُ لَا يُـنَـاكِـرُ

وَأَكْـثَـرَ مِـنَّـا يَـافِـعـاً يَـبْـتَـغِـي ٱلْـعُـلَا   يُـضَـارِبُ قِـرْنـاً دَارِعـاً وَهْـو حَـاسِـرُ

فَـمَـا كَـلَّـتِ ٱلْأَيْـدِي وَلَا ٱنْـأَطَـرَ ٱلْـقَـنَـا   وَلَا عَـثَـرَتْ مِـنَّـا ٱلْـجُـدُودُ ٱلْـعَـوَاثِـرُ

حَرَوْرَىٰ ـ بفتح الراءِ الأُولىٰ ـ : بلدٌ يُنسَبُ لها بعضُ الخوارجِ ، **والخوارجُ** : أهلُ مذهبٍ في الإسلامِ ، أولُهُم جماعةٌ خرجوا علىٰ عليٍّ ومعاويةَ ومَنْ كانَ معَهُم مِنَ المسلمينَ بعدَ ما كانَ مِنْ حربِ صفينَ ، وجرىٰ مِنْ أمرِ تحكيمِ الحكمَينِ ، فقالوا بكفرِ مَنْ حَكَّمَ الحكمَينِ ، وكانوا يَتشدَّدونَ في أحكامِهِم ، وعَظُمَ أمرُهُم ، وشغلوا ملوكَ الإسلامِ بالحربِ مُدَّةً مِنَ الزمانِ ، واشتَهرَ فيهِم كثيرٌ بالشجاعةِ والإقدامِ ، وكانوا يرونَ أنَّهُم هُم أُمَّةُ الإسلامِ ، وأميرُ المؤمنينَ منهُم ، والمذكورُ في الشعرِ جيشٌ مِنْ جيوشِهِم ، وصفَهُ الشاعرُ بالقُوَّةِ والشدةِ ، وأنَّهُ عمَّتْ مخافتُهُ الناسَ ، فكانَ يتناذرُهُ أهلُ الباديةِ وهُمُ الأعرابُ ، والفريقُ المهاجرُ وهُم مَنْ تركَ الباديةَ وسكنَ الأمصارَ .

وقولُهُ : (**بجمعٍ تَظلُّ الأكمُ**) أي : جمعٌ كثيفٌ ذو خيلٍ وإبلٍ كثيرةٍ ، بحيثُ إنَّهُ [بثقلِ] وطأتِهِ يُسوِّي مرتفعاتِ الأرضِ ، فمعنىٰ سجودِ الأكمِ : هبوطُها وزوالُ ارتفاعِها .

وقولُهُ : (**كانَ أكثرَ سالباً**) أي : مِنْ ذٰلكَ اليومِ ، (**ومستلباً سربالَهُ**) بنصبِ سربالٍ ، مفعولٌ ثانٍ ، تقولُ : استلبتُهُ كذا .

وقالَ سعدُ بنُ ناشبٍ (١) :   [من الطويل]

تُـفَـنِّـدُنِـي فِـيـمَـا تَـرَىٰ مِـنْ شَـرَاسَـتِـي   وَشِـدَّةِ نَـفْـسِـي أُمُّ سَـعْـدٍ وَمَـا تَـدْرِي

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/١٠٥) .

فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ ٱلْكَرِيمَ وَإِنْ حَلَا ... لَيُلْفَىٰ عَلَىٰ حَالٍ أَمَرَّ مِنَ ٱلصَّبْرِ
وَفِي ٱللِّينِ ضَعْفٌ وَٱلشَّرَاسَةُ هَيْبَةٌ ... وَمَنْ لَمْ يُهَبْ يُحْمَلْ عَلَىٰ مَرْكَبٍ وَعْرِ
وَمَا بِي عَلَىٰ مَنْ لَانَ لِي مِنْ فَظَاظَةٍ ... وَلَٰكِنَّنِي فَظٌّ أَبِيٌّ عَلَى ٱلْقَسْرِ
أُقِيمُ صَغَا ذِي ٱلْمَيْلِ حَتَّىٰ أَرُدَّهُ ... وَأَخْطِمُهُ حَتَّىٰ يَعُودَ إِلَى ٱلْقَدْرِ
فَإِنْ تَعْذُلِينِي تَعْذُلِي بِي مُرَزَّأً ... كَرِيمَ نَثَا ٱلْإِعْسَارِ مُشْتَرَكَ ٱلْيُسْرِ
إِذَا هَمَّ أَلْقَىٰ بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ ... وَصَمَّمَ تَصْمِيمَ ٱلسُّرَيْجِيِّ ذِي ٱلْأُثْرِ

وقالَتْ عاتكةُ بنتُ عبدِ المطلبِ[1] : [من مجزوء الكامل]

سَائِلْ بِنَا فِي قَوْمِنَا ... وَلْيَكْفِ مِنْ شَرٍّ سَمَاعُهْ
قَيْساً وَمَا جَمَعُوا لَنَا ... فِي مَجْمَعٍ بَاقٍ شَنَاعُهْ
فِيهِ ٱلسَّنَوَّرُ وَٱلْقَنَا ... وَٱلْكَبْشُ مُلْتَمِعٌ قِنَاعُهْ
بِعُكَاظَ يُعْشِي ٱلنَّاظِرِينَ ... إِذَا هُمُ لَمَحُوا شُعَاعُهْ
فِيهِ قَتَلْنَا مَالِكاً ... قَسْراً وَأَسْلَمَهُ رَعَاعُهْ
وَمُجَدَّلاً غَادَرْنَهُ ... بِٱلْقَاعِ تَنْهَسُهُ ضِبَاعُهْ

السَّنَوَّرُ : يُرادُ بِهِ الدروعُ ، ويُرادُ بِهِ السلاحُ كلُّهُ .

وقالَ أميةُ بنُ أبي الصَّلتِ يشتكي مِنْ ولدِهِ[2] : [من الطويل]

غَذَوْتُكَ مَوْلُوداً وَعُلْتُكَ يَافِعاً ... تُعَلُّ بِمَا أُدْنِي إِلَيْكَ وَتَنْهَلُ
إِذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بِٱلشَّكْوِ لَمْ أَبِتْ ... لِشَكْوَاكَ إِلَّا سَاهِراً أَتَمَلْمَلُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/١٣٠ ـ ١٣١) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/١٣٣) .

كَأَنِّي أَنَا ٱلْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِٱلَّذِي طُرِقْتَ بِهِ دُونِي وَعَيْنِيَ تَهْمُلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ ٱلسِّنَّ وَٱلْغَايَةَ ٱلَّتِي إِلَيْهَا مَدَىٰ مَا كُنْتُ فِيكَ أُؤَمِّلُ
جَعَلْتَ جَزَائِي مِنْكَ جَبْهاً وَغِلْظَةً كَأَنَّكَ أَنْتَ ٱلْمُنْعِمُ ٱلْمُتَفَضِّلُ
فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِي فَعَلْتَ كَمَا ٱلْجَارُ ٱلْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ
وَسَمَّيْتَنِي بِٱسْمِ ٱلْمُفَنَّدِ رَأْيُهُ وَفِي رَأْيِكَ ٱلتَّفْنِيدُ لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ
تَرَاهُ مُعِدّاً لِلْخِلَافِ كَأَنَّهُ بِرَدٍّ عَلَىٰ أَهْلِ ٱلصَّوَابِ مُوَكَّلُ

وقالَتِ امرأةٌ في مثلِ هٰذا المعنىٰ(١) : [من البسيط]

رَبَّيْتُهُ وَهْوَ مِثْلُ ٱلْفَرْخِ أَعْظَمُهُ أُمُّ ٱلطَّعَامِ تَرَىٰ فِي جِلْدِهِ زَغَبَا
حَتَّىٰ إِذَا آضَ كَٱلْفُحَّالِ شَذَّ بِهِ أَبَّارُهُ وَنَفَىٰ عَنْ مَتْنِهِ ٱلْكَرَبَا
أَنْشَا يُمَزِّقُ أَثْوَابِي يُؤَدِّبُنِي أَبَعْدَ شَيْبِيَ عِنْدِي يَبْتَغِي ٱلْأَدَبَا
إِنِّي لَأُبْصِرُ فِي تَرْجِيلِ لِمَّتِهِ وَخَطِّ لِحْيَتِهِ فِي خَدِّهِ عَجَبَا
قَالَتْ لَهُ عِرْسُهُ يَوْماً لِتُسْمِعَنِي مَهْلاً فَإِنَّ لَنَا فِي أُمِّنَا أَرَبَا
وَلَوْ رَأَتْنِيَ فِي نَارٍ مُسَعَّرَةٍ ثُمَّ ٱسْتَطَاعَتْ لَزَادَتْ فَوْقَهَا حَطَبَا

أعظَمُهُ أمُّ الطعامِ ؛ أي : أكثرُهُ حوصلتُهُ ، وأمُّ الطعامِ مِنَ الآدميّ : المَعِدةُ ، **وأبْرُ النخلِ** : تلقيحُ إناثِها مِنْ ذكورِها ، **والأَبَّارُ** : فاعلُ ذٰلكَ ، فإضافتُهُ إلى **الفُحَّالِ** ـ وهوَ ذكرُ النخلِ ـ لأدنىٰ ملابسةٍ ؛ كالإضافةِ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ ﴾(٢) ، **والكربُ** : أصولُ السعفِ .

انتهىٰ ما أردتُ إيرادَهُ مِنْ بابِ الحماسةِ .

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٣٤/٢) .

(٢) سورة العنكبوت : (٥) .

[نبذةٌ من أشعارِ الرثاءِ من « ديوانِ الحماسةِ »]

وهٰذه جملةٌ مِنْ بابِ الرثاءِ ؛ وهوَ ذكرُ محاسنِ الميتِ والبكاءُ عليهِ ، والتحسُّرُ علىٰ فقدِهِ ؛ يُقالُ : رثيتُهُ ورثوتُهُ ، والمَرْثِيَةُ : الكلامُ الذي يكونُ بِهِ الرثاءُ .

قالَ أبو خِراشٍ الهذليُّ وقد سافرَ أخوهُ وابنُهُ ، فأُسِرا ، وقُتِلَ أخوهُ ، وألقىٰ رجلٌ رداءً على ابنِهِ واجتهدَ في إطلاقِهِ وتخليصِهِ ممَّنْ أرادوا قتلَهُ (١) : [من الطويل]

حَمِدْتُ إِلَـٰهِي بَعْدَ عُرْوَةَ إِذْ نَجَا ... خِرَاشٌ وَبَعْضُ ٱلشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

فَوَٱللهِ مَا أَنْسَىٰ قَتِيلاً رُزِئْتُهُ ... بِجَانِبِ قُوسَىٰ مَا مَشَيْتُ عَلَى ٱلْأَرْضِ

عَلَىٰ أَنَّهَا تَعْفُو ٱلْكُلُومُ وَإِنَّمَا ... نُوَكَّلُ بِٱلْأَدْنَىٰ وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي

وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَىٰ عَلَيْهِ رِدَاءَهُ ... عَلَىٰ أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضِ

وَلَمْ يَكُ مَثْلُوجَ ٱلْفُؤَادِ مُهَبَّجَا ... أَضَاعَ ٱلشَّبَابَ فِي ٱلرَّبِيلَةِ وَٱلْخَفْضِ

وَلَـٰكِنَّهُ قَدْ لَوَّحَتْهُ مَخَامِصٌ ... عَلَىٰ أَنَّهُ ذُو مِرَّةٍ صَادِقُ ٱلنَّهْضِ

وقد قيلَ : إنَّ الذي ألقىٰ عليهِ الرداءَ هوَ عروةُ ، وقد وجدَهُ ملقيهِ مكشوفَ العورةِ ، وهٰذا القولُ أوفقُ لسياقِ الكلامِ ، **والرَّبيلةُ** : تُطلَقُ على السِّمَنِ والنعمةِ ، فإذا أُريدَ السِّمنُ . . فهوَ علىٰ حذفِ مضافٍ ؛ أي : في تحصيلِ الربيلةِ ، وكانوا يَتمدَّحونَ بقِلَّةِ الطعامِ والشرابِ ؛ إمَّا لكثرةِ الاشتغالِ بالمُهِمَّاتِ ، وإمَّا لإيثارِ الغيرِ ، وقالَ عبدةُ بنُ الطبيبِ (٢) : [من الطويل]

عَلَيْكَ سَلَامُ ٱللهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ ... وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/١٤٣ ـ ١٤٥) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/١٤٥ ـ ١٤٦) .

تَـحِيَّـةَ مَـنْ غَـادَرْتَـهُ غَـرَضَ ٱلـرَّدَىٰ إِذَا زَادَ عَـنْ شَـحْـطٍ بِـلَادَكَ سَـلَّـمَـا
فَـمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ وَاحِدٍ وَلَـٰكِنَّهُ بُـنْـيَـانُ قَـوْمٍ تَـهَـدَّمَـا

وقـالَ هـشـامُ بـنُ عـقبةَ الـعـدويُّ أخـو ذي الـرِّمـةِ يـرثـي أوفى بـنَ دلهمٍ (١) : [من الطويل]

تَـعَـزَّيْـتُ عَـنْ أَوْفَـىٰ بِـغَـيْـلَانَ بَـعْـدَهُ عَـزَاءً وَجَـفْـنُ ٱلْـعَـيْـنِ مَـلْآنُ مُـتْـرَعُ
نَعَى ٱلرَّكْبُ أَوْفَىٰ حِينَ آبَتْ رِكَابُهُمْ لَعَمْرِي لَقَدْ جَاؤُوا بِشَرٍّ فَأَوْجَعُوا
نَـعَـوْا بَـاسِـقَ ٱلْأَفْـعَـالِ لَا يَـخْـلُـفُـونَـهُ تَـكَـادُ ٱلْـجِـبَـالُ ٱلـصُّـمُّ مِـنْـهُ تَـصَـدَّعُ
خَوَى ٱلْمَسْجِدُ ٱلْمَعْمُورُ بَعْدَ ٱبْنِ دَلْهَمٍ وَأَمْسَىٰ بِأَوْفَىٰ قَوْمُهُ قَدْ تَضَعْضَعُوا
فَلَمْ تُنْسِنِي أَوْفَى ٱلْمُصِيبَاتُ بَعْدَهُ وَلَـٰكِنَّ نَكْءَ ٱلْقَرْحِ بِٱلْقَرْحِ أَوْجَعُ

وقـالَ مُتمِّمُ بنُ نُـويرةَ يرثي أخاه مالكاً ، وكانا أسلما ، وهاجرَ مُتمِّمٌ إلى المدينةِ ، وبقيَ مالكٌ في الباديةِ ، وكانَ عريفَ قومٍ ؛ أي : نقيبَهُم والمُتكلِّمَ عنهُم ، فلمَّا قُبِضَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ . . ارتدَّ كثيرٌ مِنَ العربِ ، ومنهُم مالكٌ هـٰذا ، وكانَتْ إبلُ الصدقةِ مجموعةً في موضعٍ يُقالُ لهُ : رحرحانُ ، لم تصلْ بعدُ إلى المدينةِ ، فأغارَ عليها مالكٌ ، ونهبَ منها ثلاثَ مئةٍ ، فلامَهُ علىٰ ذٰلكَ الأقرعُ بنُ حابسٍ وضرارُ بنُ القعقعِ ، ومشيا بهِ في بني تميمٍ يُحرِّضانِهِم عليهِ ليردُّوهُ عن منكرٍ فعلَهُ ، فقالَ في ذٰلكَ (٢) : [من الوافر]

أَرَانِـي ٱللهُ بِـٱلـنَّـعَـمِ ٱلْـمُـنَـدَّىٰ بِـبُـرْقَـةِ رَحْـرَحَـانَ وَقَـدْ أَرَانِـي
أَإِنْ قَـرَّتْ عُـيُـونٌ [وَٱسْـتُـفِـيـئَـتْ] غَـنَـائِـمُ قَـدْ تَـجُـودُ بِـهَـا بَـنَـانِـي

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٧/٢) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٩/٢) ، وستأتي الأبيات المراد إثباتها .

حَوَيْتُ جَمِيعَهَا وَٱلسَّيْفُ صَلْتٌ وَلَمْ تَرْعُدْ يَدَايَ وَلَا جَنَانِي

تَمَشَّىٰ يَا بْنَ عَوْذَةَ فِي تَمِيمٍ وَصَاحِبُكَ ٱلْأُقَيْرِعُ تَلْحَيَانِي

أَلَمْ أَكُ نَارَ رَابِيَةٍ تَلَظَّىٰ فَتَتَّقِيَا أَذَايَ وَتَرْهَبَانِي

فَقُلْ لِٱبْنِ ٱلْمُذِبِّ يَغُضُّ طَرْفاً عَلَىٰ قَطْعِ ٱلْمَذَلَّةِ وَٱلْهَوَانِ

النَّعم المندىٰ : هيَ الإبلُ تُسقىٰ قليلاً ثم تُراحُ ناحيةً ، ثم تُوردُ الماءَ لتحصيلِ تمامِ الريِّ ، يظهرُ غيظَهُ وشماتتَهُ باجتماعِ إبلِ [الصدقةِ] ، وكانوا يرونَ ذٰلكَ نهباً لأموالِهِم .

وقولُهُ : (تَمشَّىٰ) أي : تَتمشَّىٰ وهوَ معلولٌ .

قولُهُ : (أإنْ قَرَّتْ عيونٌ) ، وقولُهُ : (يا بن عوذةَ) ناداهُ باسمِ أُمِّهِ تحقيراً ، وعوذةُ : أمُّ ضرارٍ ، ومذبةُ : أُمُّ الأقرعِ .

فلمَّا قامَ أبو بكرٍ بالأمرِ بعدَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ . . بعثَ جيشاً رئيسُهُ خالدُ بنُ الوليدِ لقتالِ أهلِ الردَّةِ ، وأوصاهُ بقتلِ مالكٍ هٰذا ، فلمَّا قُتِلَ . . أكثرَ مِنْ رثائِهِ والبكاءِ عليهِ أخوهُ مُتمِّمٌ .

يُروىٰ : أنَّ أميرَ المؤمنينَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ لمُتمِّمٍ يوماً : لو رُثِيَ أخي زيدٌ بمثلِ ما رَثيتَ بهِ أخاكَ ، فقالَ مُتمِّمٌ لهُ : لو علمتُ أنَّ أخي صارَ لِمَا صارَ إليهِ أخوكَ . . ما رثيتُهُ ؛ يعني : لو علمَ موتَهُ على الإسلامِ ، فقالَ عمرُ : ما عزَّاني أحدٌ بمثلِ ما عزَّاني بهِ مُتمِّمٌ (١) .

والأبياتُ المُرادُ إثباتُها مِنْ رثاءِ مُتمِّمٍ قولُهُ (٢) : [من الطويل]

لَقَدْ لَامَنِي عِنْدَ ٱلْقُبُورِ عَلَى ٱلْبُكَا رَفِيقِي لِتَذْرَافِ ٱلدُّمُوعِ ٱلسَّوَافِكِ

---

(١) تقدم (١/٣٧٨) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/١٤٨) .

فَـقَـالَ أَتَـبْـكِـي كُـلَّ قَـبْـرٍ رَأَيْـتَـهُ لِقَبْرٍ ثَـوَىٰ بَـيْـنَ ٱللِّوَىٰ فَـٱلدَّكَـادِكِ
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ ٱلشَّجَا يَبْعَثُ ٱلشَّجَا فَـدَعْـنِـي فَـهَـٰذَا كُـلُّـهُ قَـبْـرُ مَـالِـكِ

ولابنِ نباتةَ المصريِّ قصيدةٌ يرثي فيها ملكاً ويُهنِّئُ ابنَهُ بالجلوسِ مكانَهُ ، مطلعُها[١] : [من الطويل]

هَـنَـاءٌ مَـحَـا ذَاكَ ٱلْـعَـزَاءَ ٱلْـمُـقَـدَّمَـا فَـمَـا عَبَسَ ٱلْمَحْزُونُ حَتَّىٰ تَبَسَّمَا
ثُـغُـورُ ٱبْـتِـسَـامٍ فِـي ثُـغُـورِ مَـدَامِـعٍ شَبِيهَانِ لَا يَمْتَازُ ذُو ٱلسَّبْقِ مِنْهُمَا

يقولُ فيها تلميحاً بمالكٍ ومُتمِّمٍ ابنَيْ نويرةَ : [من الطويل]

فَـقَـدْنَـا لِأَعْـنَـاقِ ٱلْـبَـرِيَّـةِ مَـالِـكـاً وَشِـمْـنَـا لِأَفْـعَـالِ ٱلْـجَـمِـيـلِ مُـتَـمِّـمَـا

وسنوردُها بعدُ إن شاءَ اللّٰهُ تعالىٰ .

وقالَ رجلٌ مِنْ خثعمٍ[٢] : [من الكامل]

نَـهِـلَ ٱلـزَّمَـانُ وَعَـلَّ غَـيْـرَ مُـصَـرَّدِ مِـــنْ آلِ عَـــتَّـــابٍ وَآلِ ٱلْأَسْـــوَدِ
مِـنْ كُـلِّ فَـيَّـاضِ ٱلْـيَـدَيْـنِ إِذَا غَـدَتْ نَـكْـبَـاءُ تُـلْـوِي بِـٱلْـكَـنِـيـفِ ٱلْـمُـؤْصَـدِ
فَـٱلْـيَـوْمَ [أَضْـحَـوْا] لِـلْـمَـنُـونِ وَسِـيـقَـةً مِـنْ رَائِـحٍ عَـجِـلٍ وَآخَـرَ مُـغْـتَـدِي
خَـلَـتِ ٱلـدِّيَـارُ فَـسُـدْتُ غَـيْـرَ مُـسَـوَّدِ وَمِـنَ ٱلـشَّـقَـاءِ تَـفَـرُّدِي بِـٱلـسُّـؤْدَدِ

النكباءُ : واحدةُ النُّكْبِ ؛ وهيَ الرياحُ الخارجةُ بينَ المَهابِّ الأصليةِ ؛ وهيَ مَهَبُّ الصَّبا للشرقِ ، ومَهَبُّ الشَّمالِ ، ومَهَبُّ الجَنوبِ ، ومَهَبُّ الدَّبورِ .

وإذا توالَتِ النُّكْبُ . . كانَ الجدبُ ، **والكنيفُ المُؤصَدُ** : الحظيرةُ مِنَ

---

(١) انظر « ديوان ابن نباتة المصري » (ص ٤٢٩) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/١٥٤) .

الشجرِ التي جُعِلَ لها إصادٌ ؛ أي : بابٌ وعتبةٌ ؛ اعتناءً بها ، ومحافظةً عليها ، **وألوَتْ بها** : أفسدَتْها ، وجودُ الجوادِ أظهرُ ما يكونُ في الجدبِ .

وقالَ محمدُ بنُ بشيرٍ الخارجيُّ ؛ نسبةً إلىٰ خارجةَ[(١)] : [من الكامل]

نِعْمَ ٱلْفَتَىٰ فَجَعَتْ بِهِ إِخْوَانَهُ ... يَوْمَ ٱلْبَقِيعِ حَوَادِثُ ٱلْأَيَّامِ

سَهْلُ ٱلْفِنَاءِ إِذَا حَلَلْتَ بِبَابِهِ ... طَلْقُ ٱلْيَدَيْنِ مُؤَدِّبُ ٱلْخُدَّامِ

وَإِذَا رَأَيْتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ ... لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا ذَوُو ٱلْأَرْحَامِ

أرادَ بالصَّديقِ والشَّقيقِ الجنسَ ؛ أي : أصدقاءَهُ وأشقاءَهُ ، ولذٰلكَ قالَ : أيُّهُما ذوو الأرحامِ .

وقالَ دريدُ بنُ الصِّمةِ يرثي أخاهُ ـ ودريدٌ هٰذا مِنْ فرسانِ العربِ المعدودينَ ، وقُتِلَ في غزوةِ حنينٍ معَ المشركينَ ، وكانوا أخرجوهُ معَهُم شيخاً فانياً ليستضيئوا برأيِهِ[(٢)] ـ : [من الطويل]

نَصَحْتُ لِعَارِضٍ وَأَصْحَابِ عَارِضٍ ... وَرَهْطِ بَنِي ٱلسَّوْدَاءِ وَٱلْقَوْمُ شُهَّدِي

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ ... سَرَاتُهُمُ فِي ٱلْفَارِسِيِّ ٱلْمُسَرَّدِ

فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَىٰ ... غَوَايَتَهُمْ وَأَنَّنِي غَيْرُ مُهْتَدِي

أَمَرْتُهُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ ٱللِّوَىٰ ... فَلَمْ يَسْتَبِينُوا ٱلرُّشْدَ إِلَّا ضُحَى ٱلْغَدِ

وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةَ إِنْ غَوَتْ ... غَوَيْتُ وَإِنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ

تَنَادَوْا فَقَالُوا أَرْدَتِ ٱلْخَيْلُ فَارِساً ... فَقُلْتُ أَعَبْدُ ٱللهِ ذَٰلِكُمُ ٱلرَّدِي

فَجِئْتُ إِلَيْهِ وَٱلرِّمَاحُ تَنُوشُهُ ... كَوَقْعِ ٱلصَّيَاصِي فِي ٱلنَّسِيجِ ٱلْمُمَدَّدِ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/١٥٥) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/١٥٦ ـ ١٥٩) .

وَكُنْتُ كَذَاتِ ٱلْبَوِّ رِيعَتْ فَأَقْبَلَتْ إِلَىٰ جَلَدٍ مِنْ مَسْكِ سَقْبٍ مُقَدَّدِ
فَطَاعَنْتُ عَنْهُ ٱلْخَيْلَ حَتَّىٰ تَنَفَّسَتْ وَحَتَّىٰ عَلَانِي حَالِكُ ٱللَّوْنِ أَسْوَدِي
قِتَالَ ٱمْرِئٍ آسَىٰ أَخَاهُ بِنَفْسِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ
فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللهِ خَلَّىٰ مَكَانَهُ فَمَا كَانَ وَقَّافاً وَلَا طَائِشَ ٱلْيَدِ
كَمِيشُ ٱلْإِزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ بَعِيدٌ مِنَ ٱلْآفَاتِ طَلَّاعُ أَنْجُدِ
قَلِيلُ ٱلتَّشَكِّي لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظٌ مِنَ ٱلْيَوْمِ أَعْقَابَ ٱلْأَحَادِيثِ فِي غَدِ
تَرَاهُ خَمِيصَ ٱلْبَطْنِ وَٱلزَّادُ حَاضِرٌ عَتِيدٌ وَيَغْدُو فِي ٱلْقَمِيصِ ٱلْمُقَدَّدِ
وَإِنْ مَسَّهُ ٱلْإِقْوَاءُ وَٱلْجَهْدُ زَادَهُ سَمَاحاً وَإِتْلَافاً لِمَا كَانَ فِي ٱلْيَدِ
صَبَا مَا صَبَا حَتَّىٰ عَلَا ٱلشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ ٱبْعَدِ
وَطَيَّبَ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْخَلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

قولُهُ : (مُدجَّجٍ) علىٰ صيغةِ اسمِ الفاعلِ أوِ اسمِ المفعولِ : تامُّ السلاحِ ، وذاتُ البوِّ : هيَ الناقةُ يموتُ ولدُها ، فيُحشىٰ جلدُهُ علىٰ صورةِ ولدِها لترأمَهُ ؛ أي : تَشمَّهُ وتعطفَ عليهِ ؛ تخيُّلاً أنَّهُ ابنُها ، فتدرُ لتحلبَ ، ومَسْكُ الحيوانِ : جِلْدُهُ ، بفتحٍ فسكونٍ ، والسَّقبُ : ولدُ الناقةِ الصغيرُ ، والصَّياصي : جمعُ صِيصاةٍ بكسرٍ فسكونٍ ؛ شوكةٌ للحائكِ يسوي بهِ اللحمةَ والسُّدَىٰ مِنْ منسوجِهِ ، وقالَ تأبَّطَ شرّاً كما روىٰ أبو تمامٍ ، ولٰكنْ قيلَ : إنَّ الشعرَ لخلفٍ الأحمرِ ، واستدلُّوا علىٰ ذٰلكَ بأنَّهُ قد ذُكِرَ فيهِ سَلْعٌ ؛ وهوَ بالمدينةِ ، وتأبَّطَ شرّاً كانَ في بلادٍ بعيدةٍ عنها ، وبها انتهتْ حياتُهُ ، وكيفَما كانَ فالشعرُ جيدٌ (١) : [من المديد]

إِنَّ بِٱلشِّعْبِ ٱلَّذِي دُونَ سَلْعٍ لَقَتِيلاً دَمُهُ مَا يُطَلُّ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/١٦١ ـ ١٦٤) .

خَــلَّـفَ ٱلْـعِــبْءَ عَـلَـيَّ وَوَلَّـىٰ أَنَـا بِـٱلْـعِــبْءِ لَـهُ مُـسْـتَـقِـلُّ

وَوَرَاءَ ٱلــثَّــأْرِ مِــنِّــي ٱبْــنُ أُخْــتٍ مَــصِــعٌ عُــقْــدَتُــهُ مَــا تُــحَــلُّ

مُـطْـرِقٌ يَـرْشَـحُ سَـمّـاً كَـمَـا أَطْــ ـرَقَ أَفْـعـىً يَـنْـفِـثُ ٱلـسُّـمَّ صِـلُّ

خَـبَـرٌ مَـا نَـابَـنَـا مُـصْـمَـئِـلٌّ جَـلَّ حَـتَّـىٰ دَقَّ فِـيـهِ ٱلْأَجَـلُّ

بَـزَّنِـي ٱلـدَّهْـرُ وَكَـانَ غَـشُـومـاً بِـــأَبِـــيٍّ جَـــارُهُ مَـــا يُـــذَلُّ

شَـامِسٌ فِـي ٱلْـقُـرِّ حَـتَّـىٰ إِذَا مَـا ذَكَـتِ ٱلـشِّـعْـرَىٰ فَـبَـرْدٌ وَظِـلُّ

يَـابِسُ ٱلْـجَـنْـبَـيْـنِ مِـنْ غَـيْـرِ بُـؤْسٍ وَنَـدِي ٱلْـكَـفَّـيْـنِ شَـهْـمٌ مُـدِلُّ

ظَـاعِـنٌ بِـٱلْـحَـزْمِ حَـتَّـىٰ إِذَا مَـا حَـلَّ حَـلَّ ٱلْـحَـزْمُ حَـيْـثُ يَـحُـلُّ

غَـيْـثُ مُـزْنٍ غَـامِـرٌ حَـيْـثُ يُـجْـدِي وَإِذَا يَـسْـطُـو فَـلَـيْـثٌ أَبَـلُّ

مُـسْـبِـلٌ فِـي ٱلْـحَـيِّ أَحْـوَىٰ رِفَـلٌّ وَإِذَا يَـغْـزُو فَـسِـمْـعٌ أَزَلُّ

وَلَــهُ طَــعْــمَــانِ أَرْيٌ وَشَــرْيٌ وَكِـلَا ٱلـطَّـعْـمَـيْـنِ قَـدْ ذَاقَ كُـلُّ

يَـرْكَـبُ ٱلْـهَـوْلَ وَحِـيـداً وَلَا يَـصْـ ـحَـبُـهُ إِلَّا ٱلْـيَـمَـانِـيُّ ٱلْأَفَـلُّ

وَفُـتُـوٍّ هَـجَّـرُوا ثُـمَّ أَسْـرَوْا لَـيْـلَـهُـمْ حَـتَّـىٰ إِذَا ٱنْجَابَ حَـلُّـوا

كُـلُّ مَـاضٍ قَـدْ تَـرَدَّىٰ بِـمَـاضٍ كَـسَـنَـا ٱلْـبَـرْقِ إِذَا مَـا يُـسَـلُّ

فَـٱدَّرَكْـنَـا ٱلـثَّـأْرَ مِـنْـهُـمْ وَلَـمَّـا يَـنْـجُ مِـلْـحَـيَّـيْـنِ إِلَّا ٱلْأَقَـلُّ

فَـٱحْـتَـسَـوْا أَنْـفَـاسَ نَـوْمٍ فَـلَـمَّـا هَـوَّمُـوا رُعْـتُـهُـمْ فَـٱشْـمَـعَـلُّـوا

فَـلَـئِـنْ فَـلَّـتْ هُـذَيْـلٌ شَـبَـاهُ لَـبِـمَـا كَـانَ هُـذَيْـلاً يَـفُـلُّ

وَبِـمَـا أَبْـرَكَـهَـا فِـي مَـنَـاخٍ جَـعْـجَـعٍ يَـنْـقَـبُ فِـيـهِ ٱلْأَظَـلُّ

وَبِـمَـا صَـبَّـحَـهَـا فِـي ذَرَاهَـا ... مِـنْـهُ بَـعْـدَ ٱلْـقَـتْـلِ نَـهْـبٌ وَشَـلُّ

صَـلِـيَـتْ مِـنِّـي هُـذَيْـلٌ بِـخِـرْقٍ ... لَا يَـمَـلُّ ٱلـشَّـرَّ حَـتَّـىٰ يَـمَـلُّـوا

يُـنْـهِـلُ ٱلـصَّـعْـدَةَ حَـتَّـىٰ إِذَا مَـا ... نَـهِـلَـتْ كَـانَ لَـهَـا مِـنْـهُ عَـلُّ

حَـلَّـتِ ٱلْـخَـمْـرُ وَكَـانَـتْ حَـرَاماً ... وَبِـلَأْيٍ مَـا أَلَـمَّـتْ تَـحِـلُّ

فَـٱسْـقِـنِـيـهَـا يَـا سَـوَادَ بْـنَ عَـمْـرٍو ... إِنَّ جِـسْـمِـي بَـعْـدَ خَـالِـي لَـخَـلُّ

تَـضْـحَـكُ ٱلـضَّـبْـعُ لِـقَـتْـلَـىٰ هُـذَيْـلٍ ... وَتَـرَى ٱلـذِّئْـبَ لَـهَـا يَـسْـتَـهِـلُّ

وَعِـتَـاقُ ٱلـطَّـيْـرِ تَـغْـدُو بِـطَـانـاً ... تَـتَـخَـطَّـاهُـمْ فَـمَـا تَـسْـتَـقِـلُّ

طُلَّ دمُ القتيلِ : أُهدِرَ ولم يُؤخَذْ بثأرِهِ ، **والمصْعُ** : الشديدُ القتالِ ، **والمصمئلُّ** : الشديدُ ، وقولُهُ : (**بَزَّنِي الدهرُ بأبي**) **بزَّ** : معناهُ : سلبَ ، يتعدَّىٰ بنفسِهِ ، يُقالُ : بَزَّني كذا ، ولٰكنْ في (بزَّ) هنا معنىٰ (فجعَ) ، فالباءُ لأجلِهِ ، وهوَ التضمينُ ، **وليثٌ أبلُّ** ؛ أي : ماضٍ علىٰ وجهِهِ ، لا يبالي ما لقيَ ، **ورِفَلٌّ** ـ بكسرٍ ففتحٍ ـ أي : طويلُ الشعرِ أوِ الذنبِ ، **الأَرْيُ والشَّرْيُ** : العسلُ وشجرٌ مرٌّ ، **مناخٌ جعجعٌ** ؛ أي : غليظٌ وعرٌ ، **والأظلُّ** : باطنُ الخفِّ ، **وينقب** : يصيبُهُ النقبُ ؛ أي : يتخدَّشُ .

وقالَ الحارثُ بنُ زيدِ الخيلِ (١) : [من الطويل]

أَلَا بَكَرَ ٱلنَّاعِي بِأَوْسِ بْنِ خَالِدٍ ... أَخِي ٱلشَّتْوَةِ ٱلْغَبْرَاءِ وَٱلزَّمَنِ ٱلْمَحْلِ

فَإِنْ يَقْتُلُوا بِٱلْغَدْرِ أَوْساً فَإِنَّنِي ... تَرَكْتُ أَبَا سُفْيَانَ مُلْتَزِمَ ٱلرَّحْلِ

فَلَا تَـجْـزَعِـي يَـا أُمَّ أَوْسٍ فَـإِنَّـهُ ... تُصِيبُ ٱلْمَنَايَا كُلَّ حَافٍ وَذِي نَعْلِ

قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا مِنَ ٱلْقَوْمِ عُصْبَةً ... كِرَاماً وَلَمْ نَأْكُلْ بِهِمْ حَشَفَ ٱلنَّخْلِ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/١٦٦ ـ ١٦٧) .

وَلَوْلَا ٱلْأَسَىٰ مَا عِشْتُ فِي ٱلنَّاسِ سَاعَةً وَلَـٰكِنْ إِذَا مَا شِئْتُ جَاوَبَنِي مِثْلِي

قالَ أبو رياشٍ : كانَ سببُ هـٰذهِ الأبياتِ : أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ بعثَ رجلاً يكنىٰ أبا سفيانَ ـ ليسَ بالهاشميِّ ولا الأمويِّ ـ إلى الباديةِ يستقرئُهُم ، فمَنْ لم يقرأْ شيئاً . . ضربَهُ ، فانتهىٰ إلىٰ بني نبهانَ ، فاستقرأَ أوسَ بنَ خالدِ بنِ عمروٍ ابنَ عمٍّ لزيدِ الخيلِ ، فلم يقرأْ شيئاً ، فضربَهُ ، فماتَ مِنْ ضربِهِ ، فقامَتْ أُمُّ أوسٍ تندبُهُ ، فأقبلَ حريثُ بنُ زيدِ الخيلِ حتىٰ دخلَ علىٰ أبي سفيانَ فقتلَهُ وأصحابَهُ ، وقالَ هـٰذهِ الأبياتَ .

وقالَتْ قُتيلةُ ـ سُمِّيَت بمُصغَّرِ قَتْلةٍ ـ بنتُ النضرِ بنِ الحارثِ بنِ كلدةَ بنِ علقمةَ بنِ هاشمِ بنِ عبدِ منافٍ ، وكانَ النضرُ مِنْ أشدِّ أهلِ مكَّةَ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، فكانَ يشتري كتبَ القصصِ بينَ فارسَ والرومِ ويقولُ : إن كانَ محمدٌ يقصُّ على الناسِ أخبارَ عادٍ وثمودَ . . فأنا أقصُّ عليكُم أخبارَ فارسَ والرومِ ، يريدُ بهـٰذا معارضةَ القرآنِ ، وإبطالَ الرسالةِ ، وفيهِ نزلَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ . . . ﴾ الآيةَ (١) .

فلمَّا أُسِرَ ببدرٍ . . أمرَ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ بقتلِهِ صبراً ، والقتلُ صبراً : أن يُحبَسَ مكتوفاً ويُرمىٰ حتىٰ يموتَ ، ولمَّا أنشدَتْ قتيلةُ الأبياتَ ، وبلغَتِ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ . . رَقَّ لها وقالَ : « لَوْ بَلَغَتْنِي قَبْلَ قَتْلِهِ . . لَعَفَوْتُ عَنْهُ » ، وقالَ : « لَا تُقْتَلُ قُرَيْشٌ صَبْراً بَعْدَ هَـٰذَا ٱلْيَوْمِ » (٢) : [من الكامل]

يَا رَاكِباً إِنَّ ٱلْأُثَيْلَ مَظِنَّةٌ مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقُ

بَلِّغْ بِهِ مَيْتاً فَإِنَّ تَحِيَّةً مَا إِنْ تَزَالُ بِهَا ٱلرَّكَائِبُ تَخْفِقُ

مِنِّي إِلَيْهِ وَعَبْرَةً مَسْفُوحَةً جَادَتْ لِمَائِحِهَا وَأُخْرَىٰ تَخْنُقُ

---

(١) سورة لقمان : (٦) .

(٢) انظر « الروض الأنف » (٥/٢٦٨) ، و« شرح ديوان الحماسة » (٣/١٣ ـ ١٥) .

فَلَيَسْمَعَنَّ ٱلنَّضْرُ إِنْ نَادَيْتَهُ ... إِنْ كَانَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ أَوْ يَنْطِقُ
ظَلَّتْ سُيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنُوشُهُ ... لِلهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تُشَقَّقُ
أَمُحَمَّدٌ وَلَأَنْتَ ضَنْءُ نَجِيبَةٍ ... مِنْ قَوْمِهَا وَٱلْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ
مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا ... مَنَّ ٱلْفَتَىٰ وَهُوَ ٱلْمَغِيظُ ٱلْمُحْنَقُ
وَٱلنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَصَبْتَ وَسِيلَةً ... وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِتْقٌ يُعْتَقُ

الضَّنْءُ بفتحِ أوَّلِهِ : الفرعُ ، وبكسرِهِ : الأصلُ ، وقولُها : (وأحقُّهُم إن كانَ عتقٌ يُعتَقُ) أي : بأن يُعتَقَ ، حُذِفَ الخافضُ وأن ، فارتفعَ الفعلُ ، وكانَ تامَّةٌ .

وقالَ ابنُ عنمةَ الضَّبيُّ في مقتلِ بِسطامَ بنِ قيسٍ ، قتلَهُ عاصمُ بنُ خليفةَ ، وكانَ ابنُ عنمةَ مجاوراً في بني شيبانَ ، فخافَ علىٰ نفسِهِ لمَّا قُتِلَ بسطامُ ، فرثاهُ يستميلُ بذٰلكَ بني شيبانَ ، وهوَ مِنْ بني السيدِ بنِ مالكِ بنِ بكرِ بنِ سعدِ بنِ ضبةَ [1] : [من الوافر]

لِأُمِّ ٱلْأَرْضِ وَيْلٌ مَا أَجَنَّتْ ... بِحَيْثُ أَضَرَّ بِٱلْحَسَنِ ٱلسَّبِيلُ
نُقَسِّمُ مَالَهُ فِينَا وَنَدْعُو ... أَبَا ٱلصَّهْبَاءِ إِذْ جَنَحَ ٱلْأَصِيلُ
أَجِدَّكَ لَا تَرَاهُ وَلَنْ تَرَاهُ ... تَخُبُّ بِهِ عُذَافِرَةٌ ذَمُولُ
حَقِيبَةُ رَحْلِهَا بَدَنٌ وَسَرْجٌ ... تُعَارِضُهَا مُرَبَّبَةٌ دَؤُولُ
إِلَىٰ مِيعَادِ أَرْعَنَ مُكْفَهِرٍّ ... تُضَمَّرُ فِي جَوَانِبِهِ ٱلْخُيُولُ
لَكَ ٱلْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَٱلصَّفَايَا ... وَحُكْمُكَ وَٱلنَّشِيطَةُ وَٱلْفُضُولُ
أَفَاتَتْهُ بَنُو زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو ... وَلَا يُوفِي بِبِسْطَامٍ قَتِيلُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٣٥ ـ ٣٧) .

وَخَـرَّ عَـلَى ٱلْأَلَاءَةِ لَـمْ يُـوَسَّـدْ   كَـأَنَّ جَـبِـيـنَـهُ سَـيْـفٌ صَـقِـيـلُ

الحسنُ في الأبياتِ : اسمُ جبلٍ ، وأمامَهُ هضبةٌ يُقالُ لها : حسينٌ ، ويقولونَ : الحسنانِ في التثنيةِ ، **وحقيبةُ الرحلِ** : وعاءٌ خلفَ الراكبِ كالخرجِ ، **والبدنُ** : الدرعُ القصيرةُ ، **والمربةُ الدؤولُ** ؛ أي : المتقاربةُ العدْوِ ؛ عبارةٌ عنِ الفرسِ ؛ فإنَّهُم كانوا يركبونَ الإبلَ في سفرِهِم للغزوِ ، ويُجنِّبونَ الخيلَ ليركبوها في الحربِ ، **والمِرباعُ** : الرُّبُعُ ؛ كالمِعشارِ العشرُ ، ولا يُستعمَلُ غيرُهُما ، كانَ رئيسُ الجيشِ يأخذُ رُبُعَ الغنيمةِ ، ثمَّ يقسمُ ، **والصَّفايا** : جمعُ صفيةٍ ، كانَ للرئيسِ أن يصطفيَ ما شاءَ ؛ كسيفٍ أو فرسٍ ، وكانَ مِنْ عادتِهِم عندَ افتتاحِ الحربِ أن يبادرَ فارسٌ فارساً ، فإذا قتلَهُ . . فالحكمُ في سَلَبِهِ للرئيسِ ؛ إمَّا أن يُنفِّلَهُ القاتلَ ، وإمَّا أنْ يَردَّهُ للمغنمِ ، **والنشيطةُ** : ما يصيبونَهُ قبلَ الوصولِ إلى المَقصِدِ ، وهيَ للرئيسِ ، **والفضولُ** : أشياءُ كانَتْ تبقىٰ بعدَ القسمةِ فيأخذُها ، وكانَ لهُمُ **النقيعةُ** ؛ وهيَ جملٌ يذبحُهُ الرئيسُ قبلَ القسمةِ يطعمُهُ الناسَ .

بقيَ مِنْ ذٰلكَ في الإسلامِ الصَّفايا ؛ فقدِ استصفى النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ يومَ بدرٍ ذا الفقارِ سيفَ منبهِ بنِ الحجَّاجِ ، وجويريةَ بنتَ الحارثِ في المصطلقِ ، وجعلَ صداقَها عتقَها ، وصفيةَ بنتَ حييٍّ مِنْ خيبرَ كذٰلكَ ، وأُبدِلَ الرُّبُعُ بالخُمُسِ ؛ للمذكورينَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم . . . ﴾ الآيةَ (١) ، وبطلَ الباقي .

وقالَ الغَطَمَّشُ (٢) :   [من الطويل]

أَلَا رُبَّ مَـنْ يَـغْـتَـابُـنِـي وَدَّ أَنَّـنِـي   أَبُـوهُ ٱلَّـذِي يُـدْعَـىٰ إِلَـيْـهِ وَيُـنْـسَـبُ

عَـلَـىٰ رِشْـدَةٍ مِـنْ أُمِّـهِ أَوْ لِـغَـيَّـةٍ   فَـيَغْلِبَهَا فَحْلٌ عَلَى ٱلنَّسْلِ مُنْجِبُ

---

(١) سورة الأنفال : (٤١) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٤٠ ـ ٤١) .

فَبِٱلْخَيْرِ لَا بِٱلشَّرِّ فَٱرْجُ مَوَدَّتِي وَأَيُّ ٱمْرِئٍ يُقْتَالُ مِنْهُ ٱلتَّرَهُّبُ

أَقُولُ وَقَدْ فَاضَتْ لِعَيْنِيَ عَبْرَةٌ أَرَى ٱلْأَرْضَ تَبْقَىٰ وَٱلْأَخِلَّاءُ تَذْهَبُ

أَخِلَّايَ لَوْ غَيْرَ ٱلْحِمَامِ أَصَابَكُمْ عَتَبْتُ وَلَٰكِنْ مَا عَلَى ٱلدَّهْرِ مَعْتَبُ

قولُهُ : (أيُّ امرئٍ يُقتالُ ؟!) هوَ افتعالٌ مِنَ القولِ ؛ أي : وأيُّ امرئٍ يظهرُ منهُ الترهُّبُ ـ القولُ بالمودةِ ـ ذٰلكَ الضعيفُ المقهورُ دونَ القويّ ؛ فإنَّهُ لا يظهرُ المودةَ إلَّا وهيَ حقٌّ ، فلا يَتملَّقُ ، فالاستفهامُ إنكاريٌّ ؛ أي : لا أحدَ يُقتالُ منهُ الترهُّبُ ، جعلَ مَنْ يُقتالُ منهُ لا شيءَ .

وقالَتْ زينبُ بنتُ الطَّثَريةِ ترثي أخاها يزيدَ ، وهوَ شاعرٌ ، ومِنْ كلامِهِ في الغزلِ (١) : [من الطويل]

بِنَفْسِي مَنْ لَوْ مَرَّ بَرْدُ بَنَانِهِ عَلَىٰ كَبِدِي كَانَتْ شِفَاءً أَنَامِلُهْ

وَمَنْ هَابَنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ وَهِبْتُهُ فَلَا هُوَ يُعْطِينِي وَلَا أَنَا سَائِلُهْ

[قالَتْ] (٢) : [من الطويل]

أَرَى ٱلْأَثْلَ مِنْ بَطْنِ ٱلْعَقِيقِ مُجَاوِرِي مُقِيماً وَقَدْ غَالَتْ يَزِيدَ غَوَائِلُهْ

فَتىً قُدَّ قَدَّ ٱلسَّيْفِ لَا مُتَضَائِلٌ وَلَا رَهِلٌ لَبَّاتُهُ وَبَآدِلُهْ

إِذَا نَزَلَ ٱلْأَضْيَافُ كَانَ عَذَوَّراً عَلَى ٱلْحَيِّ حَتَّىٰ تَسْتَقِلَّ مَرَاجِلُهْ

مَضَىٰ وَوَرِثْنَاهُ دَرِيسَ مُفَاضَةٍ وَأَبْيَضَ هِنْدِيّاً طَوِيلاً حَمَائِلُهْ

وَقَدْ كَانَ يُرْوِي ٱلْمَشْرِفِيَّ بِكَفِّهِ وَيَبْلُغُ أَقْصَىٰ حُجْرَةِ ٱلْحَيِّ نَائِلُهْ

كَرِيمٌ إِذَا لَاقَيْتَهُ مُتَبَسِّماً وَإِمَّا تَوَلَّىٰ أَشْعَثُ ٱلرَّأْسِ جَافِلُهْ

---

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٦/٣٦٩) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٤٦ ـ ٤٨) .

إِذَا ٱلْقَوْمُ أَمُّوا بَيْتَهُ فَهْوَ عَامِدٌ   لِأَحْسَنِ مَا ظَنُّوا بِهِ فَهْوَ فَاعِلُهْ
تَرَىٰ جَازِرَيْهِ يُرْعِدَانِ وَنَارُهُ   عَلَيْهَا عَدَامِيلُ ٱلْهَشِيمِ وَصَامِلُهْ
يَجُرَّانِ ثِنْياً خَيْرُهَا عَظْمُ جَارِهِ   بَصِيراً بِهَا لَمْ تَعْدُ عَنْهَا مَشَاغِلُهْ

البآدلُ : جمعُ بأدلةٍ بتثليثِ أوَّلِهِ ؛ وهوَ اللحمُ حوالَ الثدي ، وقولُها : (**وإمَّا تولَّىٰ**) أي : أعرضَ غضباً ، في مقابلةِ حالِ الرضا المدلولِ عليها بالتبسُّمِ ، **وأشعثُ الرأسِ جافلُهُ** : صفةُ الغضبانِ المتهيّئِ للحربِ ، **وجافلُهُ** : تأكيدٌ لأشعثَ ، **والعذوَّرُ** : السّيئُ الخلقِ ، وأرادَتْ أنَّهُ سريعٌ في تهيئةِ القِرىٰ ، وارتعادُ الجازرَينِ إمَّا مِنْ خوفِهِ ، أو مِنَ البردِ في وقتِ الشِّدَّةِ والاحتياجِ ، **والعداميلُ** : جمعُ عدمولٍ ؛ القديمُ ، **والصَّاملُ** : اليابسُ ؛ أي : هوَ مُعَدٌّ دائماً لنارِ القِرىٰ ، وقولُها : (**خيرُها عَظْمُ جارِهِ**) أرادَتْ أنَّ خيرَ ما فيها هوَ العظمُ بلحمِهِ الذي يُهدىٰ للجارِ ؛ كالذِّراعِ مثلاً ، وقولُها : (**بصيراً**) أي : يذبحُها عامداً لا غلطاً فهوَ يَتخيَّرُ للقِرىٰ .

انتهى المنقولُ مِنْ بابِ الرثاءِ .

[نبذةٌ من أشعارِ الأدبِ والفضائلِ من « ديوانِ الحماسةِ »]

وهٰذهِ جملةٌ مِنْ بابِ الأدبِ ؛ وهيَ أشعارٌ تُنبِّهُ على الفضائلِ الإنسانيَّةِ ؛ مثلِ كتمانِ السرِّ ، والمحافظةِ علىٰ حقوقِ الصَّداقةِ .

قالَ مسكينٌ الدارميُّ (١) :   [من الطويل]

وَفِتْيَانِ صِدْقٍ لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ   عَلَىٰ سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جِمَاعُهَا
لِكُلِّ ٱمْرِئٍ شِعْبٌ مِنَ ٱلْقَلْبِ فَارِغٌ   وَمَوْضِعُ نَجْوَىٰ لَا يُرَامُ ٱطِّلَاعُهَا

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٧٥) .

يَظَلُّونَ شَتَّىٰ فِي ٱلْبِلَادِ وَسِرُّهُمْ إِلَىٰ صَخْرَةٍ أَعْيَا ٱلرِّجَالَ ٱنْصِدَاعُهَا

وقالَ المرارُ بنُ سعيدٍ[١] : [من الطويل]

إِذَا شِئْتَ يَوْماً أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةً فَبِٱلْحِلْمِ سُدْ لَا بِٱلتَّسَرُّعِ وَٱلشَّتْمِ

وَلَلْحِلْمُ خَيْرٌ فَٱعْلَمَنَّ مَغَبَّةً مِنَ ٱلْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تُشَمَّسَ مِنْ ظُلْمِ

وقالَ شبيبُ بنُ البرصاءِ المريُّ ـ يُقالُ : إنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ خطبَ البرصاءَ هٰذهِ مِنْ أبيها ، فقالَ : لا أرضاها لكَ يا رسولَ اللهِ ؛ فإنَّ بها برصاً ، وليسَ بها برصٌ ، فعادَ فوجدَها قد برصَتْ[٢] ـ : [من الطويل]

وَإِنِّي لَتَرَّاكُ ٱلضَّغِينَةِ قَدْ بَدَا ثَرَاهَا مِنَ ٱلْمَوْلَىٰ فَلَا أَسْتَثِيرُهَا

مَخَافَةَ أَنْ تَجْنِي عَلَيَّ وَإِنَّمَا يَهِيجُ كَبِيرَاتِ ٱلْأُمُورِ صَغِيرُهَا

لَعَمْرِي لَقَدْ أَشْرَفْتُ يَوْمَ عُنَيْزَةٍ عَلَىٰ رَغْبَةٍ لَوْ شَدَّ نَفْسِي مَرِيرُهَا

تَبَيَّنُ أَعْقَابُ ٱلْأُمُورِ إِذَا مَضَتْ وَتُقْبِلُ أَشْبَاهاً عَلَيْكَ صُدُورُهَا

إِذَا ٱفْتَخَرَتْ سَعْدُ بْنُ ذُبْيَانَ لَمْ تَجِدْ سِوَىٰ مَا ٱبْتَنَيْنَا مَا يَعُدُّ فَخُورُهَا

أَلَمْ تَرَ أَنَّا نُورُ قَوْمٍ وَإِنَّمَا يُبَيِّنُ فِي ٱلظَّلْمَاءِ لِلنَّاسِ نُورُهَا

مِنَ الأدبِ : الحزمُ ، ومِنَ الحزمِ : الإغضاءُ عنِ الصغيرِ إذا كانَ يهيجُ كبيراً .

وقالَ معنُ بنُ أوسٍ[٣] : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ عَلَىٰ أَيِّنَا تَعْدُو ٱلْمَنِيَّةُ أَوَّلُ

وَإِنِّي أَخُوكَ ٱلدَّائِمُ ٱلْعَهْدِ لَمْ أَخُنْ إِنَ ٱبْزَاكَ خَصْمٌ أَوْ نَبَا بِكَ مَنْزِلُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٧٦) .

(٢) انظر « شرح الزرقاني على المواهب » (٤/٤٥٣) ، و« شرح ديوان الحماسة » (٣/٧٧ ـ ٧٨) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٧٨ ـ ٨٠) .

أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتَ مِنْ ذِي عَدَاوَةٍ وَأَحْبِسُ مَالِي إِنْ عَزَمْتَ فَأَعْقِلُ
وَإِنْ سُؤْتَنِي يَوْماً صَفَحْتُ إِلَىٰ غَدٍ لِيُعْقِبَ يَوْماً مِنْكَ آخَرُ مُقْبِلُ
كَأَنَّكَ تَشْفِي مِنْكَ دَاءَ مَسَاءَتِي وَسُخْطِي وَمَا فِي رِيبَتِي مَا تَعَجَّلُ
وَإِنِّي عَلَىٰ أَشْيَاءَ مِنْكَ تُرِيبُنِي قَدِيماً لَذُو صَفْحٍ عَلَىٰ ذَاكَ مُجْمِلُ
سَتَقْطَعُ فِي ٱلدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي يَمِينَكَ فَٱنْظُرْ أَيَّ كَفٍّ تَبَدَّلُ
وَفِي ٱلنَّاسِ إِنْ رَثَّتْ حِبَالُكَ وَاصِلٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ عَنْ دَارِ ٱلْقِلَىٰ مُتَحَوَّلُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَىٰ طَرَفِ ٱلْهِجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ
وَيَرْكَبُ حَدَّ ٱلسَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيمَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ ٱلسَّيْفِ مَزْحَلُ
وَكُنْتُ إِذَا مَا صَاحِبٌ رَامَ ظِنَّتِي وَبَدَّلَ سُوءاً بِٱلَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ
قَلَبْتُ لَهُ ظَهْرَ ٱلْمِجَنِّ فَلَمْ [أَدُمْ] عَلَىٰ ذَاكَ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ
إِذَا ٱنْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ ٱلشَّيْءِ لَمْ تَكَدْ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ آخِرَ ٱلدَّهْرِ تُقْبِلُ

قولُهُ : (إنَ ٱبزاكَ) أي : قهرَكَ ، أُلقِيَتْ حركةُ الهمزةِ على النونِ ، ومزحلُ : مِنْ زحلَ بمعنىٰ تأخَّرَ وبَعُدَ ، وقولُهُ : (**وما في ريبتي ما تعجلُ**) أي : ليسَ في إساءتي شفاءُ دائِكَ الذي تَتعجَّلُهُ ، أخرجَهُ بعدَ التظنُّنِ إلى التحقيقِ .

وقالَ عمرُو بنُ قميئةَ (١) : [من المنسرح]

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى ٱلشَّبَابِ وَلَمْ أَفْقِدْ بِهِ إِذْ فَقَدْتُهُ أَمَمَا
إِذْ أَسْحَبُ ٱلرَّيْطَ وَٱلْمُرُوطَ إِلَىٰ أَدْنَىٰ تِجَارِي وَأَنْفُضُ ٱللِّمَمَا
لَا تُغْبِطِ ٱلْمَرْءَ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَمْسَىٰ فُلَانٌ لِسِنِّهِ حَكَمَا

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٨١/٣) .

إِنْ سَـرَّهُ طُـولُ عُـمْـرِهِ فَـلَـقَـدْ ... أَضْحَىٰ عَلَى ٱلْوَجْهِ طُولُ مَا سَلِمَا

المرادُ بالتجارِ : باعةُ الخمرِ ، وقولُهُ : (لا تُغْبِطِ المرءَ) معناهُ : لا تعدَّ كونَ الإنسانِ يصيرُ لكبرِهِ واستحكامِ رأيِهِ رئيساً يُتحاكَمُ إليهِ مِنْ جليلِ النعمِ بعدَ نعمةِ الشبابِ ، والأدبُ في هٰذهِ الأبياتِ : أنَّهُ أشارَ إلىٰ أنَّهُ ينبغي أن يكونَ الشبابُ ـ وإن لها فيهِ الإنسانُ ما لها ـ بالتعقُّلِ وضبطِ ما يمرُّ مِنَ الأحوالِ ؛ ذريعةً لأن يعتاضَ الإنسانُ مِنْ لذاتِهِ شرفَ الرئاسةِ إذا فارقَهُ ؛ كقولِ الآخرِ (١) : [من البسيط]

إِنَّ ٱلشَّـبَـابَ ٱلَّـذِي مَـجْـدٌ عَـوَاقِـبُـهُ ... فِـيـهِ نَـلَـذُّ وَلَا لَـذَّاتَ لِـلـشِّـيـبِ

كأنَّهُ لم يعتبرْ مَنْ فرَّطَ في شبابِهِ حتىٰ ساءَتْ آخرتُهُ شيئاً مذكوراً .

وقالَ إياسُ بنُ القائفِ (٢) : [من الطويل]

تُـقِـيـمُ ٱلـرِّجَـالُ ٱلْأَغْـنِـيَـاءُ بِـأَرْضِـهِـمْ ... وَتَرْمِي ٱلنَّوَىٰ بِٱلْمُقْتِرِينَ ٱلْمَرَامِيَا

فَـأَكْـرِمْ أَخَـاكَ ٱلـدَّهْـرَ مَـا دُمْـتُـمَـا مَـعـاً ... كَـفَـىٰ بِـٱلْـمَـمَـاتِ فُـرْقَـةً وَتَـنَـائِـيَـا

إِذَا زُرْتُ أَرْضـاً بَـعْـدَ طُـولِ ٱجْـتِـنَـابِـهَـا ... فَـقَـدْتُ صَـدِيـقِـي وَٱلْـبِـلَادُ كَـمَـا هِـيَـا

وقالَ ربيعةُ بنُ مقرونٍ الضَّبيُّ (٣) : [من الوافر]

وَكَـمْ مِـنْ حَـامِـلٍ لِـي ضَـبَّ ضِـغْـنٍ ... بَـعِـيـدٍ قَـلْـبُـهُ حُـلْـوِ ٱلـلِّـسَـانِ

وَلَـوْ أَنِّـي أَشَـاءُ نَـقَـمْـتُ مِـنْـهُ ... بِـشَـغْـبٍ أَوْ لِـسَـانٍ تَـيِّـحَـانِ

وَلَـٰكِـنِّـي وَصَـلْـتُ ٱلْـحَـبْـلَ مِـنْـهُ ... مُـوَاصَـلَـةً بِـحَـبْـلِ أَبِـي بَـيَـانِ

وَضَـمْـرَةَ إِنَّ ضَـمْـرَةَ خَـيْـرُ جَـارٍ ... عَـلِـقْـتُ لَـهُ بِـأَسْـبَـابٍ مِـتَـانِ

---

(١) انظر « خزانة الأدب » (٤/٢٧) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٨١ ـ ٨٢) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٨٢ ـ ٨٣) .

هِجَانُ ٱلْحَيِّ كَٱلذَّهَبِ ٱلْمُصَفَّىٰ صَبِيحَةَ دِيمَةٍ يَجْنِيهِ جَانِ

هجانُ الحيِّ : كريمُهُ وخالصُهُ ، **والذهبُ المُصفَّىٰ** ؛ أي : بخلقتِهِ ، ويكونُ مستوراً بالأغبرةِ ، فإذا دامَ المطرُ علىٰ معدنِهِ . . أزالَ الأغبرةَ فانكشفَ ، فتجنيهِ جناتُهُ ، وذكرَ أنَّ أبا بيانٍ وضمرةَ صديقاهُ خالصا الصداقةِ والأدبِ .

في الشعرِ التنبيهُ علىٰ أنَّهُ ينبغي أن يَعرِفَ الإنسانُ عدوَّهُ مِنْ صديقِهِ ، ثمَّ يَعرِفَ للصديقِ حقَّهُ ، ويداريَ العدوَّ على احتراسِهِ منهُ ، ومِنْ كلامِ الناسِ : اللبيبُ مَنْ [دارىٰ] (١) .

ويُروىٰ : أنَّ عيينةَ بنَ حصنٍ الفزاريَّ دخلَ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ قبلَ أن يُؤمَرَ بحجابِ النساءِ ، فلمحَ عائشةَ ، فسألَهُ عنها ، فقالَ : « هِيَ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ » ، فقالَ عيينةُ : أتنزلُ لي عنها وأنزلُ لكَ عن أجملِ نساءِ العالمِ ؟ فقالَ لهُ النبيُّ : « ذَٰلِكَ لَا يَكُونُ فِي ٱلْإِسْلَامِ » ، فلم يزلْ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ مُكرِماً لهُ ، فلمَّا خرجَ مِنْ عندِهِ . . قالَ النبيُّ : « بِئْسَ ٱلرَّجُلُ وَعَشِيرَتُهُ » ، فقالَتْ عائشةُ : أليسَتْ هـٰذهِ الغِيبةَ ؟ فقالَ : « لَا ؛ إِنَّهُ ٱلْأَحْمَقُ ٱلْمُطَاعُ فِي قَوْمِهِ ، وَإِنَّا لَنَبَشُّ فِي وُجُوهِ قومٍ وَقُلُوبُنَا تَلْعَنُهُمْ » (٢) ، فَنبَّهَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ على استعمالِ المداراةِ ، فهيَ سُنَّةٌ ، فينبغي للإنسانِ ألَّا يَتخذَ عدوّاً .

وقولُهُ في الشعرِ : (**بشغبٍ أو لسانٍ تيحانٍ**) الشغبُ : المصاحبةُ في الجدالِ ، والتيحانُ : الذي يَعرِضُ لِمَا لا يعنيهِ ، وقولُهُ : (**وصلتُ الحبلَ منهُ . . .**) إلىٰ آخرِهِ ، معناهُ : قرنتُهُ علىٰ معرفةِ عداوتِهِ بالصديقِ الذي أنا مُتحقِّقٌ مِنْ صداقتِهِ ، فهُما في المعاملةِ سواءٌ .

---

(١) في الأصل : (دار) .

(٢) انظر « شرح المواهب » للزرقاني (٣/٢٢) .

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ همَّامٍ السَّلوليُّ (١) ، وقد سعىٰ بهِ ساعٍ عندَ زيادِ بنِ أبي سفيانَ ، فقالَ لهُ : هجاكَ ، فقالَ أجمعُ بينَكُما ، فقالَ : افعلْ ، فأحضرَ عبدَ اللهِ وقالَ لهُ : هجوتَني ، فأنكرَ ، فقالَ : هٰذا أخبرَني ، فسكتَ قليلاً ، ثمَّ خاطبَ الرجلَ بقولِهِ : [من الطويل]

وَأَنْتَ ٱمْرُؤٌ إِمَّا ٱئْتَمَنْتُكَ خَالِياً ... فَخُنْتَ وَإِمَّا قُلْتَ قَوْلاً بِلَا عِلْمِ
فَأَنْتَ مِنَ ٱلْأَمْرِ ٱلَّذِي كَانَ بَيْنَنَا ... بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ ٱلْخِيَانَةِ وَٱلْإِثْمِ

رأيتُ لبعضِ الناسِ اعتراضاً علىٰ هٰذا التقسيمِ ، فقالَ : إنَّ ٱلخيانةَ إثمٌ ، فلم تَصِحَّ المقابلةُ !! وليسَ كما رأىٰ ؛ فإنَّ الشاعرَ أرادَ إدارةَ الأمرِ بينَ صدقٍ قبيحٍ لِمَا فيهِ مِنَ الخيانةِ ، وبينَ كذبٍ ، والكذبُ ولو علىٰ سبيلِ الاحتمالِ قبيحٌ ، وعَبَّرَ عنِ الكذبِ بالإثمِ ؛ فإنَّهُ لا شبهةَ في كونِهِ إثماً ، بخلافِ حالةِ الخيانةِ ؛ فإنَّ فيها شبهةَ الصدقِ ، فهوَ كلامٌ متينٌ صادرٌ عن تعقُّلٍ صحيحٍ ، فقولُ المرءِ ما لم يعلمْ وإن وافقَ الواقعَ ، واتفقَ كونُهُ صواباً . . ذميمٌ سيِّئٌ .

وقالَ سالمُ بنُ وابصةَ الأسديُّ (٢) : [من الطويل]

أُحِبُّ ٱلْفَتَىٰ يَنْفِي ٱلْفَوَاحِشَ سَمْعُهُ ... كَأَنَّ بِهِ عَنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ وَقْرَا
سَلِيمُ دَوَاعِي ٱلصَّدْرِ لَا بَاسِطاً أَذىً ... وَلَا مَانِعاً خَيْراً وَلَا قَائِلاً هُجْرَا
إِذَا شِئْتَ أَن تُدْعَىٰ كَرِيماً مُكَرَّماً ... أَدِيباً ظَرِيفاً عَاقِلاً مَاجِداً حُرَّا
إِذَا مَا أَتَتْ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ ... فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالاً لِزَلَّتِهِ عُذْرَا
غِنَى ٱلنَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ خَلَّةٍ ... فَإِنْ زَادَ شَيْئاً عَادَ ذَاكَ ٱلْغِنَىٰ فَقْرَا

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٨٤/٣ ـ ٨٥) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٨٥/٣ ـ ٨٦) .

يشبهُ البيتُ الأخيرُ قولَ المتنبي [1] : [من الطويل]

وَمَنْ يُنْفِقِ ٱلسَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ ... مَخَافَةَ فَقْرٍ فَٱلَّذِي فَعَلَ ٱلْفَقْرُ

والمعنىٰ : أنَّ مَنِ اشتغلَ بتربيةِ المالِ وتنميتِهِ . . لم يكنْ لهُ وقتٌ لاكتسابِ الفضائلِ واغتنامِ اللذاذاتِ ، فكانَ فقيراً مِنْ ذٰلكَ ، فالمُوفَّقُ يكونُ لهُ مِنَ العيشِ ما لا يحتاجُ معَهُ ، ثمَّ يَصرِفُ الأوقاتَ بعدُ في تتميمِ الإنسانيةِ .

وقالَ عقيلُ بنُ علفةَ المريُّ [2] : [من الطويل]

وَلِلدَّهْرِ أَثْوَابٌ فَكُنْ فِي ثِيَابِهِ ... كَلِبْسَتِهِ يَوْماً أَجَدَّ وَأَخْلَقَا

وَكُنْ أَكْيَسَ [ٱلْكَيْسَىٰ] إِذَا كُنْتَ فِيهِمُ ... وَإِنْ كُنْتَ فِي ٱلْحَمْقَىٰ فَكُنْ أَنْتَ أَحْمَقَا

يُروىٰ عنِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ مثلُ هٰذا ؛ وهوَ قولُهُ [3] : [من الطويل]

وَأَنْزَلَنِي طُولُ ٱلنَّوَىٰ دَارَ غُرْبَةٍ ... يُصَاحِبُنِي فِيهَا ٱلَّذِي لَا أُشَاكِلُهْ

أُحَامِقُهُ حَتَّىٰ يُقَالُ سَجِيَّةٌ ... وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أُعَاقِلُهْ

وقالَ بعضُ الفزاريينَ [4] : [من البسيط]

أَكْنِيهِ حِينَ أُنَادِيهِ لِأُكْرِمَهُ ... وَلَا أُلَقِّبُهُ وَٱلسَّوْءَةُ ٱللَّقَبُ

كَذَاكَ أُدِّبْتُ حَتَّىٰ صَارَ مِنْ خُلُقِي ... أَنِّي وَجَدْتُ مِلَاكُ ٱلشِّيمَةِ ٱلْأَدَبُ

قولُهُ : (أني وجدتُ) هوَ علىٰ أنَّ المفعولَ الأولَ ضميرُ الشأنِ ، والجملةُ هيَ المفعولُ الثاني ، أو هوَ علىٰ حذفِ لامِ الابتداءِ المُعلِّقةِ للفعلِ عنِ العملِ ؛ لأنَّهُ متىٰ تَقدَّمَ الفعلُ . . لم يَجُزْ إلغاؤُهُ .

---

(١) تقدم (٢/١٦٨) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٨٦) .

(٣) انظر « مناقب الشافعي » (٢/٨١) .

(٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٨٧) .

وقالَ رجلٌ مِنْ بني قريعٍ [1] : [من الطويل]

مَتَىٰ مَا يَرَى ٱلنَّاسُ ٱلْغَنِيَّ وَجَارُهُ ... فَقِيرٌ يَقُولُوا عَاجِزٌ وَجَلِيدُ
وَلَيْسَ ٱلْغِنَىٰ وَٱلْفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ ٱلْفَتَىٰ ... وَلَـٰكِنْ أَحَاظٍ قُسِّمَتْ وَجُدُودُ
إِذَا ٱلْمَرْءُ أَعْيَتْهُ ٱلْمُرُوءَةُ نَاشِئاً ... فَمَطْلَبُهَا كَهْلاً عَلَيْهِ شَدِيدُ
وَكَائِنْ رَأَيْنَا مِنْ غَنِيٍّ مُذَمَّمٍ ... وَصُعْلُوكِ قَوْمٍ مَاتَ وَهْوَ حَمِيدُ

وقالَ آخَرُ [2] : [من الطويل]

أَضْحَتْ أُمُورُ ٱلنَّاسِ يَغْشَيْنَ عَالِماً ... بِمَا يُتَّقَىٰ مِنْهَا وَمَا يُتَعَمَّدُ
جَدِيرٌ بِأَلَّا أَسْتَكِينَ وَلَا أَرَىٰ ... إِذَا ٱلْأَمْرُ وَلَّىٰ مُدْبِراً أَتَبَلَّدُ

أرادَ **بالعالمِ** : نفسَهُ ، فهوَ علىٰ تقديرِ : يغشينَ منِّي عالماً ، **والتبلُّدُ** : مأخوذٌ مِنْ بلدةِ الصدرِ لنقرتِهِ وما حولَها ؛ فإنَّ المُتحيِّرَ ربَّما يضربُ بلدةَ صدرِهِ ، كما يُقالُ : يقرعُ سنَّهُ ندماً .

وقالَ آخَرُ [3] : [من الطويل]

وَإِنَّكَ لَا تَدْرِي إِذَا جَاءَ سَائِلٌ ... أَأَنْتَ بِمَا تُعْطِيهِ أَمْ هُوَ أَسْعَدُ
عَسَىٰ سَائِلٌ ذُو حَاجَةٍ إِنْ مَنَعْتَهُ ... مِنَ ٱلْيَوْمِ سُؤْلاً أَنْ يَكُونَ لَهُ غَدُ
وَفِي كَثْرَةِ ٱلْأَيْدِي لِذِي ٱلْجَهْلِ زَاجِرٌ ... وَلَلْحِلْمُ أَبْقَىٰ لِلرِّجَالِ وَأَعْوَدُ

غدُ : اسمُ يكونُ ؛ يعني : عسىٰ أن يكونَ السائلُ الذي عليهِ الأوقاتُ الحاضرةُ تكونُ لهُ الأوقاتُ المستقبلةُ ؛ كقولِهِ : [من المتقارب]

فَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا ... وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسَرّْ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٨٨) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٨٨) .
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٨٨ ـ ٨٩) .

وعنىٰ بكثرةِ الأيدي كثرةَ الإخوانِ ؛ مِنْ قولِهم : المرءُ قليلٌ بنفسِهِ ، كثيرٌ بإخوانِهِ ، ففي كثرةِ الإخوانِ العزُّ وامتناعُ الجانبِ ؛ بحيثُ يكونُ ذٰلكَ زاجراً للجاهلِ ، قاطعاً لطمعِهِ في البطشِ بكثيرِ الإخوانِ ، قَالَ آخَرُ في هٰذا المعنىٰ وهوَ أظهرُ (١) : [من الطويل]

عَلَيْكَ بِإِخْوَانِ ٱلصَّفَاءِ فَإِنَّهُمْ ... عِمَادٌ إِذَا ٱسْتَنْجَدْتَهُمْ وَظُهُورُ
وَإِنَّ قَلِيلاً أَلْفُ خِلٍّ وَصَاحِبٍ ... وَإِنَّ عَدُوّاً وَاحِداً لَكَثِيرُ

وقالَ آخَرُ (٢) : [من الطويل]

وَإِيَّاكَ وَٱلْأَمْرَ ٱلَّذِي إِنْ تَوَسَّعَتْ ... مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ ٱلْمَصَادِرُ
فَمَا حَسَنٌ أَنْ يَعْذِرَ ٱلْمَرْءُ نَفْسَهُ ... وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ ٱلنَّاسِ عَاذِرُ

وقالَ العباسُ بنُ مرداسٍ (٣) : [من الوافر]

تَرَى ٱلرَّجُلَ ٱلنَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ ... وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ مَزِيرُ
وَيُعْجِبُكَ ٱلطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ ... فَيُخْلِفُ ظَنَّكَ ٱلرَّجُلُ ٱلطَّرِيرُ
فَمَا عِظَمُ ٱلرِّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ ... وَلٰكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرُ
بُغَاثُ ٱلطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاخاً ... وَأُمُّ ٱلصَّقْرِ مِقْلَاتٌ نَزُورُ
ضِعَافُ ٱلطَّيْرِ أَطْوَلُهَا جُسُوماً ... وَلَمْ تَطُلِ ٱلْبُزَاةُ وَلَا ٱلصُّقُورُ
لَقَدْ عَظُمَ ٱلْبَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ ... فَلَمْ يَسْتَغْنِ بِٱلْعِظَمِ ٱلْبَعِيرُ
يُصَرِّفُهُ ٱلصَّبِيُّ بِكُلِّ وَجْهٍ ... وَيَحْبِسُهُ عَلَى ٱلْخَسْفِ ٱلْجَرِيرُ

(١) انظر « مناقب الشافعي » (٢/٨٣) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٨٩) .
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٨٩ ـ ٩٠) .

وَتَـضْـرِبُـهُ ٱلْـوَلِـيـدَةُ بِـٱلْـهَـرَاوَىٰ فَـلَا غِـيَـرٌ لَـدَيْـهِ وَلَا نَـكِـيـرُ
فَـإِنْ أَكُ فِـي شِـرَارِكُـمُ قَـلِـيـلاً فَـإِنِّـي فِـي خِـيَـارِكُـمُ كَـثِـيـرُ

مَزُرَ ـ مِنْ بابِ كَرُمَ ـ مَزارةً ، فهوَ مَزيرٌ ؛ أي : ظريفٌ أو شديدُ القلبِ نافذٌ ؛ وهوَ أنسبُ ، ويُروىٰ : مريرُ ؛ أي : مُمَرٌّ اسمُ مفعولٍ مِنْ أمرَّ الشيءَ ؛ أي : أحكمَهُ ، فهوَ حكيمٌ بمعنىٰ مُحكَمٍ ، وأصلُهُ : مِنْ أمرَّ الحبلَ ؛ أحكمَ فتلَهُ ، فهوَ ذو مِرَّةٍ بكسرِ أوَّلِهِ ؛ أي : قُوَّةٍ .

قالَ منظورُ بنُ سحيمٍ(١) : [من الطويل]

وَلَسْتُ بِهَاجٍ فِي ٱلْقِرَىٰ أَهْلَ مَنْزِلٍ عَلَىٰ زَادِهِمْ أَبْكِي وَأُبْكِي ٱلْبَوَاكِيَا
فَـإِمَّـا كِـرَامٌ مُـوسِـرُونَ أَتَـيْـتُـهُـمْ فَحَسْبِيَ مِنْ ذُو عِنْدَهُمْ مَا كَفَانِيَا
وَإِمَّـا كِرَامٌ مُـعْـسِـرُونَ عَـذَرْتُـهُـمْ وَإِمَّـا لِـئَـامٌ فَـأَدَّرَكْـتُ حَـيَـائِـيَـا
وَعِرْضِيَ أَبْقَىٰ مَا ٱدَّخَرْتُ ذَخِيرَةً وَبَـطْـنِـيَ أَطْـوِيـهِ كَـطَـيِّ رِدَائِـيَـا

قولُهُ : (علىٰ زادِهِم أبكي) هوَ استهزاءٌ بمَنْ يطعنُ على الناسِ ، ويصفُهُم بالبخلِ ، ويشتكي منهُمُ الحرمانَ ؛ فإنَّ الناسَ بينَ كريمٍ ولئيمٍ ، فالكريمُ مشكورٌ أو معذورٌ ، واللئيمُ لا يقصدُ في حاجةٍ ، ومَنْ غلطَ فقصدَهُ أو تعمَّدَ قصدَهُ . . فعلىٰ نفسِهِ يلومُ ؛ حيثُ لم يَتأمَّلْ ، أو وضعَ حاجتَهُ في غيرِ موضعٍ ، فهوَ احتجاجٌ قاطعٌ لعذرِ الهاجي .

وقالَ آخَرُ(٢) : [من الوافر]

وَأُعْـرِضُ عَـنْ مَـطَـاعِـمَ قَـدْ أَرَاهَـا فَـأَتْـرُكُـهَـا وَفِـي بَـطْـنِـي ٱنْـطِـوَاءُ
فَلَا وَأَبِـيـكَ مَـا فِـي ٱلْـعَـيْـشِ خَـيْـرٌ وَلَا ٱلـدُّنْـيَـا إِذَا ذَهَـبَ ٱلْـحَـيَـاءُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩١/٣ ـ ٩٢) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩٣/٣) .

يَعِيشُ ٱلْمَرْءُ مَا ٱسْتَحْيَا بِخَيْرٍ ... وَيَبْقَى ٱلْعُودُ مَا بَقِيَ ٱللِّحَاءُ

قولُهُ : (**وأُعِرضُ عن مطاعمَ**) هوَ كقولِ عنترةَ [١] : [من الكامل]

وَلَقَدْ أَبِيتُ عَلَى ٱلطَّوَىٰ وَأَظَلُّهُ ... حَتَّىٰ أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ ٱلْمَأْكَلِ

يُروىٰ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا أُنشِدَ قصيدةَ هٰذا البيتِ . . أظهرَ استحسانَهُ ، وقالَ : « **مَا وُصِفَ لِي أَعْرَابِيٌّ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرَاهُ إِلَّا عَنْتَرَةَ** » .

وقالَ مالكُ بنُ حريمٍ الهَمْدانيُّ [٢] : [من الطويل]

أُنَبِّئْتُ وَٱلْأَيَّامُ ذَاتُ تَجَارِبٍ ... وَتُبْدِي لَكَ ٱلْأَيَّامُ مَا لَسْتَ تَعْلَمُ

بِأَنَّ ثَرَاءَ ٱلْمَالِ يَنْفَعُ رَبَّهُ ... وَيُثْنِي عَلَيْهِ ٱلْحَمْدَ وَهْوَ مُذَمَّمُ

وَإِنَّ قَلِيلَ ٱلْمَالِ لِلْمَرْءِ مُفْسِدٌ ... يَحُزُّ كَمَا حَزَّ ٱلْقَطِيعُ ٱلْمُحَرَّمُ

يَرَىٰ دَرَجَاتِ ٱلْمَجْدِ لَا يَسْتَطِيعُهَا ... وَيَقْعُدُ وَسْطَ ٱلْقَوْمِ لَا يَتَكَلَّمُ

القطيعُ المُحرَّمُ : السَّوطُ الخشنُ الجافي ؛ يعني : أنَّ الفقرَ يُؤثِّرُ في صاحبِهِ تأثيرَ هٰذا السَّوطِ فيمَنْ يُضرَبُ بهِ ، وقولُهُ : (**يُثني عليهِ الحمدَ**) أي : يعطفُهُ .

وقالَ محمدُ بنُ بشيرٍ [٣] : [من البسيط]

مَاذَا يُكَلِّفُكَ ٱلرَّوْحَاتِ وَٱلدُّلَجَا ... ٱلْبَرَّ طَوْراً وَطَوْراً تَرْكَبُ ٱللُّجَجَا

كَمْ مِنْ فَتىً قَصُرَتْ فِي ٱلرِّزْقِ خُطْوَتُهُ ... أَلْفَيْتَهُ بِسِهَامِ ٱلرِّزْقِ قَدْ فَلَجَا

إِنَّ ٱلْأُمُورَ إِذَا ٱنْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا ... فَٱلصَّبْرُ يَفْتَقُ مِنْهَا كُلَّ مَا ٱرْتَتَجَا

---

(١) انظر « ديوان عنترة العبسي » (ص ٢٤٩) ، و« شرح الشفا » (١/ ٢١١) للملا علي القاري .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/ ٩٦ ـ ٩٧) .
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/ ٩٧ ـ ٩٨) .

لَا تَيْئَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ إِذَا ٱسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَىٰ فَرَجَا
أَخْلِقْ بِذِي ٱلصَّبْرِ أَنْ يَحْظَىٰ بِحَاجَتِهِ وَمُدْمِنِ ٱلْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا
قَدِّرْ لِرِجْلِكَ قَبْلَ ٱلْخَطْوِ مَوْضِعَهَا فَمَنْ عَلَا زَلَقاً عَنْ غِرَّةٍ زَلَجَا
وَلَا يَغُرَّنْكَ صَفْوٌ أَنْتَ شَارِبُهُ فَرُبَّمَا كَانَ بِٱلتَّكْدِيرِ مُمْتَزِجَا

ليسَ قولُهُ : (ماذا يُكلِّفُكَ . . .) البيتَ . . تثبيطاً عنِ السعيِ وإدامةِ الحركةِ في الطَّلبِ ، وإنَّما هوَ نهيٌ عن كثرةِ الإطرابِ بغيرِ تأمُّلِ جادَّةِ الطريقِ التي يغلبُ على الظنِّ إيصالُها للمَقصِدِ كما هوَ مدلولُ جميعِ الشعرِ ، فحقيقةُ معناهُ : أنَّهُ ينبغي للإنسانِ أن يسعىٰ سعياً حسناً مقروناً بالتبصُّرِ والصَّبرِ في تحصيلِ المرغوبِ .

وقالَ محمدٌ الكنديُّ المُلقَّبُ بالمُقنَّعِ [1] : [من الطويل]

يُعَاتِبُنِي فِي ٱلدَّيْنِ قَوْمِي وَإِنَّمَا دُيُونِيَ فِي أَشْيَاءَ تُكْسِبُهُمْ حَمْدَا
أَسُدُّ بِهِ مَا قَدْ أَخَلُّوا وَضَيَّعُوا ثُغُورَ حُقُوقٍ مَا أَطَاقُوا لَهَا سَدَّا
وَفِي جَفْنَةٍ مَا يُغْلَقُ ٱلْبَابُ دُونَهَا مُكَلَّلَةٍ لَحْماً مُدَفَّقَةٍ ثُرْدَا
وَفِي فَرَسٍ نَهْدٍ عَتِيقٍ جَعَلْتُهُ حِجَاباً لِبَيْتِي ثُمَّ أَخْدَمْتُهُ عَبْدَا
وَإِنَّ ٱلَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمُخْتَلِفٌ جِدَّا
فَإِنْ أَكَلُوا لَحْمِي وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدَا
وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ وَإِنْ هُمْ هَوُوا غَيِّي هَوِيتُ لَهُمْ رُشْدَا
وَإِنْ زَجَرُوا طَيْراً بِنَحْسٍ تَمُرُّ بِي زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْراً تَمُرُّ بِهِمْ سَعْدَا
وَلَا أَحْمِلُ ٱلْحِقْدَ ٱلْقَدِيمَ عَلَيْهِمُ وَلَيْسَ رَئِيسُ ٱلْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ ٱلْحِقْدَا

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٠٠ ـ ١٠١) .

لَهُمْ جُلُّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غِنىً ... وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أُكَلِّفْهُمُ رِفْدَا

وَإِنِّي لَعَبْدُ ٱلضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلاً ... وما شِيمَةٌ لِي غَيْرَهَا تُشْبِهُ ٱلْعَبْدَا

وقالَ رجلٌ مِنَ الفزاريينَ يُذهِبُ حسرتَهُ علىٰ قِصَرِهِ ؛ فإنَّهُم يتمدَّحون بتمامِ الأجسامِ ، كما قالَ الشاعرُ (١) : [من الطويل]

تَبَيَّنَ لِي أَنَّ ٱلْقَمَاءَةَ ذِلَّةٌ ... وَأَنَّ أَعِزَّاءَ ٱلرِّجَالِ طِيَالُهَا

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ ﴾ (٢) .

[قالَ] (٣) : [من الطويل]

إِنْ لَا يَكُنْ عَظْمِي طَوِيلاً فَإِنَّنِي ... لَهُ بِٱلْخِصَالِ ٱلصَّالِحَاتِ وَصُولُ

وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ ٱلْجُسُومِ وَنُبْلِهَا ... إِذَا لَمْ تَزِنْ حُسْنَ ٱلْجُسُومِ عُقُولُ

إِذَا كُنْتُ فِي ٱلْقَوْمِ ٱلطِّوَالِ عَلَوْتُهُمْ ... بِعَارِفَةٍ حَتَّىٰ يُقَالَ طَوِيلُ

وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ ... تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُحْيِهِنَّ أُصُولُ

وَلَمْ أَرَ كَٱلْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ ... فَحُلْوٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

وقالَ مضرسُ بنُ ربعيٍّ (٤) : [من الكامل]

إِنَّا لَنَصْفَحُ عَنْ مَجَاهِلِ قَوْمِنَا ... وَنُقِيمُ سَالِفَةَ ٱلْعَدُوِّ ٱلْأَصْيَدِ

وَمَتَىٰ نَخَفْ يَوْماً فَسَادَ عَشِيرَةٍ ... نُصْلِحْ وَإِنْ نَرَ صَالِحاً لَا نُفْسِدِ

وَإِذَا نَمَوْا صُعُداً فَلَيْسَ عَلَيْهِمُ ... مِنَّا ٱلْخَبَالُ وَلَا نُفُوسُ ٱلْحُسَّدِ

---

(١) انظر « الكامل » للمبرد (١٢٢/١) .

(٢) سورة البقرة : (٢٤٧) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠١/٣) .

(٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٢/٣) .

وَنُعِينُ فَاعِلَنَا عَلَىٰ مَا نَابَهُ حَتَّىٰ نُيَسِّرَهُ لِفِعْلِ ٱلسَّيِّدِ
وَنُجِيبُ دَاعِيَةَ ٱلصَّبَاحِ بِتَائِبٍ عَجِلِ ٱلرُّكُوبِ لِدَعْوَةِ ٱلْمُسْتَنْجِدِ
فَنَفُلُّ شَوْكَتَهَا وَنَفْثَأُ حَمْيَهَا حَتَّىٰ تَبُوخَ وَحَمْيُنَا لَمْ يَبْرُدِ
وَتَحُلُّ فِي دَارِ ٱلْحِفَاظِ بُيُوتُنَا رُتُعَ ٱلْجَمَائِلِ فِي ٱلدَّرِينِ ٱلْأَسْوَدِ

وقالَ قيسُ بنُ الخطيمِ[1] : [من الوافر]

وَمَا بَعْضُ ٱلْإِقَامَةِ فِي دِيَارٍ يُهَانُ بِهَا ٱلْفَتَىٰ إِلَّا بَلَاءُ
وَبَعْضُ خَلَائِقِ ٱلْأَقْوَامِ دَاءٌ كَدَاءِ ٱلْبَطْنِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ
يُرِيدُ ٱلْمَرْءُ أَنْ يُعْطَىٰ مُنَاهُ وَيَأْبَى ٱللهُ إِلَّا مَا يَشَاءُ
وَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِقَوْمٍ سَيَأْتِي بَعْدَ شِدَّتِهَا رَخَاءُ
وَلَا يُعْطَى ٱلْحَرِيصُ غِنىً لِحِرْصٍ وَقَدْ يَنْمِي عَلَى ٱلْجُودِ ٱلثَّرَاءُ
غَنِيُّ ٱلنَّفْسِ مَا عَمِرَتْ غَنِيٌّ وَفَقْرُ ٱلنَّفْسِ مَا عَمِرَتْ شَقَاءُ
وَلَيْسَ بِنَافِعٍ ذَا ٱلْبُخْلِ مَالٌ وَلَا مُزْرٍ بِصَاحِبِهِ ٱلسَّخَاءُ
وَبَعْضُ ٱلدَّاءِ مُلْتَمَسٌ شِفَاهُ وَدَاءُ ٱلنَّوْكِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءُ

وقالَ يزيدُ بنُ الحكمِ الثقفيُّ يعظُ ابنَهُ بدراً[2] : [من مجزوء الكامل]

يَا بَدْرُ وَٱلْأَمْثَالُ يَضْـ ـرِبُهَا لِذِي ٱللُّبِّ ٱلْحَكِيمُ
دُمْ لِلْخَلِيلِ بِوُدِّهِ مَا خَيْرُ وُدٍّ لَا يَدُومُ
وَٱعْرِفْ لِجَارِكَ حَقَّهُ وَٱلْحَقُّ يَعْرِفُهُ ٱلْكَرِيمُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٠٤) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٠٥ ـ ١٠٧) .

وَٱعْـلَـمْ بِـأَنَّ ٱلـضَّـيْـفَ يَـوْ مـاً سَـوْفَ يَـحْـمَـدُ أَوْ يَـلُـومُ
وَٱلـنَّـاسُ مُـبْـتَـنِـيَـانِ مَـحْـ ـمُـودُ ٱلْـبِـنَـايَـةِ أَوْ ذَمِـيـمُ
وَٱعْـلَـمْ بُـنَـيَّ فَـإِنَّـهُ بِـٱلْـعِـلْـمِ يَـنْـتَـفِـعُ ٱلْـعَـلِـيمُ
إِنَّ ٱلْأُمُـورَ دَقِـيـقُـهَـا مِـمَّـا يَـهِـيـجُ لَـهُ ٱلْـعَـظِـيمُ
وَٱلـتَّـبْـلُ مِـثْـلُ ٱلـدَّيْـنِ نُـقْـ ـضَـاهُ وَقَـدْ يَـلْـوِي ٱلْـغَـرِيـمُ
وَٱلْـبَـغْـيُ يَـصْـرَعُ أَهْـلَـهُ وَٱلـظُّـلْـمُ مَـرْتَـعُـهُ وَخِـيـمُ
وَلَـقَـدْ يَـكُـونُ لَـكَ ٱلْـبَـعِـيـ ـدُ أَخـاً وَيَـقْـطَـعُـكَ ٱلْـحَـمِـيمُ
وَٱلْـمَـرْءُ يُـكْـرَمُ لِـلْـغِـنَـىٰ وَيُـهَـانُ لِـلْـعَـدَمِ ٱلْـعَـدِيـمُ
قَـدْ يُـقْـتِـرُ ٱلْـحَـوِلُ ٱلـتَّـقِـيُّ وَيُـكْـثِـرُ ٱلْـحَـمِـقُ ٱلْأَثِـيـمُ
يُـمْـلَـىٰ لِـذَاكَ وَيُـبْـتَـلَـىٰ هَـٰذَا فَـأَيُّـهُـمَـا ٱلْـمَـضِـيـمُ
وَٱلْـمَـرْءُ يَـبْـخَـلُ فِـي ٱلْـحُـقُـو قِ وَلِـلْـكَـلَالَـةِ مَـا يُـسِـيـمُ
مَـا بُـخْـلُ مَـنْ هُـوَ لِـلْـمَـنُـو نِ وَرَيْـبِـهَـا غَـرَضٌ رَجِـيـمُ
وَيَـرَى ٱلْـقُـرُونَ أَمَـامَـهُ هَـمَـدُوا كَـمَـا هَـمَـدَ ٱلْـهَـشِـيـمُ
وَتَـخَـرَّبُ ٱلـدُّنْـيَـا فَـلَا بُـؤْسٌ يَـدُومُ وَلَا نَـعِـيـمُ
كُـلُّ ٱمْـرِئٍ سَـتَـئِـيـمُ مِـنْـ ـهُ ٱلْـعِـرْسُ أَوْ مِـنْـهَـا يَـئِـيـمُ
مَـا عِـلْـمُ ذِي وَلَـدٍ أَيَـثْـ ـكَـلُـهُ أَمِ ٱلْـوَلَـدُ ٱلْـيَـتِـيـمُ
وَٱلْـحَـرْبُ صَـاحِـبُـهَـا ٱلـصَّـلِـيـ ـبُ عَـلَـىٰ تَـلَاتِـلِـهَـا ٱلْـعَـزُومُ
مَـنْ لَا يَـمَـلُّ ضِـرَاسَـهَـا وَلَـدَى ٱلْـحَـقِـيـقَـةِ لَا يَـخِـيـمُ
وَٱعْـلَـمْ بِـأَنَّ ٱلْـحَـرْبَ لَا يَـسْـطِـيـعُـهَـا ٱلْـمَـرِحُ ٱلـسَّـؤُومُ

وَٱلْـخَـيْـلُ أَجْـوَدُهَـا ٱلْـمَـنَـا هِــبُ عِــنْــدَ كَــبَّــتِــهَــا ٱلْأَزُومُ

وقالَ منقذٌ الهلاليُّ (١) : [من الخفيف]

أَيُّ عَيْشٍ عَيْشِي إِذَا كُنْتُ مِنْهُ بَيْـنَ حَـلٍّ وَبَـيْـنَ وَشْـكِ رَحِـيـلِ
كُـلُّ فَـجٍّ مِـنَ ٱلْـبِـلَادِ كَـأَنِّـي طَـالِـبٌ بَـعْـضَ أَهْـلِـهِ بِـذُحُـولِ
مَـا أَرَى ٱلْـفَـضْـلَ وَٱلـتَّـكَـرُّمَ إِلَّا كَفَّكَ ٱلنَّفْسَ عَنْ طِلَابِ ٱلْفُضُولِ
وَبَـلَاءٌ حَـمْـلُ ٱلْأَيَـادِي وَأَنْ تَـسْـ ـمَعَ مَـنّـاً تُـؤْتَـىٰ بِـهِ مِـنْ مُـنِـيـلِ

وقالَ محمدُ بنُ أبي شحاذٍ الضَّبيُّ (٢) : [من الطويل]

إِذَا أَنْتَ أُعْطِيتَ ٱلْغِنَىٰ ثُمَّ لَمْ تَجُدْ بِفَضْلِ ٱلْغِنَىٰ أُلْفِيتَ مَا لَكَ حَامِدُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرِكْ بِجَنْبِكَ بَعْضَ مَا يَـرِيـبُ مِـنَ ٱلْأَدْنَـىٰ رَمَـاكَ ٱلْأَبَـاعِـدُ
إِذَا ٱلْحِلْمُ لَمْ يَغْلِبْ لَكَ ٱلْجَهْلَ لَمْ تَزَلْ عَـلَـيْـكَ بُـرُوقٌ جَـمَّـةٌ وَرَوَاعِـدُ
إِذَا ٱلْعَزْمُ لَمْ يَفْرُجْ لَكَ ٱلشَّكَّ لَمْ تَزَلْ جَنِيباً كَمَا ٱسْتَتْلَى ٱلْجَنِيبَةَ قَائِدُ
وَقَـلَّ غَـنَـاءً عَـنْـكَ مَـالٌ جَـمَـعْـتَـهُ إِذَا صَـارَ مِـيـرَاثـاً وَوَارَاكَ لَاحِـدُ
إِذَا أَنْـتَ لَـمْ تَـتْـرُكْ طَـعَـامـاً تُـحِـبُّـهُ وَلَا مَـقْـعَـداً تُـدْعَـىٰ إِلَـيْـهِ ٱلْـوَلَائِـدُ
تَـجَـلَّـلْـتَ عَـاراً لَا يَـزَالُ يَـشُـبُّـهُ سِبَابُ ٱلرِّجَالِ نَثْرُهُمْ وَٱلْقَصَائِدُ

وقالَتْ حُرَقَةُ بنتُ النعمانِ (٣) : [من الطويل]

بَيْـنَـا نَـسُـوسُ ٱلـنَّـاسَ وَٱلْأَمْـرُ أَمْـرُنَـا إِذَا نَـحْـنُ فِـيـهِـمْ سُـوقَـةٌ نَـتَـنَـصَّـفُ
فَـأُفٍّ لِـدُنْـيَـا لَا يَـدُومُ نَـعِـيـمُـهَـا تَـقَـلَّـبُ تَـارَاتٍ بِـنَـا وَتَـصَـرَّفُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٨/٣) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٨/٣ ـ ١٠٩) .
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٩/٣ ـ ١١٠) .

وقالَ الصَّلَتانُ العبديُّ [1] : [من المتقارب]

أَشَابَ ٱلصَّغِيرَ وَأَفْنَى ٱلْكَبِيـ ـرَ كَرُّ ٱلْغَدَاةِ وَمَرُّ ٱلْعَشِيّْ
إِذَا لَيْلَةٌ هَرَّمَتْ يَوْمَهَا أَتَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ يَوْمٌ فَتِيّْ
نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقَضِي
تَمُوتُ مَعَ ٱلْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَىٰ لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِي
إِذَا قُلْتَ يَوْماً لِمَنْ قَدْ تَرَىٰ أَرُونِي ٱلسَّرِيَّ أَرَوْكَ ٱلْغَنِيّْ
أَلَمْ تَرَ لُقْمَانَ أَوْصَى ٱبْنَهُ وَأَوْصَيْتُ عَمْراً فَنِعْمَ ٱلْوَصِيّْ
بُنَيَّ بَدَا خِبُّ نَجْوَى ٱلرِّجَالِ فَكُنْ عِنْدَ سِرِّكَ خَبَّ ٱلنَّجِيّْ
وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ ٱمْرِئٍ وَسِرُّ ٱلثَّلَاثَةِ غَيْرُ ٱلْخَفِيّْ

انتهى المختارُ مِنْ بابِ الأدبِ ، ويليهِ منتقىٰ بابِ النسيبِ .

[نبذةٌ من أشعارِ النسيبِ من « ديوانِ الحماسَةِ »]

النَّسيبُ : ذكرُ محاسنِ النساءِ ، والإخبارُ عن تَصرُّفِ هواهُنَّ بهِ ، وكأَنْ يَتغنَّىٰ بما يقولُهُ مِنْ ذٰلكَ ؛ ولأجلِ ذٰلكَ ترىٰ صيغةَ المصدرِ الصوتيِّ ، ويُسمَّى النسيبُ غزلاً ، **والغزلُ في الأصلِ** : ظهورُ الإنسانِ في أحوالِ الغزالِ ؛ مِنَ الملاعبةِ وخفَّةِ الحركةِ .

قالَ الصِّمَّةُ القشيريُّ ؛ وهوَ شاعرٌ غَزِلٌ هَوِيَ بنتَ عمٍّ لهُ يُقالُ لها : ريَّا ، فخطبَها إلىٰ عمِّهِ ، فزَوَّجَهُ إيَّاها علىٰ خمسينَ مِنَ الإبلِ ، فجاءَ إلىٰ أبيهِ ، فسألَهُ ذٰلكَ ، فساقَ عنه تسعاً وأربعينَ وقالَ : عمُّكَ لا يناظِرُنا بنقصانِ ناقةٍ ، فساقَها إلىٰ عمِّهِ وذكرَ لهُ ما قالَ أبوهُ ، فأبىٰ أن يقبلَها إلا كُمَّلاً ، فلجَّ أبوهُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١١١ ـ ١١٢) .

ولجَّ عمُّهُ ، فقالَ : واللهِ ؛ ما رأيتُ ألأمَ منكُما جميعاً ، وإنّي لألأمُ إن أقمتُ معَكُما ، فرحلَ إلى الشامِ ، فتتبعَتْها نفسُهُ ، فقالَ [١] ـ ومثلُ هٰذا الشعرِ مِنْ بينِ النسيبِ يُسمَّىٰ بالغراميِّ ـ : [من الطويل]

حَنَنْتَ إِلَىٰ رَيَّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ ... مَزَارَكَ مِنْ رَيَّا وَشَعْبَاكُمَا مَعَا
فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ ٱلْأَمْرَ طَائِعاً ... وَتَجْزَعَ أَنْ دَاعِي ٱلصَّبَابَةِ أَسْمَعَا
قِفَا وَدِّعَا نَجْداً وَمَنْ حَلَّ بِٱلْحِمَىٰ ... وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُوَدَّعَا
بِنَفْسِيَ تِلْكَ ٱلْأَرْضُ مَا أَطْيَبَ ٱلرُّبَا ... وَمَا أَحْسَنَ ٱلْمُصْطَافَ وَٱلْمُتَرَبَّعَا
وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ ٱلْحِمَىٰ بِرَوَاجِعٍ ... عَلَيْكَ وَلَٰكِنْ خَلِّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعَا
وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلْبِشْرَ أَعْرَضَ دُونَنَا ... وَحَالَتْ بَنَاتُ ٱلشَّوْقِ يَحْنِنَّ نُزَّعَا
بَكَتْ عَيْنِيَ ٱلْيُسْرَىٰ فَلَمَّا زَجَرْتُهَا ... عَنِ ٱلْجَهْلِ بَعْدَ ٱلْحِلْمِ أَسْبَلَتَا مَعَا
تَلَفَّتُّ نَحْوَ ٱلْحَيِّ حَتَّىٰ وَجَدْتُنِي ... وَجِعْتُ مِنَ ٱلْإِصْغَاءِ لِيتاً وَأَخْدَعَا
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ ٱلْحِمَىٰ ثُمَّ أَنْثَنِي ... عَلَىٰ كَبِدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا

وقالَ الحسينُ بنُ مطيرٍ الأسديُّ [٢] : [من الطويل]

لَقَدْ كُنْتُ جَلْداً قَبْلَ أَنْ تُوقِدَ ٱلنَّوَىٰ ... عَلَىٰ كَبِدِي جَمْراً بَطِيئاً خُمُودُهَا
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي ... إِذَا قَدُمَتْ أَيَّامُهَا وَعُهُودُهَا
فَقَدْ جَعَلَتْ فِي حَبَّةِ ٱلْقَلْبِ وَٱلْحَشَا ... عِهَادَ ٱلْهَوَىٰ تُولَىٰ بِشَوْقٍ يُعِيدُهَا
بِسُودٍ نَوَاصِيهَا وَحُمْرٍ أَكُفُّهَا ... وَصُفْرٍ تَرَاقِيهَا وَبِيضٍ خُدُودُهَا
مُخَصَّرَةُ ٱلْأَوْسَاطِ زَانَتْ عُقُودَهَا ... بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا
يُمَنِّينَنَا حَتَّىٰ تَرِفَّ قُلُوبُنَا ... رَفِيفَ ٱلْخُزَامَىٰ بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١١٣/٣ ـ ١١٤) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١١٨/٣) .

وقالَ أبو صخرٍ الهذليُّ [1] : [من الطويل]

أَمَا وَٱلَّذِي أَبْكَىٰ وَأَضْحَكَ وَٱلَّذِي ... أَمَاتَ وَأَحْيَا وَٱلَّذِي أَمْرُهُ ٱلْأَمْرُ

لَقَدْ تَرَكَتْنِي أَحْسُدُ ٱلْوَحْشَ أَنْ أَرَىٰ ... [أَلِيفَيْنِ] مِنْهَا لَا يَرُوعُهُمَا ٱلذُّعْرُ

فَيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوىً كُلَّ لَيْلَةٍ ... وَيَا سَلْوَةَ ٱلْأَيَّامِ مَوْعِدُكِ ٱلْحَشْرُ

عَجِبْتُ لِسَعْيِ ٱلدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... فَلَمَّا ٱنْقَضَىٰ مَا بَيْنَنَا سَكَنَ ٱلدَّهْرُ

وقالَ ابنُ أذينةَ [2] : [من الكامل]

إِنَّ ٱلَّتِي زَعَمَتْ فُؤَادَكَ مَلَّهَا ... خُلِقَتْ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوىً لَهَا

بَيْضَاءُ بَاكَرَهَا ٱلنَّعِيمُ فَصَاغَهَا ... بِلَبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا

حَجَبَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي ... مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا

وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ ... شَفَعَ ٱلضَّمِيرُ إِلَى ٱلْفُؤَادِ فَسَلَّهَا

وقالَ آخَرُ [3] : [من الطويل]

وَكُنْتَ إِذَا أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِداً ... لِقَلْبِكَ يَوْماً أَتْعَبَتْكَ ٱلْمَنَاظِرُ

رَأَيْتَ ٱلَّذِي لَا كُلُّهُ أَنْتَ قَادِرٌ ... عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرُ

أي : لا كلُّهُ والنفسُ لهُ طالبةٌ ، ولا عن بعضِهِ وهيَ بِهِ غيرُ قانعةٍ .

وقالَ آخَرُ [4] : [من الوافر]

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَٱلْعِيسُ تَهْوِي ... بِنَا بَيْنَ ٱلْمُنِيفَةِ فَٱلضِّمَارِ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١١٩) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٢١) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٢٢) .

(٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٢٢ ـ ١٢٣) .

تَـمَـتَّـعْ مِـنْ شَـمِـيـمِ عَـرَارِ نَـجْـدٍ　　فَـمَـا بَـعْـدَ ٱلْـعَـشِـيَّـةِ مِـنْ عَـرَارِ
أَلَا يَـا حَـبَّـذَا نَـفَـحَـاتُ نَـجْـدٍ　　وَرَيَّـا رَوْضِـهِ بَـعْـدَ ٱلْـقِـطَـارِ
وَأَهْـلُـكَ إِذْ يَـحُـلُّ ٱلْـحَـيُّ نَـجْـداً　　وَأَنْـتَ عَـلَـىٰ زَمَـانِـكَ غَـيْـرُ زَارِي
شُـهُـورٌ يَـنْـقَـضِـيـنَ وَمَـا شَـعَـرْنَـا　　بِـإِنْـصَـافٍ لَـهُـنَّ وَلَا سِـرَارِ

وقالَ عمرُ بنُ أبي ربيعةَ (١) ـ وهوَ مِنْ فتيانِ قريشٍ ، وكلُّ شعرِهِ غزلٌ ، واشتَهرَ بذٰلكَ ، ولهُ أخبارٌ ، وُلِدَ ليلةَ ماتَ عمرُ بنُ الخطابِ ، فقيلَ : أيُّ حقٍّ رُفِعَ ، وأيُّ باطلٍ وُضِعَ .

وكانَ ابنُ عباسٍ يستريحُ لاستماعِ إنشادِهِ شعرَهُ ، فكانَ ربَّما يأتيهِ وهوَ في مجلسِ استفتاءِ الناسِ إيَّاهُ ، فينصرفُ عنهُم إليهِ ، وكانَ معَ غزلِهِ وشدَّةِ كلفِهِ بمحادثةِ النساءِ عفيفاً ـ :　　[من الطويل]

وَلَـمَّـا تَـفَـاوَضْـنَـا ٱلْـحَـدِيـثَ وَأَسْـفَـرَتْ　　وُجُـوهٌ زَهَـاهَـا ٱلْـحُـسْـنُ أَنْ تَـتَـقَـنَّـعَـا
تَـبَـالَـهْـنَ بِـٱلْـعِـرْفَـانِ لَـمَّـا عَـرَفْـنَـنِـي　　وَقُـلْـنَ ٱمْـرُؤٌ بَـاغٍ أَكَـلَّ وَأَوْضَـعَـا
وَقَـرَّبْـنَ أَسْـبَـابَ ٱلْـهَـوَىٰ لِـمُـتَـيَّـمٍ　　يَـقِـيـسُ ذِرَاعـاً كُـلَّـمَـا قِـسْـنَ إِصْـبَـعَـا
وَقُـلْـتُ لِـمُـطْـرِيـهِـنَّ وَيْـحَـكَ إِنَّـمَـا　　ضَـرَرْتَ فَـهَـلْ تَـسْـطِـيـعُ نَـفْـعـاً فَـتَـنْـفَـعَـا

يُروىٰ : أنَّ عائشةَ بنتَ طلحةَ ـ وكانَتْ مِنْ أجملِ نساءِ زمانِها ، يُقالُ : إنَّ أبا هريرةَ رآها يوماً في المسجدِ وهيَ مارَّةٌ إلىٰ عائشةَ أمِّ المؤمنينَ ، فقالَ : إنَّها مِنَ الحُورِ العينِ ـ كانَتْ لا تسترُ وجهَها ، وكانَ زوجُها مصعبُ بنُ الزبيرِ يأمرُها بسترِهِ ، فتقولُ : إنَّ اللهَ وسمَني بمِيسمِ جمالٍ ، فلا أحبُّ أن أسترَ نعمةَ اللهِ عليَّ .

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٢٧) .

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ الدُّمَيْنَةِ الخثعميُّ [١] : [من الطويل]

أَلَا يَا صَبَا نَجْدٍ مَتَىٰ هِجْتَ مِنْ نَجْدِ لَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكَ وَجْداً عَلَىٰ وَجْدِ
أَإِنْ هَتَفَتْ وَرْقَاءُ فِي رَوْنَقِ ٱلضُّحَىٰ عَلَىٰ فَنَنٍ غَضِّ ٱلنَّبَاتِ مِنَ ٱلرَّنْدِ
بَكَيْتَ كَمَا يَبْكِي ٱلْوَلِيدُ وَلَمْ تَكُنْ جَلِيداً وَأَبْدَيْتَ ٱلَّذِي لَمْ تَكُنْ تُبْدِي
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ ٱلْمُحِبَّ إِذَا دَنَا يَمَلُّ وَأَنَّ ٱلنَّأْيَ يَشْفِي مِنَ ٱلْوَجْدِ
بِكُلٍّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشْفِ مَا بِنَا عَلَىٰ ذَاكَ قُرْبُ ٱلدَّارِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْبُعْدِ
عَلَىٰ أَنَّ قُرْبَ ٱلدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ مَنْ تَهْوَاهُ لَيْسَ بِذِي عَهْدِ

وقالَ آخَرُ [٢] : [من الطويل]

أَلَا طَرَقَتْنَا آخِرَ ٱللَّيْلِ زَيْنَبُ عَلَيْكِ سَلَامٌ هَلْ لِمَا فَاتَ مَطْلَبُ
وَقَالَتْ تَجَنَّبْنَا وَلَا تَقْرَبَنَّنَا وَكَيْفَ وَأَنْتُمْ حَاجَتِي أَتَجَنَّبُ
يَقُولُونَ هَلْ بَعْدَ ٱلثَّلَاثِينَ مَلْعَبٌ فَقُلْتُ وَهَلْ قَبْلَ ٱلثَّلَاثِينَ مَلْعَبُ
لَقَدْ جَلَّ خَطْبُ ٱلشَّيْبِ إِنْ كَانَ كُلَّمَا بَدَتْ شَيْبَةٌ يَعْرَىٰ مِنَ ٱللَّهْوِ مَرْكَبُ

وقالَ كثيرٌ [٣] : [من الطويل]

وَأَدْنَيْتِنِي حَتَّىٰ إِذَا مَا مَلَكْتِنِي بِقَوْلٍ يُحِلُّ ٱلْعُصْمَ سَهْلَ ٱلْأَبَاطِحِ
تَنَاهَيْتِ عَنِّي حِينَ لَا لِيَ حِيلَةٌ وَغَادَرْتِ مَا غَادَرْتِ بَيْنَ ٱلْجَوَانِحِ

وقالَ آخَرُ [٤] : [من الطويل]

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٤٥) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٤٦) .
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٤٦) .
(٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٤٨) .

سَلِي ٱلْبَانَةَ ٱلْغَيْنَاءَ بِٱلْأَجْرَعِ ٱلَّذِي ... بِهِ ٱلْبَانُ هَلْ حَيَّيْتُ أَطْلَالَ دَارِكِ
وَهَلْ قُمْتُ فِي أَطْلَالِهِنَّ عَشِيَّةً ... مَقَامَ أَخِي ٱلْبَأْسَاءِ وَٱخْتَرْتُ ذَٰلِكِ
وَهَلْ هَمَلَتْ عَيْنَايَ فِي ٱلدَّارِ غُدْوَةً ... بِدَمْعٍ كَنَظْمِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمُتَهَالِكِ
أَرَى ٱلنَّاسَ يَرْجُونَ ٱلرَّبِيعَ وَإِنَّمَا ... رَبِيعِي ٱلَّذِي أَرْجُو نَوَالُ وِصَالِكِ
أَرَى ٱلنَّاسَ يَخْشَوْنَ ٱلسِّنِينَ وَإِنَّمَا ... سِنِيَّ ٱلَّتِي أَخْشَىٰ صُرُوفُ ٱحْتِمَالِكِ
لَئِنْ سَاءَنِي أَنْ نِلْتِنِي بِمَسَاءَةٍ ... لَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكِ
لِيَهْنِكِ إِمْسَاكِي بِكَفِّي عَلَى ٱلْحَشَا ... وَرَقْرَاقُ عَيْنِي رَهْبَةً مِنْ زِيَالِكِ

الغيناءُ : الظليلةُ ، فهيَ تسترُ ما تحتَها ، ولِمَا في السَّحابِ مِنَ السترِ يُسمَّىٰ غيناً ، ومنهُ : غانَ علىٰ قلبِهِ كذا ، ويُروى : (الغَنَّاءَ) ويصفونَ الشجرَ بالغِناءِ لِمَا يُسمَعُ منهُ إذا مرَّت بهِ الرياحُ ، قالَ بعضُهُم[1] : [من الخفيف]

لِلثَّرَىٰ تَحْتَهَا سُبَاتٌ وَلِلْمَا ... ءِ خَرِيرٌ وَلِلْغُصُونِ غِنَاءُ

وقالَ آخرُ[2] : [من الطويل]

تَمَتَّعْ بِهَا مَا سَاعَفَتْكَ وَلَا تَكُنْ ... عَلَيْكَ شَجاً فِي ٱلْحَلْقِ حِينَ تَبِينُ
وَإِنْ هِيَ أَعْطَتْكَ ٱللِّيَانَ فَإِنَّهَا ... لِغَيْرِكَ مِنْ خُلَّانِهَا سَتَلِينُ
وَإِنْ حَلَفَتْ لَا يَنْقُضُ ٱلنَّأْيُ عَهْدَهَا ... فَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ ٱلْبَنَانِ يَمِينُ

وقالَ أبو بكرٍ عبدُ الرحمـٰنِ الزهريُّ[3] : [من الطويل]

وَلَمَّا نَزَلْنَا مَنْزِلاً طَلَّهُ ٱلنَّدَىٰ ... أَنِيقاً وَبُسْتَاناً مِنَ ٱلنَّوْرِ حَالِيَا

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٨/٣) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٩/٣) .
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٥/٣) .

أَجَدَّ لَنَا طِيبُ ٱلْمَكَانِ وَحُسْنُهُ ... مُنىً فَتَمَنَّيْنَا فَكُنْتِ ٱلْأَمَانِيَا

وقالَ معدانُ بنُ المضربِ الكنديُّ [١] : [من الطويل]

صَفَا وُدُّ لَيْلَىٰ مَا صَفَا ثُمَّ لَمْ نُطِعْ ... عَدُوّاً وَلَمْ نَسْمَعْ بِهِ قِيلَ صَاحِبِ

فَلَمَّا تَوَلَّىٰ وُدُّ لَيْلَىٰ لِجَانِبٍ ... وَقَوْمٍ تَوَلَّيْنَا لِقَوْمٍ وَجَانِبِ

وَكُلُّ خَلِيلٍ بَعْدَ لَيْلَىٰ يَخَافُنِي ... عَلَى ٱلْغَدْرِ أَوْ يَرْضَىٰ بِوُدٍّ مُقَارِبِ

وقالَ آخَرُ [٢] : [من الطويل]

هَلِ ٱلْحُبُّ إِلَّا زَفْرَةٌ بَعْدَ زَفْرَةٍ ... وَحَرٌّ عَلَى ٱلْأَحْشَاءِ لَيْسَ لَهُ بَرْدُ

وَفَيْضُ دُمُوعِ ٱلْعَيْنِ يَا مَيُّ كُلَّمَا ... بَدَا عَلَمٌ مِنْ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو

وقالَ يزيدُ بنُ المُنتشِرِ القشيريُّ المشهورُ بابنِ الطَّثَرِيَّةِ وهيَ أمُّهُ ؛ نُسِبَتْ لحيٍّ مِنْ قُضاعةَ يُقالُ لهُم : طَثَرٌ [٣] : [من الطويل]

عُقَيْلِيَّةٌ أَمَّا مَلَاثُ إِزَارِهَا ... فَدِعْصٌ وَأَمَّا خَصْرُهَا فَبَتِيلُ

تَقَيَّظُ أَكْنَافَ ٱلْحِمَىٰ وَيُظِلُّهَا ... بِنَعْمَانَ مِنْ وَادِي ٱلْأَرَاكِ مَقِيلُ

أَلَيْسَ قَلِيلاً نَظْرَةٌ إِنْ نَظَرْتُهَا ... إِلَيْكِ وَكَلَّا لَيْسَ مِنْكِ قَلِيلُ

فَيَا خُلَّةَ ٱلنَّفْسِ ٱلَّتِي لَيْسَ دُونَهَا ... لَنَا مِنْ أَخِلَّاءِ ٱلصَّفَاءِ خَلِيلُ

وَيَا مَنْ كَتَمْنَا حُبَّهُ لَمْ يُطَعْ بِهِ ... عَدُوٌّ وَلَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهِ دَخِيلُ

أَمَا مِنْ مَقَامٍ أَشْتَكِي غُرْبَةَ ٱلنَّوَىٰ ... وَخَوْفَ ٱلْعِدَا فِيهِ إِلَيْكِ سَبِيلُ

فَدَيْتُكِ أَعْدَائِي كَثِيرٌ وَشُقَّتِي ... بَعِيدٌ وَأَشْيَاعِي لَدَيْكِ قَلِيلُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٥٥) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٥٨ ـ ١٥٩) .
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٦١ ـ ١٦٣) .

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ جِئْتُ بِعِلَّةٍ ... فَأَفْنَيْتُ عِلَّاتِي فَكَيْفَ أَقُولُ
فَمَا كُلَّ يَوْمٍ لِي بِأَرْضِكِ حَاجَةٌ ... وَلَا كُلَّ يَوْمٍ لِي إِلَيْكِ رَسُولُ
صَحَائِفُ عِنْدِي لِلْعِتَابِ طَوَيْتُهَا ... سَتُنْشَرُ يَوْماً وَٱلْعِتَابُ طَوِيلُ
فَلَا تَحْمِلِي ذَنْبِي وَأَنْتِ ضَعِيفَةٌ ... فَحَمْلُ دَمِي يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ثَقِيلُ

وقالَ آخَرُ (١) : [من الكامل]

بَيْضَاءُ آنِسَةُ ٱلْحَدِيثِ كَأَنَّهَا ... قَمَرٌ تَوَسَّطَ جُنْحَ لَيْلٍ مُبْرِدِ
مَوْسُومَةٌ بِٱلْحُسْنِ ذَاتُ حَوَاسِدٍ ... إِنَّ ٱلْحِسَانَ مَظِنَّةٌ لِلْحُسَّدِ
خَوْدٌ إِذَا كَثُرَ ٱلْحَدِيثُ تَعَوَّذَتْ ... بِحِمَى ٱلْحَيَاءِ وَإِنْ تَكَلَّمْ تَقْصِدِ
وَتَرَىٰ مَدَامِعَهَا تُرَقْرِقُ مُقْلَةً ... سَوْدَاءَ تَرْغَبُ عَنْ سَوَادِ ٱلْإِثْمِدِ

إنَّما يكونُ الليلُ ذا بردٍ إذا صفا الجوُّ .

وقالَ آخَرُ (٢) : [من الطويل]

أَهَابُكِ إِجْلَالاً وَمَا بِكِ قُدْرَةٌ ... عَلَيَّ وَلَٰكِنْ مِلْءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا
وَمَا هَجَرَتْكِ ٱلنَّفْسُ أَنَّكِ عِنْدَهَا ... قَلِيلٌ وَلَٰكِنْ قَلَّ مِنْكِ نَصِيبُهَا

وقالَ ابنُ الدُّمَيْنَةِ (٣) : [من الطويل]

أَلَا لَا أَرَىٰ وَادِي ٱلْمِيَاهِ يُثِيبُ ... وَلَا ٱلنَّفْسَ عَنْ وَادِي ٱلْمِيَاهِ تَطِيبُ
أُحِبُّ هُبُوطَ ٱلْوَادِيَيْنِ وَإِنَّنِي ... لَمُشْتَهِرٌ بِٱلْوَادِيَيْنِ غَرِيبُ
أَحَقّاً عِبَادَ ٱللهِ أَنْ لَسْتُ وَارِداً ... وَلَا صَادِراً إِلَّا عَلَيَّ رَقِيبُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٦٨) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٧٠) .
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٧٠ ـ ١٧١) .

وَلَا زَائِـراً فَـرْداً وَلَا فِـي جَـمَـاعَـةٍ ... مِـنَ ٱلـنَّـاسِ إِلَّا قِـيـلَ أَنْـتَ مُـرِيـبُ
وَهَـلْ رِيـبَـةٌ فِـي أَنْ تَـحِـنَّ نَـجِـيـبَـةٌ ... إِلَـىٰ إِلْـفِـهَـا أَوْ أَنْ يَـحِـنَّ نَـجِـيـبُ
وَإِنَّ ٱلْكَثِيبَ ٱلْفَرْدَ مِنْ جَانِبِ ٱلْحِمَىٰ ... إِلَـيَّ وَإِنْ لَـمْ آتِـهِ لَـحَـبِـيـبُ
لَـكِ ٱللهُ إِنِّـي وَاصِـلٌ مَـا وَصَـلْـتِـنِـي ... وَمُـثْـنٍ بِـمَـا أَوْلَـيْـتِـنِـي وَمُـثِـيـبُ
وَآخِـذُ مَـا أَعْـطَـيْـتِ عَـفْـواً وَإِنَّـنِـي ... لَأَزْوَرُ عَـمَّـا تَـكْـرَهِـيـنَ هَـيُـوبُ
فَلَا تَـتْـرُكِـي نَـفْـسِـي شَـعَـاعاً فَإِنَّـهَـا ... مِنَ ٱلْوَجْدِ قَدْ كَادَتْ عَلَيْكِ تَذُوبُ
وَإِنِّـي لَأَسْـتَـحْـيِـيـكِ حَـتَّـىٰ كَـأَنَّـمَـا ... عَـلَـيَّ بِظَـهْـرِ ٱلْـغَـيْـبِ مِـنْـكِ رَقِـيـبُ

وقالَ آخَرُ (١) : [من الطويل]

تَحَمَّلَ أَصْحَابِي وَلَمْ يَجِدُوا وَجْدِي ... وَلِلنَّاسِ أَشْجَانٌ وَلِي شَجَنٌ وَحْدِي
أُحِبُّكُـمُ مَـا دُمْـتُ حَـيّـاً فَـإِنْ أَمُـتْ ... فَـوَا كَـبِـدَا مِـمَّـنْ يُـحِـبُّـكُـمُ بَـعْـدِي

وقالَ أبو حيَّةَ النميريُّ (٢) : [من الطويل]

رَمَـتْـهُ أَنَـاةٌ مِـنْ رَبِـيـعَـةِ عَـامِـرٍ ... نَـؤُومُ ٱلـضُّـحَـىٰ فِـي مَـأْتَـمٍ أَيِّ مَـأْتَـمِ
فَـجَـاءَ كَـخُـوطِ ٱلْـبَـانِ لَا مُـتَـتَـايِـعٌ ... وَلَـٰكِـنْ بِـسِـيـمَـا ذِي وَقَـارٍ وَمِـيـسَـمِ
فَـقُـلْـنَ لَـهَـا سِـرّاً فَـدَيْـنَـاكِ لَا يَـرُحْ ... صَـحِـيـحـاً وَإِنْ لَـمْ تَـقْـتُـلِـيـهِ فَأَلْـمِـمِي
فَأَلْقَتْ قِنَاعاً دُونَهُ ٱلشَّمْسُ وَٱتَّقَتْ ... بِأَحْسَنِ [مَوْصُولَيْنِ] كَفٍّ وَمِعْصَمِ
وَقَـالَـتْ فَـلَـمَّـا أَفْـرَغَـتْ فِـي فُـؤَادِهِ ... وَعَـيْـنَـيْـهِ مِـنْـهَـا ٱلسِّـحْـرَ قُـلْـنَ لَـهُ قُـمِ
فَـوَدَّ بِـجَـذْعِ ٱلْأَنْـفِ لَـوْ أَنَّ صَـحْـبَـهُ ... تَـنَـادَوْا وَقَـالُـوا فِـي ٱلْـمَـنَـاخِ لَـهُ نَـمِ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٧١) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٧٢ ـ ١٧٣) .

الأناةُ : إمَّا مِنْ (وَنَىٰ) ، وإبدالُ الهمزةِ مِنَ الواوِ المفتوحةِ قليلٌ ؛ كأحدٍ ، وأجمٍ في وجمَ ؛ أي : سكتَ حزناً ، أو مِنْ (أنىٰ) أي : تأنَّىٰ ، وقولُهُ : (**فجاءَ كخُوطِ البانِ**) أيِ : المرميُّ حينَ أقبلَ أقبلَ في وقارٍ وتُؤدةٍ شاباً ناعماً معتدلَ القامةِ كالخُوط ـ بضمِّ الخاءِ ـ أي : الغصنِ ، **والمتتايعُ** : المتسرعُ في حماقةٍ ، **والمأتمُ** : المجمعُ مِنَ النساءِ في خيرٍ أو شرٍّ .

وقالَ أبو الشِّيصِ الخزاعيُّ (١) : [من الكامل]

وَقَفَ ٱلْهَوَىٰ بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي ... مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدَّمُ
أَجِدُ ٱلْمَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً ... حُبّاً لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِي ٱللُّوَّمُ
أَشْبَهْتِ أَعْدَائِي فَصِرْتُ أُحِبُّهُمْ ... إِذْ كَانَ حَظِّي مِنْكِ حَظِّي مِنْهُمُ
وَأَهَنْتِنِي فَأَهَنْتُ نَفْسِيَ صَاغِراً ... مَا مَنْ يَهُونُ عَلَيْكِ مِمَّنْ أُكْرِمُ

المُحِبُّ [يستطيبُ] اللَّومَ والعذلَ ؛ لِمَا فيهِ مِنْ ذكرِ الحبيبِ كما قالَ ، وقالَ آخرُ (٢) : [من الكامل]

أُصْغِي إِلَىٰ قَوْلِ ٱلْعَذُولِ بِجُمْلَتِي ... مُسْتَفْهِماً عَنْكُمْ بِغَيْرِ مَلَالِ
لِتَلَقُّطِي زَهَرَاتِ وَرْدِ حَدِيثِكُمْ ... مِنْ بَيْنِ شَوْكِ مَلَامَةِ ٱلْعُذَّالِ

وخالفَ ذٰلكَ المتنبي حيثُ يقولُ (٣) : [من الكامل]

أَأُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً ... إِنَّ ٱلْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

وقالَ آخرُ (٤) : [من الطويل]

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٧٤) .
(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢/١٥٩) .
(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٦٦) .
(٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٧٥) .

وَلَا غَـرْوَ إِلَّا مَـا يُـخَـبِّـرُ سَـالِـمٌ   بِـأَنَّ بَنِـي أَسْتَـاهِـهَـا نَـذَرُوا دَمِـي
وَمَـا لِـيَ مِـنْ ذَنْـبٍ إِلَيْـهِـمْ عَـلِـمْـتُـهُ   سِوَىٰ أَنَّنِي قَدْ قُلْتُ يَا سَرْحَةُ ٱسْلَمِي
نَعَمْ فَٱسْلَمِي ثُمَّ ٱسْلَمِي ثُمَّتَ ٱسْلَمِي   ثَـلَاثَ تَـحِيَّاتٍ وَإِنْ لَـمْ [تَـكَـلَّـمِي]

لا غـروَ إلَّا ما يخبر ؛ أي : لا عجبَ إلَّا إخبارٌ ، والسَّرْحةُ : واحدةُ السَّرْحِ ؛ وهوَ مِنَ الشجرِ ما لا شوكَ لهُ ، ويقابلُهُ العضهُ ، كنَّىٰ بالسَّرْحة عنِ المرأةِ .

وقالَ زيادُ بنُ حملٍ ، أوِ ابنُ منقذٍ التميميُّ ، وكانَ قد أتى اليمنَ واشتاقَ بلادَهُ(١) :   [من البسيط]

لَا حَبَّذَا أَنْتِ يَا صَنْعَاءُ مِنْ بَلَدٍ   وَلَا شُـعُـوبُ هَـوىً مِـنِّـي وَلَا نُـقُـمُ
وَلَـنْ أُحِـبَّ بِـلَاداً قَـدْ رَأَيْـتُ بِـهَـا   عَـنْـسـاً وَلَا بَـلَـداً حَـلَّـتْ بِـهِ قَـدَمُ
إِذَا سَقَى ٱللهُ أَرْضـاً صَـوْبَ غَـادِيَـةٍ   فَـلَا سَـقَـاهُـنَّ إِلَّا ٱلـنَّـارَ تَـضْـطَـرِمُ
وَحَبَّذَا حِـيـنَ تُـمْـسِـي ٱلـرِّيـحُ بَـارِدَةً   وَادِي أُشَـيَّ وَفِـتْـيَـانٌ بِـهِ هُـضُـمُ
ٱلْـوَاسِـعُـونَ إِذَا مَـا جَـرَّ غَـيْـرُهُـمُ   عَلَى ٱلْعَشِيرَةِ وَٱلْكَافُونَ مَا جَرَمُوا
وَٱلْـمُـطْـعِـمُـونَ إِذَا هَـبَّـتْ شَـآمِـيَـةٌ   وَبَـاكَـرَ ٱلْـحَـيَّ مِـنْ صُـرَّادِهَـا صِـرَمُ
وَشَـتْـوَةٍ فَـلَّـلُـوا أَنْـيَـابَ لَـزْبَـتِـهَـا   عَـنْـهُـمْ إِذَا كَـلَـحَـتْ أَنْـيَـابُـهَـا ٱلْأُزُمُ
حَتَّى ٱنْجَلَىٰ حَدُّهَا عَنْهُمْ وَجَارُهُمُ   بِـنَـجْـوَةٍ مِـنْ حِـذَارِ ٱلـشَّـرِّ مُـعْـتَـصِـمُ
هُـمُ ٱلْـبُـحُـورُ عَـطَـاءً حِـيـنَ تَـسْـأَلُـهُـمْ   وَفِـي ٱللِّـقَـاءِ إِذَا تَـلْـقَـىٰ بِـهِـمْ بُـهَـمُ
وَهُـمْ إِذَا ٱلْـخَـيْـلُ حَـالُـوا فِـي كَـوَاثِـبِـهَـا   فَـوَارِسُ ٱلْـخَـيْـلِ لَا مِـيـلٌ وَلَا قَـزَمُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٨٠ ـ ١٨٧) .

لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُمُ حَيّاً فَأَخْبُرُهُمْ   إِلَّا يَزِيدُهُمُ حُبّاً إِلَيَّ هُمُ
كَمْ فِيهِمُ مِنْ فَتىً حُلْوٍ شَمَائِلُهُ   جَمِّ ٱلرَّمَادِ إِذَا مَا أَخْمَدَ ٱلْبَرَمُ
تُحِبُّ زَوْجَاتُ أَقْوَامٍ حَلَائِلَهُ   إِذَا ٱلْأُنُوفُ ٱمْتَرَىٰ مَكْنُونَهَا ٱلشَّبَمُ
تَرَى ٱلْأَرَامِلَ وَٱلْهُلَّاكَ تَتْبَعُهُ   يَسْتَنُّ مِنْهُ عَلَيْهِمْ وَابِلٌ رَذِمُ
كَأَنَّ أَصْحَابَهُ بِٱلْقَفْرِ يَمْطُرُهُمْ   مِنْ مُسْتَحِيرٍ غَزِيرٍ صَوْبُهُ دِيَمُ
غَمْرُ ٱلنَّدَىٰ لَا يَبِيتُ ٱلْحَقُّ يَثْمُدُهُ   إِلَّا غَدَا وَهْوَ سَامِي ٱلطَّرْفِ يَبْتَسِمُ
إِلَى ٱلْمَكَارِمِ يَبْنِيهَا وَيَعْمُرُهَا   حَتَّىٰ يَنَالَ أُمُوراً دُونَهَا قُحَمُ
[تَشْقَىٰ] بِهِ كُلُّ مِرْبَاعٍ مُوَدَّعَةٍ   عَرْفَاءَ يَشْتُو عَلَيْهَا تَامِكٌ سَنِمُ
تَرَى ٱلْجِفَانَ مِنَ ٱلشِّيزَىٰ مُكَلَّلَةً   قُدَّامَهُ زَانَهَا ٱلتَّشْرِيفُ وَٱلْكَرَمُ
يَنُوبُهَا ٱلنَّاسُ أَفْوَاجاً إِذَا نَهِلُوا   عَلُّوا كَمَا عَلَّ بَعْدَ ٱلنَّهْلَةِ ٱلنَّعَمُ
زَارَتْ رُوَيْقَةُ شُعْثاً بَعْدَمَا هَجَعُوا   لَدَىٰ نَوَاحِلَ فِي أَرْسَاغِهَا ٱلْخَدَمُ
وَقُمْتُ لِلزَّوْرِ مُرْتَاعاً فَأَرَّقَنِي   فَقُلْتُ أَهْيَ سَرَتْ أَمْ عَادَنِي حُلُمُ
وَكَانَ عَهْدِي بِهَا وَٱلْمَشْيُ يَبْهَظُهَا   مِنَ ٱلْقَرِيبِ وَمِنْهَا ٱلنَّوْمُ وَٱلسَّأَمُ
وَبِٱلتَّكَالِيفِ تَأْتِي بَيْتَ جَارَتِهَا   تَمْشِي ٱلْهُوَيْنَىٰ وَمَا تَبْدُو لَهَا قَدَمُ
سُودٌ ذَوَائِبُهَا بِيضٌ تَرَائِبُهَا   دُرْمٌ مَرَافِقُهَا فِي خَلْقِهَا عَمَمُ
رُوَيْقَ إِنِّي وَمَا حَجَّ ٱلْحَجِيجُ لَهُ   وَمَا أَهَلَّ بِجَنْبَيْ نَخْلَةَ ٱلْحُرُمُ
لَمْ يُنْسِنِي ذِكْرَكُمْ مُذْ لَمْ أُلَاقِكُمُ   عَيْشٌ سَلَوْتُ بِهِ عَنْكُمْ وَلَا قِدَمُ
وَلَمْ تُشَارِكْكِ عِنْدِي بَعْدُ غَانِيَةٌ   لَا وَٱلَّذِي أَصْبَحَتْ عِنْدِي لَهُ نِعَمُ
مَتَىٰ أَمُرُّ عَلَى ٱلشَّقْرَاءِ مُعْتَسِفاً   خَلَّ ٱلنَّقَا بِمَرُوحٍ لَحْمُهَا زِيَمُ

وَٱلْوَشْمِ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهُ وَقَابَلَهَا مِنَ ٱلثَّنَايَا ٱلَّتِي لَمْ أَقْلِهَا ثَرَمُ
يَا لَيْتَ شِعْرِيَ عَنْ جَنْبَيْ مُكَسَّحَةٍ وَحَيْثُ تُبْنَىٰ مِنَ ٱلْحِنَّاءَةِ ٱلْأُطُمُ
عَنِ ٱلْإِشَاءَةِ هَلْ زَالَتْ مَخَارِمُهَا وَهَلْ تَغَيَّرَ مِنْ آرَامِهَا أَرَمُ
وَجَنَّةٍ مَا يَذُمُّ ٱلدَّهْرَ حَاضِرُهَا جَبَّارُهَا بِٱلنَّدَىٰ وَٱلْحَمْلِ مُحْتَزِمُ
فِيهَا عَقَائِلُ أَمْثَالُ ٱلدُّمَىٰ خُرُدٌ لَمْ يَغْذُهُنَّ شَقَا عَيْشٍ وَلَا يَتَمُ
يَنْتَابُهُنَّ كِرَامٌ مَا يَذُمُّهُمُ جَارٌ غَرِيبٌ [وَلَا] يُؤْذَىٰ لَهُمْ حَشَمُ
مُخَدَّمُونَ ثِقَالٌ فِي مَجَالِسِهِمْ وَفِي ٱلرِّحَالِ إِذَا صَاحَبْتَهُمْ خَدَمُ
بَلْ لَيْتَ شِعْرِي مَتَىٰ أَغْدُو تُعَارِضُنِي جَرْدَاءُ سَابِحَةٌ أَوْ سَابِحٌ قُدُمُ
نَحْوَ [ٱلْأُمَيْلِحِ] أَوْ سَمْنَانَ مُبْتَكِراً بِفِتْيَةٍ فِيهِمُ ٱلْمَرَّارُ وَٱلْحَكَمُ
لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ [إِذَا] يَغْدُونَ أَرْدِيَةٌ إِلَّا جِيَادُ قِسِيِّ ٱلنَّبْعِ وَٱللُّجُمُ
مِنْ غَيْرِ عُدْمٍ وَلَٰكِنْ مِنْ تَبَذُّلِهِمْ لِلصَّيْدِ حِينَ يَصِيحُ ٱلْقَانِصُ ٱللَّحِمُ
فَيَفْزَعُونَ إِلَىٰ جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ أَفْنَىٰ دَوَابِرَهُنَّ ٱلرَّكْضُ وَٱلْأَكَمُ
يَرْضَخْنَ صُمَّ ٱلْحَصَا فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ كَمَا تَطَايَحَ عَنْ مِرْضَاخِهِ ٱلْعَجَمُ
يَغْدُو أَمَامَهُمُ فِي كُلِّ مَرْبَأَةٍ طَلَّاعُ أَنْجِدَةٍ فِي كَشْحِهِ هَضَمُ

شُعُوبٌ ونُقُم بضمَّتَينِ : موضعانِ ، تقولُ للشيءِ : **هوَ منِّي هوىً** ؛ أي : محبوبٌ ، **وعَنْسٌ وقَدَمُ** بفتحتَينِ : حيانِ مِنْ أحياءِ اليمنِ ، مِنَ الأوَّلِ الأسودُ العَنْسيُّ الكذَّابُ الذي تَنبَّأَ علىٰ عهدِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، وكانَ ساحرَ المَنطِقِ ، وقتلَهُ فيروزُ الديلميُّ ، **وهُضُمٌ** : جمعُ هَضُومٍ ؛ أي : يهضمونَ المالَ في وجوهِ الخيرِ ، **والصَّرَّادُ** كرمَّانٍ : السحابُ لا ماءَ فيهِ ، **والصِّرَمُ** : جمعُ صِرْمة بكسرٍ فسكونٍ ؛ الجملةُ مِنَ الإبلِ ، واستعيرَ ها هنا ، **اللزبةُ** : السنةُ المجدبةُ ،

وفَلَّلُوا أنيابَها : أزالوا شدائدَها ، مِنْ تفليلِ حدِّ السيفِ ؛ أي : إحداثِ الفلولِ بهِ ، **والأُزُمُ** : جمعُ أَزُومٍ ، **والأَزومُ** : الإمساكُ على الشيءِ بالأسنانِ ، **وكواثبُ الخيلِ** : جمعُ كاثبةٍ ؛ أعالي ظهورِها ، وإذا الخيلُ حالوا في كواثبِها : مِنْ تراكيبِ الاشتغالِ ؛ أي : إذا قصدوا الخيلَ .

والقَذَمُ بفتحتَينِ : أراذلُ الناسِ ، وقولُهُ : (**إلَّا يزيدَهُم حُبّاً إليَّ هم**) أي : أَلَّا يزيدونَ أنفسَهُم حُبّاً إليَّ ؛ لإبرارِهِم علىٰ غيرِهِم ، وضعَ الضَّميرَ المُنفصِلَ موضعَ المتصلِ ، **والبَرَمُ** : اللئيمُ البخيلُ ، علىٰ وزنِ الشَّبَمِ بفتحِ أوَّلِهِ ؛ وهوَ البردُ ، **والعرفاءُ** : التي طالَ وبرُها حتىٰ صارَ لها مثلُ العرفِ ، **والجبَّارُ** : النخلُ الطويلُ ، **والأَرَمُ** : العَلَمُ وزناً ومعنىً ، **والحناءةُ** : نوعُ رملٍ يُستعمَلُ في بناءِ **الأُطُمِ** ـ بضمَّتَينِ ـ وهيَ الحصونُ والقصورُ .

وقالَ عمرُو ضبيعةَ الرَّقَاشيُّ (١) : [من الطويل]

تَضِيقُ جُفُونُ ٱلْعَيْنِ عَنْ عَبَرَاتِهَا ... فَتَسْفَحُهَا بَعْدَ ٱلتَّجَلُّدِ وَٱلصَّبْرِ
وَغُصَّةِ صَدْرٍ أَظْهَرَتْهَا فَرَفَّهَتْ ... حَزَازَةَ حَرٍّ فِي ٱلْجَوَانِحِ وَٱلصَّدْرِ
أَلَا لِيَقُلْ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ إِنَّمَا ... يُلَامُ ٱلْفَتَىٰ فِيمَا ٱسْتَطَاعَ مِنَ ٱلْأَمْرِ
قَضَى ٱللهُ حُبَّ ٱلْمَالِكِيَّةِ فَٱصْطَبِرْ ... عَلَيْهِ فَقَدْ تَجْرِي ٱلْأُمُورُ عَلَىٰ قَدْرِ

وقالَ جميلٌ (٢) : [من الطويل]

بُثَيْنَةُ مَا فِيهَا إِذَا مَا تُبُصِّرَتْ ... مَعَابٌ وَلَا فِيهَا إِذَا نُسِبَتْ أَشْبُ
لَهَا ٱلنَّظْرَةُ ٱلْأُولَىٰ عَلَيْهِمْ وَبَسْطَةٌ ... وَإِنْ كُرَّتِ ٱلْأَبْصَارُ كَانَ لَهَا ٱلْعَقْبُ
إِذَا ٱبْتَذَلَتْ لَمْ يُزْرِهَا تَرْكُ زِينَةٍ ... وَفِيهَا إِذَا ٱزْدَانَتْ لِذِي نِيقَةٍ حَسْبُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٨٧) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٩٥) .

[نبذةٌ من أشعارِ الهجاءِ من « ديوانِ الحماسةِ »]

ذٰلكَ المختارُ مِنْ بابِ النسيبِ .

وهاكَ أشياءَ مِنْ بابِ الهجاءِ ؛ وهوَ مِنْ هجاهُ يهجوهُ ؛ إذا رماهُ بالمعايبِ في أعمالِهِ أو أعمالِ أسلافِهِ .

قالَ موسى بنُ جابرٍ الحنفيُّ (١) : [من الكامل]

كَـانَـتْ حَـنِـيـفَـةُ لَا أَبَـا لَـكَ مَـرَّةً ... عِـنْـدَ ٱلـلِّـقَـاءِ أَسِـنَّـةً لَا تَـنْـكُـلُ

فَـرَأَتْ حَـنِـيفَـةُ مَـا رَأَتْ أَشْـيَـاعُـهَـا ... وَٱلـرِّيـحُ أَحْـيَـانـاً كَـذَاكَ تَـحَـوَّلُ

وقالَ قرادُ بنُ حنشٍ الصارديُّ (٢) : [من الطويل]

لَقَوْمِيَ أَدْعَىٰ لِلْعُلَا مِنْ عِصَابَةٍ ... مِنَ ٱلنَّاسِ يَا حَارِ بْنَ عَمْرٍو تَسُودُهَا

وَأَنْتُمْ سَمَاءٌ يُعْجِبُ ٱلنَّاسَ رِزُّهَا ... بِـآبِـدَةٍ تُـنْـحِـي شَـدِيـدٍ وَئِـيـدُهَـا

تُـقَـطِّعُ أَطْنَابَ ٱلْبُيُوتِ بِحَاصِبٍ ... وَأَكْـذَبُ شَـيْءٍ بَـرْقُـهَـا وَرُعُـودُهَـا

فَـوَيْـلُـمِّـهَـا خَـيْـلاً بَـهَـاءً وَشَـارَةً ... إِذَا لَاقَـتِ ٱلْأَعْـدَاءَ لَـوْلَا صُـدُودُهَـا

الرِّزُّ ـ بالكسرِ ـ : الصوتُ تَسمعُهُ مِنْ بعيدٍ ، والباءُ في (بآبدةٍ) بمعنىٰ معَ ، **والآبدةُ** : المنكرةُ ، **وتنحي** : مِنْ أنحىٰ ؛ أي : اعتمدَ ، **والحاصبُ** : الريحُ تأتي بالحصباءِ ؛ أيِ الحصىٰ ؛ لشدَّتِها ، مثَّلَ تهويلَهُم وما يظهرُ منهُ بسحابٍ لهُ برقٌ ورعدٌ مصحوبٌ بريحٍ شديدةٍ ثمَّ لا يمطرُ ، فهوَ وهُم لا خيرَ فيهِم .

وقالَ طرفةُ بنُ العبدِ (٣) : [من الطويل]

فَـرَّقَ عَـنْ بَـيْـتَـيْـكَ سَـعْـدَ بْـنَ مَـالِـكٍ ... وَعَـمْـراً وَعَـوْفـاً مَـا تَـشِـي وَتَـقُـولُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٢ ـ ٣) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٣) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٨) .

وَأَنْتَ عَلَى ٱلْأَدْنَىٰ شَمَالٌ عَرِيَّةٌ   شَآمِيَّةٌ تَزْوِي ٱلْوُجُوهَ بَلِيلُ
وَأَنْتَ عَلَى ٱلْأَقْصَىٰ صَباً غَيْرُ قُرَّةٍ   تَذَاءَبَ مِنْهَا مُرْزِغٌ وَمُسِيلُ
وَأَعْلَمُ عِلْماً لَيْسَ بِٱلظَّنِّ أَنَّهُ   إِذَا ذَلَّ مَوْلَى ٱلْمَرْءِ فَهْوَ ذَلِيلُ
وَإِنَّ لِسَانَ ٱلْمَرْءِ مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ   حَصَاةٌ عَلَىٰ عَوْرَاتِهِ لَدَلِيلُ

أرادَ بالبيتَينِ : العصبةَ وذوي الأرحامِ ، وقصدَ تخليصَهُ بالهجاءِ وإخراجَهُ مِنْ شرفِ أهلِهِ بسوءِ عملِهِ ، ومرزغٌ ومسيلٌ ؛ أي : ذاتُ رزغةٍ ـ وهيَ الوحلُ ـ وسيلٍ .

وقالَ قعنبُ بنُ ضمرةَ (١) : [من البسيط]

إِنْ يَسْمَعُوا رِيبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحاً   مِنِّي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا
صُمٌّ إِذَا سَمِعُوا خَيْراً ذُكِرْتُ بِهِ   وَإِنْ ذُكِرْتُ بِشَرٍّ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا
جَهْلاً عَلَيْنَا وَجُبْناً عَنْ عَدُوِّهِمِ   لَبِئْسَتِ ٱلْخَلَّتَانِ ٱلْجَهْلُ وَٱلْجُبُنُ

ولبعضِهِم زيادةً في هٰذا المعنىٰ (٢) : [من البسيط]

إِنْ يَعْلَمُوا ٱلْخَيْرَ أَخْفَوْهُ وَإِنْ سَمِعُوا   شَرّاً أَذَاعُوا وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا كَذَبُوا

وقالَ محرزُ بنُ المكعبرِ الضبيُّ لبني عديِّ بنِ جندبِ بنِ العنبرِ (٣) : [من الطويل]

أَبْلِغْ عَدِيّاً حَيْثُ صَارَتْ بِهَا ٱلنَّوَىٰ   وَلَيْسَ لِدَهْرِ ٱلطَّالِبِينَ فَنَاءُ
كُسَالَىٰ إِذَا لَاقَيْتَهُمْ غَيْرَ مَنْطِقٍ   يُلَهَّىٰ بِهِ ٱلْمَتْبُولُ وَهْوَ عَنَاءُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٢/٤) .
(٢) انظر « التذكرة الحمدونية » (١٥٩/٣) .
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥/٤ ـ ١٦) .

أُخَبِّرُ مَنْ لَاقَيْتُ أَنْ قَدْ وَفَيْتُمُ وَلَوْ شِئْتُ قَالَ ٱلْمُنْبِئُونَ أَسَاؤُوا

لَهُمْ [رَيْثَةٌ] تَعْلُو صَرِيمَةَ أَمْرِهِمْ وَلِلْأَمْرِ يَوْماً رَاحَةٌ فَقَضَاءُ

وَإِنِّي لَرَاجِيكُمْ عَلَىٰ بُطْءِ سَعْيِكُمْ كَمَا فِي بُطُونِ ٱلْحَامِلَاتِ رَجَاءُ

فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَعْيَ عُصْبَةِ مَازِنٍ وَهَلْ كُفَلَائِي فِي ٱلْوَفَاءِ سَوَاءُ

لَهُمْ أَذْرُعٌ بَادٍ نَوَاشِرُ لَحْمِهَا وَبَعْضُ ٱلرِّجَالِ فِي ٱلْحُرُوبِ غُثَاءُ

كَأَنَّ دَنَانِيراً عَلَىٰ قَسِمَاتِهِمْ وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ ٱلْوُجُوهَ لِقَاءُ

وقالَ سويدُ بنُ مشنوءٍ (١) : [من الطويل]

دَعِي عَنْكِ مَسْعُوداً فَلَا تَذْكُرِنَّهُ إِلَيَّ بِسُوءٍ وَٱعْرِضِي لِسَبِيلِ

نَهَيْتُكِ عَنْهُ فِي ٱلزَّمَانِ ٱلَّذِي مَضَىٰ وَلَا يَنْتَهِي ٱلْغَاوِي لِأَوَّلِ قِيلِ

وقالَ رجلٌ مِنْ طَيِّئٍ (٢) : [من الطويل]

إِنَّ ٱمْرَأً يُعْطِي ٱلْأَسِنَّةَ نَحْرَهُ وَرَاءَ قُرَيْشٍ لَا أَعُدُّ لَهُ عَقْلَا

يَذُمُّونَ لِيَ ٱلدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبُوا بِهَا فَمَا تَرَكُوا فِيهَا لِمُلْتَمِسٍ ثُعْلَا

يعني : الأمراءَ في خطبِهِم ، والثعلُ ـ بفتحِ أوَّلِهِ أو ضمِّهِ ـ خلفٌ صغيرٌ زائدٌ في أخلافِ الحلوبةِ .

وقالَ أبو الأسدِ عصريُّ [أبي] تمامٍ في الحسنِ بنِ رجاءِ بنِ أبي الضَّحَّاكِ ـ ولأبي تمامٍ فيهِ مديحٌ ـ (٣) : [من الكامل]

فَلَأَنْظُرَنَّ إِلَى ٱلْجِبَالِ وَأَهْلِهَا وَإِلَىٰ مَنَابِرِهَا بِطَرْفٍ أَخْزَرِ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٨/٤) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢٢/٤ ـ ٢٣) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣٥/٤) .

مَا زِلْتَ تَرْكَبُ كُلَّ شَيْءٍ قَائِمٍ حَتَّى ٱجْتَرَأْتَ عَلَىٰ رُكُوبِ ٱلْمِنْبَرِ

الجبالُ : ناحيةٌ كانَ الحسنُ المذكورُ يلي إمارتَها .

والنظرُ بطرفِ أخزرَ ـ أي : ينظرُ مِنْ مؤخرِهِ ـ : هوَ نظرُ الاحتقارِ .

ونـزلَ بالراعي النميريِّ رجلٌ مِنْ بني كلابٍ في ركبٍ معَهُ ليلاً في سنةٍ مجدبةٍ ، وقد عزبَتْ عنِ الراعي إبلُهُ ، فنحرَ لهُم ناقةً مِنْ رواحلِهِم ، وصَبَّحَتِ الراعيَ إبلُهُ ، فأعطىٰ ربَّ النابِ ناباً مثلَها وزادَهُ ناقةً ثنيَّةً ، فقالَ [1] : [من الطويل]

عَجِبْتُ مِنَ ٱلسَّارِينَ وَٱلرِّيحُ قَرَّةٌ إِلَىٰ ضَوْءِ نَارٍ بَيْنَ فَرْدَةَ فَٱلرَّحَا
إِلَىٰ ضَوْءِ نَارٍ يَشْتَوِي ٱلْقِدَّ أَهْلُهَا وَقَدْ يُكْرَمُ ٱلْأَضْيَافُ وَٱلْقِدُّ يُشْتَوَىٰ
فَلَمَّا أَتَوْنَا فَٱشْتَكَيْنَا إِلَيْهِمُ بَكَوْا وَكِلَا ٱلْحَيَّيْنِ مِمَّا بِهِ بَكَىٰ
بَكَىٰ مُعْوِزٌ مِنْ أَنْ يُلَامَ وَطَارِقٌ يَشُدُّ مِنَ ٱلْجُوعِ ٱلْإِزَارَ عَلَى ٱلْحَشَا
فَأَلْطَفْتُ عَيْنِي هَلْ أَرَىٰ مِنْ سَمِينَةٍ وَوَطَّأْتُ نَفْسِي لِلْغَرَامَةِ وَٱلْقِرَىٰ
فَأَبْصَرْتُهَا كَوْمَاءَ ذَاتَ عَرِيكَةٍ هِجَاناً مِنَ ٱللَّاتِي تَمَتَّعْنَ بِٱلصُّوَىٰ
فَأَوْمَأْتُ إِيمَاءً خَفِيّاً لِحَبْتَرٍ وَلِلّٰهِ عَيْنَا حَبْتَرٍ أَيَّمَا فَتَىٰ
وَقُلْتُ لَهُ أَلْصِقْ بِأَيْبَسِ سَاقِهَا فَإِنْ يَجْبُرِ ٱلْعُرْقُوبُ لَا يَرْقَأُ ٱلنَّسَا
فَأَعْجَبَنِي مِنْ حَبْتَرٍ أَنَّ حَبْتَراً مَضَىٰ غَيْرَ مَنْكُوبٍ وَمُنْصُلَهُ ٱنْتَضَىٰ
كَأَنِّي وَقَدْ أَشْبَعْتُهُمْ مِنْ سَنَامِهَا جَلَوْتُ غِطَاءً عَنْ فُؤَادِيَ فَٱنْجَلَىٰ
فَبِتْنَا وَبَاتَتْ قِدْرُنَا ذَاتَ هِزَّةٍ لَنَا قَبْلَ مَا فِيهَا شِوَاءٌ وَمُصْطَلَىٰ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٣٥ ـ ٣٧) .

وَأَصْبَحَ رَاعِينَا بُرَيْمَةُ عِنْدَنَا ... بِسِتِّينَ أَبْقَتْهَا ٱلْأَخِلَّةُ وَٱلْخَلَا

فَقُلْتُ لِرَبِّ ٱلنَّابِ خُذْهَا ثَنِيَّةً ... وَنَابٌ عَلَيْنَا مِثْلُ نَابِكَ فِي ٱلْحَيَا

القَرَّةُ ـ بفتح القافِ ـ : الباردةُ ، وفَردةُ ـ بفتحِ أولِهِ ـ والرحا : موضعانِ ، قصدَ تعيينَ منزلِهِ ، والقِدُّ : الجلدُ ، والإنسانُ إذا جاعَ . . يأكلُ كلَّ ما لانَ ، والعريكةُ : السَّنامُ ، والصُّوىٰ : جمعُ صُوَّةٍ بضمِّ الصَّادِ ؛ الأرضُ الغليظةُ ، ويُروى : الصَّوىٰ ؛ مصدرُ صَوِيَ كفَرِحَ ؛ أي : خلا الضَّرعُ مِنَ اللبنِ ، وتمتعُ الناقةُ بهِ أنَّها لا تحلبُ ، فهيَ حائلٌ تربي لحماً وشحماً ، وقولُهُ : (ألصقْ بأيبسِ ساقِها) معناهُ : بالغْ في القطعِ ليسيلَ دمُها مِنْ مسيلٍ لا ينقطعُ سيلانُهُ حتىٰ يفنى الدمُ وهوَ النَّسا ، ورقأَ الدمُ والدمعُ : انقطعَ ، والأخلةُ : جمعُ خلالٍ ؛ جمعُ خلةٍ ؛ لنوعٍ مِنَ النباتِ ، والخلا : الرطبُ ، ويُروى : الأجلة بالجيمِ ؛ جمعُ جلالٍ ؛ وهوَ الغطاءُ ، وأرادَ حينَئذٍ : أنَّ حفظَها مِنَ البردِ بالوقاءِ ورعيَها أبقياها أو أنقياها ؛ أي : أكثرا فيها النقيَ ؛ وهوَ مُخُّ العظامِ ، وهُما روايتانِ ، والحيا : المطرُ ، يُسمَّىٰ بهِ النباتُ مجازاً للسببيةِ ، ويُتجوَّزُ عنِ النباتِ للشَّحمِ ، فهوَ مجازٌ عن مجازٍ .

فقالَ الحلالُ بنُ أرقمَ المُلقَّبُ بالخنزرِ النميريّ (١) : [من الطويل]

بَنِي قَطَنٍ مَا بَالُ نَاقَةِ ضَيْفِكُمْ ... تَعَشَّوْنَ مِنْهَا وَهْيَ مُلْقىً قَتُودُهَا

غَدَا ضَيْفُكُمْ يَمْشِي وَنَاقَةُ رَحْلِهِ ... عَلَىٰ طُنُبِ ٱلْفَقْمَاءِ مُلْقىً قَدِيدُهَا

وَبَاتَ ٱلْكِلَابِيُّ ٱلَّذِي يَبْتَغِي ٱلْقِرَىٰ ... بِلَيْلَةِ نَحْسٍ غَابَ عَنْهَا سُعُودُهَا

أَمَنْ يَنْقُصُ ٱلْأَضْيَافَ أَكْرَمُ عَادَةً ... إِذَا نَزَلَ ٱلْأَضْيَافُ أَمْ مَنْ يَزِيدُهَا

كَأَنَّكُمُ إِنْ قُمْتُمُ تَنْحَرُونَهَا ... بَرَاذِينُ مَشْدُودٌ عَلَيْهَا لُبُودُهَا

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٣٧ ـ ٣٨) .

فَـمَـا فَـتَـحَ ٱلْأَقْـوَامُ مِـنْ بَـابِ سَـوْءَةٍ ... بَـنِـي قَـطَـنٍ إِلَّا وَأَنْـتُـمْ شُـهُـودُهَـا

تَعشَّونَ ؛ أي : تَتعشَّونَ ، حُذِفَتْ منهُ تاءٌ ، والقَتودُ : عدةُ الجملِ ، والفقماءُ : زوجةُ الراعي ، وأصلُ الفقمِ : خروجُ الثنايا السُّفلىٰ حتىٰ لا تقعَ عليها العليا ، والقديدُ : اللحمُ يُشرَحُ ليُجفَّفَ ، وكانَ يُنشَرُ علىٰ أطنابِ البيوتِ ؛ وهيَ الحبالُ التي تُشَدُّ بها .

ولا حقَّ لهٰذا الهاجي في هجائِهِ بعدَما صنعَ الراعي ، ولذٰلكَ أجابَهُ عن فريتِهِ بقولِهِ (١) : [من الطويل]

مَـاذَا نَـكِـرْتُـمْ مِـنْ قَـلُـوصٍ نَـحَـرْتُـهَـا ... بِسَيْفِي وَضِيفَانُ ٱلشِّتَاءِ شُهُودُهَا

فَـقَـدْ عَـلِـمُـوا أَنِّـي وَفَـيْـتُ لِـرَبِّـهَـا ... فَـرَاحَ عَلَىٰ عَنْسٍ بِأُخْرَىٰ يَقُودُهَا

قَرَيْتُ ٱلْكِلَابِيَّ ٱلَّذِي يَبْتَغِي ٱلْقِرَىٰ ... وَأُمَّـكَ إِذْ يُـحْـدَىٰ إِلَـيْـنَـا قَـعُـودُهَـا

رَفَـعْـنَـا لَـهَـا نَـاراً تُـثَـقَّـبُ لِـلْـقِـرَىٰ ... وَلِـقْـحَـةَ أَضْـيَـافٍ طَـوِيـلاً رُكُـودُهَـا

إِذَا أُخْلِيَتْ عُودَ ٱلْهَشِيمَةِ أَرْزَمَتْ ... جَـوَانِـبُـهَـا حَـتَّـىٰ نَـبِـيـتَ نَـذُودُهَـا

إِذَا نُـصِـبَـتْ لِـلـطَّـارِقِـيـنَ حَـسِـبْـتَـهَـا ... نَـعَـامَـةَ حِـزْبَـاءٍ تَـقَـاصَـرَ جِـيـدُهَـا

تَبِيتُ ٱلْمَحَالُ ٱلْغُرُّ فِي حَجَرَاتِهَا ... شَـكَـارَىٰ مَـرَاهَـا مَـاؤُهَـا وَحَـدِيـدُهَـا

بَـعَـثْـنَـا إِلَـيْـهَـا ٱلْـمُـنْـزِلَـيْـنِ فَـحَـاوَلَا ... لِكَيْ يُنْزِلَاهَا وَهْيَ حَامٍ حُيُودُهَا

فَبَاتَتْ تَعُدُّ ٱلنَّجْمَ فِي مُسْتَحِيرَةٍ ... سَرِيعٍ بِأَيْدِي ٱلْآكِلِينَ جُمُودُهَا

فَلَمَّا سَقَيْنَاهَا ٱلْعَكِيسَ تَمَلَّأَتْ ... مَذَاخِرُهَا وَٱرْفَضَّ رَشْحاً وَرِيدُهَا

وَلَـمَّـا قَـضَـتْ مِـنْ ذِي ٱلْإِنَـاءِ لُـبَـانَـةً ... أَرَادَتْ إِلَـيْـنَـا حَـاجَـةً لَا نُـرِيـدُهَـا

نَكِرَ الشيءَ وأنكرَهُ : نفرَ منهُ واستقبحَهُ ، والعَنسُ ـ بفتحِ أَوَّلِهِ ـ :

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٣٨ ـ ٣٩) .

الناقةُ الصلبةُ ، وإثقابُ النارِ وتثقيبُها : إذكاؤُها ، وما بهِ إلَّا ثَقابٌ ثَقوبٌ ـ كوَقودٍ ـ بفتحِ أوَّلِهما ، وأرادَ بلقحةِ الأضيافِ : القِدْرَ ، استعارةٌ رَشَّحَها بقولِهِ : (إذا أُخلِيَتْ) أي : أُعطِيَتِ الخلاءَ ، وإرزامُ الناقةِ : حنينُها ، والمحالُ : فقارُ الظهرِ ، الواحدةُ : محالةٌ ، وجعلَها غُرّاً لسمنِها ، وشكارىٰ : جمعُ شكرىٰ ؛ وهيَ في الأصلِ الضَّرعُ الممتلئةُ ، ولذٰلكَ قالَ : مَرَاها ؛ أي : اعتصرَها ، والخُلاصةُ : أنَّ الماءَ بحرارتِهِ استخرجَ ما فيها .

وقولُهُ : (فباتَتْ تَعُدُّ النجمَ) أي : أُمُّكَ باتَتْ تنظرُ في مَرَقِ القِدْرِ ، وهوَ المرادُ بالمُستحيرةِ ؛ مِنْ قولِهِمْ : استحارَ الماءُ ؛ أي : دارَ حتىٰ ملأَ قرارتَهُ ، وتَعُدُّ النجمَ : إمَّا مِنَ العَدِّ الحسبانيِّ أو الحسابيِّ ، فالأوَّلُ : يصفُ المرقةَ بالدُّسومةِ حتىٰ تَمثَّلَ فيها صورةُ النجومِ ، والثاني : يقولُ : إنَّ الثريا تَمثَّلَتْ في الإناءِ لكونِها محاذيةً للرؤوسِ ؛ إذ كانَ الوقتُ في وسطِ الشتاءِ ، والعكيسُ : لبنٌ يُصَبُّ عليهِ مَرَقٌ ، وتَملَّأَتْ مذاخرُها : أي : المواضعُ التي تَذخَرُ فيها الأغذيةُ ، ووصفَها بغايةِ الشَّرَهِ حيثُ تَملَّأَتْ جدّاً حتىٰ تَصبَّبَ عَرَقُها ، وذٰلكَ في قولِهِ : (وارفضَّ رشحاً وريدُها) .

وقولُهُ : (ولمَّا قضتْ مِنْ ذي الإناءِ لُبانةً) أي : ولمَّا شبعَتْ فوقَ كفايتِها ـ فإنَّ اللبانةَ بعدَ الحاجةِ الأصليَّةِ ـ اغتلمَتْ ، وطوىٰ ذٰلكَ في قولِهِ : (أرادَتْ إلينا حاجةً لا نريدُها) يُقالُ : أرادَ إليهِ ، وطلبَ إليهِ كذا ، والحُيُودُ : جمعُ حَيدٍ بفتحِ أوَّلِهِ ، المرادُ منها هنا : الجوانبُ .

وقالَ رجلٌ مِنْ أسدٍ (١) : [من البسيط]

دَبَبْتَ لِلْمَجْدِ وَٱلسَّاعُونَ قَدْ بَلَغُوا ... جَهْدَ ٱلنُّفُوسِ وَأَلْقَوْا دُونَهُ ٱلْأُزُرَا

فَكَابَرُوا ٱلْمَجْدَ حَتَّىٰ مَلَّ أَكْثَرُهُمْ ... وَعَانَقَ ٱلْمَجْدَ مَنْ أَوْفَىٰ وَمَنْ صَبَرَا

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٤٠) .

لَا تَحْسَبِ ٱلْمَجْدَ تَمْراً أَنْتَ آكِلُهُ ... لَنْ تَبْلُغَ ٱلْمَجْدَ حَتَّىٰ تَلْعَقَ ٱلصَّبِرَا

وقالَ آخَرُ[1] : [من الطويل]

وَمُسْتَعْجِلٍ بِٱلْحَرْبِ وَٱلسِّلْمُ حَظُّهُ ... فَلَمَّا ٱسْتُثِيرَتْ كَلَّ عَنْهَا مَحَافِرُهْ

وَحَارَبَ فِيهَا بِٱمْرِئٍ حِينَ شَمَّرَتْ ... مِنَ ٱلْقَوْمِ مِعْجَازٍ لَئِيمٍ مَكَاسِرُهْ

فَأَعْطَى ٱلَّذِي يُعْطِي ٱلذَّلِيلُ وَلَمْ يَكُنْ ... لَهُ سَعْيُ صِدْقٍ قَدَّمَتْهُ أَكَابِرُهْ

وقالَ آخَرُ[2] : [من الطويل]

كَاثِرْ بِسَعْدٍ إِنَّ سَعْداً كَثِيرَةٌ ... وَلَا تَبْغِ مِنْ سَعْدٍ وَفَاءً وَلَا نَصْرَا

وَلَا تَدْعُ سَعْداً لِلْقِرَاعِ وَخَلِّهَا ... إِذَا أَمِنَتْ وَنَعْتَهَا ٱلْبَلَدَ ٱلْقَفْرَا

يَرُوعُكَ مِنْ سَعْدِ بْنِ عَمْرٍو جُسُومُهَا ... وَتَزْهَدُ فِيهَا حِينَ تَقْتُلُهَا خُبْرَا

وقالَ آخَرُ[3] : [من الوافر]

أَعَارِيبٌ ذَوُو فَخْرٍ بِإِفْكٍ ... وَأَلْسِنَةٍ لِطَافٍ فِي ٱلْمَقَالِ

رَضُوا بِصِفَاتِ مَا عَدِمُوهُ جَهْلاً ... وَحُسْنُ ٱلْقَوْلِ مِنْ حُسْنِ ٱلْفَعَالِ

أي : ورضوا بحسنِ القولِ بدلَ حسنِ الفَعالِ .

وقالَ آخَرُ[4] : [من الوافر]

هَجَوْتُ ٱلْأَدْعِيَاءَ فَنَاصَبَتْنِي ... مَعَاشِرُ خِلْتُهَا عَرَباً صِحَاحَا

فَقُلْتُ لَهُمْ وَقَدْ نَبَحُوا طَوِيلاً ... عَلَيَّ فَلَمْ أُجِبْ لَهُمُ نُبَاحَا

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٤٠) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٤٤) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٤٤ ـ ٤٥) .

(٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٤٥ ـ ٤٦) .

أَمِـنْـهُـمْ أَنْـتُـمُ فَـأَكُـفَّ عَـنْـكُـمْ وَأَدْفَـعَ عَـنْـكُـمُ ٱلـشَّـتْـمَ ٱلـصُّـرَاحَـا
وَإِلَّا فَـٱحْـمَـدُوا رَأْيِـي فَـإِنِّـي سَـأَنْـفِـي عَـنْـكُـمُ ٱلتُّـهَـمَ ٱلْـقِـبَـاحَـا
وَحَـسْـبُـكَ تُـهْـمَـةً بِـبَـرِيءِ قَـوْمٍ يَـضُـمُّ عَـلَـىٰ أَخِـي سَـقَـمٍ جَـنَـاحَـا

وقالَ فرعانُ بنُ الأعرفِ في ابنِهِ مُنازِلٍ [1] : [من الطويل]

جَـزَتْ رَحِـمٌ بَـيْـنِـي وَبَـيْـنَ مُـنَـازِلٍ جَـزَاءً كَـمَـا يَـسْـتَـنْـزِلُ ٱلـدَّيْـنَ طَـالِـبُـهْ
لَـرَبَّـيْـتُـهُ حَـتَّـىٰ إِذَا آضَ شَـيْـظَـمـاً يَـكَـادُ يُـسَـاوِي غَـارِبَ ٱلْـفَـحْـلِ غَـارِبُـهْ
فَلَمَّا رَآنِي أُبْصِرُ ٱلشَّخْصَ أَشْخُصاً قَـرِيباً وَذَا ٱلشَّخْصِ ٱلْبَعِيدِ أُقَارِبُهْ
تَـغَـمَّـدَ حَـقِّـي ظَـالِـمـاً وَلَـوَىٰ يَـدِي لَـوَىٰ يَـدَهُ ٱللهُ ٱلَّـذِي هُـوَ غَـالِـبُـهْ
وَكَـانَ لَـهُ عِـنْـدِي إِذَا جَـاعَ أَوْ بَـكَـىٰ مِـنَ ٱلـزَّادِ أَحْـلَـىٰ زَادِنَـا وَأَطَـايِـبُـهْ
وَرَبَّـيْـتُـهُ حَـتَّـىٰ إِذَا مَـا تَـرَكْـتُـهُ أَخَا ٱلْقَوْمِ وَٱسْتَغْنَىٰ عَنِ ٱلْمَسْحِ شَارِبُهْ
وَجَـمَّـعْـتُـهَـا دُهْـمـاً جِـلَاداً كَـأَنَّـهَـا أَشَـاءُ نَـخِـيـلٍ لَـمْ تُـقَـطَّـعْ جَـوَانِـبُـهْ
فَـأَخْـرَجَـنِـي مِـنْـهَـا سَـلِـيـباً كَـأَنَّـنِـي حُـسَـامٌ يَـمَـانٍ فَـارَقَـتْـهُ مَـضَـارِبُـهْ
أَإِنْ أُرْعِـشَـتْ كَـفَّـا أَبِـيـكَ وَأَصْـبَـحَـتْ يَـدَاكَ يَـدَيْ لَـيْـثٍ فَـإِنَّـكَ ضَـارِبُـهْ

انتهى المنقولُ مِنْ بابِ الهِجاءِ .

ودونَكَ ما يُستحسَنُ مِنْ بابِ الأضيافِ والمديحِ .

قالَ مرَّةُ بنُ محكانَ التميميُّ [2] : [من البسيط]

يَـا رَبَّـةَ ٱلْـبَـيْـتِ قُـومِـي غَـيْـرَ صَـاغِـرَةٍ ضُـمِّـي إِلَـيْـكِ رِحَـالَ ٱلْـقَـوْمِ وَٱلْـقُـرُبَـا

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٩ ـ ١٠) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٦٠ ـ ٦٣) .

فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَىٰ ذَاتِ أَنْدِيَةٍ لَا يُبْصِرُ ٱلْكَلْبُ مِنْ ظَلْمَائِهَا ٱلطُّنُبَا
لَا يَنْبَحُ ٱلْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ حَتَّىٰ يَلُفَّ عَلَىٰ خَيْشُومِهِ ٱلذَّنَبَا
مَاذَا تَرَيْنَ أَنُدْنِيهِمْ لِأَرْحُلِنَا فِي جَانِبِ ٱلْبَيْتِ أَمْ نَبْنِي لَهُمْ قُبَبَا
لِمُرْمِلِ ٱلزَّادِ مَعْنِيٍّ بِحَاجَتِهِ مَنْ كَانَ يَكْرَهُ ذَمّاً أَوْ يَقِي حَسَبَا
وَقُمْتُ مُسْتَبْطِناً سَيْفِي فَأَعْرَضَ لِي مِثْلَ ٱلْمُجَادِلِ كُومٌ بَرَّكَتْ عُصَبَا
فَصَادَفَ ٱلسَّيْفُ مِنْهَا سَاقَ مُتْلِيَةٍ جَلْسٍ فَصَادَفَ مِنْهُ سَاقُهَا عَطَبَا
زَيَّافَةٍ بِنْتِ زَيَّافٍ مُذَكَّرَةٍ لَمَّا نَعَوْهَا لِرَاعِي سَرْحِنَا ٱنْتَحَبَا
أَمْطَيْتُ جَازِرَنَا أَعْلَىٰ سَنَاسِنِهَا فَصَارَ جَازِرُنَا مِنْ فَوْقِهَا قَتَبَا
يُنَشْنِشُ ٱللَّحْمَ عَنْهَا وَهْيَ بَارِكَةٌ كَمَا تُنَشْنِشُ كَفَّا فَاتِلٍ سَلَبَا
وَقُلْتُ لَمَّا غَدَوْا أُوصِي قَعِيدَتَنَا غَدِّي بَنِيكِ فَلَنْ تَلْقَيْهِمِ حِقَبَا
أُدْعَىٰ أَبَاهُمْ وَلَمْ أُقْرَفْ بِأُمِّهِمِ وَقَدْ عَمِرْتُ وَلَمْ أَعْرِفْ لَهُمْ نَسَبَا
أَنَا ٱبْنُ مَحْكَانَ أَخْوَالِي بَنُو مَطَرٍ أَنْمِي إِلَيْهِمْ وَكَانُوا مَعْشَراً نُجُبَا

❁ ❁ ❁

وقالَ أبو زيادٍ الأعرابيُّ الكلابيُّ (١) : [من الوافر]

لَهُ نَارٌ تُشَبُّ عَلَىٰ يَفَاعٍ إِذَا ٱلنِّيرَانُ أُلْبِسَتِ ٱلْقِنَاعَا
وَلَمْ يَكُ أَكْثَرَ ٱلْفِتْيَانِ مَالاً وَلَٰكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعَا

اليفاعُ : المُرتفِعُ مِنَ الأرضِ ، وكانَ مِنْ عادتِهِم إيقادُ النارِ علىٰ رؤوسِ المرتفعاتِ ؛ ليبصرَها الساري فيقصدَها .

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٧١) .

وقالَ آخَرُ[1] : [من الطويل]

سَأَشْكُرُ عَمْراً إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي ... أَيَادِيَ لَمْ تُمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ
فَتىً غَيْرُ مَحْجُوبِ ٱلْغِنَىٰ عَنْ صَدِيقِهِ ... وَلَا مُظْهِرِ ٱلشَّكْوَىٰ إِذَا ٱلنَّعْلُ زَلَّتِ
رَأَىٰ خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَىٰ مَكَانُهَا ... فَكَانَتْ قَذَىٰ عَيْنَيْهِ حَتَّىٰ تَجَلَّتِ

وقالَ آخَرُ[2] : [من البسيط]

تَرَكْتُ ضَأْنِي تَوَدُّ ٱلذِّئْبَ رَاعِيَهَا ... وَأَنَّهَا لَا تَرَانِي آخِرَ ٱلْأَبَدِ
اَلذِّئْبُ يَطْرُقُهَا فِي ٱلدَّهْرِ وَاحِدَةً ... وَكُلَّ يَوْمٍ تَرَانِي مُدْيَةً بِيَدِي

وقالَ العرندسُ[3] : [من البسيط]

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارٌ ذَوُو كَرَمٍ ... سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ
إِنْ يُسْأَلُوا ٱلْحَقَّ يُعْطُوهُ وَإِنْ خُبِرُوا ... فِي ٱلْجَهْدِ أُدْرِكَ مِنْهُمْ طِيبُ أَخْبَارِ
وَإِنْ تَوَدَّدْتَهُمْ لَانُوا وَإِنْ شُهِمُوا ... كَشَّفْتَ أَذْمَارَ شَرٍّ غَيْرَ أَشْرَارِ
فِيهِمْ وَمِنْهُمْ يُعَدُّ ٱلْمَجْدُ مُتَّلِداً ... وَلَا يُعَدُّ نَثَا خِزْيٍ وَلَا عَارِ
لَا يَنْطِقُونَ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا ... وَلَا يُمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْثَارِ
مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ ... مِثْلَ ٱلنُّجُومِ ٱلَّتِي يَسْرِي بِهَا ٱلسَّارِي

شُهِمُوا : بالبناءِ للمجهولِ مِنْ شَهَمَ كمَنَعَ ؛ أي : حُرِّكَ للشرِّ وأفزعَ .

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٦٩ ـ ٧٠) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٦٣) .
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٧٢) .

وقالَ آخرُ[1] : [من الطويل]

رَهَنْتُ يَدِي بِٱلْعَجْزِ عَنْ شُكْرِ بِرِّهِ وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِلشَّكُورِ مَزِيدُ
وَلَوْ كَانَ شَيْئاً يُسْتَطَاعُ ٱسْتَطَعْتُهُ وَلَٰكِنَّ مَا لَا يُسْتَطَاعُ شَدِيدُ

وقالَ الحسينُ بنُ مطيرٍ الأسديُّ[2] :

لَهُ يَوْمُ بُؤْسٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَبْؤُسٌ وَيَوْمُ نَعِيمٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَنْعُمُ
فَيَمْطُرُ يَوْمَ ٱلْجُودِ مِنْ كَفِّهِ ٱلنَّدَىٰ وَيَمْطُرُ يَوْمَ ٱلْبَأْسِ مِنْ كَفِّهِ ٱلدَّمُ
وَلَوْ أَنَّ يَوْمَ ٱلْبَأْسِ خَلَّىٰ عِقَابَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ لَمْ يُصْبِحْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مُجْرِمُ
وَلَوْ أَنَّ يَوْمَ ٱلْجُودِ خَلَّىٰ يَمِينَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ لَمْ يُصْبِحْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مُعْدِمُ

وقالَتْ ليلى الأخيليةُ[3] : [من الكامل]

يَا أَيُّهَا ٱلسَّدِمُ ٱلْمُلَوِّي رَأْسَهُ لِيَقُودَ مِنْ أَهْلِ ٱلْحِجَازِ بَرِيمَا
أَتُرِيدُ عَمْرَو بْنَ ٱلْخَلِيعِ وَدُونَهُ كَعْبٌ إِذاً لَوَجَدْتَهُ مَرْؤُومَا
إِنَّ ٱلْخَلِيعَ وَرَهْطَهُ فِي عَامِرٍ كَٱلْقَلْبِ أُلْبِسَ جُؤْجُؤاً وَحَزِيمَا
لَا تَغْزُوَنَّ ٱلدَّهْرَ آلَ مُطَرِّفٍ لَا ظَالِماً أَبَداً وَلَا مَظْلُومَا
وَمُخَرَّقٌ عَنْهُ ٱلْقَمِيصُ تَخَالُهُ وَسْطَ ٱلْبُيُوتِ مِنَ ٱلْحَيَاءِ سَقِيمَا
حَتَّىٰ إِذَا رُفِعَ ٱللِّوَاءُ رَأَيْتَهُ تَحْتَ ٱللِّوَاءِ عَلَى ٱلْخَمِيسِ زَعِيمَا

السَّدِمُ : النادمُ ، أوِ اللَّجوجُ ، أو هوَ مُستعارٌ مِنْ فحلِ الإبلِ الممنوعِ ناحيةً عنِ الدُّخولِ في الإبلِ ، فهوَ يهدرُ وحدَهُ ، **والمُلَوِّي رأسَهُ** : المُتكبِّرُ جهلاً ، **والبَريمُ** : أصلُهُ : حبلٌ يُفتَلُ مِنْ قُوىً مختلفةِ الألوانِ ، مُستعارٌ للجيشِ مِنَ الأخلاطِ .

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٧٢) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٧٢) .
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٧٦ ـ ٧٧) .

وقالَتْ ـ وقيلَ : هيَ لأبيها ـ [1] : [من الكامل]

نَـحْـنُ ٱلْأَخَـايِـلُ لَا يَـزَالُ غُـلَامُـنَـا ... حَـتَّىٰ يَـدِبَّ عَـلَى ٱلْـعَـصَـا مَـذْكُـورَا

تَـبْكِـي ٱلـسُّـيُـوفُ إِذَا فَـقَـدْنَ أَكُـفَّـنَـا ... جَـزَعـاً وَتَـعْـلَـمُـنَـا ٱلـرِّفَـاقُ بُـحُـورَا

وَلَـنَـحْـنُ أَوْثَـقُ فِـي صُـدُورِ نِـسَـائِـكُـمْ ... مِـنْـكُـمْ إِذَا بَـكَـرَ ٱلـصُّـرَاخُ بُـكُـورَا

وقالَ آخرُ [2] : [من البسيط]

إِذَا ٱنْتَدَىٰ وَٱحْتَبَىٰ بِٱلسَّيْفِ دَانَ لَهُ ... شُوسُ ٱلرِّجَالِ خُضُوعَ ٱلْجُرْبِ لِلطَّالِي

كَـأَنَّـمَـا ٱلـطَّـيْـرُ مِـنْـهُـمْ فَـوْقَ هَـامِـهِـمِ ... لَا خَوْفَ ظُلْـمٍ وَلَـٰكِنْ خَوْفَ إِجْلَالِ

وقالَ العجيرُ السَّلوليُّ [3] : [من الطويل]

أَقُـولُ لِـعَـبْـدِ ٱللهِ وَهْـنـاً وَدُونَـنَـا ... مُنَاخُ ٱلْمَطَايَا مِنْ مِنىً فَٱلْمُحَصَّبُ

لَـكَ ٱلْـخَـيْـرُ عَـلِّـلْـنَـا بِـهَـا عَـلَّ سَـاعَـةً ... تَـمُـرُّ وَسِـهْـوَاءً مِـنَ ٱلـلَّـيْـلِ يَـذْهَـبُ

فَـقَـامَ فَـأَدْنَـىٰ مِـنْ وِسَـادِي وِسَـادَهُ ... طَوِي ٱلْبَطْنِ مَمْشُوقُ ٱلذِّرَاعَيْنِ شَرْجَبُ

بَعِيدٌ مِنَ ٱلشَّيْءِ ٱلْقَلِيلِ ٱحْتِفَاظُهُ ... عَلَيْكَ وَمَنْزُورُ ٱلرِّضَا حِينَ يَغْضَبُ

هُوَ ٱلظَّفِرُ ٱلْمَيْمُونُ إِنْ رَاحَ أَوْ غَدَا ... بِهِ ٱلرَّكْبُ وَٱلتِّلْعَابَةُ ٱلْمُتَحَبِّبُ

أولُ الشعرِ غزلٌ ؛ فإنَّهُ أرادَ بضميرِ (ودونَنا) نفسَهُ وحبيبتَهُ ، والكنايةُ في قولِهِ : (لكَ الخيرُ علِّلْنا بها) عن حبيبتِهِ ، وسهواءٌ مِنَ الليلِ ، ويُروىٰ : وتِهْواء بكسرِ التاءِ ؛ أي : جانبٌ منهُ ، والشَّرْجَبُ : الطَّويلُ ، والاحتفاظُ : الغضبُ ؛ أي : لا يغضبُ عليكَ غضبَ السُّفهاءِ مِنَ الشيءِ الذي لا خطرَ

---

(1) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٧٧) .

(2) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٨٣) .

(3) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٨٠ ـ ٨١) .

لهُ ، فإن جاءَ موضعُ الغضبِ . . فهوَ قليلُ الرضا ، فبقيةُ الشعرِ مدحٌ لصاحبِهِ عبدِ اللهِ .

وقالَ حجرُ بنُ خالدٍ يمدحُ النعمانَ بنَ المنذرِ (١) : [من الطويل]

سَمِعْتُ بِفِعْلِ ٱلْفَاعِلِينَ فَلَمْ أَجِدْ ... كَمِثْلِ أَبِي قَابُوسَ حَزْماً وَنَائِلَا
فَسَاقَ إِلَـٰهِي ٱلْغَيْثَ مِنْ كُلِّ بَلْدَةٍ ... إِلَيْكَ فَأَضْحَىٰ حَوْلَ بَيْتِكَ نَازِلَا
فَأَصْبَحَ مِنْهُ كُلُّ وَادٍ حَلَلْتَهُ ... مِنَ ٱلْأَرْضِ مَسْفُوحَ ٱلْمَذَانِبِ سَائِلَا
مَتَىٰ تُنْعَ يُنْعَ ٱلْجُودُ وَٱلْبَأْسُ وَٱلتُّقَىٰ ... وَتُصْبِحْ قَلُوصُ ٱلْحَرْبِ جَرْبَاءَ حَائِلَا
فَلَا مَلِكٌ مَا يُدْرِكَنَّكَ سَعْيُهُ ... وَلَا سُوقَةٌ مَا يَمْدَحَنَّكَ بَاطِلَا

وقالَ آخرُ (٢) : [من الطويل]

وَمُسْتَنْبِحٍ بَعْدَ ٱلْهُدُوءِ دَعَوْتُهُ ... بِشَقْرَاءَ مِثْلِ ٱلْفَجْرِ ذَاكٍ وَقُودُهَا
فَقُلْتُ لَهُ أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً ... بِمُوقِدِ نَارٍ مُحْمِدٍ مَنْ يَرُودُهَا
نَصَبْنَا لَهُ جَوْفَاءَ ذَاتَ ضَبَابَةٍ ... مِنَ ٱلدُّهْمِ مِبْطَاناً طَوِيلاً رُكُودُهَا
فَإِنْ شِئْتَ أَثْوَيْنَاكَ فِي ٱلْحَيِّ مُكْرَماً ... وَإِنْ شِئْتَ بَلَّغْنَاكَ أَرْضاً تُرِيدُهَا

وقالَ آخرُ (٣) : [من الطويل]

وَمُسْتَنْبِحٍ تَهْوِي مَسَاقِطُ رَأْسِهِ ... إِلَىٰ كُلِّ شَخْصٍ فَهْوَ لِلسَّمْعِ أَصْوَرُ
يُصَفِّقُهُ أَنْفٌ مِنَ ٱلرِّيحِ بَارِدٌ ... وَنَكْبَاءُ لَيْلٍ مِنْ جُمَادَىٰ وَصَرْصَرُ
حَبِيبٌ إِلَىٰ كَلْبِ ٱلْكَرِيمِ مُنَاخُهُ ... بَغِيضٌ إِلَى ٱلْكَوْمَاءِ وَٱلْكَلْبُ أَبْصَرُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٨٩ ـ ٩٠) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٩٠ ـ ٩١) .
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٩١ ـ ٩٣) .

حَضَأْتُ لَهُ نَارِي فَأَبْصَرَ ضَوْءَهَا ... وَمَا كَادَ لَوْلَا حَضْأَةُ ٱلنَّارِ يُبْصِرُ

دَعَتْهُ بِغَيْرِ ٱسْمٍ هَلُمَّ إِلَى ٱلْقِرَىٰ ... فَأَسْرَىٰ يَبُوعُ ٱلْأَرْضَ وَٱلنَّارُ تَزْهَرُ

فَلَمَّا أَضَاءَتْ شَخْصَهُ قُلْتُ مَرْحَباً ... هَلُمَّ وَلِلصَّالِينَ بِٱلنَّارِ أَبْشِرُوا

فَجَاءَ وَمَحْمُودُ ٱلْقِرَىٰ يَسْتَفِزُّهُ ... إِلَيْهَا وَدَاعِي ٱللَّيْلِ بِٱلصُّبْحِ يَصْفِرُ

تَأَخَّرْتَ حَتَّىٰ لَمْ تَكَدْ تَصْطَفِي ٱلْقِرَىٰ ... عَلَىٰ أَهْلِهِ وَٱلْحَقُّ لَا يَتَأَخَّرُ

وَقُمْتُ بِنَصْلِ ٱلسَّيْفِ وَٱلْبَرْكُ هَاجِدٌ ... [بَهَازِرُهُ] وَٱلْمَوْتُ فِي ٱلسَّيْفِ يَنْظُرُ

فَأَعْضَضْتُهُ ٱلطُّولَىٰ سَنَاماً وَخَيْرَهَا ... بَلَاءً وَخَيْرُ ٱلْخَيْرِ مَا يُتَخَيَّرُ

فَأَوْفَضْنَ عَنْهَا وَهْيَ تَرْغُو حُشَاشَةً ... بِذِي نَفْسِهَا وَٱلسَّيْفُ عُرْيَانُ أَحْمَرُ

فَبَاتَتْ رُحَابٌ جَوْنَةٌ مِنْ لِحَامِهَا ... وَفُوهَا بِمَا فِي جَوْفِهَا يَتَغَرْغَرُ

مساقطُ الرأسِ : ميلاتُهُ ، فهوَ مصدرٌ ، إلىٰ كلِّ شخصٍ ؛ أي : شيءٍ قائمٍ يرجوهُ إنساناً ، **والسمعُ** : التسمعُ ، **وهوَ لهُ أصورُ** ؛ أي : مائلُ الرأسِ لأجلِهِ ، **وصفَّقَهُ أنفُ الريحِ** ؛ أي : ضربَهُ أوَّلُهُ ، **وحضأَ النارَ** : أذكاها فرفعَها ، [**والبهازرُ**] : السِّمانُ ، الواحدُ [بهزرةٌ] أو [بهزورةٌ] أو [بهزارٌ] ، **وأوفضنَ عنها** : تفرَّقنَ ، **والحُشاشةُ** : بقيةُ النفسِ ، نُصِبَ تمييزاً ، **وعُريانُ** : غيرُ مصروفٍ ضرورةً .

وقالَ عمرُو بنُ الأهتمِ [1] : [من الطويل]

ذَرِينِي فَإِنَّ ٱلشُّحَّ يَا أُمَّ هَيْثَمٍ ... لِصَالِحِ أَخْلَاقِ ٱلرِّجَالِ سَرُوقُ

ذَرِينِي وَحُطِّي فِي هَوَايَ فَإِنَّنِي ... عَلَى ٱلْحَسَبِ ٱلزَّاكِي ٱلرَّفِيعِ شَفِيقُ

ذَرِينِي فَإِنِّي ذُو فَعَالٍ تُهِمُّنِي ... نَوَائِبُ يَغْشَىٰ رُزْؤُهَا وَحُقُوقُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/ ٩٤) .

وَكُلُّ كَرِيمٍ يَتَّقِي ٱلذَّمَّ بِٱلْقِرَىٰ   وَلِلْحَقِّ بَيْنَ ٱلصَّالِحِينَ طَرِيقُ
لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا   وَلَٰكِنَّ أَخْلَاقَ ٱلرِّجَالِ تَضِيقُ

الصَّاحبُ يَحُطُّ رحلَهُ حيثُ يَحُطُّ صاحبُهُ ، فهوَ موافقٌ غيرُ مفارقٍ ، استُعِيرَ للموافقةِ .

وقالَ عروةُ بنُ الوردِ (١) : [من الطويل]

إِنِّي ٱمْرُؤٌ عَافِي إِنَائِيَ شِرْكَةٌ   وَأَنْتَ ٱمْرُؤٌ عَافِي إِنَائِكَ وَاحِدُ
أَتَهْزَأُ مِنِّي أَنْ سَمِنْتَ وَأَنْ تَرَىٰ   بِوَجْهِي شُحُوبَ ٱلْحَقِّ وَٱلْحَقُّ جَاهِدُ
أُقَسِّمُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ   وَأَحْسُو قَرَاحَ ٱلْمَاءِ وَٱلْمَاءُ بَارِدُ

العُفاةُ : طُلَّابُ المعروفِ .

وقالَ آخَرُ (٢) : [من الطويل]

أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صِرْتَ إِلَى ٱلْغِنَىٰ   وَكُلُّ غَنِيٍّ فِي ٱلْقُلُوبِ جَلِيلُ
وَلَيْسَ ٱلْغِنَىٰ إِلَّا غِنىً زَيَّنَ ٱلْفَتَىٰ   عَشِيَّةَ يَقْرِي أَوْ غَدَاةَ يُنِيلُ

وقالَ آخَرُ (٣) : [من الطويل]

أَيَا بْنَةَ عَبْدِ ٱللهِ وَٱبْنَةَ مَالِكٍ   وَيَا بْنَةَ ذِي ٱلْبُرْدَيْنِ وَٱلْفَرَسِ ٱلْوَرْدِ
إِذَا مَا صَنَعْتِ ٱلزَّادَ فَٱلْتَمِسِي لَهُ   أَكِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ آكِلَهُ وَحْدِي
أَخاً طَارِقاً أَوْ جَارَ بَيْتٍ فَإِنَّنِي   أَخَافُ مَذَمَّاتِ ٱلْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
وَإِنِّي لَعَبْدُ ٱلضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِياً   وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِيمَةِ ٱلْعَبْدِ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٩٤ ـ ٩٥) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٩٥) .
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٠٠ ـ ١٠١) .

وقالَ آخَرُ[١] : [من الطويل]

وَلَيْسَ فَتَى ٱلْفِتْيَانِ مَنْ جُلُّ هَمِّهِ صَبُوحٌ وَإِنْ أَمْسَىٰ فَفَضْلُ غَبُوقِ
وَلَٰكِنْ فَتَى ٱلْفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ أَوْ غَدَا لِضَرِّ عَدُوٍّ أَوْ لِنَفْعِ صَدِيقِ

وقالَ حسانُ بنُ حنظلةَ الطائيُّ[٢] : [من الكامل]

تِلْكَ ٱبْنَةُ ٱلْعَدَوِيِّ قَالَتْ بَاطِلاً أَزْرَىٰ بِقَوْمِكَ قِلَّةُ ٱلْأَمْوَالِ
إِنَّا لَعَمْرُ أَبِيكِ يَحْمَدُ ضَيْفُنَا وَيَسُودُ مُقْتِرُنَا عَلَى ٱلْإِقْلَالِ
وَأَنَا ٱمْرُؤٌ مِنْ آلِ حَيَّةَ مَنْصِبِي وَبَنُو جُوَيْنٍ فَٱسْأَلِي أَخْوَالِي
وَإِذَا دَعَوْتُ بَنِي جَدِيلَةَ جَاءَنِي مُرْدٌ عَلَىٰ جُرْدِ ٱلْمُتُونِ طِوَالِ
أَحْلَامُنَا تَزِنُ ٱلْجِبَالَ رَزَانَةً وَيَزِيدُ جَاهِلُنَا عَلَى ٱلْجُهَّالِ

وقالَ النمريُّ ويُقالُ : إنَّها لرجلٍ مِنْ باهلةَ[٣] : [من الطويل]

وَدَاعٍ دَعَا بَعْدَ ٱلْهُدُوءِ كَأَنَّمَا يُقَاتِلُ أَهْوَالَ ٱلسُّرَىٰ وَتُقَاتِلُهْ
فَلَمَّا سَمِعْتُ ٱلصَّوْتَ نَادَيْتُ نَحْوَهُ بِصَوْتٍ كَرِيمِ ٱلْجَدِّ حُلْوٍ شَمَائِلُهْ
فَأَبْرَزْتُ نَارِي ثُمَّ أَثْقَبْتُ ضَوْءَهَا وَأَخْرَجْتُ كَلْبِي وَهْوَ فِي ٱلْبَيْتِ دَاخِلُهْ
فَلَمَّا رَآنِي كَبَّرَ ٱللَّهَ وَحْدَهُ وَبَشَّرَ قَلْباً كَانَ جَمّاً بَلَابِلُهْ
فَقُلْتُ لَهُ أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً رَشِدْتَ وَلَمْ أَقْعُدْ إِلَيْهِ أُسَائِلُهْ
وَقُمْتُ إِلَىٰ بَرْكٍ هِجَانٍ أُعِدُّهُ لِوَجْبَةِ حَقٍّ نَازِلٍ أَنَا فَاعِلُهْ
بِأَبْيَضَ خَطَّتْ نَعْلُهُ حَيْثُ أَدْرَكَتْ مِنَ ٱلْأَرْضِ لَمْ تَخْطَلْ عَلَيَّ حَمَائِلُهْ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠١/٤) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٥/٤ ـ ١٠٦) .
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١١١/٤ ـ ١١٣) .

فَـجَـالَ قَـلِـيـلاً وَٱتَّـقَـانِـي بِـخَـيْـرِهِ　　سَـنَـامـاً وَأَمْـلَاهُ مِـنَ ٱلـنَّـيِّ كَـاهِـلُـهْ
بِقَرْمٍ هِجَانٍ مُصْعَبٍ كَانَ فَحْلُهَا　　طَوِيلِ ٱلْقِرَىٰ لَمْ يَعْدُ أَنْ شَقَّ بَازِلُهْ
فَخَرَّ وَظِيفُ ٱلْقَرْمِ فِي نِصْفِ سَاقِهِ　　وَذَاكَ عِـقَـالٌ لَا يُـنَـشَّـطُ عَـاقِـلُـهْ
بِـذَٰلِكَ أَوْصَـانِـي أَبِـي وَبِـمِـثْـلِـهِ　　كَـذَٰلِكَ أَوْصَـاهُ قَـدِيـمـاً أَوَائِـلُـهْ

مثلُ هٰذا لكونِهِ مَدْحَ المرءِ نفسَهُ أفردَهُ الناسُ بعدُ باسمِ الفخرِ ، فيقولونَ في تمييزِ الشعرِ : قالَ يمدحُ ، وقالَ يفتخرُ .

وقالَ حاتِمٌ (١) :　　[من الطويل]

وَعَـاذِلَـةٍ قَـامَـتْ عَـلَـيَّ تَـلُـومُـنِـي　　كَأَنِّي إِذَا أَعْطَيْتُ مَالِي أَضِيمُهَا
أَعَاذِلُ إِنَّ ٱلْجُودَ لَيْسَ بِمُهْلِكِي　　وَلَا مُخْلِدِ ٱلنَّفْسِ ٱلشَّحِيحَةِ لُؤْمُهَا
وَتُـذْكَـرُ أَخْـلَاقُ ٱلْـفَـتَـىٰ وَعِـظَـامُـهُ　　مُغَيَّبَةٌ فِي ٱللَّحْدِ بَالٍ رَمِيمُهَا
وَمَنْ يَبْتَدِعْ مَا لَيْسَ مِنْ خِيمِ نَفْسِهِ　　يَدَعْهُ وَيَغْلِبْهُ عَلَى ٱلنَّفْسِ خِيمُهَا

وقالَ (١) :　　[من الطويل]

أَكُفُّ يَدِي عَنْ أَنْ يَنَالَ ٱلْتِمَاسُهَا　　أَكُفَّ صِحَابِي حِينَ حَاجَاتِنَا مَعَا
أَبِيتُ هَضِيمَ ٱلْكَشْحِ مُضْطَمِرَ ٱلْحَشَا　　مِنَ ٱلْجُوعِ أَخْشَى ٱلذَّمَّ أَنْ أَتَضَلَّعَا
وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي رَفِيقِيَ أَنْ يَرَىٰ　　مَكَانَ يَدِي مِنْ جَانِبِ ٱلزَّادِ أَقْرَعَا
وَإِنَّكَ مَهْمَا تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ　　وَفَرْجَكَ نَالَا مُنْتَهَى ٱلذَّمِّ أَجْمَعَا

وقالَ جؤيةُ بنُ النضرِ (٢) :　　[من البسيط]

قَـالَـتْ طَـرِيـفَـةُ مَـا تَـبْـقَـىٰ دَرَاهِـمُـنَـا　　وَمَـا بِـنَـا سَـرَفٌ فِـيـهَـا وَلَا خُـرُقُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١١٧ ـ ١١٨) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٢٦) .

إِنَّـا إِذَا ٱجْـتَـمَـعَـتْ يَـوْمـاً دَرَاهِـمُـنَـا ظَلَّتْ إِلَىٰ طُرُقِ ٱلْمَعْرُوفِ تَسْتَبِقُ
مَا يَأْلَفُ ٱلدِّرْهَمُ ٱلصَّيَّاحُ صَرَّتَنَا لَـٰكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهْوَ مُنْطَلِقُ
حَتَّىٰ يَصِيرَ إِلَىٰ نَذْلٍ يُخَلِّدُهُ يَكَادُ مِنْ صَرِّهِ إِيَّاهُ يَنْمَزِقُ

بابُ المدحِ أوسعُ أبوابِ الشعرِ .

وكفىٰ هـٰذا القَدْرُ مِنْ مدائحِ « الحماسةِ » .

[نبذةٌ من أشعارِ الصفاتِ من « ديوانِ الحماسةِ »]

ودونَكَ مثالَ ما يُسمَّىٰ مِنَ الشعرِ بالصِّفاتِ ؛ وذٰلكَ لأنَّهُ يذكرُ شيئاً فيأخذُ في متابعةِ أوصافِهِ .

قالَ البعيثُ الحنفيُّ يصفُ ناقةً (١) : [من الطويل]

وَهَاجِرَةٍ يَشْوِي مَهَاهَا سَمُومُهَا طَبَخْتُ بِهَا عَيْرَانَةً وَٱشْتَوَيْتُهَا
مُفَرَّجَةً مَنْفُوجَةً حَضْرَمِيَّةً مُسَانَدَةً سِرَّ ٱلْمَهَارَىٰ ٱنْتَقَيْتُهَا
فَطِرْتُ بِهَا شَجْعَاءَ قَرْوَاءَ جُرْشُعاً إِذَا عُدَّ مَجْدُ ٱلْعِيسِ قُدِّمَ بَيْتُهَا
وَجَدْتُ أَبَاهَا رَائِضَيْهَا وَأُمَّهَا فَأَعْطَيْتُ فِيهَا ٱلْحُكْمَ حَتَّىٰ حَوَيْتُهَا

وقالَ عنترةُ بنُ الأخرسِ يصفُ ثعباناً (٢) : [من الطويل]

لَعَلَّكَ تُمْنَىٰ مِنْ أَرَاقِمِ أَرْضِنَا بِأَرْقَمَ يَسْقِي ٱلسُّمَّ مِنْ كُلِّ مَنْطِفِ
تَرَاهُ بِأَجْوَازِ ٱلْهَشِيمِ كَأَنَّمَا عَلَىٰ مَتْنِهِ أَخْلَاقُ بُرْدٍ مُفَوَّفِ
كَأَنَّ بِضَاحِي جِلْدِهِ وَسَرَاتِهِ وَمَجْمَعِ لِيتَيْهِ تَهَاوِيلُ زُخْرُفِ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٥٠) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٥٠ ـ ١٥١) .

كَأَنَّ مُثَنَّىٰ نِسْعَةٍ تَحْتَ حَلْقِهِ بِمَا قَدْ طَوَىٰ مِنْ جِلْدِهِ ٱلْمُتَغَضِّفِ
إِذَا أَنْسَلَ ٱلْحَيَّاتُ بِٱلصَّيْفِ لَمْ يَزَلْ يُشَاعِرُ بَاقِي جُلْبَةٍ لَمْ تُقَرَّفِ

مِن استعمالِ جملةِ الرجاءِ في الدعاءِ : ما في صدْرِ هٰذا الشعرِ ، دعا عليهِ بأن يُقدَّرَ لهُ ويُصابَ بأرقمَ أو برحلٍ يشبهُ ثعباناً هٰذهِ صفتُهُ ، **وتغضفُ الجلدِ** : تَثنِّيهِ ، واستعارَ الأنسالَ الذي هوَ سقوطُ ريشِ الطائرِ لسلخِ الحيَّةِ ؛ فإنَّهُ يُقالُ : **سلخَتِ الحيَّةُ** ؛ إذا خلعَتْ ثوبَها ، **وأنسلَ الطائرُ** ؛ إذا سقطَ ريشُهُ ، **ويشاعرُ** : مِنْ لبسِ الشعارِ ؛ وهوَ الثوبُ الذي يلي البدنَ ، **وأرادَ بالجلبةِ** : ثوبَهُ ، **ولم يقرفْ** : ولم ينقشرْ ، يصفُهُ بصلابةِ جلدِهِ .

وقالَ ملحةُ الجرميُّ يصفُ سحاباً [1] : [من الطويل]

أَرِقْتُ وَطَالَ ٱللَّيْلُ لِلْبَارِقِ ٱلْوَمْضِ حَبِيّاً سَرَىٰ مُجْتَابَ أَرْضٍ إِلَىٰ أَرْضِ
نَشَاوَىٰ مِنَ ٱلْإِدْلَاجِ كُدْرِيُّ مُزْنِهِ يُقَضِّي بِجَذْبِ ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ يَكَدْ يَقْضِي
تَحِنُّ بِأَجْوَازِ ٱلْفَلَا قُطُرَاتُهُ كَمَا حَنَّ نِيبٌ بَعْضُهُنَّ إِلَىٰ بَعْضِ
كَأَنَّ ٱلشَّمَارِيخَ ٱلْعُلَا مِنْ صَبِيرِهِ شَمَارِيخُ مِنْ لُبْنَانَ بِٱلطُّولِ وَٱلْعَرْضِ
يُبَارِي ٱلرِّيَاحَ ٱلْحَضْرَمِيَّاتِ مُزْنُهُ بِمُنْهَمِرِ ٱلْأَرْوَاقِ ذِي قَزَعٍ رَفْضِ
يُغَادِرُ مَحْضَ ٱلْمَاءِ ذُو هُوَ مَحْضُهُ عَلَىٰ إِثْرِهِ إِنْ كَانَ لِلْمَاءِ مِنْ مَحْضِ
يُرَوِّي ٱلْعُرُوقَ ٱلْهَامِدَاتِ مِنَ ٱلْبِلَىٰ مِنَ ٱلْعَرْفَجِ ٱلنَّجْدِيِّ ذُو بَادَ وَٱلْحَمْضِ
وَبَاتَ ٱلْحَبِيُّ ٱلْجَوْنُ يَنْهَضُ مُقْدِماً كَنَهْضِ ٱلْمُدَانَىٰ قَيْدُهُ ٱلْمُوعِثِ ٱلنِّقْضِ

البارقُ : ذو البرقِ ؛ وهوَ عاملُ الحالِ مِنْ قولِهِ : (حبيّاً) ، **واجتابَ الأرضَ وجابَها** : قطعَها بالسيرِ ، **ونشاوىٰ مِنَ الإدلاجِ** : مُستعارٌ لقطعِ السحابِ

(1) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٥٢ ـ ١٥٣) .

المتمايلةِ لثقلِها بكثرةِ مائِها ، **والكدرىٰ** : أصلُهُ مِنْ صفةِ القطا ، استعارَهُ لِمَا في لونِهِ كُدرةٌ مِنَ المزنِ ، **الصبيرُ** : السحابُ الأبيضُ ، **والحَبِيُّ الجونُ** : السَّحابُ الأسودُ أوِ الأبيضُ الذي يشبهُ سيرُهُ لثقلِهِ حبوَ الصَّبيّ ، ولذٰلكَ ينهضُ كما ينهضُ البعيرُ المُقارَبُ قيدُهُ ، الذي يسيرُ في **الوعثاءِ** ؛ وهوَ الرملُ الذي تَسوخُ فيهِ الأقدامُ ، **النقضُ** : الهزيلُ الضَّعيفُ .

هٰذا ما أوردَ أبو تمامٍ في بابِ الصِّفاتِ مِنَ « الحماسةِ » ، وهٰذا النوعُ كثيرٌ ، يقولونَ في تمييزِهِ مِنْ دواوينِ الشعرِ : (قالَ يصفُ كذا) إن كانَ الكلامُ مسوقاً للصفةِ ، (وقالَ ووصفَ في هٰكذا كالأسدِ والذئبِ) إن كانَتِ القصيدةُ في نوعٍ مِنْ أنواعِ المعاني ، واستطردَ فيها بصفةِ ما وصفَ .

[نبذةٌ مما قيلَ في السيرِ والنعاسِ من « ديوانِ الحماسة »]

ثمَّ عَقَّبَهُ بذكرِ بعضِ ما قيلَ في السيرِ والنعاسِ ، قالَ بعضُهُم[1] : [من الوافر]

وَفِتْيَانٍ بَنَيْتُ لَهُمْ رِدَائِي ... عَلَىٰ أَسْيَافِنَا وَعَلَى ٱلْقِسِيِّ
فَظَلُّوا لَائِذِينَ بِهِ وَظَلَّتْ ... مَطَايَاهُمْ ضَوَارِبَ بِٱللِّحِيِّ
فَلَمَّا صَارَ نِصْفُ ٱللَّيْلِ هَنَّا ... وَهَنَّا نِصْفُهُ قَسْمَ ٱلسَّوِيِّ
دَعَوْتُ فَتىً أَجَابَ فَتىً دَعَاهُ ... بِلَبَّيْهِ أَشَمَّ شَمَرْدَلِيِّ
فَقَامَ يُصَارِعُ ٱلْبُرْدَيْنِ لَدْناً ... يَقُوتُ ٱلْعَيْنَ مِنْ نَوْمٍ شَهِيِّ
فَقَامُوا يَرْحَلُونَ مُنَفَّهَاتٍ ... كَأَنَّ عُيُونَهَا نُزُحُ ٱلرَّكِيِّ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٥٤ ـ ١٥٥) .

وقالَ حُنْدُجُ بنُ حُنْدُجٍ المُرّيُّ[1] : [من البسيط]

فِي لَيْلِ صُولٍ تَنَاهَى ٱلْعَرْضُ وَٱلطُّولُ ... كَـأَنَّـمَـا لَـيْـلُـهُ بِـٱلـلَّـيْـلِ مَـوْصُـولُ
لَا فَارَقَ ٱلصُّبْحَ كَفِّي إِنْ ظَفِرْتُ بِهِ ... وَإِنْ بَـدَتْ غُـرَّةٌ مِـنْـهُ وَتَـحْـجِـيـلُ
لِسَاهِرٍ طَالَ فِي صُولٍ تَـمَـلْـمُـلُـهُ ... كَـأَنَّـهُ حَـيَّـةٌ بِـٱلـسَّـوْطِ مَـقْـتُـولُ
مَتَىٰ أَرَى ٱلصُّبْحَ قَدْ لَاحَتْ مَخَايِلُهُ ... وَٱلـلَّـيْـلُ قَـدْ مُزِّقَـتْ عَـنْـهُ ٱلسَّـرَابِيـلُ
لَـيْـلٌ تَـحَـيَّـرَ مَـا يَـنْـحَـطُّ فِـي جِـهَـةٍ ... كَـأَنَّـهُ فَـوْقَ مَـتْـنِ ٱلْأَرْضِ مَـشْـكُـولُ
نُـجُـومُـهُ رُكَّـدٌ لَـيْـسَـتْ بِـزَائِـلَـةٍ ... كَـأَنَّـمَـا هُـنَّ فِـي ٱلْـجَـوِّ ٱلْـقَـنَـادِيـلُ
مَـا أَقْـدَرَ ٱللهَ أَنْ يُـدْنِـي عَـلَىٰ شَـحَـطٍ ... مَـنْ دارُهُ ٱلْـحَـزْنُ مِـمَّـنْ دَارُهُ صُـولُ
ٱللهُ يَـطْـوِي بِـسَـاطَ ٱلْأَرْضِ بَـيْـنَـهُـمَـا ... حَـتَّـىٰ يُـرَى ٱلـرَّبْـعُ مِـنْـهُ وَهْـوَ مَـأْهُـولُ

وقالَ حميدٌ الأرقطُ ووصفَ فيها الصَّقرَ عندما جاءَ بِهِ التشبيهُ وتلكَ عادتُهُم واقتدىٰ بهِمُ الشُّعراءُ[2] : [من مشطور الرجز]

قَـدْ أَغْـتَـدِي وَٱلـصُّـبْـحُ مُـحْـمَـرُّ ٱلـطُّـرَرْ
وَٱلـلَّـيْـلُ يَـحْـدُوهُ تَـبَـاشِـيـرُ ٱلـسَّـحَـرْ
وَفِـي تَـوَالِـيـهِ نُـجُـومٌ كَـٱلـشَّـرَرْ
بِـسُـحُـقِ ٱلْـمَـيْـعَـةِ مَـيَّـالِ ٱلْـعُـذَرْ
كَـأَنَّـهُ يَـوْمَ ٱلـرِّهَـانِ ٱلْـمُـحْـتَـضَـرْ
وَقَـدْ بَـدَا أَوَّلَ شَـخْـصٍ يُـنْـتَـظَـرْ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٦٠ ـ ١٦١) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٦١ ـ ١٦٢) .

دُونَ أَثَـابِـيَّ مِـنَ ٱلْـخَـيْـلِ زُمَـرْ

ضَـارٍ غَـدَا يَـنْـفُـضُ صِـئْـبَـانَ ٱلْـمَـطَـرْ

عَـنْ زِفٍّ مِـلْـحَـاحٍ بَـعِـيـدِ ٱلْـمُـنْـكَـدَرْ

أَقْـنَـىٰ تَـظَـلُّ طَـيْـرُهُ عَـلَـىٰ حَـذَرْ

يَـلُـذْنَ مِـنْـهُ تَـحْـتَ أَفْـنَـانِ ٱلـشَّـجَـرْ

مِـنْ صَـادِقِ ٱلْـوَدْقِ طَـرُوحٍ بِـٱلْـبَـصَـرْ

بَـعِـيـدِ تَـوْهِـيـمِ ٱلْـوِقَـاعِ وَٱلـنَّـظَـرْ

كَـأَنَّـمَـا عَـيْـنَـاهُ فِـي حَـرْفَـيْ حَـجَـرْ

بَـيْـنَ مَـآقٍ لَـمْ تُـخَـرَّقْ بِـٱلْإِبَـرْ

طُرَرُ الشيءِ : حافاتُهُ ، وسحقُ الميعةِ ؛ أي : بعيدُ النشاطِ ، فهوَ لا يَفنىٰ عن قربٍ ، ويُروىٰ : مشعلُ الميعةِ ؛ أي : ملتهبُها ، والعذرُ : خِصَلُ الشَّعرِ في نواحي الرأسِ ، والأثابيُّ : الجماعاتُ ، لا واحدَ لهُ ، وقيلَ : هوَ جمعُ أُثْبِيَّةٍ ؛ كأُمْنِيَّةٍ ، والضَّاري : الجريءُ ، وصَيْبانُ المطرِ ـ بفتحِ الصَّادِ ـ : صائبُهُ ، أو هوَ صِئْبانُ ـ بكسرِ الصَّادِ والهمزِ بعدَها ـ : جمعُ صُؤابٍ ، على التشبيهِ ، والمنكدرُ : المهويُّ ، ومِنْ صادقِ الودقِ ؛ أي : صادقِ الهُبوطِ ، بدلٌ مِنْ قولِهِ : (منهُ) ، وبعيدُ توهيمِ الوقاعِ والنظرِ ؛ أي : هوَ لا يَلحقُهُ وهمٌ في نظرِهِ ولا وقوعِهِ ، وقولُهُ : (لم تُخَرَّقْ بالإبرِ) أي : هوَ علىٰ وحشيتِهِ لم يأخذْهُ الناسُ ، والصَّقرُ إذا أُخِذَ . . حِيصَتْ عيناهُ ؛ أي : خيطتا ليأنسَ .

انتهىٰ ما اخترتُ إثباتَهُ مِنْ هـٰذا البابِ .

[ذكُر طرفٍ من بابِ المُلَحِ من « ديوانِ الحماسةِ »]

وهاكَ طرفاً مِنْ بابِ المِلَحِ ، وأرادَ أبو تمامٍ بالمِلَحِ : الأشعارَ الهزليَّةَ المستطرفةَ .

قالَ بعضُهم [1] : [من الوافر]

يَقُولُ لِيَ ٱلْأَمِيرُ بِغَيْرِ جُرْمٍ   تَقَدَّمْ حِينَ جَدَّ بِنَا ٱلْمِرَاسُ
فَمَا لِي إِنْ أَطَعْتُكَ مِنْ حَيَاةٍ   وَمَا لِي غَيْرَ هَٰذَا ٱلرَّأْسِ رَاسُ

وقالَتِ امرأةٌ [2] : [من المتقارب]

فَقَدْتُ ٱلشُّيُوخَ وَأَشْيَاعَهُمْ   وَذَٰلِكَ مِنْ بَعْضِ أَقْوَالِيَهْ
تَرَىٰ زَوْجَةَ ٱلشَّيْخِ مَغْمُومَةً   وَتُمْسِي لِصُحْبَتِهِ قَالِيَهْ
فَلَا بَارَكَ ٱللهُ فِي عَرْدِهِ   وَلَا فِي غُضُونِ ٱسْتِهِ ٱلْبَالِيَهْ
وَإِنَّ دِمَشْقَ وَفِتْيَانَهَا   أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ ٱلْجَالِيَهْ
نَكَحْتُ ٱلْمَدِينِيَّ إِذْ جَاءَنِي   فَيَا لَكِ مِنْ نَكْحَةٍ غَالِيَهْ
لَهُ ذَفَرٌ كَصُنَانِ ٱلتُّيُو   سِ أَعْيَا عَلَى ٱلْمِسْكِ وَٱلْغَالِيَهْ

وقالَ أبو الخندقِ الأسديُّ ، وقيلَ : إنَّه لدِعْبِلٍ [3] : [من البسيط]

أَعُوذُ بِٱللهِ مِنْ لَيْلٍ يُقَرِّبُنِي   إِلَىٰ مُضَاجَعَةٍ كَٱلدَّلْكِ بِٱلْمَسَدِ
لَقَدْ لَمَسْتُ مُعَرَّاهَا فَمَا وَقَعَتْ   مِمَّا لَمَسْتُ يَدِي إِلَّا عَلَىٰ وَتِدِ
فِي كُلِّ عُضْوٍ لَهَا قَرْنٌ تَصُكُّ بِهِ   جَنْبَ ٱلضَّجِيعِ فَيَضْحَىٰ وَاهِيَ ٱلْجَسَدِ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٦٢) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٦٣) .
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٦٤) .

وقالَ عمرُ بنُ أبي ربيعةَ [١] : [من الخفيف]

خَبَّرُوهَا بِأَنَّنِي قَدْ تَزَوَّجْـ ـتُ فَظَلَّتْ تُكَاتِمُ ٱلْغَيْظَ سِرًّا
ثُمَّ قَالَتْ لِأُخْتِهَا وَلِأُخْرَىٰ جَزَعاً لَيْتَهُ تَزَوَّجَ عَشْرَا
وَأَشَارَتْ إِلَىٰ نِسَاءٍ لَدَيْهَا لَا تَرَىٰ دُونَهُنَّ لِلسِّرِّ سِتْرَا
مَا لِقَلْبِي كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي وَعِظَامِي كَأَنَّ فِيهِنَّ فَتْرَا
مِنْ حَدِيثٍ نَمَا إِلَيَّ فَظِيعٍ خِلْتُ فِي ٱلْقَلْبِ مِنْ تَلَظِّيهِ جَمْرَا

وقالَ آخَرُ [٢] : [من الطويل]

جَزَى ٱللهُ عَنَّا ذَاتَ بَعْلٍ تَصَدَّقَتْ عَلَىٰ عَزَبٍ حَتَّىٰ يَكُونَ لَهُ أَهْلُ
فَإِنَّا سَنَجْزِيهَا بِمَا فَعَلَتْ بِنَا إِذَا مَا تَزَوَّجْنَا وَلَيْسَ لَهَا بَعْلُ
أَفِيضُوا عَلَىٰ عُزَّابِكُمْ بِنِسَائِكُمْ فَمَا فِي كِتَابِ ٱللهِ أَنْ يَحْرُمَ ٱلْفَضْلُ

وقالَ آخَرُ [٣] : [من مشطور الرجز]

وَفَيْشَةٍ زَيْنٍ وَلَيْسَتْ فَاضِحَهْ
نَابِلَةٍ طَوْراً وَطَوْراً رَامِحَهْ
عَلَى ٱلْعَدُوِّ وَٱلصَّدِيقِ جَامِحَهْ
مَنْ لَقِيَتْ فَهْيَ لَهُ مُصَافِحَهْ
تَسُدُّ فَرْجَ ٱلْقَحْبَةِ ٱلْمُسَافِحَهْ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦٤/٤ ـ ١٦٥) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦٥/٤) ، وفيه : أنه أنشد هـٰذه الأبيات علىٰ مئذنة وسط الحي ، فعدا الناس إليه ، فطرحوه من المنارة ، فهلك .
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦٧/٤) .

مُـفْـسِـدَةٍ لِٱبْـنِ ٱلْـعَـجُـوزِ ٱلـصَّـالِـحَـهْ
كَـأَنَّـهَـا صَـنْـجَـةُ أَلْـفٍ رَاجِـحَـهْ

وقالَ آخَرُ (١) : [من السريع]

وَفَـيْـشَـةٍ لَـيْـسَـتْ كَـهَـٰذِي ٱلْـفَـيْـشِ قَـدْ مُـلِـئَـتْ مِـنْ خُـرُقٍ وَطَـيْـشِ
إِذَا بَـدَتْ قُـلْـتَ أَمِـيـرُ ٱلْـجَـيْـشِ مَـنْ ذَاقَـهَـا يَـعْـرِفُ طَـعْـمَ ٱلْـعَـيْـشِ

وقالَ آخَرُ (٢) : [من الطويل]

لَا أَكْـتُـمُ ٱلْأَسْـرَارَ لَـٰكِنْ أَنُـمُّـهَـا وَلَا أَتْرُكُ ٱلْأَسْرَارَ تَغْلِي عَلَىٰ قَلْبِي
وَإِنَّ قَلِيـلَ ٱلْـعَـقْـلِ مَـنْ بَـاتَ لَـيْـلَـةً تُـقَـلِّـبُـهُ ٱلْأَسْـرَارُ جَنْـبـاً إِلَـىٰ جَنْـبِ

وأفردَ أبو تمامٍ مَذمَّةَ النساءِ ببابٍ جعلَهُ عاشرَ الأبوابِ ، فمنهُ :

قالَ بعضُهُم (٣) : [من الطويل]

دِمَـشْـقُ خُـذِيـهَـا وَٱعْـلَـمِـي أَنَّ لَـيْـلَـةً تَـمُـرُّ بِـعُـودَيْ نَـعْـشِـهَـا لَـيْـلَـةُ ٱلْـقَـدْرِ
أَكَـلْـتُ دَمـاً إِنْ لَـمْ أَرُعْـكِ بِـضَـرَّةٍ بَـعِـيـدَةِ مَـهْـوَى ٱلْـقُـرْطِ طَـيِّـبَـةِ ٱلـنَّـشْـرِ

وقالَ آخَرُ (٣) : [من الطويل]

سَـقَـى ٱللهُ دَاراً فَـرَّقَ ٱلـدَّهْـرُ بَـيْـنَـنَـا وَبَـيْـنَـكِ فِـيـهَـا وَابِـلاً سَـائِـلَ ٱلْـقَـطْـرِ
وَلَا ذَكَـرَ ٱلرَّحْـمَـٰنُ يَـوْمـاً وَلَـيْـلَـةً مَـلَـكْـنَـاكِ فِـيـهَـا لَـمْ تَـكُـنْ لَـيْـلَـةَ ٱلْـبَـدْرِ

وقالَ آخَرُ في امرأةٍ طَلَّقَها (٤) : [من مجزوء الكامل]

رَحَـلَـتْ أُنَـيْـسَـةُ بِـٱلـطَّـلَاقِ وَعَـتَـقْـتُ مِـنْ رِقِّ ٱلْـوَثَـاقِ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٦٧) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٦٧) .
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٧٦ ـ ١٧٧) .
(٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٧٧ ـ ١٧٨) .

بَـانَــتْ فَـلَــمْ يَــأْلَـمْ لَـهَــا ... قَـلْـبِـي وَلَـمْ تَـبْـكِ ٱلْـمَـآقِـي
وَدَوَاءُ مَـــا لَا تَـــشْـــتَـــهِـــيـــ ... ـهِ ٱلـنَّـفْـسُ تَـعْـجِـيـلُ ٱلْـفِـرَاقِ
لَــوْ لَــمْ أَرُحْ بِــفِــرَاقِــهَــا ... لَأَرَحْــتُ نَــفْــسِــي بِــٱلْإِبَــاقِ
وَخَـصَـيْـتُ نَـفْـسِـي لَا أُرِيـ ... ـدُ حَـلِـيـلَـةً حَتَّى ٱلـتَّـلَاقِـي

وقالَ آخَرُ[1] : [من البسيط]

تَـمَّتْ عُـبَـيْدَةُ إِلَّا مِـنْ مَـحَاسِنِـهَا ... وَٱلْمِلْحُ مِنْهَا مَكَانَ ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ
قُلْ لِلَّذِي عَابَهَا مِنْ عَائِبٍ حَنِقٍ ... أَقْصِرْ فَرَأْسُ ٱلَّذِي قَدْ عِبْتَ لِلْحَجَرِ

وقالَ آخَرُ[2] : [من البسيط]

لَا تَـنْـكِـحَنَّ عَـجُوزاً إِنْ أُتِيتَ بِـهَا ... وَٱخْلَعْ ثِيَابَكَ مِنْهَا مُمْعِناً هَرَبَا
وَإِنْ أَتَـوْكَ فَـقَـالُـوا إِنَّـهَـا نَـصَـفٌ ... فَـإِنَّ أَمْـثَـلَ نِـصْـفَـيْـهَـا ٱلَّـذِي ذَهَـبَـا

وقالَ آخَرُ[3] : [من البسيط]

رَقْطَاءُ حَدْبَاءُ يُبْدِي ٱلْكَيْدَ[4] مَضْحَكُهَا ... قَنْوَاءُ بِٱلْعَرْضِ وَٱلْعَيْنَانِ بِٱلطُّولِ
لَـهَـا فَـمٌ مُـلْـتَـقَىٰ شِـدْقَـيْـهِ نَـقْـرَتُـهَـا ... كَـأَنَّ مِـشْـفَـرَهَـا قَـدْ طُـرَّ مِـنْ فِـيـلِ
[أَسْنَانُهَا] أَضْعَفَتْ فِي خَلْقِهَا عَدَداً ... مُـظَـهَّـرَاتٌ جَـمِـيـعـاً بِـٱلـرَّوَاوِيـلِ

الرَّاوُولُ كطاووسٍ : السِّنَّةُ الزائدةُ تنبتُ خلفَ الأصليَّةِ .

❊ ❊

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٧٨) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٨٠) .
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٨٠) .
(٤) في « شرح ديوان الحماسة » : (الكِبْدَ) .

وقالَ آخَرُ [1] : [من الطويل]

أُلَامُ عَلَىٰ بُغْضِي لِمَا بَيْنَ حَيَّةٍ وَضَبْعٍ وَتِمْسَاحٍ تَغَشَّاكَ مِنْ بَحْرِ
تُحَاكِي نَعِيماً زَالَ فِي [قُبْحِ] وَجْهِهَا وَصَفْحَتُهَا لَمَّا بَدَتْ سَطْوَةُ ٱلدَّهْرِ
هِيَ ٱلضَّرَبَانُ فِي ٱلْمَفَاصِلِ خَالِياً وَشُعْبَةُ بِرْسَامٍ ضَمَمْتَ إِلَى ٱلنَّحْرِ
إِذَا سَفَرَتْ كَانَتْ لِعَيْنِكَ سُخْنَةً وَإِنْ بُرْقِعَتْ فَٱلْفَقْرُ فِي غَايَةِ ٱلْفَقْرِ
وَإِنْ حَدَّثَتْ كَانَتْ جَمِيعَ مَصَائِبٍ مُوَفَّرَةٍ تَأْتِي بِقَاصِمَةِ ٱلظَّهْرِ
حَدِيثٌ كَقَلْعِ ٱلضِّرْسِ أَوْ نَتْفِ شَارِبٍ وَغَنْجٌ كَحَطْمِ ٱلْأَنْفِ عِيلَ بِهِ صَبْرِي
وَتَفْتَرُّ عَنْ قُلْحٍ عَدِمْتُ حَدِيثَهَا وَعَنْ جَبَلَيْ طَيٍّ وَعَنْ هَرَمَيْ مِصْرِ

وأنشدَ أبو عبيدةَ لأبي الغطمشِ الحنفيّ [2] : [من المتقارب]

مُنِيتُ بِزَنْمَرْدَةٍ كَٱلْعَصَا أَلَصُّ وَأَخْبَثُ مِنْ كُنْدُشِ
تُحِبُّ ٱلنِّسَاءَ وَتَأْبَى ٱلرِّجَالَ وَتَمْشِي مَعَ ٱلْأَخْبَثِ ٱلْأَطْيَشِ
لَهَا وَجْهُ قِرْدٍ إِذَا ٱزَّيَّنَتْ وَلَوْنٌ كَبَيْضِ ٱلْقَطَا ٱلْأَبْرَشِ
وَثَدْيٌ يَجُولُ عَلَىٰ نَحْرِهَا كَقِرْبَةِ ذِي ٱلثَّلَّةِ ٱلْمُعْطِشِ
لَهَا رَكَبٌ مِثْلُ ظِلْفِ ٱلْغَزَالِ أَشَدُّ ٱصْفِرَاراً مِنَ ٱلْمِشْمِشِ
وَفِخْذَانِ بَيْنَهُمَا نَفْنَفٌ يُجِيزُ ٱلْمَحَامِلَ لَمْ تَخْدِشِ
وَسَاقٌ مُخَلْخَلُهَا حَمْشَةٌ كَسَاقِ ٱلْجَرَادَةِ أَوْ أَحْمَشِ
كَأَنَّ [ٱلثَّآلِيلَ] فِي وَجْهِهَا إِذَا سَفَرَتْ بَدَدُ ٱلْكِشْمِشِ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » : (٤/١٨١ ـ ١٨٢) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٨٤) .

لَـهَـا جُـمَّـةٌ فَـوْقَـهَـا جَـثْـلَـةٌ   كَـمِـثْـلِ ٱلْـخَـوَافِـي مِـنَ ٱلْـمُـرْعَـشِ

الزنمردةُ : المرأةُ المُتشبّهةُ بالرجالِ ، أصلُها فارسيةٌ مِنْ كلمتَينِ : زن ؛ وهيَ المرأةُ ، ومرد ؛ وهوَ الرجلُ ، **وكندشُ** : **قيلَ** : هوَ لصٌّ مشهورٌ ، **وقيلَ** : هوَ العقعقُ أوِ الفأرةُ ؛ لكونِهِما يُوصَفانِ بالسَّرقةِ ، **والرَّكبُ** : منبتُ العانةِ .

❋ ❋ ❋

فنّ القريض

[قرضُ الشِّعرِ]

ذٰلكَ ؛ وحيثُ كانَتِ العزيمةُ علىٰ أن أوردَ هنالكَ طرفاً مِنْ جيّدِ الشعرِ في بعضِ طوالِ قصائدَ لفحولٍ مِنَ الشُّعراءِ . . تَعيَّنَ كما اقتضاهُ الحالُ أن أُقدِّمَ تعريفَكَ بما يُسمِّيهِ أهلُ الأدبِ : فنَّ القريضِ ، وسمَّاهُ قدامةُ قبلُ : نقدَ الشعرِ ؛ لتَعرِفَ ما المرادُ بجيدِ الشعرِ ورديئِهِ ، فتكونَ علىٰ بصيرةٍ مِنْ ذٰلكَ .

قرأتُ لأبي هلالٍ العسكريِّ كتابَهُ المشهورَ بـ « الصِّناعتَينِ » ، فوجدتُهُ رَتَّبَهُ عشرةَ أبوابٍ :

البابُ الأَوَّلُ : في تعريفِ البلاغةِ .

البابُ الثاني : في تمييزِ جيدِ الكلامِ مِنْ رديئِهِ .

البابُ الثالثُ : في معرفةِ صنعةِ الكلامِ .

البابُ الرابعُ : في البيانِ عن حسنِ السبكِ وجودةِ الرصفِ .

البابُ الخامسُ : في ذكرِ الإيجازِ والإطنابِ .

البابُ السادسُ : في حسنِ الأخذِ وقبحِهِ وجودتِهِ ورداءتِهِ .

البابُ السابعُ : في القولِ في التشبيهِ .

البابُ الثامنُ : في ذكرِ السجعِ والازدواجِ .

البابُ التاسعُ : في شرحِ البديعِ .

البابُ العاشرُ : في ذكرِ مقاطعِ الكلامِ ومباديهِ ، والقولِ في الإساءةِ في ذٰلكَ والإحسانِ .

وهـٰأنذا مُلخِّصٌ لكَ منهُ ما تقعُ الكفايةُ بهِ في ذٰلكَ الغرضِ .

❋ ❋ ❋

[البلاغةُ]

أمَّا البلاغةُ ، والإيجازُ وما يقابلُهُ ، والبديعُ ، وفي ضمنِهِ القولُ في المبادئِ والمقاطعِ . . فقد تَقدَّمَتْ ، ولٰكنْ أزيدُكَ نورَ بصيرةٍ بما أُثبِتُ لكَ مِنْ أشياءَ نقلَها أبو هلالٍ في هٰذهِ الأبوابِ ، قالَ في بابِ البلاغةِ بعدَ أن تَكلَّمَ عليها وعلى الفصاحةِ بكلامٍ ما سلفَ لكَ صدرَ المعاني أحسنُ منهُ وأضبطُ (١) :

[حدُّ البلاغةِ عندَ ابنِ المقفَّعِ]

قد جاءَ عنِ الحُكماءِ والعُلماءِ في البلاغةِ أقوالٌ أنا ذاكرُها ومُفسِّرُها ، قالَ إسحاقُ بنُ حسانَ : لم يُفسِّرْ أحدٌ البلاغةَ تفسيرَ ابنِ المُقفَّعِ إذ قالَ : البلاغةُ اسمٌ لمعانٍ تجري في وجوهٍ كثيرةٍ ، منها ما يكونُ في السُّكوتِ ، ومنها ما يكونُ في الاستماعِ ، ومنها ما يكونُ شعراً ، ومنها ما يكونُ سجعاً ، ومنها ما يكونُ خُطَباً ، وربَّما كانَتْ رسائلَ ، بعامَّةِ ما يكونُ مِنْ هٰذهِ الأبوابِ . . فالوحيُ فيها والإشارةُ إلى المعنىٰ أبلغُ ، والإيجازُ هوَ البلاغةُ .

فقولُهُ : (منها ما يكونُ في السُّكوتِ) فالسُّكوتُ يُسمَّىٰ بلاغةً مجازاً ؛ وهوَ في حالةٍ لا ينجعُ فيها القولُ ، ولا تنفعُ إقامةُ الحججِ ؛ إمَّا عندَ جاهلٍ لا يفهمُ الخطابَ ، أو عندَ وضيعٍ لا يرهبُ الجوابَ ، أو ظالمٍ سليطٍ يحكمُ بالهوىٰ ، ولا يرتدعُ بكلمةِ التقوىٰ ، وإذا كانَ الكلامُ يعرىٰ مِنَ الخيرِ ، أو يجلبُ الشرَّ . . فالسُّكوتُ أَولىٰ ، كما قالَ أبو العتاهيةِ (٢) : [من مخلع البسيط]

مَا كُلُّ نُطْقٍ لَهُ جَوَابٌ   جَوَابُ مَا يُكْرَهُ ٱلسُّكُوتُ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠) .

(٢) انظر « لباب الآداب » (ص ٢٧٦) .

وقالَ معاويةُ لابنِ أوسٍ : ابغني مُحدِّثاً ، قالَ : أوَيُحتاجُ معي إلىٰ مُحدِّثٍ ؟! قالَ : أستريحُ منكَ إليهِ ، ومنهُ إليكَ ، وربَّما كانَ صمتُكَ في حالٍ أوفقَ مِنْ كلامِكَ .

ولهُ وجهٌ آخَرُ ؛ وهوَ في كلامِهِم[١] : كلُّ صامتٍ ناطقٌ مِنْ جهةِ الدلالةِ ؛ وذٰلكَ أنَّ دلائلَ الصَّنعةِ في جميعِ الأشياءِ واضحةٌ ، والموعظةُ فيها قائمةٌ .

وقد قالَ الرَّقَاشيُّ : سَلِ الأرضَ : مَنْ شقَّ أنهارَكِ ، وغرسَ أشجارَكِ ، وجنىٰ ثمارَكِ ، فإن لم تجبْكَ حواراً . . أجابَتْكَ اعتباراً .

ولمَّا ماتَ الإسكندرُ . . وقفَ عليهِ بعضُ اليونانيةِ فقالَ : قد طالما وعظَنَا هٰذا الشخصُ بكلامِهِ ، وهوَ اليومَ الساكتُ الواعظُ بسكوتِهِ ، وحقّاً إنَّهُ في يومِهِ هٰذا أوعظُ ، فنظمَ هٰذا الكلامَ أبو العتاهيةِ في قولِهِ[٢] : [من الوافر]

وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ ... وَأَنْتَ ٱلْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيَّا

وأحسنُ مِن هٰذا كلِّهِ وأبلغُ قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[٣] ، وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ ﴾[٤] ؛ معناهُ : يدلُّ على اللهِ بصنعتِهِ وكأنَّهُ يسجدُ وإن لم يسجدْ ولم يقرَّ بذٰلكَ ، وقولُهُ تباركَ وتعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾[٥] .

وقولُهُ : (وربَّما كانَتْ رسائلَ بعامَّةِ ما يكونُ مِنْ هٰذهِ الأبوابِ) معناهُ : وربَّما كانَتْ كلاماً مُشتمِلاً على الشِّعرِ والسَّجعِ والخُطبةِ ، فالباءُ فيهِ

(١) في « الصناعتين » : (وهو قولهم) بدل (وهو في كلامهم) .
(٢) انظر « ديوان أبي العتاهية » (ص ٤٤٢) .
(٣) سورة الإسراء : (٤٤) .
(٤) سورة النحل : (٤٩) .
(٥) سورة الرعد : (١٥) .

للملابسةِ ، ثمَّ أفردَ الوحيَ والإشارةَ والإيجازَ بالثناءِ ؛ لظهورِ بداعتِها وحسنِ موقعِها مِنَ النفوسِ .

وحاصلُ كلامِ ابنِ المُقفَّعِ : إنَّ لكلِّ شيءٍ موضعاً يكونُ وضعُ غيرِهِ فيهِ إساءةً .

[حدُّ البلاغةِ عندَ حكيمِ الهندِ]

وقالَ حكيمُ الهندِ (١) : أوَّلُ البلاغةِ اجتماعُ آلةِ البلاغةِ ؛ وذٰلكَ أن يكونَ الخطيبُ رابطَ الجأْشِ ، ساكنَ الجوارحِ ، مُتخيِّرَ اللَّفظِ ، لا يُكلِّمُ سيدَ الأَمَةِ [بكلامِ الأَمَةِ] ، ولا الملوكَ بكلامِ السُّوقةِ ، ويكونُ في قُواهُ التصرُّفُ في كلِّ طبقةٍ ، ولا يُدقِّقُ المعانيَ كلَّ التدقيقِ ، ولا يُنقِّحُ الألفاظَ كلَّ التنقيحِ ، ويُصفِّيها كلَّ التصفيةِ ، ويُهذِّبُها كلَّ التهذيبِ ، ولا يفعلُ ذٰلكَ حتىٰ يصادفَ حكيماً ، وفيلسوفاً عليماً ، ومَنْ تَعوَّدَ حذفَ فضولِ الكلامِ ، وإسقاطَ مشتركِ الألفاظِ ، [ونظرَ] في صناعةِ المَنطِقِ علىٰ جهةِ الصِّياغةِ والمبالغةِ فيها ، لا علىٰ جهةِ الاستطرافِ والتطرُّفِ لها .

قالَ : واعلمْ : أنَّ حقَّ المعنىٰ أن يكونَ الاسمُ لهُ طبقاً ، وتلكَ الحالُ لهُ وَفْقاً ، ولا يكونُ الاسمُ فاضلاً ، ولا مُقصِّراً ، [ولا] مشتركاً ، ولا مُضمَّناً ، ويكونُ تَصفُّحُهُ لمصادرِ كلامِهِ بقَدْرِ تَصفُّحِهِ لموارِدِهِ ، ويكونُ لفظُهُ مونقاً ، ومعناهُ : نيِّراً واضحاً ، ومدارُ الأمرِ : علىٰ إفهامِ كلِّ قومٍ بمقدارِ طاقتِهِم ، والحملِ عليهِم علىٰ قَدْرِ منازِلِهِم ، وأن تواتيَهُ آلتُهُ ، وتَتصرَّفَ معَهُ أداتُهُ ، ويكونَ في التُّهَمَةِ لنفسِهِ معتدلاً ، وفي حسنِ الظنِّ بها مقتصداً ، فإنَّهُ إن تَجاوزَ الحقَّ في مقدارِ حسنِ الظَّنِّ . . أودعَها تهاونَ الأمينَ ، وإن تجاوزَ بها مقدارَ الحقِّ في التُّهمةِ . . ظلمَها وأودعَها ذلَّ المظلومينَ .

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٥) .

فقولُهُ : (أولُ البلاغةِ اجتماعُ آلةِ البلاغةِ) أي : أوَّلُ آلاتِ البلاغةِ جودةُ القريحةِ ، وطلاقةُ اللسانِ ، وذٰلكَ مِنْ فعلِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، لا يَقدِرُ العبدُ على اكتسابِهِ لنفسِهِ واجتلابِهِ لها ، ومِنَ الناسِ مَنْ إذا خلا بنفسِهِ وأعملَ فكرَهُ . . أتىٰ بالبيانِ العجيبِ ، والتبيانِ البديعِ المصيبِ ، واستخرجَ المعنى الرائقَ ، وجاءَ باللفظِ الرائعِ ، وإذا حاورَ أو ناظرَ . . قَصَّرَ وتأخَّرَ ؛ فحقُّ هٰذا [ألَّا] يَتعرَّضَ لارتجالِ الخُطَبِ ، ولا يجاريَ أصحابَ البداهةِ في ميدانِ القريضِ ، ويكتفي بنتائجِ فكرِهِ .

والناس في صناعةِ الكلامِ علىٰ طبقاتٍ :

منهُم مَنْ إذا حاورَ وناظرَ . . أبلغَ وأجادَ ، وإذا كتبَ وأملىٰ . . أخلَّ وتَخلَّفَ .

ومنهُم مَنْ إذا أملىٰ . . بَرَّزَ ، وإذا حاورَ أو كتبَ . . قَصَّرَ .

ومنهُم مَنْ إذا كتبَ . . أحسنَ ، وإذا حاورَ وأملىٰ . . أساءَ .

ومنهُم مَنْ يُحسِنُ في جميعِ هٰذه الحالاتِ ، ومنهُم مَنْ يسيءُ فيها كلِّها .

فأحسنُ حالاتِ المسيءِ الإمساكُ ، وأحسنُ حالاتِ المحسنِ التوسُّطُ ؛ فإنَّ الإكثارَ يورثُ الإملالَ ، وقلَّما ينجو صاحبُهُ مِنَ الزللِ ، والعيبِ والخطلِ .

وليسَ ينبغي للمُحسِنِ في أحدِ هٰذهِ الفنونِ ، المسيءِ في غيرِها . . أن يَتجاوزَ ما هوَ مُحسِنٌ فيهِ إلىٰ ما هوَ مسيءٌ فيهِ ، فإنِ اضطُرَّ في بعضِ الأحوالِ إلىٰ تجاوزِهِ . . فخيرُ سبيلِهِ قصدُ الاختصارِ ، وتَجنُّبُ الإكثارِ والإهذارِ ؛ ليقلَّ السقطُ في كلامِهِ ، ولا يَكثُرَ العيبُ في مَنطِقِهِ .

وقيلَ لابنِ المُقفَّعِ [1] : لمَ لا تطيلُ القصائدَ ؟ قالَ : لو أطلتُها . . عُرِفَ

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٧) .

صاحبُها ؛ يريدُ : أنَّ المُحدَثَ يَتشبَّهُ بالقديمِ في القليلِ مِنَ الكلامِ ، فإذا طالَ . . أخلَّ ، فعُرِفَ أنَّهُ كلامٌ مُولَّدٌ ، علىٰ أنَّ السابقَ في ميادينِ البلاغةِ إذا أكثرَ . . أسقطَ ، فكيفَ المُقصِّرُ عن غايتِها ، والمُتخلِّفُ عن أمدِها ؟!

ومِنْ تمامِ آلةِ البلاغةِ : التوسُّعُ في معرفةِ العربيةِ ، ووجوهِ الاستعمالِ لها ، والعلمُ بفاخرِ الألفاظِ وساقطِها ، وجيدِها ورديئِها ، ومعرفةُ المَقاماتِ وما يَصلُحُ في كلِّ واحدٍ منها مِنَ الكلامِ .

وقولُهُ : (وذٰلكَ أن يكونَ الخطيبُ رابطَ الجأشِ ، ساكنَ الجوارحِ) هٰذا لأنَّ الحَيرةَ والدَّهَشَ يُورثانِ الحُبْسةَ والحَصَرَ ، وهما سببا الإرتاجِ والإخبالِ ، وقد بلغَكَ ما أصابَ عثمانَ بنَ عفانَ رضيَ اللهُ عنهُ لمَّا صَعِدَ المِنبرَ فأُرتِجَ عليهِ ، فقالَ : إنَّ اللَّذينِ كانا قبلي كانا يُعِدَّانِ لهٰذا المَقامِ مَقالاً ، وأنتُم إلىٰ إمامٍ عادلٍ أحوجُ منكم إلىٰ إمامٍ قائلٍ ، وستأتيكُمُ الخُطبةُ علىٰ وجهِها ، ثمَّ نزلَ .

وصَعِدَ بعضُ العربِ مِنبراً بخراسانَ ، فأُرتِجَ عليهِ ، فقالَ : [من الطويل]

لَئِنْ لَمْ أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيباً فَإِنَّنِي ... بِسَيْفِي إِذَا جَدَّ ٱلْوَغَىٰ لَخَطِيبُ

ونزلَ [١] .

ومِنْ حسنِ الاعتذارِ عندَ الإرتاجِ : ما رُوِيَ : أنَّ داوودَ بنَ عليٍّ خطبَ ، فحَمِدَ اللهَ عزَّ وجلَّ وأثنىٰ عليهِ ، وصلَّىٰ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، فلمَّا قالَ : أمَّا بعدُ . . امتنعَ عليهِ الكلامُ ، ثمَّ قالَ : أمَّا بعدُ : فقد يجدُ المعسرُ ، ويعسرُ الواجدُ ، ويُفَلُّ الحديدُ ، ويقطعُ الكليلُ ، وإنَّما الكلامُ بعدَ الإفحامِ كالإشراقِ بعدَ الإظلامِ ، وقد يعزبُ البيانُ ، ويعتقمُ الصَّوابُ ، وإنَّما [اللسانُ]

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٨) .

بضعةٌ مِنَ الإنسانِ ، يفترُ بفتورهِ إذا نكلَ ، ويثوبُ بانبساطِهِ إذا ارتجلَ ، ألا وإنَّا لا ننطقُ بطراً ، ولا نسكتُ حَصَراً ، بل نسكتُ معتبرينَ ، وننطقُ مرشدينَ ، ونحنُ بعدُ أُمراءُ الكلامِ ، فينا وشجَتْ أعراقُهُ ، وعلينا عطفَتْ أغصانُهُ ، ولنا تَهدَّلَتْ ثمرتُهُ ، فنتخيَّرُ منهُ ما احلولىٰ وعَذُبَ ، ونطرحُ منهُ ما املولحَ وخَبُثَ ، ومِنْ بعدِ مَقامِنا مَقامٌ ، وبعدَ يومِنا أيامٌ ، يُعرَفُ فيها فضلُ البيانِ ، وفصلُ الخطابِ ، واللهُ أفضلُ مُستعانٍ ، ثمَّ نزلَ (١) .

وعلامةُ سكونِ نفسِ الخطيبِ ورباطةِ جأشِهِ : هدوءُهُ في كلامِهِ ، وتَمهُّلُهُ في مَنطِقِهِ .

وقالَ ثمامةُ : كانَ جعفرُ بنُ يحيىٰ أنطقَ الناسِ ؛ قد جمعَ الهدوءَ والجَزالةَ ، والتمهُّلَ والحلاوةَ ، ولو كانَ في الأرضِ ناطقٌ يستغني عنِ الإشارةِ . . لَكانَهُ (٢) .

وقولُهُ : (مُتخيّرَ الألفاظِ) فمدارُ البلاغةِ علىٰ تخيُّرِ اللفظِ ، وتخيُّرُ اللفظِ أصعبُ مِنْ جمعِهِ وتأليفِهِ .

وقولُهُ : (ويكونُ في قُواهُ فضلٌ للتصرُّفِ في كلِّ طبقةٍ) وهوَ أن يكونَ صانعُ الكلامِ قادراً علىٰ جميعِ ضروبِهِ مُتمكِّناً مِنْ جميعِ فنونِهِ ، لا يَعتاصُ عليهِ قسمٌ مِنْ أقسامِهِ ، فإن كانَ شاعراً . . تَصرَّفَ في وجوهِ الشعرِ ؛ مديحِهِ وهجائِهِ ومراثيهِ وصفاتِهِ ومفاخرِهِ وغيرِ ذٰلكَ مِنْ أصنافِهِ .

ولاختلافِ قُوى الناسِ في الشعرِ وفنونِهِ قيلَ : كانَ امرُؤُ القيسِ أشعرَ الناسِ إذا ركبَ ، والنابغةُ إذا رهبَ ، وزهيرٌ إذا رغبَ ، والأعشىٰ إذا طربَ (٣) .

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٨) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٩) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٢٩) .

وكذٰلكَ الكاتبُ ربَّما تَقدَّمَ في ضربٍ مِنَ الكتابةِ وتَأخَّرَ في غيرِهِ ، وسَهُلَ عليهِ نوعٌ منها ، وعَسُرَ [عليه] نوعٌ آخَرُ .

وقالَ إبراهيمُ بنُ العباسِ : سمعتُ أحمدَ بنَ يوسفَ يقولُ : أمرَني المأمونُ أن أكتبَ إلى النواحي في الاستكثارِ مِنَ القناديلِ في المساجدِ ، فبتُّ لا أدري كيفَ أحتذي ، فأتاني آتٍ في منامي فقالَ لي : قُلْ : فإنَّ في ذٰلكَ عمارةً للمساجدِ ، وإرشاداً للسابلةِ ، وإضاءةً للمُتهجّدينَ ، ونفياً لكامنِ الريبِ ، وتنزيهاً لبيوتِ اللهِ مِنْ وَحْشةِ الظُّلَمِ ، فانتبهتُ وقدِ انفتحَ لي ما أُريدُ ، فابتدأتُ بهٰذا وأتممتُ عليهِ[1] .

والمُقدَّمُ في صنعةِ الكلامِ هوَ المستولي عليهِ مِنْ جميعِ جهاتِهِ ، المُتمكِّنُ مِنْ جميعِ أنواعِهِ ، وبهٰذا فَضَّلوا جريراً على الفرزدقِ ، وقالوا : إنَّ في الشعرِ ضروباً ما كانَ يَعرِفُها الفرزدقُ ، وشاهدُ ذٰلكَ : أنَّهُ لمَّا ماتَتْ زوجتُهُ النوارُ . . ناحَ عليها بشعرِ جريرٍ[2] : [من الكامل]

لَوْلَا ٱلْحَيَاءُ لَهَاجَنِي ٱسْتِعْبَارُ وَلَزُرْتُ قَبْرَكِ وَٱلْحَبِيبُ يُزَارُ

وكانَ البحتريُّ يُفضِّلُ الفرزدقَ علىٰ جريرٍ ، ويَزعُمُ أنَّهُ يَتصرَّفُ مِنَ المعاني فيما لا يَتصرَّفُ فيهِ جريرٌ ، ويوردُ منهُ في كلِّ قصيدةٍ خلافَ ما يوردُهُ في الأخرىٰ ، قالَ : وجريرٌ يُكرِّرُ في هجاءِ الفرزدقِ ذكرَ الزبيرِ وجِعْثِنَ والنوارِ ، وأنَّهُ قينُ مجاشعٍ ، لا يَذكُرُ شيئاً غيرَ هٰذا[3] .

وسُئِلَ بعضُهُم عن أبي نُواسٍ ومسلمٍ ، فذكرَ أنَّ أبا نُواسٍ أشعرُ ؛ لتصرُّفِهِ في وجوهِ الشعرِ ، وكثرةِ مذاهبِهِ فيهِ ، ومسلمٌ جارٍ علىٰ وتيرةٍ ، ولا يَتغيَّرُ عنها .

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٩) .
(٢) انظر « ديوان جرير » (٢/٨٦٢) ، و« الصناعتين » (ص ٣٠) .
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٣٠) .

وأبلغُ مِنْ هٰذهِ المنزلةِ أن يكونَ في قُوَّةِ صانعِ الكلامِ أن يأتيَ مَرَّةً بالجزلِ ، وأخرىٰ بالسهلِ ؛ فيلينَ إذا شاءَ ، ويَشتدَّ إذا أرادَ ، ومِنْ هٰذا الوجهِ فَضَّلُوا جريراً على الفرزدقِ ، وأبا نُواسٍ علىٰ مسلمٍ ، قالَ جريرٌ (١) : [من الكامل]

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ ٱلْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتَ ٱلزِّيَارَةِ فَٱرْجِعِي بِسَلَامِ
تُجْرِي ٱلسِّوَاكَ عَلَىٰ أَغَرَّ كَأَنَّهُ بَرَدٌ تَحَدَّرَ مِنْ مُتُونِ غَمَامِ

فانظرْ إلىٰ رِقَّةِ هٰذا الكلامِ ، والفرزدقُ يجري علىٰ طريقةٍ واحدةٍ ، والتصرُّفُ في الوجوهِ أبلغُ .

وقالَ أبو نُواسٍ (٢) : [من مجزوء الرمل]

قُلْ لِذِي ٱلْوَجْهِ ٱلنَّضِيرِ وَلِذِي ٱلرِّدْفِ ٱلْوَثِيرِ
وَلِمِغْلَاقِ هُمُومِي وَلِمِفْتَاحِ سُرُورِي
يَا قَلِيلاً فِي ٱلتَّلَاقِي وَكَثِيراً فِي ٱلضَّمِيرِ

فانظرْ إلىٰ سلاسةِ هٰذا الكلامِ وسهولتِهِ ، وقالَ (٣) : [من المديد]

مَا هَوىً إِلَّا لَهُ سَبَبُ يَبْتَدِي مِنْهُ وَيَنْشَعِبُ
فَتَنَتْ قَلْبِي مُحَجَّبَةٌ بِرِدَاءِ ٱلْحُسْنِ تَنْتَقِبُ
خُلِّيَتْ وَٱلْحُسْنَ تَأْخُذُهُ تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ
فَٱنْتَقَتْ مِنْهُ طَرَائِفَهُ وَٱسْتَزَادَتْ فَضْلَ مَا تَهَبُ
صَارَ جِدّاً مَا مَزَحْتُ بِهِ رُبَّ جِدٍّ سَاقَهُ ٱللَّعِبُ

---

(١) انظر « ديوان جرير » طبعة الصاوي (ص ٥٥١) .
(٢) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٥١٧) .
(٣) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٥٩٠) .

فهٰذا أجزلُ مِنَ الأولِ قليلاً ، وقالَ في صفةِ الكلبِ (١) : [من مشطور الرجز]

أَنْـعَـتُ كَـلْـبـاً جَـالَ فِـي رِبَـاطِهِ
جَـوْلَ مُـصَـابٍ فَـرَّ مِـنْ إِسْـعَـاطِهِ
عِـنْـدَ طَـبِـيـبٍ خَـافَ مِـنْ سِـيَـاطِهِ
هِـجْـنَـا بِـهِ وَهَـاجَ مِـنْ نَـشَـاطِهِ
كَـٱلْـكَـوْكَـبِ ٱلـدُّرِّيِّ فِـي ٱنْـخِـرَاطِهِ
عِـنْـدَ تَـهَـاوِي ٱلـشَّـدِّ وَٱنْـبِـسَـاطِهِ
يُـقَـحِّـمُ ٱلْـقَـائِـدَ فِـي حِـطَـاطِهِ
وَقَـدِّهِ ٱلْـبَـيْـدَاءَ فِـي ٱعْـتِـبَـاطِهِ
لَـمَّـا رَأَى ٱلْـعَـلْـهَـبَ فِـي أَقْـوَاطِهِ
سَـانِـحَـةً وَمَـرَّ فِـي ٱلْـتِـبَـاطِهِ (٢)
كَـٱلْـبَـرْقِ يُـذْرِي ٱلْـمَـرْوَ بِـٱلْـتِـقَـاطِهِ
مِـثْـلَ قَـلِـيٍّ طَـارَ فِـي أَنْـفَـاطِهِ
وَٱنْـصَـاعَ يَـتْـلُـوهُ عَـلَـىٰ قِـطَـاطِهِ
أَغْـضَـفُ لَا يَـيْـئَـسُ مِـنْ خِـلَاطِهِ
يَـصِـيـدُ بَـعْـدَ ٱلْـبُـعْـدِ وَٱنْـبِـسَـاطِهِ
إِنْ لَـمْ يَـبُـتَّ ٱلْـقَـلْـبَ مِـنْ نِـيَـاطِهِ

---

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٢٢٣ ـ ٢٢٥) .

(٢) في « ديوان أبي نواس » : (سابَحَةُ) بدل (سانحة) .

فَـلَـمْ يَـزَلْ يَـأْخُـذُ فِـي لِـطَـاطِهِ

كَٱلـصَّـقْـرِ يَـنْـقَـضُّ عَـلَـىٰ غِـطَـاطِهِ

يَـقْـشِـرُ وَجْـهَ ٱلْأَرْضِ مِـنْ بِـلَاطِهِ

بِـأَرْبَـعٍ تَـقُـولُ مِـنْ إِفْـرَاطِهِ

لِـشِـدَّةِ ٱلْـجَـرْيِ وَلِٱسْـتِـحْـطَـاطِهِ

مَـا إِنْ تَـمَـسُّ ٱلْأَرْضَ فِـي أَشْـوَاطِهِ

قَـدْ خَـدَشَـتْ رِجْـلَاهُ فِـي آبَـاطِهِ

وَخَـرَّمَ ٱلْأُذْنَـيْـنِ بِـٱنْـتِـشَـاطِهِ

خَـلْـجُ ذِرَاعَـيْـهِ إِلَـىٰ مِـلَاطِهِ

يَـنْـقَـدُّ عَـنْـهُ ٱلـصِّـيـقُ بِـٱنْـعِـطَـاطِهِ

فِـي هَـبَـوَاتِ ٱلـصِّـيـقِ أَوْ رِيَـاطِهِ

فَـأَدْرَكَ ٱلـظَّـبْـيَ وَلَـمْ يُـبَـاطِهِ

وَلَـفَّ عِـشْـرِيـنَ إِلَـىٰ أَشْـرَاطِهِ

فَـلَـمْ يَـزَلْ يَـقْـرِنُ فِـي رِبَـاطِهِ

وَيَـخْـمِـطُ ٱلـشَّـاوُونَ مِـنْ خِـمَـاطِهِ

وَيَـطْـبُـخُ ٱلـطَّـابِـخُ مِـنْ إِسْـقَـاطِهِ

حَـتَّـىٰ عَـلَا فِـي ٱلْـجَـوِّ مِـنْ شِـيَـاطِهِ

كَـدَاخِـنِ ٱلـنَّـفْـطِ إِلَـىٰ نَـفَّـاطِهِ

المُصابُ ها هنا : المجنونُ ، **وإسعاطُهُ** : إنشاقُهُ السَّعوطَ لمداواتِهِ ، وقولُهُ :

(**يُقحِّمُ القائدَ فِي حطاطِهِ**) أي : لقُوَّتِهِ يجذبُهُ حتىٰ يوقعَهُ في حالِ حطِّهِ ؛ أيِ : اندفاعِهِ في العدْوِ ، **والاعتباطُ** : الجريُ علىٰ غيرِ رويَّةٍ ، **والعَلْهبُ** ـ بفتحِ أوَّلِهِ ـ : المُسِنُّ مِنْ تُيوسِ الجبلِ ، **والأقواطُ** : جمعُ قَوْطٍ بفتحِ أوَّلِهِ ؛ القطيعُ أوِ الجماعةُ ، و(في) بمعنىٰ (مع) ، **والالتباطُ** : خبطُ الأرضِ في العدْوِ ، **ويُذري المروَ** ؛ أي : يُفرِّقُها ، **والقِطاطُ** ـ ككتابٍ ـ : المِثالُ ، ومعناهُ : أنَّهُ يتبعُهُ في طريقِهِ لا يميلُ ، **والأغضفُ** : مسترخي الأُذنَينِ ذاهبتَينِ إلىٰ خلفٍ ، **والغَطاطُ** ـ كسَحابٍ ـ : القطا ، **والصِّيقُ** ـ بكسرِ أوَّلِهِ ـ : الغبارُ في الهواءِ ، **والانعطاطُ** : الانشقاقُ ، **والملاطُ** : العَضُدُ إلى الكتفِ ، **والأشراطُ** : الأشباهُ ، **والخمطُ** : الشَّيُّ .

فانظرْ إليهِ كيفَ يَتصرَّفُ بينَ الشدَّةِ واللِّينِ ، ويضعُ كلَّ واحدٍ منهُما في موضعِهِ ، ويَستعمِلُهُ في حينِهِ .

وعلىٰ ذكرِ المفاضلةِ بينَ الشُّعراءِ فلا بأسَ أن أستطردَ لكَ ها هنا بذكرِ كلامٍ رأيتُهُ في « شرحِ ديوانِ أبي نُواسٍ » يَتضمَّنُ صفةَ شعراءَ تطلعُ بهِ علىٰ ما لكلٍّ منهُم في أنفسِ علماءِ عصرِهِم ، وما كانَ لأولـٰئكَ العلماءِ مِنَ الفطنةِ والنقدِ [وتمييزِ] الأشياءِ ، والوقوفِ بكلٍّ عندَ حدِّهِ ، وهـٰذا نصُّهُ :

قالَ ابنُ دريدٍ : سألتُ أبا حاتمٍ عن أبي نُواسٍ ، فقالَ : إن جدَّ . . أحسنَ ، وإن هزلَ . . ظرُفَ ، وإن وصفَ . . بالغَ ، يلقي الكلامَ علىٰ عواهنِهِ ، لا يبالي مِنْ حيثُ أخذَهُ [1] .

وهـٰذهِ الحكايةُ وجدتُها في « أماليهِ » في أثناءِ أوصافِ خمسةٍ وعشرينَ رجلاً مِنَ الشُّعراءِ المُحدَثينَ [2] ، أنا أحكيها علىٰ وجهِها ؛ لِمَا فيها مِنَ

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (١/٨٥) .

(٢) نقل جلَّها الهاشمي في « جواهر الأدب » (١/٣٧١ ـ ٣٧٢) .

الفائدةِ ، قالَ : وسألتُهُ عن بشارٍ ، فقالَ : نَظَّارٌ غَوَّاصٌ ، مطيلٌ مجيدٌ ، يصفُ ما لم يرَ كأنَّهُ قد رآهُ ، علىٰ أنَّ في شعرِهِ خللاً كثيراً .

قلتُ : فمروانُ ، قالَ : شاعرٌ راضٍ عن نفسِهِ ، يستحسنُ كلَّ ما جاءَ منهُ ، مُعجَبٌ لا يرىٰ أنَّ أحداً يَتقدَّمُهُ ، كثيرُ الصَّوابِ ، كثيرُ الخطأ ، ليسَ لشعرِهِ صنعةٌ .

قلتُ : فمسلمٌ ، قالَ : خليجٌ صافٍ ، ينزعُ مِنْ بحرٍ كدرٍ ، كالزندِ يوري تارةً ، ويصلدُ أخرىٰ .

قلتُ : فأبو العتاهيةِ ، قالَ : غثاءٌ جمٌّ ، واقتدارٌ سهلٌ ، وشعرٌ كخرزِ الزجاجِ ، وربَّما أشبهَ الياقوتَ والزبرجدَ .

قلتُ : فابنُ الأحنفِ ، قالَ : يلقي دلوَهُ في الدلاءِ ، فيغترفُ الصفوَ أحياناً ، والحمأةَ أحياناً ، علىٰ أنَّ كدرَهُ أكثرُ مِنْ صفوِهِ .

قلتُ : فسَلْمٌ الخاسرُ ، قالَ : مُقِلٌّ مَدَّاحٌ ، شعرُهُ ديباجٌ وعهْنٌ ، يُموِّهُ الرديءَ حتىٰ يُشبِّهَهُ بالجيدِ .

قلتُ : فالعتابيُّ ، قالَ : عالمٌ بأشعارِ العربِ ، محتذٍ علىٰ مثالِهم أحياناً ، وربَّما مالَ إلىٰ تعقيدِ الكلامِ ، علىٰ أنَّهُ ينالُ مرامَهُ مِنْ كلتا الجهتَينِ .

قلتُ : فالخزيميُّ ، قالَ : صنعةٌ سهلةٌ ، لا يكابرُ طبعَهُ ، ولا يكدُّ فكرَهُ ، يسوقُ ما انقادَ لهُ عفواً .

قلتُ : فأشجعُ ، قالَ : يُحسِنُ ويسيءُ ، فصولُهُ مختلفةٌ ، إن شئتَ . . قلتَ : مطبوعٌ ، وإن شئتَ . . قلتَ : مُتكلِّفٌ .

قلتُ : فأبو الشِّيصِ ، قالَ : جِدٌّ كلُّهُ ، فيهِ حلاوةٌ وبشاعةٌ ؛ كالسِّدرةِ التي نفضَتْ ، ففيها المُستعذَبُ والمُستبشَعُ .

قلتُ : فعليُّ بنُ جبلةَ ، قالَ : بحَّاثٌ عنِ الكلامِ الفَخْمِ والمعنى الرائعِ ، لا ينالُ مرتبةَ القُدماءِ ، ويَجِلُّ عن منزلةِ النظراءِ .

قلتُ : فدِعْبِلٌ ، قالَ : شديدُ الأسْرِ ، مُحكَمُ الصَّنعةِ ، قليلُ الطُّلاوةِ ، مفحشُ الهجاءِ ، غيرُ مقنعِ المديحِ .

قلتُ : فأبو تمامٍ ، قالَ : سيلٌ كثيرُ الغثاءِ ، غزيرُ الغمارِ ، جمُّ النطافِ ، فإذا صفا . . فهوَ السُّلافُ بالماءِ الزُّلالِ .

قلتُ : فالحاركيُّ ، قالَ : ظريفٌ مُقِلٌّ ، مُنحَلُّ الألفاظِ ، مُتعقِّدُ المعاني .

قلتُ : فأبو سعدٍ قوصرةُ ، قالَ : ورقٌ ناضرٌ ، وعودٌ خُوارٌ ، إن حُفِظَ . . لم ينفعْ ، وإن ضُيِّعَ . . لم يَضُرَّ .

قلتُ : فابنُ بشيرٍ ، قالَ : عذبُ الكلامِ سهلُهُ ، إذا أرادَ الشيءَ . . قَدَرَ عليهِ ، وإنِ اشتدَّتْ كلفتُهُ في مرامِهِ .

قلتُ : فابنُ أبي عيينةَ ، قالَ : أعجبَهُ اقتدارُهُ ، فتجاوزَ مِقدارَهُ ، علىٰ أنَّهُ إذا فخرَ . . أفلقَ ، وإذا كوىٰ . . أنضجَ .

قلتُ : فعبدُ الصَّمدِ بنُ المُعذِّلِ ، قالَ : خَرَّاجٌ وَلَّاجٌ ، يَعتسِفُ تارةً ، ويهتدي أخرىٰ ، إن سلكَ سبلَ العربِ الأولِ . . أربَ ، وإن مالَ إلىٰ طريقِ المُولَّدينَ . . شاكَهُ .

قلتُ : فعليُّ بنُ الجهمِ ، قالَ : كلامٌ رصينٌ ، ومسلكٌ وَعْرٌ ، عقلُهُ أغلبُ علىٰ شعرِهِ مِنْ طبعِهِ .

قلتُ : فبكرُ بنُ النَّطاحِ ، قالَ : تَشبَّهَ بالأعرابِ فأفرطَ ، وتَجاوزَ حدَّ المُولَّدينَ فأسهبَ ، فهوَ الساقطُ بينَ القريتَينِ .

قلتُ : فخالدٌ النجارُ ، قالَ : سيّئُ الكلامِ ، رخوُ النظامِ ، إن طالَ . . بلدَ ، وإن قصرَ . . أجهدَ .

قلتُ : فأبو دلامةَ ، قالَ : جِدٌّ وهزلٌ ، ومُجتنىً ومرغوبٌ عنهُ ، إذا قصدَ مراماً . . تناولَهُ غثّاً وسميناً .

قلتُ : فأبو الشمقمقِ ، قالَ : هجاؤُهُ لدَّاغٌ ، ومديحُهُ بلا ماءٍ ، أكثرُهُ لا نفعَ فيهِ .

قلتُ : ففلانٌ ، قالَ : كلامٌ مُؤلَّفٌ ، تلمظُهُ أسماعُ الجُهَّالِ ، وتلفظُهُ آذانُ العلماءِ .

قالَ ابنُ دريدٍ : وذهبَ عنّي أن أسألَ عنِ الأغرَّينِ المطبوعَينِ ؛ السيدِ والنميريّ ؛ فقد أغفلَ ابنُ دريدٍ استيصافَ هـٰذَينِ الشاعرَينِ ، ووقعَ لي وصفُهُما في حكايتَينِ أُخريَينِ ، فأمَّا النُّميريُّ . . فذكرَ إسحاقُ الموصليُّ قالَ : حضرتُ الفضلَ بنَ يحيى بنِ خالدِ بنِ برمكَ وعندَهُ منصورٌ النُّميريُّ ومسلمُ بنُ الوليدِ يُنشِدانِهِ ، فالتفتَ إليَّ وقالَ : يا إسحاقُ ؛ احكمْ أيُّهُما أشعرُ ، فقلتُ : إنَّهُ قلَّ مَنْ حكمَ بينَ الشُّعراءِ فسلمَ منهُم ، ولـٰكنْ إن أحبَّ الأميرُ تَكلَّفتُ وصفَ شعرِهِما ، فقالَ : صِفْ ، فقلتُ : أمَّا النُّميريُّ . . فإنَّ شعرَهُ حسنُ البناءِ ، قريبُ المعنىٰ ، سهلٌ كلامُهُ ، صعبٌ مرامُهُ ، سليمُ المتونِ ، كثيرُ العيونِ ، وأمَّا مسلمٌ . . فإنَّهُ مزجَ كلامَ البدويينَ بكلامِ الحضريينَ ، فضمَّنَهُ المعانيَ اللطيفةَ ، وكساهُ الألفاظَ الظريفةَ ، فلَهُ جزالةُ البدويينَ ، ورقَّةُ الحضريينَ .

فقالَ الفضلُ : وصفتَ واللهِ فأحسنتَ ، وأُوتيتَ الحُكْمَ فحكمتَ ، النُّميريُّ أشعرُهُما .

وأمَّا الحكايةُ الأُخرىٰ . . فللجاحظِ فصلٌ مِنْ فصولِ كتبِهِ ذكرَ فيهِ السيدَ

الحميريَّ ، وأبانَ بنَ عبدِ الحميدِ ، وأبا العتاهيةِ ، وبشاراً ، وأبا نواسٍ ، فقالَ : أمَّا السيدُ الحميريُّ . . فأطبعُ الناسِ علىٰ قولِ الشعرِ ، وأقلُّهُم صنعةً ، وأبعدُهُم مِنَ التكلُّفِ ، وأجدرُ أن ينقلَ جميعَ أحاديثِ الناسِ شعراً سهلاً بلا تعقُّدٍ ولا استكراهٍ .

وأمَّا أبانُ بنُ عبدِ الحميدِ . . فلم يكنْ في زمانِهِ أطبعُ منهُ ، ولا أسلسُ كلاماً ، ولا أسهلُ مخارجَ ، وكانَ يقولُ على الثاءِ والذالِ والغينِ والظاءِ مئةَ قصيدةٍ .

وأمَّا أبو العتاهيةِ . . فأحدُ المطبوعينَ ، وكادَ كلامُهُ يكونُ شعراً ، علىٰ أنَّ غزلَهُ ضعيفٌ مشاكلٌ لطبعِ النساءِ .

وأمَّا بشارٌ وأبو نُواسٍ . . فمعناهُما واحدٌ ، والعدةُ اثنانِ ، بشارٌ حَلَّ مِنَ الطَّبعِ بحيثُ لم يَتكلَّفْ قطُّ قولاً ، ولا تَعِبَ مِنْ عملِ شعرٍ ، وأبو نُواسٍ حَلَّ مِنَ الطَّبعِ بحيثُ يصلُ شعرُهُ إلى القلبِ بلا إذنٍ .

رجعنا إلىٰ نقلِ كلامِ أبي هلالٍ في شرحِ قولِ حكيمِ الهندِ : قالَ (1) :

وقولُهُ : (ولا يُكلِّمُ سيدَ الأَمَةِ بكلامِ الأَمَةِ ، ولا الملوكَ بكلامِ السُّوقةِ) ، لأنَّ ذٰلكَ جهلٌ بالمقاماتِ ، وما يصلحُ في كلِّ واحدٍ منها (2) مِنَ الكلامِ ، وأحسنَ الذي قالَ : لكلِّ مقامٍ مقالٌ ، فإذا كانَ موضعُ الكلامِ علىٰ طبقاتِ الناسِ . . فليخاطبِ السوقيَّ بكلامِ السوقيِّ ، والبدويَّ بكلامِ البدويِّ ، ولا يتجاوزْ به ما يعرفُهُ إلىٰ ما لا يعرفُهُ ، فتذهبَ فائدةُ الكلامِ ، وتنعدمَ منفعةُ الخطابِ .

وقولُهُ : (ولا يُدقِّقُ المعانيَ كلَّ التدقيقِ) لأنَّ الغايةَ في تدقيقِ المعاني

---

(1) انظر « الصناعتين » (ص ٣٣) .

(2) في « الصناعتين » (منهما) .

سبيلٌ إلىٰ تعميةِ المعنىٰ ، وهيَ لُكنةٌ إلَّا إذا أُرِيدَ بهِ الإلغازُ ، وكانَتْ في تعميتِهِ فائدةٌ ؛ مثلُ أبياتِ المعاني .

وأمَّا مَنْ أرادَ الإبانةَ في مديحٍ أو غزلٍ أو صفةِ شيءٍ فأتىٰ بإغلاقٍ . . دلَّ ذٰلكَ علىٰ عجزِهِ عن الإبانةِ ، وقصورِهِ عنِ الإفصاحِ .

وقولُهُ : (**ولا يُنقِّحُ الألفاظَ كلَّ التنقيحِ**) ، تنقيحُ اللَّفظِ : أن يَبنيَهُ بناءً لا يكثرُ في الاستعمالِ ، فربَّما وقعَ مَنْ يَقصِدُ ذٰلكَ في إساءةٍ يغفلُهُ عنها الاغترارُ بالاقتدارِ على ابتداعِ ما ليسَ جارياً في كلامِ الناسِ ، مثلُ ما وقعَ لبعضِهِم في خطابِ وزيرٍ حيثُ قالَ في الدعاءِ لهُ : أحسنَ اللهُ إثابتَكَ ، فردَّ عليهِ الوزيرُ في الجوابِ وأحسنَ فقالَ : وأنت عَجَّلَ اللهُ أمانتَكَ (١) .

وقولُهُ : (**ويُصفِّيها كلَّ التصفيةِ ، ويُهذِّبُها كلَّ التهذيبِ**) ، فتصفيتُهُ : تعريتُهُ مِنَ الوحشيِّ ، ونفيُ الشواغلِ عنهُ ، وتهذيبُهُ : تبرئتُهُ مِنَ الرديءِ المرذولِ ، والسُّوقيِّ المردودِ .

فمِنَ الكلامِ المُهذَّبِ الصافي : قولُ بعضِ الكُتَّابِ : مثلُكَ أوجبَ حقّاً لا يجبُ عليهِ ، وسمحَ بحقٍّ يجبُ لهُ ، وقبلَ واضحَ العذرِ ، واستكثرَ قليلَ الشكرِ ، لا زالَتْ أياديكَ فوقَ شكرِ أوليائِكَ ، ونعمةُ اللهِ عليكَ فوقَ آمالِهِم فيكَ .

وقولُ أحمدَ بنِ يوسفَ : يومُنا يومٌ لذيذُ الحواشي ، وطيءُ النواحي ، وهٰذهِ سماءٌ قد تَهلَّلَتْ بودقِها ، وضحكَتْ بلوامعِ برقِها ، وأنتَ قُطبُ السُّرورِ ، ونظامُ الأمورِ ، فلا تغبْ عنَّا فنَقِلَّ ، ولا تُفرِدْنا فنستوحشَ ؛ فإنَّ الحبيبَ بحبيبِهِ كثيرٌ ، وبمساعدتِهِ جديرٌ .

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٣٦) .

وقولُهُ : (ولا يفعلُ ذٰلكَ حتىٰ يلاقيَ حكيماً ، وفيلسوفاً عليماً ، ومَنْ تَعوَّدَ حذفَ فضولِ الكلامِ ومشتركاتِ الألفاظِ . . نظرَ في المَنطِقِ علىٰ جهةِ الصناعةِ فيها ، لا علىٰ جهةِ الاستطرافِ والتطرُّفِ لها) ، يقولُ : ينبغي أن يَتكلَّمَ بفاخرِ الكلامِ ونادرِهِ ، ورصينِهِ ومُحكَمِهِ عندَ مَنْ يَفهمُهُ عنهُ ، ويَقبلُهُ منهُ .

وأمَّا قولُهُ : (مَنْ تَعوَّدَ حذفَ فضولِ الكلامِ) هوَ أن يسقطَ مِنَ الكلامِ ما يكونُ الكلامُ معَ إسقاطِهِ تامّاً غيرَ منقوصٍ ، ولا يكونُ في زيادتِهِ فائدةٌ ؛ سألَ معاويةُ رجلاً عنِ البلاغةِ ، فقالَ : هيَ أن تقولَ فلا تُخطِئَ ، وتُسرِعَ فلا تُبطِئَ ، فقالَ معاويةُ : لو قلتَ : هيَ ألَّا تُخطِئَ ولا تُبطِئَ ، فحذفَ منهُ الفضلَ .

وقولُهُ : (ومُشترَكاتِ الألفاظِ) ، هوَ أن يريدَ الإبانةَ عن معنىً فيأتيَ بألفاظٍ لا تَدُلُّ عليهِ خاصَّةً ، بل تشتركُ فيها معَهُ معانٍ أُخَرُ ، فلا يَعرِفُ السامعُ أيَّها أرادَ ، وربَّما استبهمَ الكلامُ في نوعٍ مِنْ هٰذا الجنسِ حتىٰ لا يُوقَفَ علىٰ معناهُ إلَّا بالتوهُّمِ .

فمِنَ الجنسِ الأوَّلِ قولُ جريرٍ (١) : [من الكامل]

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ ... يَوْمُ ٱلرَّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلِ

فليسَ يدري إلىٰ أيِّ أفعالِهِ أشارَ بقولِهِ : (فعلتُ ما لم أفعلِ) ، أن يبكيَ إذا رحلوا ، أو يَهيمَ علىٰ وجهِهِ مِنَ الغمّ الذي لحقَهُ ، أو يَتبعَهُم إذا ساروا ، أو يَمنعَهُم مِنَ المُضيّ علىٰ عزيمةِ الرحيلِ ، أو يأخذَ منهُم شيئاً يَتذكَّرُهُم بهِ ، أو يدفعَ إليهِم شيئاً يَتذكَّرونَهُ بهِ ، أو غيرَ ذٰلكَ ممَّا يجوزُ أن يفعلَهُ العاشقُ عندَ فراقِ أحبَّتِهِ ؟! فلم يُبيِّنْ عن غرضِهِ ، وأحرجَ السائلَ أن يَسألَهُ عمَّا أرادَ فعلَهُ عندَ رحيلِهِم .

---

(١) انظر « ديوان جرير » (٢/٩٤٠) .

وليسَ هٰذا كقولِهِم : (لو رأيتَ عليّاً عليهِ السلامُ بينَ الصَّفَّينِ) فإنَّ إرادةَ البسالةِ والنكايةِ بينةٌ ، وأمارةَ النقصانِ في بيتِ جريرٍ واضحةٌ ، فمَنْ سمعَهُ وإن لم يكنْ مِنْ أهلِ البلاغةِ . . يَستبرِدُهُ ويَستغِثُّهُ ، ويَسترجِحُ الآخَرَ ويَستجيدُهُ .

ومثلُهُ قولُ سعدِ بنِ مالكٍ الأسديِّ (١) : [من الطويل]

فَإِنَّكَ لَوْ لَاقَيْتَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ ... لَلَاقَيْتَ مِنْهُ بَعْضَ مَا كَانَ يَفْعَلُ

فلم يبنْ بقولِهِ عمَّا أرادَ يلقىٰ منهُ ؛ أخيراً أم شرّاً ، إلَّا أن يسمعَ ما قبلَهُ وما بعدَهُ ، فيَتبيَّنَ معناهُ ، وأمَّا في نفسِ البيتِ . . فلا يَتبيَّنُ .

وأقولُ (٢) : إنَّ النقدَ علىٰ جريرٍ في غيرِ مَحَلِّهِ ؛ حيثُ كانَ كلامُهُ معَ نفسِهِ ، وليسَ لأحدٍ أن يَسألَهُ عمَّا أرادَ ، وقصدُهُ أن يخفيَ مرادَهُ ، فذٰلكَ مقتضى الحالِ .

ومثلُهُ قولُ أبي تمامٍ (٣) : [من الطويل]

وَقُمْنَا فَقُلْنَا بَعْدَ أَنْ أُفْرِدَ ٱلثَّرَىٰ ... بِهِ مَا يُقَالُ فِي ٱلسَّحَابَةِ تُقْلِعُ

وقولُ الناسِ في السَّحابِ إذا أقلعَ علىٰ وجوهٍ كثيرةٍ ، فمنهُم مَنْ يَمدحُهُ ، ومنهُم مَنْ يكرهُ إقشاعَهُ ، علىٰ حَسَبِ ما كانَتْ حالُها عندَهُم ومواقعُها منهُم ، فلم يُبيِّنْ بقولِهِ : (ما يُقالُ في السَّحابةِ تُقلِعُ) معنىً يَعتمِدُهُ السامعُ ، وأينَ هوَ مِنْ قولِ مسلمٍ (٤) : [من الكامل]

فَٱذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوادِي مُزْنَةٍ ... أَثْنَىٰ عَلَيْهَا ٱلسَّهْلُ وَٱلْأَوْعَارُ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٣٩) .

(٢) القائل هو المؤلف ضمن نقله لسياق صاحب « الصناعتين » .

(٣) انظر « ديوان أبي تمام » (٩٦/٤) .

(٤) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ٣١٤) ، فمسلم بن الوليد مشهور بصريع الغواني .

علىٰ أنَّ المُحتجَّ لهُ لو قالَ : العادةُ في السَّحابِ أن يُحمَدَ أثرُهُ ويُثنَىٰ عليهِ بعدَهُ . . لَمَا كانَ مُبعِداً ، ولم أُرِدْ عيبَ أبي تمامٍ ، إنَّما أُريدُ الإخبارَ عن وجهِ الاشتراكِ ، وذكرَ ما يَتشعَّبُ منهُ ويَقرُبُ مِنْ بابِهِ ، وينظرُ إليهِ مِنْ قريبٍ أو مِنْ بعيدٍ .

وأمَّا ما يُستبهَمُ فلا يُعرَفُ المعنىٰ إلا بالتوهُّمِ . . فمثلُ قولِ أبي تمامٍ[١] : [من الكامل]

جَهْمِيَّةُ ٱلْأَوْصَافِ إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ لَقَّبُوهَا جَوْهَرَ ٱلْأَشْيَاءِ

فوجهُ الاشتراكِ في هٰذا : أنَّ للجهمِ مذاهبَ كثيرةً ، وآراءً مختلفةً مُتشعِّبةً ، لم يَدُلَّ فحوىٰ كلامِ أبي تمامٍ علىٰ شيءٍ منها يَصلُحُ أن يُشبَّهَ بهِ الخمرُ وتُنسَبَ إليهِ ، إلَّا أن يَتوهَّمَ المُتوهِّمُ فيقولَ : إنَّما أرادَ كذا وكذا مِنْ مذاهبِ جهمٍ مِنْ غيرِ أن يَدُلَّ الكلامُ منهُ علىٰ شيءٍ بعينِهِ ، ولا يُعرَفُ معنىٰ قولِهِ : (**قد لقَّبوها جوهرَ الأشياءِ**) إلَّا بالتوهُّمِ أيضاً .

ومِنَ الكلامِ الخالي مِنَ الاشتراكِ كلامُ بعضِهِم لأخٍ لهُ أرادَ فراقَهُ[٢] : لمَّا تَصفَّحتُ أخلاقَكَ ، فوجدتُها مباينةً لشاكلتي ، زائغةً عن قصدِ طريقي . . صبرتُ عليها ؛ رياضةً لنفسي على الصَّبرِ لمَساوي أخلاقِ المعاشرينَ ، ولعلمي بكامنِ العدوانِ في العالمينَ ، والذي رجوتُ مِنْ مروءةِ[٣] خصالِكَ بما أقابلُها مِنَ التجاوزِ ، فأسحبُ في سوءِ آثارِها أذيالَ التغاضي . . رأيتُ ذٰلكَ لا يُقوِّمُ اعوجاجَ مذاهبِكَ[٤] ، ولا يعطفُ بكَ الرأيَ علىٰ رشدِكَ ، فلمَّا

---

(١) انظر « ديوان أبي تمام » (١/٣٠) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٠ ـ ٤١) .

(٣) كذا في الأصل ، وفي « الصناعتين » : (من مذمة) بدل (من مروءة) .

(٤) كذا في الأصل ، والعبارة في « الصناعتين » : (وأنت مع ذٰلك دائب لا تقوّم اعوجاج مذاهبك) بدل (رأيت ذٰلك . . .) .

فنيَتْ حيلتي فيكَ ، وانقطعَتْ أسبابُ أملي منكَ ، ورأيتُ الداءَ لا يزيدُ على التعهُّدِ إلَّا فساداً ، والخرقَ على الترقيعِ إلَّا اتساعاً . . قَدَّمتُ اليأسَ منكَ على الرجاءِ فيكَ ، واحتسبتُ أيامي السالفةَ في استصلاحي لكَ .

أقولُ (١) : والاحترازُ عنِ المُشتَرَكِ أمرٌ مُهِمٌّ ، مُحتاجٌ لدِقَّةِ نظرٍ وإطالةِ فكرٍ ، حتىٰ يأخذَ بجميعِ مواردِ الانتقادِ ، ويَضرِبَ دونَها بالإسدادِ ، فيَسلَمَ ممَّا وقعَ فيهِ كثيرٌ مِنْ فُحولِ الشعراءِ ، وتستبينُ ذٰلكَ ممَّا أحكيهِ لكَ :

يُحكىٰ : أنَّ جريراً قدمَ المدينةَ مَرَّةً وشاعرُها يومَئذٍ الأحوصُ ، فاجتمعَ الناسُ لتعظيمِ جريرٍ ؛ إذ كانَ مِنْ أكابرِ الشُّعراءِ ذٰلكَ العصرَ ، ولم يرَ مِنَ الأحوصِ ما يرضيهِ ، فأرادَ أن يُطأطأَ منهُ ، ويَحُطَّ مِنْ كِبْرِهِ ، فقالَ لهُ : يا أحوصُ ؛ أنتَ القائلُ (٢) : [من الطويل]

يَقَرُّ بِعَيْنِي مَا يَقَرُّ بِعَيْنِهَا ... وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ ٱلْعَيْنُ قَرَّتِ

فقالَ : نعم ، يَرىٰ أنَّهُ استحسنَهُ ، وأنَّهُ سيُثني عليهِ ، فكانَ الأمرُ علىٰ خلافِ ذٰلكَ ، وقابلَهُ مِنَ البيتِ بدامغةٍ ؛ فقالَ لهُ : إنَّهُ يَقَرُّ بعينِها أن يدخلَ فيها مثلُ ذراعِ البَكْرِ أفيَقَرُّ بعينِكَ ذٰلكَ ؟! فخَجِلَ الأحوصُ ولم يقابلْهُ بعدُ (٣) .

وأنَّ الفرزدقَ لمَّا قالَ يفتخرُ (٤) : [من الطويل]

إِذَا نَحْنُ سِرْنَا سَارَتِ ٱلنَّاسُ خَلْفَنَا ... وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَأْنَا إِلَى ٱلنَّاسِ وَقَّفُوا

. . قالَ بعضُ أهلِ عصرِهِ : ذٰلكَ وقومُهُ أدلاءُ ركبانٍ !!

---

(١) القول للمؤلف ضمن نقله لكلام صاحب « الصناعتين » .
(٢) انظر « ديوان الأحوص الأنصاري » (ص ١٠٧) .
(٣) انظر « وفيات الأعيان » (٤٣٠/١) .
(٤) انظر « ديوان الفرزدق » (١٢٧/٢) .

وأنَّ ابنَ هرمةَ لمَّا قالَ في التمدُّحِ بالكرمِ (١) : [من الكامل]

نَــارِي وَنَــارُ ٱلْـجَـارِ وَاحِـدَةٌ وَإِلَـيْـهِ قَـبْـلِـي تَـنْـزِلُ ٱلْـقِـدْرُ

. . قالَتِ امرأتُهُ : لأنَّها نارُ الجارِ وقدرُهُ !!

ولـمَّـا قـالَ الـمـتـنبي فـي صـفـةِ جـسـمِـهِ بـالـنـحـولِ علـىٰ عـادةِ العُشَّاقِ (٢) : [من البسيط]

أَبْلَى ٱلْهَوَىٰ أَسَفاً يَوْمَ ٱلنَّوَىٰ بَدَنِي وَفَرَّقَ ٱلْهَجْرُ بَيْنَ ٱلْجَفْنِ وَٱلْوَسَنِ

رُوحٌ تَـرَدَّدُ فِـي مِـثْـلِ ٱلْـخِـلَالِ إِذَا أَطَارَتِ ٱلرِّيحُ عَنْهُ ٱلثَّوْبَ لَمْ يَبِنِ

كَفَىٰ بِجِسْمِي نُحُولاً أَنَّنِي رَجُلٌ لَـوْلَا مُـخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَـمْ تَـرَنِي

قـالَ عَصريُّهُ الـرماديُّ شاعرُ الأنـدلسِ : لـم يـزدْ أن جعـلَ نفسَهُ ضرطةً يُسمَعُ صوتُها ولا يُـرىٰ لـها شخصٌ ، فـاتـفقَ أن قـالَ الـرمـاديُّ فـي غـزلِ قصيدةٍ (٣) : [من الكامل]

فِـي أَيِّ جَـارِحَـةٍ أَصُـونُ مُـعَـذِّبِـي سَـلِـمَـتْ مِنَ ٱلتَّجْرِيحِ وَٱلتَّنْكِيلِ

فقالَ المتنبي : يَصونُهُ في استِهِ ، ولٰكنْ لم يبلغْ مِنَ الرَّماديّ بهٰذا الانتقادِ ما بلغَهُ منهُ ، وهٰذا النوعُ مِنَ الانـتـقادِ هوَ الـذي يُـسمّيهُ ظُـرفاءُ أهـلِ مصرَ بالتنكيتِ ، ولهُم فيهِ غرائبُ ، وعلىٰ مَنْ يُحِبُّ تربيةَ ذوقِهِ وإيقاظَ فكرِهِ أن يعاشرَهُم ، ويستفيدَ ذٰلكَ منهُم ، فالعاقلُ يخرجُ مِنَ الهزلِ إلى الجِدِّ ، ويُحصِّلُ مِنْ صغارِ الأمورِ علىٰ كبارِها .

رجعنا إلىٰ كلامِ أبي هلالٍ ، قالَ (٤) :

---

(١) انظر « خزانة الأدب » (٣/٧٢) .

(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣) .

(٣) انظر « نفح الطيب » (٣/٧١) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٤١) .

وقولُهُ (وحقُّ المعنىٰ أن يكونَ الاسمُ لهُ طبقاً) أيِ : اللفظُ بقَدْرِ المعنىٰ ، غيرَ زائدٍ عليهِ ، ولا ناقصٍ عنهُ ، وكأنَّ ذٰلكَ مِنْ قولِ امرئِ القيسِ(١) : [من الرمل]

طَبَقُ ٱلْأَرْضِ تَحَرَّىٰ وَتَدُرّْ

أي : هوَ على الأرضِ كالطَّبَقِ على الإناءِ ، لا يَنقُصُ منهُ شيءٌ ، قولُ امرئِ القيسِ هٰذا في صفةِ المطرِ ، والبيتُ :

دِيمَةٌ هَطْلَاءُ فِيهَا وَطَفٌ ... طَبَقُ ٱلْأَرْضِ تَحَرَّىٰ وَتَدُرّْ

وقولُهُ : (ولا يكونُ الاسمُ فاضلاً ولا مُقصِّراً) مثالُ الفاضلِ مِنَ اللفظِ عنِ المعنىٰ : قولُ عروةَ بنِ أذينةَ(٢) : [من الكامل]

وَٱسْقِ ٱلْعَدُوَّ بِكَأْسِهِ وَٱعْلَمْ لَهُ ... بِٱلْغَيْبِ أَنْ قَدْ كَانَ قَبْلُ سَقَاكَهَا

وَٱجْزِ ٱلْكَرَامَةَ مَنْ تَرَىٰ أَنْ لَوْ لَهُ ... يَوْماً بَذَلْتَ كَرَامَةً لَجَزَاكَهَا

ومعنىٰ هٰذا الكلامِ محصورٌ تحتَ ثلاثِ كلماتٍ : اجزِ كُلّاً بفعلِهِ ، وكانَ السكوتُ لعروةَ خيراً منهُ .

ومِنَ الكلامِ الفاضلِ لفظُهُ عن معناهُ : قولُ أبي العيالِ الهذليِّ(٣) : [من مجزوء الكامل]

ذَكَرْتُ أَخِي فَعَاوَدَنِي ... صُدَاعُ ٱلرَّأْسِ وَٱلْوَصَبُ

فذكرُ الرأسِ معَ الصُّداعِ فضلٌ ، وقولُ أوسِ بنِ حجرٍ(٤) : [من الطويل]

---

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٤٤) .
(٢) انظر « ديوان عروة بن أذينة » (ص ٣٤٤) .
(٣) انظر « معاهد التنصيص » (١/٣٢٦) .
(٤) انظر « ديوان أوس بن حجر » (ص ٩١) .

وَهُـمْ لِـمُـقِـلِّ ٱلْـمَـالِ أَوْلَادُ عَـلَّـةٍ   وَإِنْ كَانَ مَحْضاً فِي ٱلْعُمُومَةِ مُخْوِلَا

فقولُهُ : (**المالُ**) معَ (**المُقِلِّ**) فضلةٌ ؛ يعني : أنَّ المُقِلَّ والمُكثِرَ معناهُما في الاستعمالِ : الفقيرُ والغنيُّ ، وأولادُ عَلَّةٍ : هُمُ الأولادُ لأُمَّهاتٍ شتَّىٰ ، وهُم غالباً أعداءٌ لبعضِهِم ، فمعنى الكلامِ : أنَّ الناسَ أعداءُ الفقيرِ .

والمُقصِّرُ مِنَ الكلامِ : ما لا يُنبئُكَ عن معناهُ عندَ سماعِكَ إيَّاهُ ، ويُحوِجُكَ إلىٰ شرحٍ ، كبيتِ الحارثِ بنِ حلزةَ[1] : [من مجزوء الكامل]

وَٱلْـعَـيْـشُ خَـيْـرٌ فِـي ظِـلَا   لِ ٱلـنُّـوكِ مِـمَّـنْ عَـاشَ كَـدَّا

معناهُ : والعيشُ في ظلالِ الحماقةِ ـ وهوَ العيشُ الرخيُّ ـ خيرٌ مِنْ عيشِ العُقلاءِ ؛ وهوَ العيشُ الشديدُ ، ذٰلكَ حَسَبَ ما هوَ دائرٌ بينَ الناسِ مِنْ أنَّ الدنيا لا تزالُ معَ الحمقىٰ ، والعاقلَ محرومٌ منها ، وللناسِ في ذٰلكَ كلامٌ كثيرٌ .

وقولُهُ : (**ولا مُضمَّناً**) ، التضمينُ : أن يكونَ الفصلُ الأوَّلُ مُفتقِراً إلى الفصلِ الثاني ، والبيتُ الأولُ مُحتاجاً إلى الأخيرِ ؛ كقولِ الشاعرِ[2] : [من الوافر]

كَأَنَّ ٱلْقَلْبَ لَيْلَةَ قِيلَ يُغْدَىٰ   بِـلَـيْـلَى ٱلْـعَـامِـرِيَّـةِ أَوْ يُـرَاحُ

قَـطَـاةٌ عَـزَّهَـا شَـرَكٌ فَـبَـاتَـتْ   تُـجَـاذِبُـهُ وَقَـدْ عَـلِـقَ ٱلْـجَـنَـاحُ

فلم يُتِمَّ المعنىٰ إلَّا في البيتِ الثاني ، وهوَ قبيحٌ .

ومثالُهُ مِنْ نثرِ الكتابِ : قولُ بعضِهِم : وجعلَ سيِّدَنا آخذاً مِنْ كلِّ ما دُعِيَ بهِ أو يُدعىٰ في الأعيادِ ، بأجزلِ الأقسامِ وأوفرِ الأعدادِ .

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (١/٣٠٨) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٢) .

وقالَ بعضُ الحكماءِ[١] : **البلاغةُ** : قولٌ يسيرٌ يَشتمِلُ علىٰ معنىً خطيرٍ .

وهـٰذا مثلُ قولِ الآخَرِ[٢] : **البلاغةُ** : علمٌ كثيرٌ في قولٍ يسيرٍ .

ومثالُهُ : قولُ الأعرابيِّ وقد سُئِلَ عن مالٍ يَسوقُهُ : لِمَنْ هوَ ؟ فقالَ : للهِ في يدي .

فأيُّ شيءٍ لم يدخلْ تحتَ هـٰذا الكلامِ القليلِ مِنَ الفوائدِ الخطيرةِ والحِكَمِ البارعةِ الجسيمةِ ؟!

وقالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[٣] فدخلَ تحتَ قولِهِ : ﴿ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ مِنَ المعاني ما يَطولُ شرحُهُ ؛ مِنْ إيتاءِ ما يُرجىٰ ، وكفايةِ ما يُخشىٰ ، وهـٰذا مثلُ قولِهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾[٤] .

وسُئِلَ بعضُ الأوائلِ عن سببِ موتِ أخيهِ ، فقالَ : كونُهُ ؛ أي : سببُ موتِهِ كونُهُ ؛ أي : وجودُهُ بحَسَبِ استعدادِهِ وطبيعةِ خلقتِهِ .

وقد تنازعَ الناسُ في هـٰذا المعنىٰ[٥] : أخبرنا أبو أحمدَ ، قالَ : أنبأنا أبو بكرِ بنُ دريدٍ ، عن الرِّياشيِّ قالَ : قيلَ لأعرابيٍّ : كيفَ حالُكَ ؟ فقالَ : ما حالُ مَنْ يَفنىٰ ببقائِهِ ، ويَسقَمُ بسلامتِهِ ، ويُؤتىٰ مِنْ مأمنِهِ ؟!

وأخبرَنا أبو أحمدَ ، قالَ : أنبأَنا محمدُ بنُ يحيىٰ ، قالَ : حدَّثَنا القلابيُّ ، قالَ : حدَّثَنا ابنُ عائشةَ ، قالَ : قلتُ لأبي : حدَّثني حمادُ بنُ سلمةَ عن

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٣) .
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٣) .
(٣) سورة الطلاق : (٣) .
(٤) سورة الزخرف : (٧١) .
(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٤٤) .

حميدِ بنِ ثابتٍ ، عن أنسٍ والحسنِ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ قالَ : « كَفَىٰ بِٱلسَّلَامَةِ دَاءً »[(١)] ، قالَ : يا بنيَّ ؛ لا أُراهُ إلَّا مُسنَداً ، وقد قالَ حميدُ بنُ ثورٍ[(٢)] : [من الطويل]

أَرَىٰ بَصَرِي قَدْ رَابَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ ... وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وَتَسْقَمَا

وقالَ الآخَرُ[(٣)] : [من الكامل]

كَانَتْ قَنَاتِي لَا تَلِينُ لِغَامِزٍ ... فَأَلَانَهَا ٱلْإِصْبَاحُ وَٱلْإِمْسَاءُ

وَدَعَوْتُ رَبِّي بِٱلسَّلَامَةِ دَائِماً ... لِيُصِحَّنِي فَإِذَا ٱلسَّلَامَةُ دَاءُ

وأوَّلُ مَنْ نطقَ بهٰذا المعنى النمرُ بنُ تولبٍ في الجاهليةِ[(٤)] : [من الطويل]

يَوَدُّ ٱلْفَتَىٰ طُولَ ٱلسَّلَامَةِ وَٱلْغِنَىٰ ... فَكَيْفَ تَرَىٰ طُولَ ٱلسَّلَامَةِ يَفْعَلُ

يَرُدُّ ٱلْفَتَىٰ بَعْدَ ٱعْتِدَالٍ وَصِحَّةٍ ... يَنُوءُ إِذَا رَامَ ٱلْقِيَامَ وَيُحْمَلُ

وقالَ آخَرُ[(٥)] : [من الرجز]

مَا حَالُ مَنْ آفَتُهُ بَقَاؤُهُ ... نَغَّصَ عَيْشِي كُلَّهُ فَنَاؤُهُ

وقالَ ابنُ الروميّ[(٦)] : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا ٱلدُّنْيَا بِدَارِ إِقَامَةٍ ... إِذَا زَالَ عَنْ عَيْنِ ٱلْبَصِيرِ غِطَاؤُهَا

وَكَيْفَ بَقَاءُ ٱلنَّفْسِ فِيهَا وَإِنَّمَا ... يُنَالُ بِأَسْبَابِ ٱلْفَنَاءِ بَقَاؤُهَا

---

(١) أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » (١٤٠٩) .
(٢) انظر « ديوان حميد بن ثور الهلالي » (ص ٢١٨) .
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٤) .
(٤) انظر « ديوان النمر بن تولب » (ص ١٠٠ ـ ١٠١) .
(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٤٤) .
(٦) انظر « ديوان ابن الرومي » (١٣٠/١) .

ولبعضِ المُتأخِّرينَ في هٰذا المعنىٰ شعرٌ حسنٌ لا بأسَ بإثباتِهِ معَ ما أثبتَ أبو هلالٍ ؛ وهوَ[1] : [من الخفيف]

صِحَّةُ ٱلْمَرْءِ لِلسَّقَامِ طَرِيقٌ ... وَطَرِيقُ [ٱلْفَنَاءِ] هَٰذَا ٱلْبَقَاءُ
بِٱلَّذِي [نَغْتَذِي] نَمُوتُ وَنَحْيَا ... أَقْتَلُ ٱلدَّاءِ لِلنُّفُوسِ ٱلدَّوَاءُ
مَا لَقِينَا مِنْ غَدْرِ دُنْيَا فَلَا كَا ... نَتْ وَلَا كَانَ أَخْذُهَا وَٱلْعَطَاءُ
جُودُهَا رَاجِعٌ إِلَيْهَا فَمَهْمَا ... يَهَبِ ٱلصُّبْحُ يَسْتَرِدَّ ٱلْمَسَاءُ
صَلَفٌ تَحْتَ رَاعِدٍ وَشَرَابٌ ... كَرَعَتْ فِيهِ مُومِسٌ خَرْقَاءُ
لَيْتَ شِعْرِي حُلْمٌ تَمُرُّ بِهِ ٱلْأَيَّـ ... ـامُ أَمْ لَيْسَ تُعْقَلُ ٱلْأَشْيَاءُ
قَبَّحَ ٱللهُ لَذَّةً لِشَقَانَا ... نَالَهَا ٱلْأُمَّهَاتُ وَٱلْآبَاءُ
نَحْنُ لَوْلَا ٱلْوُجُودُ لَمْ نَأْلَمِ ٱلْفَقْـ ... ـدَ فَإِيجَادُنَا عَلَيْنَا بَلَاءُ

ولبعضِهِمْ[2] : **البلاغةُ** : حسنُ الاقتضابِ عندَ البديهةِ ، والغزارةُ عندَ الإطالةِ .

الاقتضابُ : أخذُ القليلِ مِنَ الكثيرِ ، وأصلُهُ مِنْ قولِهِمْ : اقتضبتُ الغصنَ ؛ إذا قطعتُهُ مِنْ شجرتِهِ .

فمِنَ البديهةِ الحسنةِ[3] : ما أخبرَنا بِهِ أبو أحمدَ ، قالَ : أخبرنا إبراهيمُ بنُ أحمدَ الشطبيُّ ، قالَ : حدَّثَني أحمدُ بنُ يحيىٰ ، قالَ : دخلَ المأمونُ ديوانَ الخراجِ ، فمرَّ بغلامٍ جميلٍ علىٰ أُذنِهِ قلمٌ ، فأعجبَهُ ما رأىٰ مِنْ حسنِهِ ، فقالَ : مَنْ أنتَ يا غلامُ ؟ فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ الناشئُ في

---

(١) انظر « معجم الأدباء » (٤/٢٣ ـ ٢٤) .
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥) .
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦) .

دولتِكَ ، وخِرّيجُ أدبِكَ ، والمُتقلِّبُ في نعمتِكَ ، الحسنُ بنُ رجاءٍ ، فقالَ المأمونُ : بالإحسانِ في البديهةِ تفاضلَتِ العقولُ ، ثمَّ أَمرَ برفعِ رتبتِهِ ، وإعطائِهِ مئتَيْ ألفِ درهمٍ .

ومِنَ الاقتضابِ الجيدِ[1] : ما وردَ في خبرٍ عن أبي عبيدةَ قالَ : استفتحتُ غلامَينِ في الصِّبا ، فزَكَنْتُ منهما بلوغَ الغايةِ ، فجاءَ كما زكنتُ .

بلغَني : أنَّ النَّظَّامَ يَتعاطىٰ علمَ الكلامِ ، فمرَّ بي وهوَ غلامٌ علىٰ حمارٍ يطيرُ بهِ ، فقلتُ : يا غلامُ ؛ ما عيبُ الزُّجاجِ ؟ فقالَ : سريعُ الكسرِ ، بطيءُ الجبرِ .

وبلغَني : أنَّ أبا نُواسٍ يَتعاطىٰ قرضَ الشعرِ ، فلقيَني وهوَ سكرانُ يوماً وما طَرَّ شاربُهُ بعدُ ، فقلتُ : كيفَ فلانٌ عندَكَ ؟ فقالَ : ثقيلُ الظِّلِّ ، جامدُ النَّسيمِ ، فقلتُ : زِدْ ، فقالَ : مظلمُ الهواءِ ، مُنتِنُ الفِناءِ ، فقلتُ : زِدْ ، فقالَ : غليظُ الطَّبعِ ، بغيضُ الشَّكلِ ، قلتُ : زِدْ ، قالَ : وخمُ الطَّلعةِ ، عسرُ القلعةِ ، قلتُ : زِدْ ، قالَ : نابي الجنَباتِ ، باردُ الحركاتِ ، ثمَّ قلتُ : حسبُكَ ، فقالَ : زِدْني سُؤالاً . . أزِدْكَ جواباً ، فقلتُ : كفىٰ مِنَ القِلادةِ ما أحاطَ بالعُنُقِ .

ومِنْ جيدِ البديهةِ[2] : ما كانَ مِنْ يحيى بنِ أكثمَ وقد قالَ لهُ المأمونُ : صفْ لي حالي عندَ الناسِ ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ قدِ انقادَتْ لكَ الأمورُ بأزمَّتِها ، وملَّكَتْكَ الأُمَّةُ فضولَ أعنَّتِها بالرغبةِ إليكَ ، والمحبةِ لكَ ، والرفقِ منكَ بهِم ، ومنكَ عليهِم ، فالحمدُ للهِ الذي [جمعنا] بكَ بعدَ التقاطعِ ، ورفعَنا في دولتِكَ بعدَ التواضعِ ، فقالَ : يا يحيىٰ ؛ تحبيراً أمِ ارتجالاً ؟ قالَ : وهل يمتنعُ فيكَ وصفٌ ، أو يَتعذَّرُ علىٰ مادحِكَ قولٌ ، أو يُفحَمُ فيك شاعرٌ ، أو يَتلجلجُ فيكَ خطيبٌ ؟!

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧) .

ومِنْ حسنِ البديهةِ[1] : **ما يُحكىٰ** : أنَّهُ قدمَ للمهديِّ رجلٌ مِنْ خُراسانَ ، فقالَ : أطالَ اللهُ بقاءَ أميرِ المؤمنينَ ؛ إنَّا قومٌ نأينا عنِ العربِ ، وشغلَتْنا الحُروبُ عنِ الخُطَبِ ، وأميرُ المؤمنينَ يعلمُ طاعتَنا ، وما فيهِ مصلحتُنا ، فيكتفي منَّا باليسيرِ عنِ الكثيرِ ، ويقتصرُ علىٰ ما في الضَّميرِ .

ومِنْ حسنِ البديهةِ[2] : ما تَسمعُهُ فيما يُحكىٰ : أنَّ أعرابيّاً دخلَ على المنصورِ ، فتَكلَّمَ ، فأُعجِبَ بكلامِهِ ، فقالَ لهُ : سلْ حاجتَكَ ، فقالَ : يبقيكَ اللهُ ، ويزيدُ في سلطانِكَ ، فقالَ : سلْ حاجتَكَ ، فليسَ في كلِّ وقتٍ يُؤمَرُ بذٰلكَ ، فقالَ : ولمَ يا أميرَ المؤمنينَ ؟! فواللهِ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ما أستقصرُ عمرَكَ ، ولا أخافُ بخلَكَ ، ولا أغتنمُ مالَكَ ، وإنَّ سؤالَكَ لشرفٌ ، وإنَّ عطاءَكَ لزينٌ ، وما بامرئٍ بذلَ وجهَهُ لكَ نقصٌ ولا شَيْنٌ .

أخذَ المعنى الأخيرَ مِنْ قولِ أميةَ بنِ أبي الصَّلتِ في عبدِ اللهِ بنِ جدعانَ[3] : [من الطويل]

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لِٱمْرِئٍ إِنْ حَبَوْتَهُ ... بِسَيْبٍ وَمَا كُلُّ ٱلْعَطَاءِ يَزِينُ
وَلَيْسَ بِشَيْنٍ لِٱمْرِئٍ بَذْلُ وَجْهِهِ ... إِلَيْكَ كَمَا بَعْضُ ٱلسُّؤَالِ يَشِينُ

[حدُّ البلاغةِ عندَ جعفرِ بنِ يحيىٰ]

وقالَ جعفرُ بنُ يحيىٰ[4] : **البلاغةُ** : أن يكونَ الاسمُ يحيطُ بمعناكَ ، ويُجلِّي عن مغزاكَ ، ويُخرِجُهُ مِنَ الشركةِ ، ولا يستعينُ عليهِ بطولِ الفكرِ ،

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧) .
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧ ـ ٤٨) .
(٣) انظر « ديوان أمية بن أبي الصلت » (ص ٤٩٩) .
(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٤٨) .

ويكونُ سليماً مِنَ التكلُّفِ ، بعيداً مِنْ سوءِ الصَّنعةِ ، بريئاً مِنَ التعقيدِ ، غنيّاً عنِ التأمُّلِ .

قولُهُ : (**أن يكونَ الاسمُ يحيطُ بمعناكَ**) ، فالاسمُ ها هنا : اللفظُ ؛ أي : يَحصُرُ اللفظُ جميعَ المعنىٰ ، ويَشتمِلُ عليهِ ؛ فلا يَشِذُّ منهُ شيءٌ يحتاجُ إلىٰ أن يُعرَفَ بشرحٍ أو بتفسيرٍ ، فإذا سمعتَ اللفظَ . . عرفتَ أقصى المعنىٰ ، وهـٰذا مثلُ قولِ الآخَرِ : البليغُ : مَنْ طَبَّقَ المَفْصِلَ ، وأغناكَ عنِ المُفسِّرِ .

ولا يكونُ الكلامُ بليغاً معَ ذٰلكَ حتىٰ يَعرىٰ مِنَ العيبِ ، ويَتضمَّنَ الجَزالةَ والسُّهولةَ وجودةَ الصَّنعةِ فيما ذكرنا ، ومثالُ ذٰلكَ [١] : ما كتبَ بعضُهُم إلىٰ أخٍ لهُ : أمَّا بعدُ : فإنَّ المرءَ يَسُرُّهُ دَرَكُ ما لم يكنْ ليُحرَمَهُ ، ويَسوءُهُ فوتُ ما لم يكنْ ليدركَهُ ، فليكنْ سرورُكَ فيما قدمتَ مِنْ خيرٍ ، وأسفُكَ علىٰ ما فاتَكَ مِنْ برٍّ .

وقولُ أعرابيٍّ لابنِهِ : يا بنيَّ ؛ إنَّ الدنيا تسعىٰ علىٰ مَنْ يسعىٰ لها ، فالهربَ قبلَ العطبِ ؛ فقد آذنتْكَ بدينٍ [٢] ، وانطوَتْ لكَ علىٰ حَيْنٍ .

وقالَ الشاعرُ [٣] : [من الطويل]

حَـلَالٌ لِـلَـيْـلَـىٰ أَنْ يَـرُوحَ [٤] فُـؤَادُهُ ... بِـهَـجْـرٍ وَمَـغْـفُـورٌ لِـلَـيْـلَـىٰ ذُنُـوبُـهَـا
تَـطَـلَّـعُ مِـنْ نَـفْـسِـي إِلَـيْـكِ نَـوَازِعٌ ... عَـوَارِفُ أَنَّ ٱلْـيَـأْسَ مِـنْـكِ نَـصِـيـبُـهَـا
وَزَالَـتْ زَوَالَ ٱلشَّـمْـسِ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا ... فَمَنْ مُخْبِرِي فِي أَيِّ أَرْضٍ غُرُوبُهَا

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٨) .
(٢) في « الصناعتين » : (ببين) .
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٨) .
(٤) في « الصناعتين » : (تروع) بدل (يروح) .

وقالَ آخَرُ [1] : [من الطويل]

وَمَاذَا عَسَى ٱلْوَاشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا ... سِوَىٰ أَنْ يَقُولُوا إِنَّنِي لَكِ عَاشِقُ
أَجَلْ صَدَقَ ٱلْوَاشُونَ أَنْتِ حَبِيبَةٌ ... إِلَيَّ وَإِنْ لَمْ تَصْفُ مِنْكِ ٱلْخَلَائِقُ

وقولُهُ : (ويُجلِّي عن مغزاكَ) أي : يُوضِّحُ مقصدَكَ ، ويُبيِّنُ للسامعِ مرادَكَ ، ينهىٰ عنِ التعميةِ والإغلاقِ .

وقولُهُ : (ويخرجُهُ مِنَ الشركةِ) فقد مضىٰ تفسيرُهُ [2] .

وقولُهُ : (ولا يستعينُ عليهِ بطولِ الفكرةِ) هـٰذا لأنَّ الكلامَ إذا تَقطَّعَتْ أجزاؤُهُ ، ولم تتصلْ فصولُهُ . . ذهبَ رونقُهُ ، وغاضَ ماؤُهُ ، وإنَّما رونقُ الكلامِ إذا جرىٰ جريانَ السيلِ ، وانصبَّ انصبابَ القطرِ .

وقالَ ثمامةُ [3] : ما رأيتُ أحداً إذا تَكلَّمَ لا يَتحبَّسُ ، ولا يَتوقَّفُ ، ولا يَتلقَّفُ ، ولا يَتلجلجُ ، ولا يَتنحنحُ ، ولا يَترقَّبُ لفظاً استدعاهُ مِنْ بَعدُ ، ولا يلتمسُ التخلُّصَ إلىٰ معنىً قدِ اعتاصَ عليهِ بعدَ طلبِهِ . . إلَّا جعفرَ بنَ يحيىٰ .

فمِنَ الكلامِ الجاري مَجرى السيلِ [4] : قولُ بعضِ العربِ لبعضِ ملوكِ بني أميةَ : أقطعتَ فلاناً أرضاً وَسْطَ [مَحَلَّتِنا ، وسواءَ] [5] خِطَّتِنا ، ومركزَ رماحِنا ، ومنزلَ لقاحِنا ، ومخرجَ نسائِنا ، ومُتقلَّبَ آبائِنا ، ومَسرحَ شبابِنا ، ومَصبحَنا في صيفِنا ، فقالَ : تُكْفَونَ ، وعَوَّضَهُ عنها ، وردَّها عليهِم .

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٩) .
(٢) انظر (٣/٣٣٦) .
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٩) .
(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٤٩) .
(٥) في الأصل : (حلتنا وسوء) .

ويُروىٰ : أنَّ الإمامَ أبا محمدٍ الحسنَ بنَ أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضوانُ اللهِ وسلامُهُ عليهما . . خطبَ ، فقالَ[١] : **اعلموا** : أنَّ الحِلْمَ زينٌ ، والوَقارَ مروءةٌ ، والصَّلفَ نقمةٌ ، والإكثارَ صَلفٌ ، والعجلةَ سفهٌ ، والسَّفهَ ضَعفٌ ، والقلقَ ورطةٌ ، ومجالسةَ أهلِ الدناءةِ شَينٌ ، ومخالطةَ أهلِ الفُسوقِ ريبةٌ .

فهٰذهِ هيَ البلاغةُ التامَّةُ ، والبيانُ الكاملُ .

وكما قالَ بعضُهُمُ[٢] : **البلاغةُ** : صوابٌ في سرعةِ جوابٍ ، **والعِيُّ** : إكثارٌ في إهذارٍ ، وإبطاءٌ في دقةِ أخطاءٍ .

وقالَ بعضُهُم[٣] : لستُ ممَّنْ يَتوهَّمُ بجهلِهِ ، ويَظنُّ بقِلَّةِ عقلِهِ : أَنَّ الدِّيانةَ والأمانةَ ، والنزاهةَ والصِّيانةَ . . إنَّما هيَ في تشميرِ ثوبِهِ ، وإحفاءِ شاربِهِ ، وكشفِهِ عن ساقِهِ ، وزهوِهِ بأَطمارِهِ ، وإنعالِ خُفِّهِ ، وترقيعِ ثوبِهِ ، وإظهارِ سَجَّادتِهِ ، وتعليقِ سُبحتِهِ ، وخفضِ صوتِهِ ، وخضوعِ جسمِهِ دونَ قلبِهِ ، واختلاسِ مشيِهِ ، وخفةِ وطئِهِ بينَ قومِهِ ، ولا يرتشي في حكمِهِ ، ويأخذُ علىٰ علمِهِ ، ويطلبُ الدنيا بدينِهِ ، ولا يرفعُ طرفَهُ مِنْ عظمتِهِ وكبريائِهِ ، ولا يُكلِّمُ الناسَ مِنْ تصنُّعِهِ وريائِهِ .

فهٰذا الكلامُ وأمثالُهُ في طولِ النفسِ يدلُّ على اقتدارِ المُتكلِّمِ وفضلِ قُوَّتِهِ في التصرُّفِ .

وقولُهُ : (ويكونُ سليماً مِنَ التكلُّفِ) ، فالتكلُّفُ : طلبُ الشيءِ بصُعوبةٍ ، للجهلِ في طلبِهِ بالسُّهولةِ ، فالكلامُ إذا جُمِعَ بتعبٍ وجهدٍ ، [وتُنُوِّلَتْ]

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٩) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥٠) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٥٠) .

ألفاظُهُ مِنْ بُعْدٍ . . فهوَ مُتكلَّفٌ ، مثالُهُ[١] : قولُ بعضِهِم في دعائِهِ : اللهمَّ ربَّنا وإلـٰهَنا ؛ صلِّ علىٰ محمدٍ نبيِّنا ، ومَنْ أرادَ بنا سوءاً . . فاحططْ ذٰلكَ السُّوءَ بهِ ، وأرسخْهُ بهِ كرسوخِ السِّجِّيلِ ، علىٰ أصحابِ الفيلِ ، وانصُرْنا علىٰ كلِّ باغٍ وحَسودٍ ، كما انتصرتَ لناقةِ ثَمودٍ .

وقولُهُ : (بريئاً مِنْ سوءِ الصَّنعةِ) ، فسوءُ الصَّنعةِ يتصرَّفُ علىٰ وجوهٍ ؛ منها : سوءُ التقسيمِ وفسادُهُ ، [وقبحُ] الاستعارةِ والتطبيقِ ، وفسادُ النسجِ والسبكِ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ممَّا سيُنبِّهُكَ عليهِ لاحقُ الكلامِ .

ورُوِيَ أنَّه قالَ : (بريئاً مِنَ الصَّنعةِ) ، فالصَّنعةُ : النقصانُ مِنْ غايةِ الجودةِ ، والقصورِ عن جدِّ الإحسانِ .

ويُحكىٰ[٢] : أنَّ النابغةَ لمَّا دخلَ المدينةَ . . شربَ ، وغنَّاهُ المُغنِّي قصيدتَهُ[٣] : [من الكامل]

أَمِـنَ آلِ مَـيَّـةَ رَائِـحٌ أَوْ مُـغْـتَـدِ ... عَـجْـلَانَ ذَا زَادٍ وَغَـيْـرَ مُـزَوَّدِ

وحركةُ رويِّها الكسرةُ ، فلمَّا سمعَ قولَهُ :

وَبِـذَاكَ خَـبَّـرَنَـا ٱلْـغُـرَابُ ٱلْأَسْـوَدُ

وقولَه :

عَـنَـمٌ يَـكَـادُ مِـنَ ٱلـلَّـطَـافَـةِ يُـعْـقَـدُ

. . استنكرَ ذٰلكَ ، وخرجَ مِنَ المدينةِ وهوَ يقولُ : دخلتُ المدينةَ فوجدتُ في شعري صنعةً ، فخرجتُ منها وأنا أشعرُ الناسِ .

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٥٠) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥١) .

(٣) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٨٩) .

وقولُهُ : (فيهِ صنعةٌ) ، هوَ كقولِ الصَّانعِ إذا لم يُتمِّمْ عملَهُ في شيءٍ : هٰذا الشيءُ لم يزلْ فيهِ شغلٌ ؛ أي : هوَ محتاجٌ لأن يصنعَ حتىٰ يَتِمَّ ويبلغَ أحسنَ أحوالِهِ ، مثلاً : أحسنُ أحوالِ القصيدةِ أن تكونَ أبياتُها جميعُها متفقةَ الرَّويِّ ، فقصيدةُ النابغةِ المذكورةُ محتاجةٌ لتغييرِ تركيبِ البيتَينِ حتىٰ يوافقَ رَويُّهُما بقيةَ القصيدةِ ، يُقالُ : إنَّهُ غَيَّرَ قولَهُ :

وَبِــذَاكَ خَـبَّـرَنَـا ٱلْـغُـرَابُ ٱلْأَسْـوَدُ

إلىٰ :

وَبِــذَاكَ تَـنْـعَـابُ ٱلْـغُـرَابِ ٱلْأَسْـوَدِ

وهوَ فِرارٌ مِنْ عيبٍ لأشدَّ منهُ ؛ فإنَّكَ تقارنُ بينَ (خَبَّرَنا) و(تَنعابُ) فتجدُ الأُولىٰ صادرةً عن مصدرِ شعرٍ ، والثانيةَ لم تجئْ إلَّا بالبحثِ والتكلُّفِ لها ، وقهرِها في وضعِها بغيرِ مَقرِّها .

وحُكِيَ (١) : أنَّهُ كانَ ابنُ الأعرابيِّ يأمرُ بكتبِ جميعِ ما يجري في مجلسِهِ ، فأنشدَهُ رجلٌ يوماً أرجوزةَ أبي تمامٍ في وصفِ السحابِ علىٰ أنَّها لبعضِ العربِ : [من مشطور الرجز]

سَـارِيَـةٌ لَـمْ تَـكْـتَـحِـلْ بِـغَـمْـضِ

كَـــدْرَاءُ ذَاتُ هَـــطَـــلَانٍ مَـــحْـــضِ

[مُـــوقَـــرَةٌ] مِـــنْ خُـــلَّـــةٍ وَحَـــمْـــضِ

تَـمْـضِـي وَيُـبْـقِـي نِـعَـمـاً لَا تَـمْـضِـي

قَـضَـتْ بِـهَـا ٱلـسَّـمَـاءُ حَـقَّ ٱلْأَرْضِ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٥١) .

فقالَ ابنُ الأعرابيّ : اكتبوها ، فلمَّا كتبوها . . قيلَ : إنَّها لحبيبِ بنِ أوسٍ ، فقالَ : خَرّقْ خَرِقْ ، لا جرمَ أنَّ أثرَ الصَّنعةِ فيها بيِّنٌ !!

وقالَ الفرزدقُ : إنَّ للقصائدِ مصنعاً ؛ أي : معاباً ومنقصةً .

وقولُهُ : (**بعيدٌ مِنَ التعقيدِ**) ، فالتعقيدُ : الإغلاقُ ؛ وهوَ استعمالُ الوحشيِّ ، وتعليقُ الكلامِ بعضِهِ ببعضٍ حتىٰ يستبهمَ المعنىٰ .

فمِنْ أمثلةِ ذٰلكَ [١] : **ما يُحكىٰ** : أنَّ رجلاً مرضَتْ أُمُّهُ ، فكتبَ رقاعاً وطرحَها في المسجدِ الجامعِ بمدينةِ السلامِ يطلبُ فيها أن يدعوَ الناسُ لأُمِّهِ ، وهـٰذا ما كتبَ فيها : صِينَ ٱمرؤٌ دعا لامرأةٍ [مُقْسَئِنَّةٍ] [٢] ، قد مُنِيَتْ بأكلِ الطُّرموقِ ، فأصابَها مِنْ أجلِهِ الاستمصالُ ؛ أنْ يَمُنَّ اللهُ عليها باطرغشاشٍ وابرغشاشٍ .

الطُّرموقُ : الخفاشُ ، **والاستمصالُ** : الإسهالُ ، **واطرغشَّ وابرغشَّ** ؛ إذا أبلَّ وبَرَأَ ، فكانَ كلُّ مَنْ قرأَ رقعةً . . بالغَ في لعنِهِ ولعنِ أُمِّهِ .

والتعليقُ كقولِ أبي تمامٍ [٣] : [من الكامل]

جَارَىٰ إِلَيْهِ ٱلْبَيْنُ وَصْلَ خَرِيدَةٍ ... مَاشَتْ إِلَيْهِ ٱلْمَطْلَ مَشْيَ ٱلْأَكْبُدِ
يَا يَوْمَ شَرَّدَ يَوْمَ لَهْوِي لَهْوُهُ ... بِصَبَابَتِي وَأَذَلَّ عِزَّ تَجَلُّدِي
يَوْمٌ أَفَاضَ جَوىً أَغَاضَ تَعَزِّياً ... خَاضَ ٱلْهَوَىٰ بَحْرَيْ حِجَاهُ ٱلْمُزْبِدِ

وقولِهِ [٤] : [من الكامل]

فَٱلْمَجْدُ لَا يَرْضَىٰ بِأَنْ تَرْضَىٰ بِأَنْ ... يَرْضَى ٱمْرُؤٌ يَرْجُوكَ إِلَّا بِٱلرِّضَا

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٥٢) .
(٢) والمقسئنة : كبيرة السن .
(٣) انظر « ديوان أبي تمام » (٤٤/٢) .
(٤) انظر « ديوان أبي تمام » (٣٠٧/٢) .

وقولِ المتنبي[1] : [من الكامل]

مَنْ يَهْتَدِي فِي ٱلْفِعْلِ مَا لَا يَهْتَدِي فِي ٱلْقَوْلِ حَتَّىٰ يَفْعَلَ ٱلشُّعَرَاءُ

وبلغَنا : أنَّ إسحاقَ بنَ إبراهيمَ كانَ يُنشِدُ مثلَ هٰذا عندَ الحسنِ بنِ وهبٍ ، فكانَ يقولُ لهُ : يا هٰذا ؛ إنَّكَ تُشدِّدُ علىٰ نفسِكَ ، فكلُّ ما كانَ مِنَ الكلامِ بهٰذهِ المثابةِ . . كانَ مذموماً مردوداً ، وكانَ السُّكوتُ خيراً منهُ .

وقولُهُ : (غنيّاً عنِ التأمُّلِ) أي : هوَ مستغنٍ لوضوحِهِ عن تأمُّلِ معانيهِ ، وترديدِ النظرِ فيهِ ؛ كقولِ بعضِهم لصديقٍ لهُ[2] : وجدتُ المودَّةَ منقطعةً ما دامَتِ الحشمةُ عليها مُسلَّطةً ، ولا يزولُ سلطانُ الحشمةِ إلَّا بملكةِ المؤانسةِ .

وممَّا يُؤيِّدُ ما قلناهُ[3] : قولُ الجاحظِ : مَنْ أعارَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ مِنْ معونتِهِ نصيباً ، وأفرغَ عليهِ مِنْ محبَّتِهِ ذَنوباً . . حَبَّبَ إليهِ المعانيَ ، وسَلَّسَ لهُ نظامَ اللفظِ ، وكانَ قد أعفى المستمعَ مِنْ كدِّ التلطُّفِ ، وأراحَ قارئَ الكتابِ مِنَ الفهمِ .

معناهُ : أنَّهُ يعفيهِ ويريحُهُ مِنْ تعبِ أن يَتطلَّبَ المرادَ بشدَّةِ النظرِ وكثرةِ التأمُّلِ حتىٰ يعثرَ عليهِ .

[حدُّ البلاغةِ عندَ بعضِهم]

ولبعضِهمُ[4] : البلاغةُ : التقريبُ مِنَ المعنى البعيدِ ، والتباعدُ مِنْ

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٩٥) .
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣) .
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣) .
(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣) .

حشوِ الكلامِ ؛ وذٰلكَ بالقصدِ إلى الإيجازِ في صوابٍ ، والحُجَّةِ وحسنِ الاستعارةِ[1] .

ومثلُهُ : قولُ آخَرَ[2] : **البلاغةُ** : تقريبُ ما بَعُدَ مِنَ الحكمةِ بأيسرِ الخطابِ .

وتقريبُ المعنى البعيدِ : بأن يَعمِدَ إلى المعنى اللطيفِ فيكشفَهُ ، وينفيَ الشواغلَ عنهُ ، فيفهمَهُ السامعُ مِنْ غيرِ فكرٍ فيهِ وتدبُّرٍ لهُ ؛ مثلُ قولِ الأوَّلِ في امرأةٍ[3] : [من السريع]

لَمْ نَدْرِ مَا ٱلدُّنْيَا وَمَا طِيبُهَا ... وَحُسْنُهَا حَتَّىٰ رَأَيْنَاهَا

إِنَّكَ لَوْ أَبْصَرْتَهَا سَاعَةً ... أَجْلَلْتَهَا أَنْ تَتَمَنَّاهَا

وقولُ بعضِهِم لملكٍ مِنَ الملوكِ[4] : أمَّا التعجُّبُ مِنْ مناقبِكَ . . فقد نسخَهُ تواترُها ، فصارَتْ كالشيءِ القديمِ الذي قد أُنِسَ بهِ ، لا كالشيءِ البديعِ الذي يُتعجَّبُ منهُ .

ومِنْ هٰذا أخذَ أبو تمامٍ قولَهُ[5] : [من الطويل]

عَلَىٰ أَنَّهَا ٱلْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا ... عَجَائِبَ حَتَّىٰ لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ

وقولُ آخَرَ لبعضِ الملوكِ أيضاً[6] : أخلاقُكَ تجعلُ العدوَّ صديقاً ، وأحكامُكَ تجعلُ الصَّديقَ عدوّاً .

---

(١) في « الصناعتين » : (والتباعد من حشو الكلام ، وقُربُ المأخذ ، وإيجازٌ في صواب ، وقصدٌ إلى الحجة ، وحسن الاستعارة) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣) .

(٥) انظر « ديوان أبي تمام » (٤٢/٤) .

(٦) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣) .

وقالَ بعضُ القدماءِ (١) : لكلِّ جليلةٍ دقيقةٌ ، ودقيقةُ الموتِ الهجرُ .

قالَ أبو هلالٍ (٢) : وقلتُ : [من المجتث]

اِسْـمُ ٱلتَّـفَـرُّقِ بَـيْـنٌ لَـٰكِنَّ مَـعْـنَـاهُ مَـوْتُ
وُجْـدَانُـنَـا كُـلَّ شَـيْءٍ إِذَا تَـبَـاعَـدْتَ فَـوْتُ

وقولُهُ : (والتباعدُ مِنْ حشوِ الكلامِ) ، فالحشوُ يكونُ علىٰ ثلاثةِ أضربٍ : اثنانِ منها مذمومانِ ، وواحدٌ محمودٌ ، فأحدُ المذمومَينِ : هوَ إدخالُكَ في الكلامِ لفظاً لو أسقطتَهُ . . لكانَ الكلامُ تامّاً ؛ مثلَ قولِ الشاعرِ (٣) : [من البسيط]

أَبْغِي فَتىً لَمْ تَذَرَّ ٱلشَّمْسُ طَالِعَةً يَوْماً مِنَ ٱلدَّهْرِ إِلَّا ضَرَّ أَوْ نَفَعَا

فقولُهُ : (يوماً مِنَ الدَّهرِ) [حَشْوٌ] لا يُحتاجُ إليهِ .

وقولِ بعضِ بني عبسٍ (٤) : [من الطويل]

أَبَعْدَ بَنِي بَكْرٍ أُؤَمِّلُ مُقْبِلاً مِنَ ٱلْعَيْشِ أَوْ آسَىٰ عَلَىٰ إِثْرِ مُدْبِرِ
وَلَيْسَ وَرَاءَ ٱلصَّبْرِ شَيْءٌ يَرُدُّهُ عَلَيْكَ إِذَا وَلَّىٰ سِوَى ٱلصَّبْرِ فَٱصْبِرِ
أُولَاكَ بَنُو خَيْرٍ وَشَرٍّ كِلَيْهِمَا وَمَعْرِفَةٍ أَنَّىٰ أُرِيدُ (٥) وَمُنْكَرِ

قولُهُ : (أريدُ) زيادةٌ وحشوٌ ، وقولُهُ : (كليهما) يكادُ يكونُ حشواً ، وكذٰلكَ قولُهُ : (إذا ولَّىٰ) .

والضَّرْبُ الآخَرُ : العبارةُ عنِ المعنىٰ بكلامٍ طويلٍ لا فائدةَ في طولِهِ ،

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٥٤) .
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥٤) .
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٥٤) ، وفيها : (أنعي فتىً) بدل (أبغي فتىً) .
(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٥٤) .
(٥) في « الصناعتين » : (كليهما جميعاً ومعروفٍ أريد) .

ويمكنُ أن يُعبَّرَ عنهُ بأقصرَ منهُ ؛ مثلُ قولِ النابغةِ[١] : [من الطويل]

تَبَيَّنْتُ آيَاتٍ لَهَا فَعَرَفْتُهَا ... لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا ٱلْعَامُ سَابِعُ

كانَ ينبغي (لسبعةِ أعوامٍ) ، ثمَّ يُتمِّمُ البيتَ بما فيهِ فائدةٌ .

قلتُ[٢] : والذي أحوجَ النابغةَ لذٰلكَ : أنَّ العامَ السابعَ لمْ يَتِمَّ .

وأمَّا الضَّرْبُ المحمودُ . . فكقولِ كثيرٍ[٣] : [من الوافر]

لَوَ انَّ ٱلْبَاخِلِينَ وَأَنْتِ مِنْهُمْ ... رَأَوْكِ تَعَلَّمُوا مِنْكِ ٱلْمِطَالَا

قولُهُ : (وأنتِ منهُم) حشوٌ ، إلَّا أنَّهُ مليحٌ ، وهٰذا ما يُسمَّىٰ في البديعِ : اعتراضاً .

ومِنَ الكلامِ الذي لا حشوَ فيهِ[٤] : قولُ صبرةَ بنِ [شيمانَ] حينَ دخلَ علىٰ معاويةَ معَ الوفودِ ، فتكلَّموا فأكثروا ، فقالَ صبرةُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّا حيُّ فِعالٍ ، ولسنا حيَّ مَقالٍ ، ونحنُ بأدنىٰ فعالِنا عندَ أحسنِ مقالِهِم ، قالَ معاويةُ : (صدقتَ) .

ومِنْ هٰذا قولُ الشاعرِ[٥] : [من الطويل]

وَتَجْهَلُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأْيُنَا ... وَنَشْتُمُ بِٱلْأَفْعَالِ لَا بِٱلتَّكَلُّمِ

وكتبَ رجلٌ لأخٍ لهُ[٦] : ثقتي بكرمِكَ تمنعُ مِنِ اقتضائِكَ ، وعلمي بشغلِكَ يحدو علىٰ إذكارِكَ[٧] .

---

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٣٠) ، و« الصناعتين » (ص ٥٥) .
(٢) القائل هو المؤلف ضمن نقله عن صاحب « الصناعتين » .
(٣) انظر « ديوانه » (ص ٥٠٧) ، و« الصناعتين » (ص ٥٥) .
(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٥٥) .
(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٥٥) .
(٦) انظر « الصناعتين » (ص ٥٥) .
(٧) في « الصناعتين » : (ادِّكارك) .

ولآخَرَ[1] : في الناسِ طبائعُ سيئةٌ ، فارتبطْ بمَنْ رَجَحَتْ محاسنُهُ .

وقالَ الحسنُ رضوانُ اللهِ عليهِ[2] : نعمُ اللهِ على العبدِ أكثرُ مِنْ أن تُشكَرَ إلَّا أن يُعانَ عليها ، وذنوبُهُ أكثرُ مِنْ أن يَسلَمَ [منها] إلَّا أن يُعفىٰ لهُ عنها .

قيلَ : ومِنَ البلاغةِ : قربُ المأخذِ ؛ وهوَ تناولُ المعنىٰ مِنْ قريبٍ دونَ كَدٍّ لهُ ، وتَعمُّلٍ في تحصيلِهِ ، وفي ذٰلكَ غرائبُ كالاتفاقياتِ .

يُحكىٰ[3] : أنَّ الرشيدَ قالَ ليلةً وهوَ في ندمائِهِ : قد طلعَتِ الثُّريا ، فقالَ واحدٌ منهم : كأنَّها عِقدُ ريَّا ، وقالَ رجلٌ : بردَ الماءُ وطابا ، فقالَ آخَرُ : حبذا الماءُ شرابا .

وطالَ وقوفُ بشارٍ ببابِ يعقوبَ ، فأنشدَ : [من الكامل]

طَالَ ٱلثَّوَاءُ عَلَىٰ رُسُومِ ٱلْمَنْزِلِ

فرُفِعَ ليعقوبَ ، فقالَ :

فَإِذَا تَشَاءُ أَبَا مُعَاذٍ فَٱدْخُلِ

ومِنْ قُربِ المأخذِ[4] : أنَّ الجاحظَ أو غيرَهُ قالَ [للجمَّازِ] : أنا أريدُ أن أنظرَ إلى الشيطانِ ، فقالَ : انظرْ في المرآةِ .

وقالَ بعضُ الولاةِ لأعرابيٍّ : قلِ الحقَّ ، وإلَّا . . أوجعتُكَ ضرباً ، فقالَ : وأنتَ فاعملْ بهِ ، فواللهِ ؛ لَمَا أوعدَكَ اللهُ بهِ منهُ . . أعظمُ ممَّا أوعدتَني بهِ منكَ .

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٥٥) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥٥) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٥٦) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٥٦) .

ومنهُ[1] : أنَّ المأمونَ قالَ لأُمِّ الفضلِ بنِ سهلٍ بعدَ قتلِهِ إيَّاهُ : أتجزعينَ ولكِ ولدٌ مثلي ؟! فقالَتْ : وكيفَ لا أجزعُ علىٰ ولدٍ أفادنيكَ ؟! وكانَتْ أُمَّهُ مِنَ الرَّضاعةِ .

ولأبي حنيفةَ : إذا أتتْكَ مُعضِلةٌ . . فاجعلْ جوابَها منها .

ومِنْ ذٰلكَ[2] : ما يُحكىٰ : أنَّ عبدَ الملكِ دعا يوماً بالغداءِ وبحضرتِهِ رجلٌ ، فدعاهُ إلىٰ غدائِهِ ، فقالَ : ليسَ بي غداءٌ ، قد تَغدَّيتُ يا أميرَ المؤمنينَ ، فقالَ عبدُ الملكِ : ما أقبحَ بالرجلِ أن يأكلَ حتىٰ لا يكونَ فيهِ فضلٌ للطعامِ ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ فيَّ فضلٌ ، ولٰكنْ أكرهُ أن آكلَ فأصيرَ إلىٰ ما استقبحَهُ أميرُ المؤمنينَ .

وقالَ محمدُ بنُ عليٍّ عليهِما السلامُ : **البلاغةُ** : قولٌ يُفقَهُ في لطفٍ ، وفقهُ القولِ فهمُ حقيقتِهِ ، واللطيفُ مِنَ الكلامِ ما تعطفُ بهِ القلوبُ النافرةُ ، وتُؤنَسُ بهِ الأفئدةُ المستوحشةُ ، وتلينُ بهِ العريكةُ الأبيَّةُ المُستصعَبةُ ، وتُبلَغُ بهِ الحاجةُ ، [وتُقامُ] بهِ الحُجَّةُ ، فتُخلِّصُ نفسَكَ مِنَ العيبِ ، وتلزمُ صاحبَكَ الذنبَ ، مِنْ غيرِ أن تهيجَهُ وتقلقَهُ ، وتستدعيَ غضبَهُ وتستبينَ حفيظتَهُ ؛ كقولِ بعضِ الكُتَّابِ لأخٍ لهُ : أنفذَ إليَّ أبو فلانٍ كتاباً منكَ فيهِ درةٌ[3] مِنْ عتابٍ كانَ أحلىٰ عندي مِنْ تعريسةِ الفجرِ ، وألذَّ مِنَ الزلالِ العذبِ ، ولكَ العُتبىٰ داعياً مستجاباً لهُ ، وعاتباً معتذراً إليهِ ، ولو شئتُ معَ هٰذا أن أقولَ : إنَّ العتبَ عليكَ أوجبُ ، والاعتذارَ إليكَ ألزمُ . . لفعلتُ ، ولٰكنِّي أسامحُكَ ولا أشاحُّكَ ، وأُسلِّمُ إليكَ ولا أُرادُّكَ ؛ لأنَّ أفعالَكَ عندي مرضيةٌ ، وشيمَكَ

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٥٦) .
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥٦ ـ ٥٧) .
(٣) في « الصناعتين » : (ذروٌ) .

لديَّ مقبولةٌ ، ولولا أنَّ للحُجَّةِ موقعَها . . لأعرضتُ عمَّا أومأتُ إليهِ ، وما عرضتُ ممَّا بدأتُ ، وقلتُ : [من البسيط]

إذَا مَرِضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمُ وَتُذْنِبُونَ فَنَأْتِيكُمْ فَنَعْتَذِرُ

فانظرْ كيفَ خَلَّصَ نفسَهُ مِنَ الجُرمِ وأوجبَهُ لصاحبِهِ في ألطفِ وجهٍ وألينِ مسٍّ .

ومِنَ الكلامِ الذي يعطفُ القلوبَ النافرةَ(١) : قولُ آخرَ لأخيهِ : زَيَّنَ اللهُ أُلفتَنا بمعاودةِ صِلَتِكَ ، واجتماعَنا بترادفِ زيارتِكَ ، وأيَّامَنا المُوحِشةَ بغَيبتِكَ برؤيتِكَ ، تَوعَّدتَني بالانتقامِ علىٰ إخلالي بمطالعتِكَ ، وصُنتَني مِنْ عقوبتِكَ علىٰ ما ابتدأتُ بهِ مِنْ عدمِ مشاهدتِكَ(٢) .

وقالَ عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ(٣) : **البلاغةُ** : إيضاحُ الملبساتِ ، وكشفُ عَوارِ الجهالاتِ .

وتستبينُ ذٰلكَ فيما يُحكىٰ عنِ المأمونِ وقد أحضرَ رجلاً ارتدَّ إلى النصرانيةِ بعدَ الإسلامِ ، فقالَ لهُ : ما أوحشَكَ مِنَ الإسلامِ ؟ فقالَ : كثرةُ الاختلافِ فيكُم ، فقالَ المأمونُ : أمَّا اختلافُنا . . فمنهُ ما يكونُ كاختلافِنا في الأذانِ وتكبيرِ الجنائزِ ، والتشهدِ ، وصلاةِ الأعيادِ ، وتكبيرِ التشريقِ ، ووجوهِ القرآنِ ، واختلافِ وجوهِ الفُتيا ، وما أشبهَ ذٰلكَ ، وليسَ هٰذا باختلافٍ ، وإنَّما ذٰلكَ توسعةٌ ، وتخفيفٌ مِنَ المِحنةِ .

ومنهُ ما يكونُ كاختلافِنا في تأويلِ الآيةِ مِنْ كتابِنا ، وتأويلِ الخبرِ عن نبيِّنا ، معَ اجتماعِنا علىٰ أصلِ التنزيلِ ، واتفاقِنا علىٰ عينِ الخبرِ ؛ فإن

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٥٧ ـ ٥٨) .
(٢) الذي في « الصناعتين » : (وحسبي من عقوبتك ما ابتليت به من عدم مشاهدتك) .
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٥٨) .

كانَ الذي أوحشَكَ هوَ هٰذا حتىٰ أنكرتَ هٰذا الكتابَ . . فينبغي أن يكونَ اللفظُ بجميعِ التوراةِ والإنجيلِ مُتَّفَقاً علىٰ تأويلِهِ ، كما يكونُ مُتَّفَقاً علىٰ تنزيلِهِ ، ولا يكونَ بينَ النصارى اختلافٌ في شيءٍ مِنَ التأويلاتِ ، ولو شاءَ اللهُ أن ينزلَ كتبَهُ ويجعلَ كلامَ أنبيائِهِ وورثةِ رسلِهِ كلاماً لا يحتاجُ إلى التفسيرِ . . لفعلَ ، ولٰكنَّا لم نرَ شيئاً مِنَ [الدِّينِ] والدنيا دُفِعَ إلينا على الكفايةِ ، ولو كانَ الأمرُ كذٰلكَ . . [لسقطَتِ] المِحنةُ والبلوىٰ ، وذهبَتِ [المسابقةُ] والمنافسةُ ، ولم يكنْ تفاضلٌ ، وليسَ علىٰ هٰذا بنى اللهُ الدنيا .

فقالَ المُرتدُّ : إنَّكَ أميرُ المؤمنينَ حقّاً (١) .

وقالَ ابنُ المُقفَّعِ (٢) : **البلاغةُ** : كشفُ ما غَمُضَ مِنَ الحقِّ ، وتصويرُ الحقِّ في صورةِ الباطلِ .

والذي قالَهُ أمرٌ صحيحٌ ، ولا يَخفىٰ موضعُ الصَّوابِ فيهِ علىٰ أحدٍ مِنْ أهلِ التمييزِ والتحصيلِ ؛ وذٰلكَ أنَّ الأمرَ الصحيحَ الثابتَ المكشوفَ ينادي علىٰ نفسِهِ بالصحَّةِ ، ولا يُحوجُ إلى التكلُّفِ لصحتِهِ حتىٰ يُوجِدَ المعنىٰ فيهِ خطيبٌ ، وإنَّما الشأنُ في تحسينِ ما ليسَ بحسنٍ ، وتصحيحِ ما ليسَ بصحيحٍ ؛ بضربٍ مِنَ الاحتيالِ والتخييلِ ، ونوعٍ مِنَ العللِ والمعاريضِ والمعاذيرِ ؛ ليخفىٰ موضعُ الإساءةِ ، ويَغمُضَ موضعُ التقصيرِ ، وما أكثرَ ما يَحتاجُ الكاتبُ إلىٰ هٰذا الجنسِ عندَ اعتذارِهِ مِنْ هزيمةٍ ، أو حاجتِهِ إلىٰ تغييرِ رسمٍ ، أو رفعِ منزلةِ دنيءٍ لهُ فيهِ هوىً ، أو حطِّ منزلةِ شريفٍ استحقَّ ذٰلكَ منهُ . . . إلىٰ غيرِ هٰذا مِنْ عوارضِ أمورِهِ .

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٥٨ ـ ٥٩) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥٩) .

فأعلىٰ رتبِ البلاغةِ أن يحتجَّ للمذمومِ حتىٰ يخرجَهُ في معرضِ المحمودِ ، والمحمودِ حتىٰ يُصيِّرَهُ في منزلةِ المذمومِ .

وقد ذَمَّ عبدُ الملكِ بنُ صالحٍ المشورةَ وهيَ ممدوحةٌ بكلِّ لسانٍ ، فقالَ : ما استشرتُ أحداً إلَّا تَكبَّرَ عليَّ ، وتصاغرتُ لهُ ، ودخلَتْهُ العزَّةُ ، ودخلَتْني الذِلَّةُ ، فعليكَ بالاستبدادِ ؛ فإنَّ صاحبَهُ جليلٌ مهيبٌ في الصُّدورِ ، فإذا افتقرتَ إلى العقولِ . . حقرَتْكَ العيونُ ، فتضعضعَ شأنُكَ ، ورجفَتْ بكَ أركانُكَ ، واستحقرَكَ الصغيرُ ، واستخفَّكَ الكبيرُ ، وما عزَّ سلطانٌ لم يغنِهِ عقلُهُ عن عقولِ وزرائِهِ ونصحائِهِ .

قلتُ : عبدُ الملكِ هـٰذا أحدُ عُقلاءِ بني العباسِ وبلغائِهم ، وكانَ خليفةُ وقتِهِ هارونُ منحرفاً عنهُ جدّاً ؛ لكثرةِ سعيِ بغضائِهِ بهِ ، وتفهيمِ الخليفةِ أنَّهُ في عزيمةٍ أن يَتغلَّبَ على الملكِ ، وأنَّهُ بقُوَّةِ بلاغتِهِ وحسنِ تَصرُّفِهِ في العقولِ قد وجدَ الأسبابَ الموصلةَ إلىٰ هـٰذا الغرضِ ، وكأنَّهُ قد لحقَهُ عندَهُ شؤمُ هـٰذا الاسمِ الأُمويِّ ، فكانَ يحبسُهُ ، ثمَّ يحتجُّ عن نفسِهِ ويثبتُ براءتَهُ ممَّا رُمِيَ بهِ ، فيطلقُهُ .

ويُروىٰ : أنَّهُ قالَ لهُ مَرَّةً ـ وفيهِ شاهدٌ علىٰ ما نحنُ فيهِ ـ : بلغَني أنَّ فيكَ حقداً ، فقالَ لهُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إن كانَ الحقدُ بقاءَ الخيرِ والشرِّ في قلبي لفاعليهِما . . فأنا حَقودٌ ، فقالَ هارونُ : ما سمعتُ مثلَ احتجاجِكَ للحقدِ ؛ يعني : مِنَ المُسلَّمِ الذي لا ينبغي أن يُنازعَ فيهِ : حُسْنُ تذكُّرِ الإنسانِ ما صُنِعَ بهِ مِنْ خيرٍ ليكافِئَ عليهِ بما أمكنَهُ ، أو شرٍّ ليحترسَ مِنْ مثلِهِ ويُجازيَ بهِ إنِ اقتضتْ ضرورةٌ ذٰلكَ .

ومدحَ بعضُهُمُ الموتَ فقالَ [1] : [من الكامل]

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٦٠) .

قَدْ قُلْتُ إِذْ مَدَحُوا ٱلْحَيَاةَ فَأَكْثَرُوا   فِي ٱلْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَا تُعْرَفُ

مِنْهَا أَمَانُ لِقَائِهِ بِلِقَائِهِ   وَفِرَاقُ كُلِّ مُعَاشِرٍ لَا يُنْصِفُ

وذٰلكَ بابٌ واسعٌ ، يَرِدُ عليكَ منهُ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ ، وللناسِ فيهِ موضوعاتٌ ضمَّنوها شعراً ونثراً في مدحِ الشيءِ وذمِّهِ ؛ كـ « التحفِ والظرفِ » لأبي منصورٍ عبدِ الملكِ الثعالبيّ صاحبِ « يتيمةِ الدهرِ » .

انتهىٰ ما أردتُ نقلَهُ مِنْ بابِ البلاغةِ .

❋ ❋ ❋

[إيجازُ القَصْرِ]

وهـٰأنا مثبتٌ لكَ مِنْ بابِ الإيجازِ وما يقابلُهُ ما تَتبيَّنُ بهِ حقَّ التبيُّنِ موضعَ كلٍّ منها ، والحُجَّةَ لحسنِ كلٍّ واحدٍ في موضعِهِ .

فمِنَ الكلامِ الدالِّ علىٰ حسنِ الإيجازِ ، واختيارِ أهلِ البلاغةِ لهُ : ما نقلَهُ أبو هلالٍ رحمَهُ اللهُ حيثُ قالَ(١) : قالَ أصحابُ الإيجازِ : الإيجازُ : هوَ البلاغةُ ، وما تجاوزَ مِقدارَ الحاجةِ . . فهوَ فضلٌ داخلٌ في بابِ الهذرِ والحصرِ ، وهُما مِنْ أعظمِ أدواءِ الكلامِ ، وفيهِما دلالةٌ علىٰ بَلادةِ صاحبِ الصِّناعةِ .

وفي تفضيلِ الإيجازِ يقولُ جعفرُ بنُ يحيىٰ لكُتَّابِهِ : إن قدَرتُم أن تجعلوا كتبَكُم توقيعاتٍ . . فافعلوا .

وقالَ بعضُهُمْ : الزيادةُ في [الحدِّ] نقصانٌ .

وقالَ محمدٌ الأمينُ : عليكُم بالإيجازِ ؛ فإنَّ لهُ إفهاماً ، وللإطالةِ استبهاماً .

وقالَ شبيبُ بنُ شبةَ : قليلٌ كافٍ خيرٌ مِنْ كثيرٍ شافٍ .

وقالَ آخَرُ : إذا طالَ الكلامُ . . عرضَتْ لهُ أسبابُ التكلُّفِ ، ولا خيرَ في شيءٍ يأتي بهِ التكلُّفُ .

وقيلَ لبعضِهِم : ما البلاغةُ ؟ قالَ : الإيجازُ ، قيلَ : وما الإيجازُ ، قالَ : حذفُ الفضولِ ، وتقريبُ [البعيد] .

وسمعَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ رجلاً يقولُ لرجلٍ : كفاكَ اللهُ ما

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٧٩) ، والسياق له .

أهمَّكَ ، فقالَ : « هَـٰذِهِ ٱلْبَلَاغَةُ » ، وسمعَ آخَرَ يقولُ : عصمَكَ اللهُ مِنَ المكارهِ ، فقالَ : « هَـٰذِهِ ٱلْبَلَاغَةُ »[1] .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « أُوتِيتُ جَوَامِعَ ٱلْكَلِمِ »[2] .

وقيلَ لبعضِهِم : لِمَ لا تطيلُ الشِّعرَ ؟ قالَ : حسبُكَ مِنَ القِلادةِ ما أحاطَ بالعنقِ ، وقيلَ لآخَرَ : لِمَ لا تطيلُ شِعرَكَ ؟ فقالَ : لستُ أبيعُهُ مذارعةً .

وقيلَ للفرزدقِ : ما صَيَّرَكَ إلى القصائدِ القِصارِ بعدَ الطِّوالِ ؟ قالَ : لأني رأيتُها في القلوبِ أوقعَ ، وفي المحافلِ أجولَ .

وقالَتْ بنتُ الحطيئةِ لأبيها : ما بالُ قِصارِكَ أكثرُ مِنْ طِوالِكَ ؟ قالَ : لأنَّها في الآذانِ أجولُ ، وبالإقبالِ أخلقُ .

وقالَ أبو سفيانَ لابنِ الزِّبَعْرَىٰ : قَصَّرتَ في شعرِكَ ، قالَ : حسبُكَ مِنَ الشِّعرِ غُرَّةٌ لائحةٌ ، وسمةٌ واضحةٌ .

وقيلَ للنابغةِ الذُّبيانيِّ : لِمَ لا تطيلُ القصائدَ كما أطالَ صاحبُكَ ابنُ حِجْرٍ ؟ فقالَ : مَنِ انتخلَ . . أسفرَ[3] .

وقيلَ لبعضِ المُحدثينَ : ما لكَ لا تزيدُ علىٰ أربعةٍ واثنَينِ ؟ فقالَ : هيَ بالقلوبِ أوقعُ ، وإلى الحفظِ أسرعُ ، وبالألسنِ أعلقُ ، وللمعاني أجمعُ ، وصاحبُها أبلغُ وأوجزُ .

وقيلَ لابنِ حازمٍ : ألا تطيلُ القصائدَ ؟ فقالَ[4] : [من الوافر]

أَبَىٰ لِي أَنْ أُطِيلَ ٱلشِّعْرَ قَصْدِي ... إِلَى ٱلْمَعْنَىٰ وَعِلْمِي بِٱلصَّوَابِ

---

(١) كذا أورد العسكري هـٰذين الخبرين في « الصناعتين » (ص ١٧٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٧٧) ، ومسلم (٥٢٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) في « الصناعتين » : (من انتحل . . انتقر) .

(٤) انظر « أنوار الربيع » (٢/١٠) .

وَإِنْـجَـازِي لِـمُـخْـتَـصِـرٍ قَـرِيـبٍ حَـذَفْـتُ بِـهِ ٱلْـفُـضُـولَ مِـنَ ٱلْـجَـوَابِ

فَـأَبْـعَـثُـهُـنَّ أَرْبَـعَـةً وَخَـمْـسـاً مُـثَـقَّـفَـةً بِـأَلْـفَـاظٍ عِـذَابِ

خَـوَالِـدُ مَـا حَـدَا لَـيْـلٌ نَـهَـاراً وَمَـا حَـسُـنَ ٱلـصِّـبَـا بِـأَخِ ٱلـشَّـبَـابِ

وَكُـنَّ إِذَا رَسَـمْـنَ مُـسَـافِـرَاتٍ تَـهَـادَاهَـا ٱلـرُّوَاةُ مَـعَ ٱلـرِّكَـابِ

وقالَ أميرُ المؤمنينَ عليٌّ رضوانُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ : (ما رأيتُ بليغاً قطُّ إلَّا ولهُ في اللفظِ إيجازٌ ، وفي المعاني إطالةٌ) .

وقيلَ لإياسِ بنِ معاويةَ : ما فيكَ عيبٌ ، غيرَ أنَّكَ كثيرُ الكلامِ ، قالَ : أفتسمعونَ صواباً أم خطأً ؟ قالوا : بل صواباً ، قالَ : فالزيادةُ مِنَ الخيرِ خيرٌ .

وليسَ كما قالَ ؛ لأن للكلامِ غايةً ، ولنشاطِ السامعينَ نهايةً ، وما فَضَلَ عن مِقدارِ الاحتمالِ ، ودعا إلى الاستثقالِ ، وصارَ سبباً للمَلالِ . . فذٰلكَ الهذرُ والإسهابُ والخطلُ ، وهوَ معيبٌ عندَ كلِّ لبيبٍ .

وقالَ بعضُهُمْ : البلاغةُ بالإيجازِ أنجعُ مِنَ البيانِ بالإطنابِ .

وقالوا : المِكثارُ كحاطبِ الليلِ .

وقيلَ لبعضِهِمْ : مَنْ أبلغُ الناسِ ؟ قالَ : مَنْ جلا المعنى المتينَ باللفظِ الوجيزِ ، وطَبَّقَ المَفصِلَ قبلَ التحزيزِ .

مأخوذٌ مِنْ كلامِ معاويةَ ؛ وهوَ قولُهُ لعمرِو بنِ العاصِ لمَّا أقبلَ أبو موسىٰ : يا عمرُو ؛ إنَّـهُ قد ضُـمَّ إليكَ رجلٌ قصيرُ اللسانِ ، طويلُ الرأيِ والعرفانِ ، فأقللِ الحزَّ ، وطَبِّقِ المفصلَ ، ولا تلقَهُ بكلِّ رأيِكَ ، فقالَ عمرٌو : أكثرْ مِنَ الطعامِ ، ما بطنَ قومٌ إلَّا فقدوا بعضَ عقولِهِم .

[من أمثلةِ الإيجازِ]

ثمَّ أوردَ أبو هلالٍ بعدَ هٰذا الكلامِ أمثلةً للإيجازِ [١] ، منها :

قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [٢] ، وقد أسلفنا تعريفَكَ بهِ ، وفضلَ العبارةِ علىٰ قرينتِها مِنْ كلامِ العربِ ؛ وهيَ : القتلُ أنفىٰ للقتلِ [٣] .

وقولُهُ : ﴿ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [٤] .

وعَقَّبَهُ بقولِهِ : لا يوازي هٰذا الكلامَ في الاختصارِ شيءٌ .

وقولُهُ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ [٥] .

وقولُهُ : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا ﴾ [٦] .

وقولُهُ : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ ﴾ [٧] .

وقولُهُ : ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ﴾ [٨] ، تَحيَّرَ في فصاحتِهِ جميعُ البلغاءِ ، ولا يجوزُ أن يوجدَ مثلُهُ في كلامِ البشرِ .

وقولُهُ : ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾ [٩] .

وقولُهُ : ﴿ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى . . . ﴾ الآيةَ [١٠] ، تَتضمَّنُ معَ الفصاحةِ والإيجازِ دلائلَ القدرةِ .

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٨١) .

(٢) سورة البقرة : (١٧٩) .

(٣) تقدم (١١٥/٢) .

(٤) سورة المؤمنون : (٩١) .

(٥) سورة يونس : (١٠) .

(٦) سورة الزخرف : (٥) .

(٧) سورة البقرة : (٢٢٤) .

(٨) سورة يوسف : (٨٠) .

(٩) سورة يوسف : (٣٢) .

(١٠) سورة هود : (٤٤) .

وقولُهُ : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [(١)] ، كلمتانِ استوعبتا جميعَ المُكوَّناتِ والمقدوراتِ والموجوداتِ والمعدوماتِ ، ورُوِيَ : أنَّ ابنَ عمرَ قرأَها ، فقالَ : مَنْ بقيَ لهُ شيءٌ . . فليطلبْهُ .

وقولُهُ في صفةِ خمرِ أهلِ الجنةِ : ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ [(٢)] ، فقولُهُ : (لا يُنزِفون) انتظمَ عدمَ العقلِ ، وذهابَ المالِ ، ونفادِ الشرابِ ، وانحلالِ القوىٰ ، وفسادِ الصحةِ ، وانقطاعِ الأُخوَّةِ والمَودَّةِ بالآخرةِ .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ ﴾ [(٣)] ، دخلَ تحتَ الأمنِ جميعُ المحبوباتِ ؛ لأنَّهُ نفىٰ بهِ أن يخافوا شيئاً أصلاً ؛ مِنَ الفقرِ ، والموتِ ، وزوالِ النعمةِ ، والجورِ ، وغيرِ ذٰلكَ مِنْ أصنافِ المكروهِ ، فلا ترىٰ كلمةً أجمعَ مِنْ هٰذهِ .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ [(٤)] ، انتظمَ جميعَ أنواعِ التجاراتِ ، وصنوفِ المرافقِ التي يَبلُغُها الحدُّ والإحصاءُ ، ومثلُهُ قولُهُ : ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ [(٥)] ، تَضمَّنَ جميعَ منافعِ الدنيا والآخرةِ .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [(٦)] ، ثلاثُ كلماتٍ تَشتمِلُ علىٰ أمرِ الرسالةِ وشرائعِها وأحكامِها على الاستقصاءِ .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ [(٧)] ، ثلاثُ كلماتٍ اشتملَتْ عواقبَ الدنيا والآخرةِ .

---

(١) سورة الأعراف : (٥٤) .

(٢) سورة الواقعة : (١٩) .

(٣) سورة الأنعام : (٨٢) .

(٤) سورة البقرة : (١٦٤) .

(٥) سورة الحج : (٢٨) .

(٦) سورة الحجر : (٩٤) .

(٧) سورة الأنعام : (٦٧) ، وفي الأصل : (كل أمر مستقر) .

وقولُهُ : ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ (١) .

وقولُهُ جلَّ وعزَّ : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ (٢) ، فجمعَ جميعَ مكارمِ الأخلاقِ بأصلِها ؛ لأنَّ في العفوِ : صلةَ القاطعينَ ، والصَّفحَ عنِ الظالمينَ ، وإعطاءَ المانعينَ ، وفي الأمرِ بالمعروفِ : تقوى اللهِ ، وصلةَ الرحمِ ، وصونَ اللسانِ ، وغضَّ الطرفِ عن المُحرَّماتِ ، والتبرُّؤَ مِنْ كلِّ قبيحٍ ؛ إذ لا يجوزُ أن يأمرَ بالمعروفِ وهوَ ملابسُ شَيءٍ مِنَ المُنكَرِ ، وفي الإعراضِ عنِ الجاهلينَ : الصَّبرَ ، والحلمَ ، وتنزيهَ النفسِ عن مقابلةِ السفيهِ بما يُوقِعُ في الذمِّ ، ويُسقِطُ القَدْرَ .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ﴾ (٣) ، فدلَّ بشيئَينِ علىٰ جميعِ ما أخرجَهُ مِنَ الأرضِ قُوتاً ومتاعاً للناسِ مِنَ العشبِ والشجرِ والحطبِ واللباسِ والنارِ والملحِ وغيرِ ذٰلكَ ، والشاهدُ علىٰ أنَّهُ أرادَ ذٰلكَ كلَّهُ . . قولُهُ تعالىٰ : ﴿ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴾ (٤) .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِ ﴾ (٥) ، فانظرْ هل يمكنُ أحداً مِنْ أصنافِ المُتكلِّمينَ إيرادُ هٰذهِ المعاني في مثلِ هٰذا القَدْرِ مِنَ الألفاظِ ؟!

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ (٦) ، جمعَ الأشياءَ كلَّها حتىٰ لا يَشِذَّ منها شيءٌ علىٰ وجهٍ .

---

(١) سورة الأنعام : (١٣) .

(٢) سورة الأعراف : (١٩٩) .

(٣) سورة النازعات : (٣١) .

(٤) سورة النازعات : (٣٣) .

(٥) سورة الرعد : (٤) .

(٦) سورة الأنعام : (٥٩) .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ [1] ، جمعَ فيه مِنْ نعمِ الجنةِ ما لا تحصرُهُ الأفهامُ ، ولا تَبلغُهُ الأوهامُ .

وقولُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « ٱلصِّحَّةُ وَٱلْفَرَاغُ [نِعْمَتَانِ] » [2] .

وقولُهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « نِيَّةُ ٱلْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ » [3] .

قلتُ [4] : وهـٰذا مِنْ أمثلةِ المبالغةِ ؛ فإنَّهُ نَبَّهَ علىٰ عظمِ أمرِ النيةِ بتفضيلِها على العملِ ، وظاهرٌ أنَّهُ أفضلُ ؛ إذ هوَ المستتبعُ للمنافعِ المرادةِ ، فمآلُ الكنايةِ تعظيمُ شأنِ النيةِ ، وحينَئذٍ فلا حيرةَ في تفسيرِ الخبرِ ، ولا يَصِحُّ أن يُقالَ : إنَّ معناهُ : النيةُ فردٌ مِنْ أفرادِ العملِ ، وخيرٌ مِنَ الخيراتِ ، وإنَّ لفظَ (خيرٌ) ليسَ اسمَ تفضيلٍ .

وقولُهُ : « تَرْكُ ٱلشَّرِّ صَدَقَةٌ » [5] .

وقولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « إِذَا أَعْطَاكَ ٱللهُ خَيْراً . . فَلْيَبِنْ ، وَٱبْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ ، وَٱرْتَضِخْ مِنَ ٱلْفَضْلِ ، وَلَا تَعْجِزْ عَنْ نَفْسِكَ » ، ويُروىٰ : « وَٱبْدَأْ بِنَفْسِكَ ، ثُمَّ بِمَنْ تَعُولُ » [6] ، وهوَ مثلُ قولِهِ : « إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَىٰ أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ » ، وقولُهُ : (لا تَعجِزْ عن نفسِكَ) أي : لا تغلبْكَ نفسُكَ بما رُكِّبَ فيها مِنَ الشُّحِّ ، فتكونَ لها مقهوراً ، قليلَ الثقةِ .

وقولُ أعرابيٍّ : اللهمَّ ؛ هبْ لي حَقَّكَ ، وأرضِ عنِّي خلقَكَ .

وقولُ آخَرَ يمدحُ قوماً : أولـٰئكَ قومٌ جعلوا أموالَهُم مناديلَ لأعراضِهِم ؛

---

(١) سورة الزخرف : (٧١) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٢) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٦/١٨٥) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنهما .

(٤) القائل هو المؤلف ضمن نقله لكلام أبي هلال العسكري في « الصناعتين » .

(٥) انظر « كشف الخفاء » (٩٦٦) .

(٦) كذا بالروايتين في « الصناعتين » (ص ١٨٤) .

فالخيرُ بهِم زائدٌ ، والمعروفُ لهُم شاهدٌ ؛ أي : يَقُونَ أعراضَهُم بأموالِهِم .

ولآخَرَ يمدحُ إنساناً : إنَّهُ يعطي عطاءَ مَنْ يَعلَمُ أنَّ اللهَ مادَّتُهُ .

وقولُ آخَرَ : أمَّا بعدُ : فعظِ الناسَ بفعلِكَ ، ولا تَعظْهُم بقولِكَ ، واستحيِ مِنَ اللهِ بقدرِ قربِهِ منكَ ، وخَفْهُ بقَدْرِ قدرتِهِ عليكَ .

وقولُ آخَرَ : إن شككتَ في شيءٍ . . فسلْ قلبَكَ عن قلبي .

❋ ❋ ❋

[المُساواةُ]

ثمَّ أتبعَ ذٰلكَ بإيرادِ أمثلةٍ للمُساواةِ (١) : فمنها :

قولُهُ تعالىٰ : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ (٢) .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ (٣) .

وقولُهُ صلَّى اللّٰهُ عليهِ وسَلَّمَ : « لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ تَرَ ٱلْأَمَانَةَ مَغْنَماً ، وَٱلزَّكَاةَ مَغْرَماً » (٤) .

وقولُهُ عليهِ السلامُ : « إِيَّاكَ وَٱلْمُشَارَّةَ ؛ فَإِنَّهَا تُذْهِبُ ٱلْغُرَّةَ ، وَتُظْهِرُ ٱلْعِرَّةَ » (٥) .

ومِنْ نثرِ الكُتَّابِ : قولُ بعضِهِم : سألتَ عن خبري ، فأنا في صحَّةٍ وعافيةٍ لا عيبَ فيها إلَّا فقدُكَ ، ونعمةٍ لا مزيدَ فيها إلَّا بكَ .

وأستصوبُ اطِّراحَ لفظِ (الفقدِ) وما شاكلَهُ مِنَ الكلامِ ، فتقولُ مثلاً : لا عيبَ فيها إلَّا بُعْدُكَ أو غيبتُكَ .

وقولُ آخرَ : قد علَّمَتْني نبوتُكَ سلوتَكَ ، وأسلمَني يأسي منكَ إلى الصَّبرِ عنكَ .

وقولُ آخرَ : فحفظَ اللّٰهُ النعمةَ عليكَ وفيكَ ، وتولَّىٰ إصلاحَكَ والصَّلاحَ لكَ ، وأجزلَ مِنَ الخيرِ حَظَّكَ والحظَّ منكَ ، ومَنَّ عليكَ وعلينا بكَ .

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٥) .

(٢) سورة الرحمٰن : (٧٢) .

(٣) سورة القلم : (٩) .

(٤) أخرجه الترمذي (٢٢١٠) عن سيدنا علي رضي الله عنه بنحوه .

(٥) أخرجه البيهقي في « الشعب » (٧٨٧٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وقولُ آخَرَ : يئستُ مِنْ صلاحِكَ ، وأخافُ مِنْ فسادي بكَ .

وقولُ آخَرَ : قد أطنبَ في ذمِّ الحمارِ مَنْ شَبَّهَهُ بهِ .

ومِنَ المنظومِ : قولُ طرفةَ (١) : [من الطويل]

سَتُبْدِي لَكَ ٱلْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً ... وَيَأْتِيكَ بِٱلْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

وقولُ آخَرَ (٢) : [من البسيط]

تُهْدَى ٱلْأُمُورُ بِأَهْلِ ٱلرَّأْيِ مَا صَلَحَتْ ... وَإِنْ تَوَلَّتْ فَبِٱلْأَشْرَارِ تَنْقَادُ

وقولُ آخَرَ (٣) : [من الطويل]

أَهَابُكِ إِجْلَالاً وَمَا بِكِ قُدْرَةٌ ... عَلَيَّ وَلَكِنْ مِلْءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا

وَمَا هَجَرَتْكِ ٱلنَّفْسُ أَنَّكِ عِنْدَهَا ... قَلِيلٌ وَلَكِنْ قَلَّ مِنْكِ نَصِيبُهَا

وقولُ آخَرَ (٤) : [من الطويل]

فَأَمَّا ٱلَّذِي يُحْصِيهِمُ فَمُكَثِّرٌ ... وَأَمَّا ٱلَّذِي يُطْرِيهِمُ فَمُقَلِّلُ

أي : كثروا عدداً ، وقلُّوا مدداً ، فهوَ كقولِ الآخَرِ (٥) : [من الطويل]

كَاثِرْ بِسَعْدٍ إِنَّ سَعْداً كَثِيرَةٌ ... وَلَا تَرْجُ مِنْ سَعْدٍ وَفَاءً وَلَا نَصْرَا

وقولُ آخَرَ (٦) : [من الطويل]

أَصُدُّ بِأَيْدِي ٱلْعِيسِ عَنْ قَصْدِ أَرْضِهَا ... وَقَلْبِي إِلَيْهَا بِٱلْمَوَدَّةِ قَاصِدُ

---

(١) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ٤٨) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٦) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٦) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٦) .

(٥) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٤٤) .

(٦) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٦) .

وقولُ الآخَرِ [1] : [من الطويل]

يَقُولُ أُنَاسٌ لَا يَضِيرُكَ فَقْدُهَا ... بَلَىٰ كُلُّ مَا شَفَّ ٱلنُّفُوسَ يَضِيرُهَا

وقولُ آخَرَ [2] : [من الوافر]

يَطُولُ ٱلْيَوْمُ لَا أَلْقَاكَ فِيهِ ... وَحَوْلٌ نَلْتَقِي فِيهِ قَصِيرُ

وَقَالُوا لَا يَضِيرُكَ نَأْيُ شَهْرٍ ... فَقُلْتُ لِصَاحِبِي فَلِمَنْ يَضِيرُ

قالَ أبو هلالٍ [3] : قولُهُ : (لصاحبي) يكادُ يكونُ فضلاً .

قلتُ : ولو قالَ الشاعرُ : (ونأيُ شهرٍ لا يضيرُ) علىٰ معنى الاستفهامِ الإنكاريّ والتعجُّبِ مِنْ قولِهِم . . لَكانَ موافقاً لاحتقارِ نأيِ الشهرِ ، فإنَّ زعمَهُم أنَّ نأيَ شهرٍ لا يَضيرُ أحداً ، لا أنَّهُ لا يَضيرُهُ دونَ غيرِهِ .

* * *

(1) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٦) .

(2) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٦) .

(3) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٧) .

[إيجازُ الحذفِ]

ثـمَّ عَقَّبَ ذلكَ بأن أوردَ مِنْ أمثلةِ إيجازِ الحذفِ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ (١) ؛ أي : أهلَها ، وقولَهُ : ﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ (٢) ؛ أي : حبَّهُ ، وقولَهُ : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾ (٣) ؛ أي : وقتُ الحجِّ .

وقولَ الشاعرِ (٤) : [من الطويل]

لَهُمْ مَجْلِسٌ صُهْبُ ٱلسِّبَالِ أَذِلَّةٌ سَوَاسِيَةٌ أَحْرَارُهَا وَعَبِيدُهَا

أي : أهلُ مجلسٍ ، وسواسيةٌ : جمعُ [سواءٍ] .

وقولَ آخرَ : [من الطويل]

تَرَاهُ كَأَنَّ ٱللهَ يَجْدَعُ أَنْفَهُ وَعَيْنَيْهِ إِنْ مَوْلَاهُ بَاتَ لَهُ وَفْرُ

أي : ويفقأُ عينَيهِ .

وقولَ آخرَ (٥) : [من الوافر]

إِذَا مَا ٱلْغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْماً وَزَجَّجْنَ ٱلْحَوَاجِبَ وَٱلْعُيُونَا

أي : وكَحَّلنَ العُيونا .

وقولَهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ (٦) ؛ أي : لَكانَ هٰذا القرآنَ .

---

(١) سورة يوسف : (٨٢) .

(٢) سورة البقرة : (٩٣) .

(٣) سورة البقرة : (١٩٧) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٧) .

(٥) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٨) .

(٦) سورة الرعد : (٣١) .

وقولَهُ أيضاً : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [١] ؛ أي : لَعذَّبَكُم .

وقولَ الشاعرِ [٢] : [من الطويل]

وَأُقْسِمُ لَوْ شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلَٰكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا

أي : لَرددناهُ .

وقولَ رجلٍ وقد سُئِلَ عن أميرِ المؤمنينَ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ [٣] : لم يقلْ فيهِ مستزيدٌ : لو أنَّهُ ، جمعَ الحِلْمَ والعلمَ والسلمَ ، والقرابةَ القريبةَ والهجرةَ القديمةَ ، وهوَ البصيرُ بالأحكامِ ، والبلاءِ العظيمِ في الإسلامِ ؛ أي : لو أنَّهُ كانَ كذا وكذا لأمورٍ يرىٰ أنَّها فاتَتْهُ .

وقولَ آخَرَ : ما زلتُ أمتطي النهارَ إليكَ ، وأستدلُّ بفضلِكَ عليكَ ، حتىٰ إذا جنَّنِي الليلُ ، فقبضَ البصرَ ، ومحا الأثرَ . . أقامَ بدني ، وسافرَ أملي ، والاجتهادُ عاذرٌ ، وإذا بلغتُكَ فقطْ .

ومِنَ الحكاياتِ المُشتمِلةِ علىٰ كلامٍ يَتضمَّنُ أمثلةً لإيجازِ الحذفِ [٤] : **ما يُحكىٰ** : أنَّ عبدَ اللهِ بنَ يزيدَ بنِ معاويةَ أتىٰ أخاهُ خالداً فقالَ : يا أخي ؛ لقد هممتُ أن أقتلَ الوليدَ بنَ عبدِ الملكِ ، فقالَ خالدٌ : بئسَ واللهِ ما هممتَ بهِ في ابنِ أميرِ المؤمنينَ ، ووليِّ عهدِ المسلمينَ ، فقالَ : إنَّ خيلي مَرَّتْ بهِ ، فعبثَ بها ، وأصغرَني فيها ، فقالَ : أنا أكفيكَ .

فدخلَ علىٰ عبدِ الملكِ فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّ الوليدَ ابنَ أميرِ

(١) سورة النور : (٢٠) .
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٨) .
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٢) .
(٤) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٢ ـ ١٩٣) .

المؤمنينَ ووليَّ عهدِ المسلمينَ مَرَّتْ بهِ خيلٌ لابنِ عمِّهِ عبدِ اللهِ بنِ يزيدَ ، فعبثَ بها وأصغرَهُ فيها ، وعبدُ الملكِ مُطرقٌ ، فرفعَ رأسَهُ فقالَ : ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾ (١) ، فقالَ خالدٌ : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ (٢) .

فقالَ عبدُ الملكِ : أفي عبدِ اللهِ تُكلِّمُني ؟! واللهِ ؛ لقد دخلَ عليَّ فما أقامَ لسانَهُ لحناً ، فقالَ خالدٌ : [أفعلى] الوليدِ تُعوِّلُ ؟! فقالَ عبدُ الملكِ : إن كانَ الوليدُ يلحنُ . . فإنَّ أخاهُ سليمانُ ، فقالَ خالدٌ : إن كانَ عبدُ اللهِ يلحنُ . . فإنَّ أخاهُ خالدٌ ، فقالَ لهُ عبدُ الملكِ : اسكتْ يا خالدُ ، فواللهِ ؛ ما تُعَدُّ في العيرِ ولا في النفيرِ ، فقالَ خالدٌ : اسمعْ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ثمَّ أقبلَ عليهِ فقالَ : مَنْ للعيرِ والنفيرِ ؟! جدِّي أبو سفيانَ صاحبُ العيرِ ، وجدِّي عتبةُ بنُ ربيعةَ صاحبُ النفيرِ ، ولٰكنْ لو قلتَ : غُنَيماتٌ وجُبَيلاتٌ والطائفُ ، ورحمَ اللهُ عثمانَ . . قلنا : صدقتَ .

فقولُهُ : (أفعلى الوليدِ تُعوِّلُ) أي : فإنَّهُ أسوأُ حالاً في ذٰلكَ مِنْ عبدِ اللهِ .

وقولُهُ : (فإنَّ أخاهُ سليمانُ) أي : وهوَ لا يلحنُ .

وقولُهُ : (فإنَّ أخاهُ خالدٌ) أي : وهوَ كما تَعرِفُ .

وقولُهُ : (لا تُعَدُّ في العيرِ ولا في النفيرِ) مثلٌ في الاحتقارِ ، معناهُ : أنَّهُ ليسَ بشيءٍ يُذكَرُ ، وأصلُهُ كما صرفَ الكلامَ إليهِ خالدٌ عنِ التمثُّلِ : أنَّهُ لمَّا سمعَ أهلُ مكةَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عزمَ أن يَتلَقَّىٰ ركبَ تجارتِهِم عندَ قدومِهِ مِنَ الشامِ وهوَ العيرُ ، وكانَ رئيسُهُ أبا سفيانَ صخرَ بنَ حربٍ أبا معاويةَ . . خرجوا بأجمعِهِم ورئيسُهُم

---

(١) سورة النمل : (٣٤) .

(٢) سورة الإسراء : (١٦) .

عتبةُ بنُ ربيعةَ ليمنعوا تجارتَهُم ؛ وهوَ المُسمَّىٰ بالنفيرِ ، فكانَتْ غزوةُ بدرٍ الشهيرةُ .

وقولُهُ : (لو قلتَ : غُنَيماتٌ وجُبَيلاتٌ . . .) إلىٰ آخِرِهِ : إشارةٌ لقصَّةٍ ؛ وهيَ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ نقمَ على الحكمِ أبي مروانَ وجدِّ عبدِ الملكِ أموراً ، فنفاهُ إلى الطَّائفِ ، وأقامَ هنالكَ يعيشُ في قطعةٍ مِنَ الغنمِ بقيةَ مُدَّةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ومُدَّتَيْ أبي بكرٍ وعمرَ ، وردَّهُ إلى المدينةِ عثمانُ بنُ عفانَ رضيَ اللهُ عنهُ في خلافتِهِ ، وكانَ ذٰلكَ مِنَ الحُجَجِ التي تَمسَّكَ بها المسلمونَ إذ ذاكَ علىٰ إساءةِ عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ[1] .

وإذا أحسنتَ النظرَ ، وتَفهُّمَ المعاني ، وما تستدعيهِ مِنَ الألفاظِ . . لم يصعبْ عليكَ أن تَتبيَّنَ عملَ القرائنِ الحاليَّةِ واللفظيَّةِ ، ونيابتَها عن ذكرِ بعضِ ما تقتضيهِ المعاني ، كلمةً كانَ أو أكثرَ .

وبهٰذا القَدْرِ معَ ما سلفَ مِنْ فنِّ المعاني . . تجدُ في نفسِكَ مادَّةً لإتقانِ معرفةِ الإيجازِ بنوعَيهِ والمُساواةِ ، وموضعِ كلٍّ .

❋ ❋ ❋

---

(١) وفي « الإصابة » (١/٣٤٥) : (ويقال : إنَّ عثمان رضي الله عنه اعتذر لما أن أعاده إلى المدينة ؛ بأنه كان استأذن النبيَّ صلى الله عليه وسلم فيه ، وقال : قد كنت شفعت فيه فوعدني بردِّه) .

[الإطنابُ]

ثُـمَّ هـاكَ بعضَ ما قيلَ في الإطنـابِ ، قـالَ أبـو هـلالٍ[1] : قـال أصحابُ الإطنابِ : المَنطِقُ إنَّما هوَ بيانٌ ، والبيانُ لا يكونُ إلَّا بالإشباعِ ، والشفاءُ لا يقعُ إلَّا بالإقناعِ ، وأفضلُ الكلامِ أبينُهُ ، وأبينُهُ أشدُّهُ إحاطةً بالمعاني ، ولا يُحاطُ بالمعاني إحاطةً تامَّةً إلَّا بالاستقصاءِ والإيجازِ للخواصِّ ، والإطنابُ مُشترَكٌ فيهِ الخاصُّ والعامُّ ، والغبيُّ والفَطِنُ ، ولمعنىً ما أُطِيلَتِ الكتبُ السُّلطانيةُ في إفهامِ الرَّعايا .

والقولُ القصدُ : أنَّ الإطنابَ والإيجازَ ـ كما اعترفَ بهِ مادحو الإطنابِ ـ محتاجٌ إليهِما في جميعِ الكلامِ ، وكلِّ نوعٍ منهُ ، ولكلِّ واحدٍ منهُما موضعٌ ، والحاجةُ إلى الإيجازِ في موضعِهِ كالحاجةِ إلى الإطنابِ في مكانِهِ ؛ فمَنْ أزالَ التدبيرَ في ذٰلكَ عن جهتِهِ ، واستعملَ الإطنابَ في موضعِ الإيجازِ . . أخطأَ ، كما رُوِيَ عن جعفرِ بنِ يحيىٰ أنَّهُ قالَ[2] ـ معَ عجبِهِ بالإيجازِ ؛ حيثُ يقولُ كما سلفَ لكَتَبَتِهِ : إنِ استطعتُم أن تجعلوا كتبَكُم توقيعاتٍ . . فافعلوا ؛ أي : وجيزةً مثلَ التوقيعاتِ ؛ وهيَ العباراتُ التي تُكتَبُ عنِ السُّلطانِ أو نُوَّابِهِ على القصصِ لإجراءِ ما فيها ، فإنَّهُ كما جرَتِ العادةُ يُختارُ لها أوجزُ العباراتِ ، فربَّما كانَ التوقيعُ كلمةً أو كلمتَينِ ـ : متىٰ كانَ الإيجازُ أبلغَ . . كانَ الإكثارُ عيّاً ، ومتىٰ كانَتِ الكتابةُ في موضعِ الإكثارِ . . كانَ الإيجازُ تقصيراً .

وأمرَ يحيى بنُ خالدٍ اثنَينِ أن يكتبا كتاباً في معنىً واحدٍ ، فأطالَ أحدُهُما ،

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٦) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٦) .

واختصرَ الآخَرُ ، فقالَ للمُختصِرِ وقد نظرَ في كتابِهِ : ما أرىٰ موضعَ مزيدٍ ، وقالَ للمطيلِ : ما أرىٰ موضعَ نقصانٍ [١] .

قلتُ : لا معنىٰ لإيرادِ أبي هلالٍ هٰذهِ الحكايةَ في هٰذا الموضعِ ؛ إذ غرضُهُ تمييزُ موضعِ كلٍّ مِنَ الإيجازِ والإطنابِ ، ويُؤخَذُ مِنْ هٰذا الكلامِ أَنَّهُ ربَّما كانَ المعنىٰ موضعاً لاختلافِ الرأيِ والذوقِ ؛ فبعضٌ يرىٰ حسنَ الإطنابِ ، وآخَرُ حسنَ الإيجازِ ، وربَّما يستدعي المعنىٰ أحدَهُما فقطْ ، فيكونُ الكاتبُ أوِ المُتكلِّمُ أسيراً لذٰلكَ الاستدعاءِ .

وقالَ غيرُهُ [٢] : البلاغةُ : الإيجازُ في غيرِ عجزٍ ، والإطنابُ في غيرِ خطلٍ .

ولا شكَّ أنَّ الكتبَ الصادرةَ عنِ السَّلاطينِ في الأمورِ الجسيمةِ والفتوحِ الجليلةِ ، وتفخيمِ النعمِ الحادثةِ ، أوِ الترغيبِ في الطاعةِ ، والنهيِ عنِ المعصيةِ . . سبيلُها أن تكونَ مُشبَعةً مُستقصاةً ، تَملأُ الصُّدورَ ، وتأخذُ بمجامعِ القلوبِ ؛ فمِنْ هنا ترىٰ أنَّ ما كتبَهُ المُهلَّبُ بنُ أبي صفرةَ إلى الحَجَّاجِ في فتحِ الأزارقةِ : (الحمدُ للهِ الذي كفىٰ بالإسلامِ فقدَ ما سواهُ ، وجعلَ الحمدَ متصلاً بنعمتِهِ ، وقضىٰ ألَّا ينقطعَ المزيدُ مِنْ فضلِهِ ، حتىٰ ينقطعَ الشُّكرُ مِنْ خلقِهِ ، ثمَّ إنَّا كنَّا وعدوَّنا علىٰ حالَينِ مختلفَينِ ، نرىٰ فيهم ما يَسُرُّنا أكثرَ ممَّا يَسوءُنا ، ويَرَونَ فينا ما يَسوءُهُم أكثرَ ممَّا يَسُرُّهُم ، [فلم يزلْ ذٰلكَ] دأبَنا ودأبَهم ، يَنصرُنا اللهُ ويَخذلُهُم ، ويُمحِّصُنا اللهُ ويَمحَقُهُم ، حتىٰ بلغَ الكتابُ بنا وبِهم أجلَهُ ، فقُطِعَ دابرُ القومِ الذينَ ظلموا ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ) . . إنَّما حَسُنَ في موضعِهِ ، ومعَ الغَرَضِ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٦) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٦) .

الذي كانَ لكاتبِهِ ، وهوَ تعجيلُ البشرىٰ للسُّلطانِ بما تَمَّ لعسكرِهِ وفي عدوِّهِ ، وذٰلكَ القَدْرُ كافٍ .

وأمَّا إذا كُتِبَ مثلُهُ في فتحٍ يوازي ذٰلكَ الفتحَ في جلالةِ القدْرِ ونباهةِ الخطرِ ، وقد تَطلَّعَتْ أنفسُ الخاصَّةِ والعامَّةِ إليهِ ، وتَصرَّفَتْ ظنونُهُم فيهِ . . وردَ عليهِم مثلُ هٰذا القَدْرِ مِنَ الكلامِ في أقبحِ صورةٍ وأسمجِها وأشوهِها وأهجنِها ، وكانَ حقيقاً أن يُتعجَّبَ منهُ .

ومِنَ الوجيزِ في موضعِهِ (١) : ما كتبَ بِهِ بعضُ ملوكِ بني أُميَّةَ لرجلٍ تَأخَّرَ عنِ البيعةِ : أمَّا بعدُ : فإنِّي أراكَ تُقدِّمُ في الطَّاعةِ رِجلاً وتُؤخِّرُ أخرىٰ ، فإذا أتاكَ كتابي هٰذا . . فاعتمدْ علىٰ أيِّهِما شئتَ .

وما كتبَ بهِ جعفرُ بنُ يحيىٰ لعاملٍ كَثُرَتْ منهُ الشَّكوىٰ : قد كَثُرَ شاكوكَ ، فإمَّا عدلتَ ، وإمَّا عُزِلتَ .

وما كتبَ بهِ آخَرُ لوالي خَراجٍ ظهرَ منهُ تحاملٌ على الرعيةِ (٢) : أمَّا بعدُ : فإنَّ الخَراجَ عمودُ الملكِ ، وما استُغزِرَ بمثلِ العدلِ ، ولا استُنزِرَ بمثلِ الجورِ .

وقالَ الخليلُ بنُ أحمدَ (٣) : يُختصَرُ الكلامُ ليُحفَظَ ، ويُبسَطُ ليُفهَمَ .

ومِنْ هنا وضعَ الناسُ في العلومِ متوناً وشروحاً .

وقيلَ لأبي عمرِو بنِ العلاءِ : هل كانَتِ العربُ تطيلُ ؟ قالَ : نعم ؛ كانَتْ تطيلُ ليُسمَعَ منها ، وتُوجِزُ ليُحفَظَ عنها .

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٧) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٧) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٨) .

والإطنابُ إذا لم يكنْ منهُ بُدٌّ . . وجبَ ، وهوَ في المواعظِ خاصَّةً محمودٌ ممدوحٌ زيادةً .

والموعظةُ : كقولِ اللهِ تعالىٰ : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[١] ، فتكريرُ ما كُرِّرَ مِنَ الألفاظِ ها هنا في غايةِ حسنِ الموقعِ .

وقيلَ لبعضِهِم : متىٰ يُحتاجُ إلى الإكثارِ ؟ فقالَ : إذا عَظُمَ الخَطْبُ ، وأنشدَ[٢] : [من الطويل]

صَمُوتٌ إِذَا مَا ٱلصَّمْتُ زَيَّنَ أَهْلَهُ ... [وَفَتَّاقُ] أَبْكَارِ ٱلْكَلَامِ ٱلْمُحَبَّرِ

وقالَ آخرُ[٣] : [من الكامل]

يَرْمُونَ بِٱلْخُطَبِ ٱلطِّوَالِ وَتَارَةً ... وَحْيَ ٱلْمَلَاحِظِ خَشْيَةَ ٱلرُّقَبَاءِ

وقالَ بعضُهُم[٤] : [من المتقارب]

إِذَا مَا ٱبْتَدَا خَاطِباً لَمْ يُقَلْ ... لَهُ أَطِلِ ٱلْقَوْلَ أَوْ أَقْصِرِ

طَبِيبٌ بِدَاءِ فُنُونِ ٱلْكَلَا ... مِ لَمْ يَعْيَ يَوْماً وَلَمْ يَهْذِرِ

فَإِنْ هُوَ أَطْنَبَ فِي خُطْبَةٍ ... قَضَىٰ لِلْمُطِيلِ عَلَى ٱلْمُقْصِرِ

وَإِنْ هُوَ أَوْجَزَ فِي خُطْبَةٍ ... قَضَىٰ لِلْمُقِلِّ عَلَى ٱلْمُكْثِرِ

ووجدنا الناسَ إذا خطبوا في الصُّلْحِ بينَ العشائرِ . . أطالوا ، وإذا أنشدوا

---

(١) سورة الأعراف : (٩٧ ـ ٩٩) .
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٨) .
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٨) .
(٤) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٨) .

الشعرَ بينَ السماطَينِ في مديحِ الملوكِ . . أطنبوا ، والإطالةُ والإطنابُ في هٰذهِ المواضعِ إيجازٌ .

وقيلَ لقيسِ بنِ خارجةَ : ما عندكَ في [حَمالاتِ داحسَ] ؟[1] ، قالَ : عندي قِرىٰ كُلِّ نازلٍ ، ورضا كلِّ ساخطٍ ، وخُطْبةٌ مِنْ لدنْ مطلعِ الشمسِ إلىٰ أن تغربَ ، آمرُ فيها بالتواصلِ ، وأنهىٰ عنِ التقاطعِ .

وقدْ رأينا اللّهَ تباركَ وتعالىٰ إذا خاطبَ العربَ والأعرابَ . . أخرجَ الكلامَ مُخرَجَ الإشارةِ والوحيِ ، فإذا خاطبَ بني إسرائيلَ ، أو حكىٰ عنهُم . . جعلَ الكلامَ مبسوطاً ؛ فممَّا خاطبَ بهِ أهلَ مَكَّةَ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾[2] ، وقولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[3] ، وأشباهُ هٰذا كثيرةٌ ، وقلَّما تجدُ قصَّةً لبني إسرائيلَ إلَّا مُطوَّلةً مشروحةً ومُكرَّرةً في مواضعَ معادةً ؛ لبعدِ فهمِهِم ، وتأخُّرِ معرفتِهِم .

وكلامُ الفُصحاءِ إنَّما هوَ شوبُ الإيجازِ بالإطنابِ ، والفصيحِ العالي بما دونَ ذٰلكَ ؛ ليُستدَلَّ بهِ عليهِ ، وليَخرجَ السامعُ مِنْ شيءٍ إلىٰ شيءٍ ، ويزدادَ نشاطُهُ ، وتَتوفَّرَ رغبتُهُ ، فتَصرَّفوا في وجوهِ الكلامِ ؛ إيجازِهِ وإطنابِهِ ، حتى استعملوا التكرارَ ليَتوكَّدَ القولُ للسامعِ .

وقد جاءَ في القرآنِ وفي فصيحِ الشعرِ منهُ شيءٌ كثيرٌ ؛ فمِنْ ذٰلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[4] ، وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَإِنَّ مَعَ

---

(١) الحمالات : الدِّيَات يحملها قوم عن قوم .

(٢) سورة الحج : (٧٣) .

(٣) سورة المؤمنون : (٩١) .

(٤) سورة التكاثر : (٣ ـ ٤) .

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[1] ، فتَكرَّرَ للتوكيدِ ، كما يقولُ القائلُ : ارمِ ارمِ ، اعجلِ اعجلْ ، وقد قالَ الشاعرُ[2] : [من مجزوء الرجز]

كَـمْ نِـعْـمَـةٍ كَـانَـتْ لَـكُـمْ كَـمْ كَـمْ وَكَـمْ [كَـانَـتْ وَكَـمْ]

وقالَ آخرُ[3] : [من مجزوء الكامل]

هَـلَّا سَـأَلْـتَ جُـمُـوعَ كِـنْـ ـدَةَ يَـوْمَ وَلَّـتْ أَيْـنَ أَيْـنَـا

* * *

وربَّما جاؤوا بالصِّفةِ وأرادوا توكيدَها ، فكرهوا إعادتَها ثانيةً ، فغيَّروا منها حرفاً ، ثمَّ أتبعوها الأُولىٰ ؛ كقولِهم : عطشانُ نطشانُ ، كرهوا أن يقولوا : عطشانُ عطشانُ ، فأبدلوا مِنَ العينِ نوناً .

وكذٰلكَ قالوا : حسنٌ بسنٌ ، وشيطانُ ليطانُ ، وأشباهُ هٰذا كثيرةٌ ، فقد كرَّرَ اللهُ جلَّتْ قدرتُهُ في سورةِ (الرحمٰنِ) قولَهُ : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[4] ؛ وذٰلكَ أنَّ اللهَ تعالىٰ عدَّدَ فيها نَعماءَهُ ، وأذكرَ عبادَهُ آلاءَهُ ، ونبَّهَهُم علىٰ قدرِها ، وقدرتِهِ عليها ، ولطفِهِ فيها ، وجعلَها فاصلةً بينَ كلِّ نعمةٍ ، ليُعرَفَ موضعُ ما أسداهُ إليهِم منها ، وقد جاءَ مثلُ ذٰلكَ عن أهلِ الجاهليةِ ، قالَ مهلهلٌ في شعرِهِ[5] : [من الوافر]

عَـلَـىٰ أَنْ لَـيْـسَ عَـدْلاً مِـنْ كُـلَـيْـبٍ

*

(١) سورة الشرح : (٥ ـ ٦) .
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٩) .
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٠) .
(٤) سورة الرحمٰن : (١٣) .
(٥) انظر « ديوان مهلهل بن ربيعة » (ص ٤٠) .

وكَرَّرَها في أكثرَ مِنْ عشرينَ بيتاً ، وهٰكذا قولُ الحارثِ بنِ [عُبَادٍ][1] : [من الخفيف]

قَرِّبَا مَرْبِطَ ٱلنَّعَامَةِ مِنِّي

كَرَّرَها في أكثرَ مِنْ ذٰلكَ لمَّا كانَتِ الحاجةُ إلى التكريرِ ماسَّةً ، والضَّرورةُ إليهِ داعيةً ؛ لعِظَمِ الخَطْبِ ، وشِدَّةِ موقعِ الفجيعةِ .

فهٰذا يَدُلُّ على أنَّ الإطنابَ عندَهُم مُستحسَنٌ ، كما أنَّ الإيجازَ في مكانِهِ مُستحَبٌّ .

ولا بدَّ للكاتبِ في أكثرِ أنواعِ مكاتباتِهِ مِنْ شعبٍ مِنَ الإطنابِ ، يستعملُها إذا أرادَ المزاوجةَ بينَ الفصلَينِ ، ولا يُعابُ ذٰلكَ منهُ ، وذٰلكَ مثلُ أن يكتبَ : (عظمَتْ نعمُنا عليهِ ، وتظاهرَ إحسانُنا لديهِ) ، فيكونُ الفصلُ الأخيرُ داخلاً معناهُ في الفصلِ الأولِ .

وقالَ مروانُ ـ آخِرُ ملوكِ بني أميةَ وقد أحاطَ بهِ أعداؤُهُ ـ لخادمِهِ باسلٍ : مَنْ أغفلَ القليلَ حتىٰ يكثرَ ، والصغيرَ حتىٰ يكبرَ ، والخفيَّ حتىٰ يظهرَ . . أصابَهُ مثلُ هٰذا ، وهٰذا كلامٌ في غايةِ الحسنِ ، وإن كانَ معنى الفصلَينِ الأخيرَينِ داخلاً في الفصلِ الأولِ ، وقالَ أبو تمامٍ[2] : [من الخفيف]

رُبَّ خَفْضٍ تَحْتَ ٱلسُّرَىٰ وَغَنَاءٍ ... مِنْ عَنَاءٍ وَنَضْرَةٍ مِنْ شُحُوبِ

الغَناءُ داخلٌ في الخفضِ ، والعَناءُ داخلٌ في السُّرىٰ .

وممَّا هوَ أجدىٰ مِنْ ذٰلكَ كلِّهِ : قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ﴾[3] ، والإحسانُ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٠) .

(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (١١٩/١) .

(٣) سورة النحل : (٩٠) .

داخلٌ في العدلِ ، وإيتاءُ ذي القربىٰ داخلٌ في الإحسانِ ، والفحشاءُ داخلةٌ في المُنكَرِ ، والبغيُ والمُنكَرُ داخلانِ في الفحشاءِ .

وهٰذا يدلُّ علىٰ أنَّ عظمَ مدارِ البلاغةِ علىٰ تحسينِ اللفظِ ؛ لأنَّ المعانيَ إذا دخلَ بعضُها في بعضٍ هٰذا الدخولَ ، وكانَتِ الألفاظُ مختارةً . . حَسُنَ الكلامُ ، وإذا كانَتِ المعاني مُرتَّبةً حسنةً ، والمعارضُ سيئةً . . كانَ الكلامُ مردوداً ، فاعتمدْ علىٰ ما مَثَّلتُهُ لكَ ، وقسْ عليهِ ، ومِنَ اللهِ الهدايةُ .

❋ ❋ ❋

[مبادئُ الكلامِ ومقاطعُهُ]

وقالَ أبو هلالٍ في بابِ القولِ عن مبادئِ الكلامِ ومقاطعِهِ ، والخروجِ مِن فصلٍ إلىٰ فصلٍ (١) : قالَ بعضُ الكُتَّابِ : أحسنوا معاشرَ الكُتَّابِ الابتداءاتِ ؛ فإنَّهُنَّ دلائلُ البيانِ .

وقالوا : ينبغي للشاعرِ أن يَحترزَ في أشعارِهِ ومُفتتَحِ أقوالِهِ ممَّا يُتطيَّرُ منهُ ويُستجفىٰ مِنَ الكلامِ والمُخاطَبةِ ؛ كالبكاءِ ، ووصفِ اقتفارِ الدارِ ، وتَشتُّتِ الأُلَّافِ ، ونعيِ الشبابِ ، لا سيما في القصائدِ التي تَتضمَّنُ المدائحَ والتهانيَ ، [ويُستعمَلُ] ذٰلكَ في المراثي ، ووصفِ الخُطوبِ الحادثةِ ؛ فإنَّ الكلامَ إذا كانَ مُؤسَّساً علىٰ هٰذا المثالِ . . تَطيَّرَ منهُ سامعُهُ وإن كانَ يعلمُ أنَّ الشاعرَ إنَّما يُخاطِبُ نفسَهُ دونَ الممدوحِ ، مثلُ ابتداءِ ذي الرُّمَّةِ (٢) : [من البسيط]

مَا بَالُ عَيْنَيْكَ مِنْهَا ٱلْمَاءُ يَنْسَكِبُ ... كَأَنَّهُ مِنْ كُلَىٰ مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ

وكانَ بعينَيْ عبدِ الملكِ عِلَّةٌ يدمعانِ منها ، فقالَ لهُ : ما لكَ وهٰذا يا بغيضُ ؟!

وقد أنكرَ الفضلُ البرمكيُّ علىٰ أبي نُواسٍ (٣) : [من الطويل]

أَرَبْعَ ٱلْبِلَىٰ إِنَّ ٱلْخُشُوعَ لَبَادِ

فلمَّا انتهىٰ إلىٰ قولِهِ :

سَلَامٌ عَلَى ٱلدُّنْيَا إِذَا مَا فُقِدْتُمُ ... بَنِي بَرْمَكٍ مِنْ رَائِحِينَ وَغَادِي

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥١) .

(٢) تقدم (٢/١٢٣) .

(٣) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٢٦٣ ـ ٢٦٦) .

استحكمَ تطيُّرُهُ ، وقيلَ : إنَّهُ لم يمضِ أُسبوعٌ حتىٰ نُكِبوا .

قلتُ [١] : وإذا كانَ هٰذا الشعرُ مِنْ أبي نُواسٍ مقصوداً أن يكونَ علىٰ هٰذا النحوِ ، وأنَّهُ بهِ مأمورٌ ؛ تعجيلاً لإساءتِهِم ، ومبادرةً بتنغيصِ حياتِهِم ، وإشعارِهِم بعزيمةِ الانتقامِ منهُم ، كما قيلَ ذٰلكَ . . لم يكنْ مثالاً لِمَا نحنُ فيهِ .

وحُكِيَ [٢] : أنَّهُ لمَّا فرغَ المعتصمُ مِنْ بناءِ قصرِهِ بالميدانِ الذي كانَ للعبَّاسةِ . . جلسَ فيهِ ، وجمعَ أهلَهُ وأصحابَهُ ، وأمرَ أن يُلبَسَ الناسُ كلُّهُم الديباجَ ، وجعلَ سريرَهُ في الإيوانِ المنقوشِ بالفسافسِ ، الذي كانَ في صدرِهِ صورةُ العنقاءِ ، فجلسَ علىٰ سريرٍ مُرصَّعٍ بأنواعِ الجوهرِ ، وجعلَ علىٰ رأسِهِ التاجَ الذي كانَتْ فيهِ الدُّرَّةُ اليتيمةُ ، وفي الإيوانِ أَسِرَّةُ آبنوسَ عن يمينِهِ وعن يسارِهِ ، مِنْ عندِ السَّريرِ الذي عليهِ المعتصمُ إلىٰ بابِ الإيوانِ ، فكلَّما دخلَ رجلٌ . . رَتَّبَهُ هوَ بنفسِهِ في الموضعِ الذي يليقُ بهِ ، فما رأى الناسُ أحسنَ مِنْ ذٰلكَ اليومِ ، فاستأذنَهُ إسحاقُ بنُ إبراهيمَ المَوْصليُّ في النشيدِ ، فأذنَ لهُ ، فأنشدَهُ شعراً ما سمعَ الناسُ أحسنَ منهُ في صفتِهِ وصفةِ المجلسِ ، إلَّا أنَّ أوَّلَهُ تشبيبٌ بالدِّيارِ القديمةِ وبقيةِ آثارِها ، فكانَ أوَّلُ بيتٍ منها : [من الكامل]

يَا دَارُ غَيَّرَكِ ٱلْبِلَىٰ وَمَحَاكِ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا ٱلَّذِي أَبْلَاكِ

فتَطيَّرَ المُعتصِمُ مِنْ ذٰلكَ ، وتغامزَ الناسُ ، وعجبوا كيفَ ذهبَ علىٰ إسحاقَ معَ فهمِهِ وعلمِهِ وطولِ خدمتِهِ للملوكِ .

قالَ راوي الحكايةِ : فأقمنا يوماً وانصرفنا ، فما عادَ منَّا اثنانِ إلىٰ

---

(١) القائل هو المؤلف ضمن نقله لكلام العسكري من « الصناعتين » .
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥١ ـ ٤٥٢) .

ذٰلكَ المجلسِ ، وخرجَ المعتصمُ إلىٰ سُرَّ مَنْ رأىٰ ، وخَرِبَ القصرُ .

وأنشدَ البحتريُّ أبا سعيدٍ قصيدةً أَوَّلُها (١) : [من الطويل]

لَـكَ ٱلْـوَيْـلُ مِـنْ لَـيْـلٍ تَـطَـاوَلَ آخِـرُهْ وَوَشْـكِ نَـوىً حَـتَّـىٰ تُـزَمَّ أَبَـاعِـرُهْ

فقالَ أبو سعيدٍ : بلِ الويلُ والحربُ لكَ ، فغيَّرَهُ وجعلَهُ : لَهُ الويلُ ، وهوَ رديءٌ أيضاً .

وأنشدَ [ابنُ مقاتلٍ] الداعيَ (٢) : [من الرمل]

لَا تَـقُـلْ بُـشْـرَىٰ وَلَـٰكِنْ بُـشْـرَيَـانْ غُـرَّةُ ٱلـدَّاعِـي وَيَـوْمُ ٱلْـمَـهْـرَجَـانْ

فأوجعَهُ الداعي ضرباً ، ثمَّ قالَ : هلَّا قلتَ : [من الرمل]

إِنْ تَـقُـلْ بُـشْـرَىٰ فَـهَـٰذِي بُـشْـرَيَـانْ

ولم يجزِهِ ، وقالَ : جائزتُهُ تحسينُ أدبِهِ .

فإن أرادَ أن يذكرَ داراً . . فليذكرْها كما ذكرَ [الخريميُّ] (٣) : [من الوافر]

أَلَا يَـا دَارُ دَامَ لَـكِ ٱلْـحُـبُـورُ وَسَـاعَـدَكِ ٱلْـغَـضَـارَةُ وَٱلـسُّـرُورُ

وكما قالَ أشجعُ (٤) : [من الكامل]

قَـصْـرٌ عَـلَـيْـهِ تَـحِـيَّـةٌ وَسَـلَامُ نَـشَـرَتْ عَـلَـيْـهِ جَـمَـالَـهَـا ٱلْأَيَّـامُ

وقالوا : أحسنُ ابتداءاتِ الجاهليةِ قولُ النابغةِ (٥) : [من الطويل]

كِـلِـيـنِـي لِـهَـمٍّ يَـا أُمَـيْـمَـةَ نَـاصِـبِ وَلَـيْـلٍ أُقَـاسِـيـهِ بَـطِـيءِ ٱلْـكَـوَاكِـبِ

---

(١) انظر « ديوان البحتري » (٢/٨٧٦) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٢) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٣) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٣) .

(٥) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٤٠) .

وأحسنُ مرثيةٍ جاهليةٍ ابتداءً قولُ أوسِ بنِ حجرٍ[1] : [من المنسرح]

أَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ أَجْمِلِي جَزَعَا   إِنَّ ٱلَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا

وأحسنُ مرثيةٍ إسلاميةٍ ابتداءُ قولِ أبي تمامٍ[2] : [من الطويل]

أَصَمَّ بِكَ ٱلنَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَا   وَأَصْبَحَ مَغْنَى ٱلْجُودِ بَعْدَكَ بَلْقَعَا

وقد بكى امرُؤُ القيسِ واستبكىٰ ، ووقفَ واستوقفَ ، وذكرَ الحبيبَ والمنزلَ في نصفِ بيتٍ[3] : [من الطويل]

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

فهوَ مِنْ أجودِ الابتداءاتِ ، وكرَّرَهُ في مطلعِ قصيدةٍ أخرىٰ ؛ وهوَ قولُهُ[4] : [من الطويل]

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيبٍ وَعِرْفَانِ   وَرَبْعٍ عَفَتْ آيَاتُهُ مُنْذُ أَزْمَانِ

وهوَ أحسنُ وأتمُّ مِنَ الأوَّلِ .

ومِنْ أحكمِ ابتداءاتِ العربِ قولُ السَّمَوْءَلِ[5] : [من الطويل]

إِذَا ٱلْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ ٱللُّؤْمِ عِرْضُهُ   فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ

وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى ٱلنَّفْسِ ضَيْمَهَا   فَلَيْسَ إِلَىٰ حُسْنِ ٱلثَّنَاءِ سَبِيلُ

---

(١) انظر « ديوان أوس بن حجر » (ص ٥٣) .
(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٩٩/٤) .
(٣) تقدم (٤١٧/٢) .
(٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٨٩) .
(٥) انظر « ديوان السموءل » (ص ١٠) .

وقالَ بعضُهُم : أحكمُ ابتداءاتِهِم قولُ لبيدٍ[1] : [من الطويل]

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا ٱللَّهَ بَاطِلُ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ

وبعضُهُم يجعلُ ابتداءَ هٰذهِ القصيدةِ[2] :

أَلَا تَسْأَلَانِ ٱلْمَرْءَ مَاذَا يُحَاوِلُ أَنَحْبٌ فَيُقْضَىٰ أَمْ ضَلَالٌ وَبَاطِلُ

ومِنْ جِيادِ ابتداءاتِ الجاهليةِ قولُ النابغةِ[3] : [من الطويل]

دَعَاكَ ٱلْهَوَىٰ وَٱسْتَجْهَلَتْكَ ٱلْمَنَازِلُ وَكَيْفَ تَصَابِي ٱلْمَرْءِ وَٱلشَّيْبُ شَامِلُ

قالوا : وكانَ عبدُ الحميدِ لا يبتدئُ بـ (لولا) ولا (إن رأيتَ) .

وقد جعلَ الناسُ قولَ أبي تمامٍ[4] : [من البسيط]

يَا بُعْدَ غَايَةِ دَمْعِ ٱلْعَيْنِ إِنْ بَعُدُوا

مِنْ جيادِ الابتداءِ ، وقولَهُ : [من الخفيف]

سَعِدَتْ غُرْبَةُ ٱلنَّوَىٰ بِسُعَادِ

وسُئِلَ بعضُهُم عن أحذقِ الشعراءِ ، فقالَ : مَنْ يَتفقَّدُ الابتداءَ والمقطعَ[5] .

ولمَّا نظرَ أبو العميثلِ في قصيدةِ أبي تمامٍ : [من الطويل]

هُنَّ عَوَادِي يُوسُفٍ وَصَوَاحِبُهْ

---

(١) انظر « ديوان لبيد » رضي الله عنه (ص ٢٥٦) .

(٢) انظر « ديوان لبيد » رضي الله عنه (ص ٢٥٤) .

(٣) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ١١٥) .

(٤) انظر « ديوان أبي تمام » (٢/١٠) ، والبيت بتمامه :

يَا بُعْدَ غَايَةِ دَمْعِ ٱلْعَيْنِ إِنْ بَعُدُوا هِيَ ٱلصَّبَابَةُ طُولَ ٱلدَّهْرِ وَٱلسَّهَدِ

(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٤) ، والسياق له .

فاستردَلَ ابتداءَها ، وأسقطَ القصيدةَ كلَّها ، حتىٰ راجعَهُ أبو تمامٍ ، وأوقفَهُ علىٰ موضعِ الإحسانِ منها ، فراجعَ عبدَ اللهِ بنَ طاهرٍ وأجازَهُ .

قلتُ[١] : أبو العميثلِ هٰذا كانَ مِنْ علماءِ الشعراءِ المقيمينَ في خدمةِ عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ ، وهوَ أميرُ خراسانَ إذ ذاكَ ، وكانَ الشُّعراءُ يقصدونَهُ مِنَ الجهاتِ البعيدةِ بمدائحَ يبتغونَ جوائزَهُ ، ولٰكنْ لم يكنْ ليسمعَ شعراً حتىٰ يسمعَهُ أبو العميثلِ وأصحابُهُ ؛ فإنِ استجادُوهُ . . أبلغوهُ الأميرَ وأثنَوا علىٰ صاحبِهِ ، فيجيزُهُ ، وإن لم يستجيدوهُ . . ردُّوهُ صِفرَ اليدَينِ .

ومِنْ عيونِ أبياتِ هٰذهِ القصيدةِ : قولُهُ في صفةِ مَشقَّةِ السفرِ وعُلُوّ هِمَّةِ الرَّكْبِ : [من الطويل]

وَرَكْبٍ كَأَمْثَالِ ٱلْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا عَلَىٰ مِثْلِهَا وَٱللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهْ

لِأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ يُتِمُّوا صُدُورَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهْ

وقولُهُ في صفةِ الجملِ بالنُّحولِ والهُزالِ مِنْ شدائدِ السفرِ في الفيافي :

رَعَتْهُ ٱلْفَيَافِي بَعْدَمَا كَانَ حِقْبَةً رَعَاهَا وَمَاءُ ٱلرَّوْضِ يَنْهَلُّ سَاكِبُهْ

ولأبي تمامٍ ابتداءاتٌ كثيرةٌ تجري هٰذا المَجرىٰ ، منها قولُهُ[٢] : [من الكامل]

قَدْكَ ٱتَّئِبْ أَرْبَيْتَ فِي ٱلْغُلَوَاءِ كَمْ تَعْذِلُونَ وَأَنْتُمُ شُجَرَائِي

تفسيرُ هٰذا البيتِ : أنَّهُ عَدَّدَ الألفاظَ الصَّادرةَ مِنَ العُذَّالِ علىٰ سبيلِ التعجُّبِ والاستهزاءِ ، وهيَ قولُهُم : (قَدْكَ) أي : حسبُكَ (اتَّئبْ) وأصلُهُ : ٱوْتَئِب ؛ أي : استحيِ (أربيتَ في الغُلَواءِ) أي : زدتَ في الغُلُوّ والتغريرِ بنفسِكَ في أمرِ العشقِ ، ثمَّ التفتَ إلى العُذَّالِ فقالَ يخاطبُهُم :

---

(١) القائل المؤلف ضمن نقله عن العسكري صاحب « الصناعتين » .

(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (١/٢٠) .

(كم تعذلونَ وأنتُم شُجرائي) أي : خُلطائي ؛ جمعُ شجيرٍ بمعنىٰ مشاجرٍ .

ومِنَ الابتداءاتِ البديعةِ قولُ مسلمٍ[1] : [من البسيط]

أُجْرِرْتُ ذَيْلَ خَلِيعٍ فِي ٱلصِّبَا غَزِلِ وَشَمَّرَتْ هِمَمُ ٱلْعُذَّالِ فِي عَذَلِي

والابتداءُ أوَّلُ ما يقعُ في السَّمعِ مِنْ كلامِكَ ، والمقطعُ آخِرُ ما يبقىٰ في النفسِ مِنْ قولِكَ ، فينبغي أن يكونا جميعاً مُرتقَبَينِ[2] .

وقدِ استحسنَ[3] لبعضِ المُتأخِّرينَ ـ يعني : المتنبي ـ ابتداءَهُ[4] : [من الطويل]

أَرِيقُكَ أَمْ مَاءُ ٱلْغَمَامَةِ أَمْ خَمْرُ

ولهُ بعدَ ذٰلكَ ابتداءاتُ المصائبِ وفِراقُ الحبائبِ ، منها قولُهُ : [من الكامل]

هَٰذِي بَرَزْتِ لَنَا فَهِجْتِ رَسِيسَا ثُمَّ ٱنْصَرَفْتِ وَمَا شَفَيْتِ نَسِيسَا

وقولُهُ[5] : [من الكامل]

جَلَلاً كَمَا بِي فَلْيَكُ ٱلتَّبْرِيحُ

وقولُهُ[6] : [من الوافر]

أُحَادٌ أَمْ سُدَاسٌ فِي أُحَادِ

---

(١) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ١) .

(٢) في « الصناعتين » (مونقين) .

(٣) يعني : أبا هلال العسكري صاحب « الصناعتين » .

(٤) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٤٣) ، والبيت بتمامه :

أَرِيقُكَ أَمْ مَاءُ ٱلْغَمَامَةِ أَمْ خَمْرُ بِفِيَّ بَرُودٌ وَهْوَ فِي كَبِدِي جَمْرُ

(٥) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٤٦) ، والبيت بتمامه :

جَلَلاً كَمَا بِي فَلْيَكُ ٱلتَّبْرِيحُ أَغِذَاءُ ذَا ٱلرَّشَأ ٱلْأَغَنِّ ٱلشِّيحُ

(٦) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٥٩) ، والبيت بتمامه :

أُحَادٌ أَمْ سُدَاسٌ فِي أُحَادِ لُيَيْلَتُنَا ٱلْمَنُوطَةُ بِٱلتَّنَادِي

وقولُهُ[1] : [من الطويل]

لِـجِنِّـيَّـةٍ أَمْ غَـادَةٍ رُفِـعَ ٱلـسَّـجْـفُ لِـوَحْـشِـيَّـةٍ لَا مَـا لِـوَحْـشِـيَّـةٍ شَـنْـفُ

قلتُ[2] : وهٰذهِ القصيدةُ يقولُها في مدحِ قاضٍ فقيهٍ ، ومنها ـ وفيهِ قبحُ الاستعارةِ وسوءُ العبارةِ ـ قولُهُ : [من الطويل]

فَقِيهٌ رَسَتْ لِلْعِلْمِ فِي أَرْضِ صَدْرِهِ جِبَالٌ جِبَالُ ٱلْأَرْضِ فِي جَنْبِهَا قُفُّ

وقولُهُ[3] : [من الكامل]

فِي ٱلْـخَـدِّ أَنْ عَـزَمَ ٱلْـخَـلِـيـطُ رَحِـيـلَا دَمْـعٌ تَـزِيـدُ بِـهِ ٱلْـخُـدُودُ مُـحُـولَا

قالَ إسماعيلُ بنُ عبادٍ : إنَّ المُحولَ في الخُدودِ مِنَ البديعِ المزورِ[4] .

فهٰذهِ وما شاكلَها ابتداءاتٌ لا خلاقَ لها .

وإذا كانَ الابتداءُ حسناً بديعاً ، ومليحاً رشيقاً . . كانَ داعيةً لاستماعِ ما يجيءُ بعدَهُ مِنَ الكلامِ ، ولهٰذا المعنىٰ يقولُ اللهُ تعالىٰ : ﴿ الٓمٓ ﴾ ، و﴿ حمٓ ﴾ ، و﴿ طسٓ ﴾ ، و﴿ طسٓمٓ ﴾ ، و﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ ، فيقرعُ أسماعَهُم بشيءٍ بديعٍ ليسَ لهُم بمثلِهِ عهدٌ ؛ ليكونَ ذٰلكَ داعيةً لهُم إلى الاستماعِ .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وسَلَّمَ : « كُلُّ كَلَامٍ لَمْ يُبْدَأْ فِيهِ بِحَمْدِ ٱللهِ . . فَهُوَ أَبْتَرُ »[5] .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٧٧) .

(٢) هو المؤلف ضمن نقله لسياق صاحب « الصناعتين » .

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ١١١) .

(٤) انظر « الصناعتين » : (ص ٤٥٦) ، وفيه : (المردود) بدل (المزور) .

(٥) رواه أبو داوود (٤٨٠٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

[القولُ في الفصلِ والوصلِ]

هٰذا ؛ وقالَ أبو هلالٍ في بيانِ وجوبِ الاعتناءِ بمواضعِ فصلِ كلامٍ مِنْ كلامٍ ، ووصلِ الكلامِ بعضِهِ ببعضٍ[1] : قيلَ للفارسيِّ : ما البلاغةُ ؟ قالَ : معرفةُ الفصلِ مِنَ الوصلِ .

وقالَ المأمونُ لبعضِهِم : مَنْ أبلغُ الناسِ ؟ قالَ : مَنْ قَرَّبَ الأمرَ البعيدَ المُتناوَلِ والصَّعبَ الدَّركِ بالألفاظِ اليسيرةِ ، قالَ : ما عَدَلَ سهمُكَ عنِ الغَرَضِ ، ولٰكنِ البليغُ مَنْ كانَ كلامُهُ في مقدارِ حاجتِهِ ، ولا يجيلُ الفكرةَ في اختلاسِ ما صَعُبَ عليهِ مِنَ الألفاظِ ، ولا يُكرِهُ المعانيَ بإنزالِها في غيرِ منازِلِها ، ولا يَتعمَّدُ الغريبَ الوَحْشيَّ ، ولا الساقطَ السُّوقيَّ ، والبلاغةُ إذا اعتزلَتْها المعرفةُ بمواضعِ الفصلِ والوصلِ . . كانَتْ كاللآلئِ بلا نظامٍ .

فقدِ استحسنَ المأمونُ الجوابَ ، ولٰكنَّهُ عَرَّفَهُ أنَّهُ غيرُ مقنعٍ ، فساقَ لهُ ما عندَهُ ، وينبغي أن يكونَ الجوابُ وصفةَ أبلغِ الناسِ .

وقالَ أبو العباسِ السَّفَّاحُ لكاتبِهِ[2] : قِفْ عندَ الكلامِ وحدودِهِ ، وإيَّاكَ أن تخلطَ المرعيَّ بالهملِ ، ومِنْ حليةِ البلاغةِ المعرفةُ بمواضعِ الفصلِ مِنَ الوصلِ .

وقالَ الأحنفُ بنُ قيسٍ[3] : ما رأيتُ رجلاً تَكلَّمَ فأحسنَ الوقفَ عندَ مقاطعِ الكلامِ ولا عرفَ حدودَهُ إلَّا أبا عمرِو بنَ العلاءِ[4] ، كانَ إذا تَكلَّمَ . .

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٨) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٨) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٨) .

(٤) في « الصناعتين » : (إلا عمرو بن العاص) .

تَفقَّدَ مقاطعَ الكلامِ ، وأعظمَ حقَّ المَقامِ ، وغاصَ في استخراجِ المعنىٰ بألطفِ مَخرجٍ ، حتىٰ كانَ يقفُ عندَ المقطعِ وقفاً يحولُ بينَهُ وبينَ بغيتِهِ مِنَ الألفاظِ ، وكانَ كثيراً ما يُنشِدُ : [من الطويل]

إِذَا مَا بَدَا فَوْقَ ٱلْمَنَابِرِ قَائِلاً أَصَابَ بِمَا يُومِي إِلَيْهِ ٱلْمَفَاصِلَا

وحُكِيَ[1] : أنَّ شبيبَ بنَ شبةَ كانَ يوماً قاعداً ببابِ المَهديِّ ، فأقبلَ عبدُ الصَّمدِ بنُ الفضلِ الرَّقَاشيُّ ، فلمَّا رآهُ شبيبٌ . . قالَ : أتاكُم واللهِ كليمُ الناسِ ، فلمَّا جلسَ . . قالَ شبيبٌ : تَكلَّمْ يا أبا العباسِ ، فقالَ : أمعَكَ يا أبا معمرٍ وأنتَ خطيبُنا وسيِّدُنا ؟! قالَ : نعم ، واللهِ ؛ ما رأيتُ قلباً أقربَ مِنْ لسانٍ مِنْ قلبِكَ مِنْ لسانِكَ ، قالَ : في أيِّ شيءٍ تحبُّ أن أتكلَّمَ ؟ قالَ : وإذا شيخٌ يَتوكَّأُ علىٰ عصاً ، قالَ : صفْ لنا هٰذهِ العصا .

فحمدَ اللهَ عزَّ وجلَّ وأثنىٰ عليهِ ، ثمَّ ذكرَ السماءَ فقالَ : رفعَها اللهُ بغيرِ عمدٍ ، وجعلَ فيها نجومَ رجمٍ ونجومَ اهتداءٍ ، وأدارَ فيها سراجاً وقمراً منيراً ؛ لتعلموا عددَ السنينَ والحسابَ ، وأنزلَ منها ماءً مباركاً أحيا بهِ الزَّرعَ والضَّرعَ ، وأدرَّ بهِ الأقواتَ ، وحفظَ بهِ الأرواحَ ، وأنبتَ منها أنواعاً مختلفةً يُصرِّفُها مِنْ حالٍ إلىٰ حالٍ ، تكونُ حَبَّةً ، ثمَّ يجعلُها عِرْقاً ، ثمَّ يقيمُها علىٰ ساقٍ ، فبينا تراها خضراءَ تَرِفُّ . . إذ تراها يابسةً تنقصفُ ؛ ليَنتفِعَ بها العبادُ ، وتَعمُرَ بها البلادُ ، ثمَّ جعلَ مِنْ يُبْسِها هٰذهِ العصا .

ثمَّ أقبلَ على الشيخِ وقالَ : وكانَ هٰذا نطفةً في صلبِ أبيهِ ، ثمَّ صارَ عَلَقةً حينَ خرجَ منهُ ، ثمَّ مُضغةً ، ثمَّ عظماً ولحماً ، فصارَ جنيناً أوجدَهُ اللهُ بعدَ عدمٍ ، وأنشأَهُ مِنْ بدءٍ ، ووقفَهُ مكتهلاً ، ونقضَهُ شيخاً ، إلىٰ أن صارَ إلىٰ هٰذهِ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٨ ـ ٤٥٩) .

الحالِ مِنَ الكبَرِ ، فاحتاجَ إلىٰ هٰذهِ العصا في آخرِ حالاتِهِ ، فتباركَ المُدبّرُ للعبادِ .

قالَ شبيبٌ : فما سمعتُ كلاماً علىٰ بديهةٍ أحسنَ منهُ .

وقالَ معاويةُ (١) : يا أشدقُ ؛ قمْ عندَ قُرومِ العربِ [وجحاجحِها] (٢) ، فسُلَّ لسانَكَ ، وجُلْ في ميادينِ البلاغةِ ، وليكنِ التفقدُ لمقاطعِ الكلامِ منكَ علىٰ بالٍ ، فإنّي شهدتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ أملىٰ [علىٰ] عليِّ بنِ أبي طالبٍ عليهِ السلامُ كتاباً ، فكانَ يَتفقَّدُ مقاطعَ الكلامِ كتفقُّدِ المصرمِ صرمتَهُ .

ولمَّا أقامَ أبو جعفرٍ المنصورُ صالحاً خطيباً بحضرةِ شبيبِ بنِ شبَّةَ وأشرافِ قريشٍ فتَكلَّمَ . . أقبلَ شبيبٌ فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ما رأيتُ كاليومِ أبينَ بياناً ، ولا أربطَ جَناناً ، ولا أفصحَ لساناً ، ولا أبلَّ ريقاً ، ولا أغمضَ عُروقاً ، ولا أحسنَ طريقاً ، إلَّا أنَّ الجوادَ عسيرٌ لم يُرَضْ ، فحملَتْهُ القُوَّةُ علىٰ تَعسُّفِ الآكامِ وخبطِها ، وتركِ الطريقِ اللَّاحبِ ، وايمُ اللهِ ؛ لو عرفَ في خُطبتِهِ مقاطعَ الكلامِ . . لكانَ أفصحَ مَنْ نطقَ بلسانٍ (٣) .

وقالَ المأمونُ (٤) : ما أعجبُ بكتابِ أحدٍ كإعجابي بكتابِ القاسمِ بنِ عيسىٰ ؛ فإنَّهُ يوجزُ في غيرِ عجزٍ ، ويصيبُ مقاطعَ الكلامِ ، ولا تدعوهُ المقدرةُ إلى الإطنابِ ، ولا تميلُ بهِ الغزارةُ إلى الإسهابِ ، يجلِّي عن مرادِهِ في كتبِهِ ، ويصيبُ المغزىٰ في ألفاظِهِ .

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٩) .

(٢) الجحجاح : السيد السمح .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٩ ـ ٤٦٠) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٠) .

وكانَ يزيدُ بنُ معاويةَ يقولُ (١) : إيَّاكُم أن تجعلوا الفصلَ وصلاً ؛ فإنَّهُ أشدُّ وأعيبُ مِنَ اللحنِ .

وقالَ أكثمُ بنُ صيفيٍّ (٢) : كانَتْ ملوكُ الجاهليةِ تقولُ لكُتَّابِها : افصلوا بينَ كلِّ [معنىً منقضٍ] ، وصلوا إذا كانَ الكلامُ معجوناً بعضُهُ ببعضٍ .

وكانَ الحارثُ بنُ أبي شمرٍ الغسانيُّ يقولُ لكاتبِهِ المرقِّش (٣) : إذا نزعَ بكَ الكلامُ إلى الابتداءِ بمعنىً غيرِ ما أنتَ فيهِ . . فافصلْ بينَهُ وبينَ تبيعتِهِ مِنَ الألفاظِ ؛ فإنَّكَ إن مذقتَ ألفاظَكَ بغيرِ ما يحسنُ أن تمذقَ بهِ . . نفرَتِ القلوبُ عن وعيِهِ ، ومَلَّتْهُ الأسماعُ ، واستثقلَتْهُ الرواةُ .

وكانَ بزرجمهرُ يقولُ (٤) : إذا مدحتَ رجلاً وهجوتَ آخرَ . . فاجعلْ بينَ القولَينِ فصلاً ؛ حتىٰ يُعرَفَ المدحُ مِنَ الهجاءِ ؛ كما تفعلُ بكتبِكَ إذا استأنفتَ القولَ ، فأكملتَ ما سلفَ مِنَ اللفظِ .

وقالَ الحسنُ بنُ وهبٍ لكاتبِهِ الحرَّانيِّ (٥) : ما منزلةُ الكاتبِ في قولِهِ وفعلِهِ ؟ قالَ : أن يكونَ مطبوعاً ، مُحتنكاً بالتجربةِ ، عالماً بحلالِ الكتابةِ وحرامِها وسنتِها ، وبالدُّهورِ في تداولِها وتصرُّفِها ، وبالملوكِ في سِيَرِها وأيامِها ، معَ براعةِ اللفظِ ، وحسنِ التنسيقِ ، وتأليفِ الأوصالِ بمشاكلةِ الاستعارةِ ، وشرحِ المعاني حتىٰ تُنصَبَ صورُها ، وبمقاطعِ الكلامِ ، ومعرفةِ الوصلِ مِنَ الفصلِ ، فإذا كانَ كذٰلكَ . . فهوَ كاتبٌ مجيدٌ .

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٠) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٠) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٠) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٠) .

(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٠ ـ ٤٦١) .

والقولُ إذا استكملَ آلتَهُ واستتمَّ معناهُ . . فالفصلُ عندَهُ .

وقالَ المأمونُ [1] : ما أتفحَّصُ مِنْ رجلٍ شيئاً كتفحُّصي عنِ الفصلِ والوصلِ في كتابِهِ ، والتخلُّصِ مِنَ المعقودِ إلى المحلولِ ، فإنَّ لكلِّ شيءٍ جمالاً ، وحليةُ الكتابِ وجمالُهُ إيقاعُ الفصلِ في موقعِهِ ، وشحذُ الفكرةِ ، وإجالتُها في لطفِ التخلُّصِ مِنَ المعقودِ إلى المحلولِ .

ومعنى المعقودِ والمحلولِ ها هنا : هوَ أنَّكَ إذا ابتدأتَ بمخاطبةٍ ثمَّ لم تنتهِ إلىٰ موضعِ التخلُّصِ ممَّا عقدتَ عليهِ كلامَكَ . . سُمِّيَ الكلامُ معقوداً ، فإذا شرحتَ المستورَ ، وأبنتَ عنِ الغرضِ المنزوعِ إليهِ . . سُمِّيَ الكلامُ محلولاً .

مثالُ ذٰلكَ : ما كتبَ بعضُهُم [2] : وجرىٰ لكَ مِنْ ذكرِ ما خَصَّكَ اللهُ بهِ ، وأفردَكَ بفضيلتِهِ ؛ مِنْ شرفِ النفسِ والقدرةِ ، وبُعْدِ الهِمَّةِ والذِّكرِ ، وكمالِ الأداةِ والآلةِ ، والتمهُّدِ في السياسةِ والإيالةِ ، وحياطةِ أهلِ الدِّينِ والأدبِ ، وإنجادِ عظيمِ الحقِّ وتضعيفِ السببِ . . ما لا يزالُ يجري مثلُهُ عندَ كلِّ ذكرٍ يَتجَّدُد لكَ ، ويُؤثَرُ عنكَ .

فالكلامُ مِنْ أوَّلِ الفصلِ إلىٰ قولِهِ : (تضعيفِ السببِ) معقودٌ ، فلمَّا اتصلَ بما بعدَهُ . . صارَ محلولاً .

وما كتبَ بعضُهُم [3] : ربَّما كانَتْ مَودَّةُ السَّببِ أوكدَ مِنْ مَودَّةِ النَّسَبِ ؛ لأنَّ المَودَّةَ التي تدعو إليها رغبةٌ أو رهبةٌ ، أو شكرُ نعمةٍ ، أو مشاركةٌ في صنعةٍ ، أو مناسبةٌ لمشاكلةٍ . . مَودَّةٌ معروفةٌ وجوهُها ، موثوقٌ بخلوصِها ، فتوكُّدُها

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٢) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٢) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٢) .

بحَسَبِ السببِ الداعي إليها ، ودوامُها بدوامِهِ ، واتصالُها باتصالِهِ ، ومَودَّةُ القربىٰ مواتٌ ، وإن أوجبَتْها اللحمةُ . . فهيَ مشوبةٌ بحسدٍ ونفاسةٍ ، وبحَسَبِ ذٰلكَ يقعُ التقصيرُ فيما توجبُهُ الحالُ ، والإضاعةُ لِمَا يلزمُ مِنَ الشكرِ ، واللهُ يعلمُ أنّي أودُّكَ مَودَّةً خالصةً لم تَدْعُ إليها رغبةٌ فيزيلَها استغناءٌ ، ولا اضطَرَّ إليها رهبةٌ فيقطعَها أمنٌ منها ، وإن كنتَ مَرجوّاً للموهباتِ بحمدِ اللهِ تعالىٰ ، ومَقصِداً مِنْ مقاصدِ الرغباتِ ، وكهفاً وحرزاً مِنَ المُوبِقاتِ .

فهٰذا الكلامُ معقودٌ إلىٰ قولِهِ : (لمشاكلةٍ) فلمَّا اتصلَ بما بعدَهُ . . صارَ محلولاً .

وقالَ بعضُهُم (١) : انظرْ سَدَّدَكَ اللهُ ألَّا تدعوَكَ مَقدِرتُكَ على الكلامِ إلىٰ إطالةِ المعقودِ ؛ فإنَّ ذٰلكَ فسادُ ما أكننتَهُ في صدرِكَ ، وأردتَ تضمينَهُ كتابَكَ ، واعلمْ : أنَّ إطالةَ المعقودِ تورثُ نسيانَ ما عقدتَ عليهِ كلامَكَ ، وأرهنتَ بهِ فكرَكَ .

وكانَ شبيبُ بنُ شبةَ يقولُ (٢) : لمْ أرَ مُتكلِّماً قطُّ أذكرَ لِمَا عقدَ عليهِ كلامَهُ ولا أحفظَ لِمَا سلفَ مِنْ نطقِهِ . . مِنْ خالدِ بنِ صفوانَ ؛ يشبعُ المعقودَ بالمعاني التي يَصعُبُ الخروجُ منها إلىٰ غيرِها ، ثمَّ يأتي بالمحلولِ واضحاً بيّناً ، مشروحاً منثوراً ، فكانَ السامعُ لا يَعرِفُ مغزاهُ ومقصدَهُ في أوَّلِ كلامِهِ حتىٰ يصيرَ إلىٰ آخِرِهِ .

وقالَ بعضُهُم (٣) : ليسَ يُحمَدُ مِنَ القائلِ أن يعميَ معرفةَ مغزاهُ على السامعِ لكلامِهِ في أوَّلِ ابتدائِهِ حتىٰ ينتهيَ إلىٰ آخِرِهِ ، بلِ الأحسنُ أن يكونَ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٣) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٣) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٣) .

في صدرِ كلامِهِ دالّاً علىٰ حاجتِهِ ، ومُبيِّناً لمغزاهُ ومَقصِدِهِ ، كما أنَّ خيرَ [أبياتِ] الشعرِ ما إذا سمعتَ صدرَهُ . . عرفتَ قافيتَهُ .

وكانَ شبيبُ بنُ شَبَّةَ يقولُ[1] : الناسُ مُوكَّلونَ بتعظيمِ جودةِ الابتداءِ ، وبمدحِ صاحبِهِ ، وأنا مُوكَّلٌ بتعظيمِ جودةِ المقطعِ ، وبمدحِ صاحبِهِ ، وخيرُ الكلامِ ما وُقِفَ عندَ مقاطعِهِ وبُيِّنَ موقعُ فصولِهِ .

ومثالُ ما لم يُبَنْ موضعُ الفصلِ فيهِ فأشكلَ الكلامُ : قولُ شاعرٍ يهجو ويمدحُ[2] : [من الكامل]

وَأَبُوكَ بَدْرٌ كَانَ يَنْتَهِشُ ٱلْخِصَىٰ وَأَبِي ٱلْجَوادُ رَبِيعَةُ بْنُ قِتَالِ[3]

فقالَ المهجوُّ : لا بأسَ ، شيخانِ اشتركا في صفةٍ .

وقلَّما رأينا بليغاً إلَّا وهوَ يقطعُ كلامَهُ علىٰ معنىً بديعٍ أو لفظٍ حسنٍ رشيقٍ ، قالَ لقيطٌ في آخرِ قصيدتِهِ[4] : [من البسيط]

لَقَدْ مَحَضْتُ لَكُمْ وُدِّي بِلَا دَخَلٍ فَٱسْتَيْقِظُوا إِنَّ خَيْرَ ٱلْعِلْمِ مَا نَفَعَا

فقطعَها علىٰ كلمةٍ حكمةٍ عظيمةِ الموقعِ .

ومثلُهُ قولُ امرئِ القيسِ[5] : [من الطويل]

أَلَا إِنَّ بَعْدَ ٱلْعُدْمِ لِلْمَرْءِ قِنْوَةً وَبَعْدَ ٱلشَّبَابِ طُولَ عُمْرٍ وَمَلْبَسَا

فقطعَ القصيدةَ أيضاً علىٰ حكمةٍ بالغةٍ .

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٣) .
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٣) .
(٣) في « الصناعتين » : (كان ينتهس الحصىٰ وأبي الجواد ربيعة بن قِبال) .
(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٤) .
(٥) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٠٨) .

وقالَ أبو زبيدٍ الطائيُّ في آخِرِ قصيدةٍ [١] : [من الخفيف]

كُـلُّ شَـيْءٍ يَـحْـتَـالُ فِـيـهِ ٱلـرِّجَـالُ غَـيْـرَ أَنْ لَـيْـسَ لِـلْـمَـنَـايَـا ٱحْـتِـيَـالُ

وقالَ أبو كبيرٍ الهذليُّ [٢] : [من الكامل]

هَـٰذَا وَذَٰلِكَ لَـيْـسَ إِلَّا ذِكْـرُهُ وَإِذَا مَـضَـىٰ شَـيْءٌ كَـأَنْ لَـمْ يُـفْـعَـلِ

فينبغي أنْ يكونَ آخرُ بيتِ قصيدتِكَ أجودَ بيتٍ فيها ، وأدخلَ في المعنى الذي قصدتَ لهُ في نظمِها ، كما فعلَ ابنُ الزِّبَعْرَىٰ في آخِرِ قصيدةٍ يعتذرُ فيها إلى النبيِّ صلَّى اللهُ تعالىٰ عليهِ وسَلَّمَ وشَرَّفَ وكَرَّمَ ويستعطفُهُ [٣] : [من الكامل]

فَخُذِ ٱلْفَضِيلَةَ عَنْ ذُنُوبٍ قَدْ خَلَتْ وَٱقْبَلْ تَضَرُّعَ مُسْتَضِيفٍ ثَابِتِ [٤]

فجعلَ نفسَهُ مستضيفاً ، ومِنْ حقِّ المستضيفِ أن يُضافَ ، فإذا أُضيفَ . . فمِنْ حقِّهِ أن يُصانَ ، واعداً بالثباتِ الذي مدارُ الأمرِ عليهِ ، مُخبراً بصدقِ عزيمتِهِ ، جعلَ العفوَ عنهُ فضيلةً ، فجمعَ ما يُحتاجُ إليهِ في طلبِ [العفوِ] .

وقولُ تأبَّطَ شرّاً في آخِرِ قصيدةٍ [٥] : [من البسيط]

لَـتَـقْـرَعَـنَّ عَـلَـيَّ ٱلـسِّـنَّ مِـنْ نَـدَمٍ إِذَا تَـذَكَّـرْتَ يَـوْمـاً بَـعْـضَ أَخْـلَاقِـي

هٰذا البيتُ أجودُ بيتٍ فيها ؛ لصفاءِ لطفِهِ ، وحسنِ معناهُ ، وأحقُّ ما يُختَمُ كلامٌ في عتابٍ .

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٤) .
(٢) انظر « ديوان الهذليين » (١/١٠٠) .
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٤) .
(٤) في « الصناعتين » : (تائب) بدل (ثابت) .
(٥) انظر « ديوان تأبط شراً » (ص ١٤٤) .

ومثلُهُ قولُ الشنفرىٰ في آخرِ قصيدةٍ[1] : [من الطويل]

وَإِنّـي لَـحُـلْـوٌ إِنْ أُرِيـدَتْ حَـلَاوَتِـي ... وَمُـرٌّ إِذَا نَـفْـسُ ٱلْـعَـزُوفِ أَمَـرَّتِ

أَبِـيٌّ لِـمَـا آبَـىٰ قَـرِيـبٌ مَـقَـادَتِـي ... إِلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ تَنْتَحِي فِي مَسَرَّتِي

وهـٰذانِ البيتانِ أجودُ ما فُخِرَ بهِ في هـٰذهِ القصيدةِ .

وقالَ بشرُ بنُ أبي حازمٍ في آخرِ قصيدةٍ[2] : [من الوافر]

وَلَا يُـنْـجِـي مِـنَ ٱلْـغَـمَـرَاتِ إِلَّا ... بَـرَاكَـاءُ ٱلْـقِـتَـالِ أَوِ ٱلْـفِـرَارُ

فقطعَها علىٰ مثلٍ سائرٍ ، والأمثالُ أحبُّ إلى النفوسِ ؛ لحاجتِها إليها عندَ المحاضرةِ والمجالسةِ .

وقالَ الهذليُّ[3] : [من المتقارب]

عَـصَـاكَ ٱلْأَقَـارِبُ فِـي أَمْـرِهِـمْ ... فَـزَايِـلْ بِـأَمْـرِكَ أَوْ خَـالِـطِ

وَلَا تَـسْـقُـطَـنَّ سُـقُـوطَ ٱلـنَّـوَا ... ةِ مِـنْ كَـفِّ مُـرْتَـضِـخٍ لَاقِـطِ

فقطعَها علىٰ تشبيهٍ مليحٍ ومثلٍ حسنٍ ، وهـٰكذا يفعلُ الكاتبُ الحاذقُ والمُترسِّلُ المُبرِّزُ ، ألا ترىٰ ما كتبَ الصَّاحبُ في آخرِ رسالةٍ لهُ : فإن حنثتُ فيما حلفتُ . . فلا خطوتُ لتحصيلِ مجدٍ ، ولا نهضتُ لاقتناءِ حمدٍ ، ولا سعيتُ إلىٰ مقامِ فخرٍ ، ولا [حرصتُ] علىٰ عُلُوِّ ذكرٍ ، وهـٰذهِ اليمينُ لو سمعَها عامرُ بنُ الظَّربِ ـ أحدُ مشاهيرِ قضاةِ العربِ ـ لقالَ : هيَ الغَموسُ ، لا القسمُ باللَّاتِ والعُزَّىٰ ، ومناةِ الثالثةِ الأخرىٰ .

فأتىٰ بأيمانٍ غريبةٍ ، ومعانٍ ظريفةٍ .

---

(١) انظر « ديوان الشنفرىٰ » (ص ٩٩) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٥) ، والبراكاء : الثبات في الحرب .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٥) .

وكتبَ أيضاً في آخرِ رسالةٍ[1] : وأنا مُتوقِّعٌ لكتابِكَ توقُّعَ الظمآنِ للماءِ الزلالِ ، والصُّوَّامِ لهلالِ شوالٍ .

وكتبَ آخَرُ أخرىٰ[2] : وسألَ أن أخلفَهُ في تجشيمِ مولايَ إلىٰ هـٰذا المجتمعِ ؛ ليَقرُبَ علينا تناولُ البدرِ بمشاهدتِهِ ، ولمسُ الشمسِ بغُرَّتِهِ .

فانظرْ كيفَ تقعُ كلماتُهُ علىٰ كلِّ معنىً بديعٍ ، ولفظٍ شريفٍ .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٥) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٦) .

[حسنُ المقطعِ وجودةُ الفاصلةِ]

هٰذا ؛ وحسنُ المقطعِ وجودةُ الفاصلةِ وحسنُ تمكُّنِها في موضعِها علىٰ ثلاثةِ أضربٍ : فضربٌ منها : أن يضيقَ على الشاعرِ موضعُ القافيةِ ، فيأتيَ بلفظٍ قصيرٍ قليلِ الحروفِ ، فيُتِمَّ بهِ البيتَ ؛ كقولِ زهيرٍ[1] : [من الطويل]

وَأَعْلَمُ مَا فِي ٱلْيَوْمِ وَٱلْأَمْسِ قَبْلَهُ   وَلَـٰكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ

وقولِ النابغةِ[2] : [من الكامل]

جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ [نَدِي]

وقولِ الأعشىٰ[3] : [من المتقارب]

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَىٰ لَذَّةٍ   وَأُخْرَىٰ تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

وبعدَهُ :

لِكَيْ يَعْلَمَ ٱلنَّاسُ أَنِّي ٱمْرُؤٌ   أَتَيْتُ ٱللَّذَاذَةَ مِنْ بَابِهَا

وقولِ امرئِ القيسِ[4] : [من الطويل]

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً   كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ ٱلسَّيْلُ مِنْ عَلِ

وقولِ طرفةَ[5] : [من الطويل]

إِذَا ٱبْتَدَرَ ٱلْقَوْمُ ٱلسِّلَاحَ وَجَدْتَنِي   مَنِيعاً إِذَا بَلَّتْ بِقَائِمِهِ يَدِي

---

(١) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمىٰ » (ص ٣٥) .

(٢) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٩٥) ، والبيت بتمامه :

كَالْأُقْحُوَانِ غَدَاةَ غِبِّ سَمَائِهِ   جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي

(٣) انظر « ديوان الأعشىٰ » (١٢/٢) .

(٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٩) .

(٥) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ٤٣) .

وقولِ النابغةِ مِنَ القصيدةِ التي أوَّلُها(١) : [من الكامل]

أَمِـنَ آلِ مَـيَّـةَ رَائِـحٌ أَوْ مُـغْـتَـدِ

[قالَ] :

لَا مَـرْحَـبـاً بِـغَـدٍ وَلَا أَهْـلاً بِـهِ إِنْ كَـانَ تَـفْـرِيـقُ ٱلْأَحِـبَّـةِ فِـي غَـدِ

أَفِـدَ ٱلـتَّـرَحُّـلُ غَـيْـرَ أَنَّ رِكَـابَـنَـا لَـمَّـا تَـزَلْ بِـرِحَـالِـهَـا وَكَـأَنْ قَـدِ

وقولِهِ :

كَـٱلْأُقْـحُـوَانِ غَـدَاةَ غِـبِّ سَـمَـائِـهِ جَـفَّـتْ أَعَـالِـيـهِ وَأَسْـفَـلُـهُ نَـدِي

وقولِهِ :

[يُشْفَىٰ] بِبَرْدِ لِثَاتِهَا ٱلْعَطِشُ ٱلصَّدِي

وقولِ آخَرَ(٢) : [من الطويل]

أَلَا يَـا غُـرَابَـيْ بَـيْـنِـهَـا لَا تَـصَـدَّعَـا وَطِـيـرَا جَـمِـيعاً بِـٱلنَّـوَىٰ وَقَـعَـا مَـعَـا

وقولِ ابنِ أحمرَ(٣) : [من الطويل]

وَإِنْ كَـانَـتِ ٱلنَّـعْـمَـاءُ عِـنْـدَكَ لِٱمْـرِئٍ فَـمِـثْـلاً بِـهَـا فَـٱجْـزِ ٱلْـمَـطَـالِـبَ أَوْ زِدِ

وقولِ أبي حيَّةَ(٤) : [من الطويل]

[فَقُلْنَ(٥)] لَـهَـا سِـرّاً فَـدَيْـنَـاكِ لَا يَـرُحْ

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٨٩) ، والبيت بتمامه :

أَمِـنَ آلِ مَـيَّـةَ رَائِـحٌ أَوْ مُـغْـتَـدِ عَـجْـلَانَ ذَا زَادٍ وَغَـيْـرَ مُـزَوَّدِ

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٧) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٧) .

(٤) انظر « ديوان أبي حية النميري » (ص ٧٦) ، و« الصناعتين » (ص ٤٦٧) ، والبيت بتمامه :

فَـقُـلْـنَ لَـهَـا سِـرّاً فَـدَيْـنَـاكِ لَا يَـرُحْ صَـحِـيـحاً وَإِنْ لَـمْ تَـقْـتُـلِـيـهِ فَـأَلْـمِـمِي

(٥) في الأصل : (فقلنا) .

الأبياتَ السالفةَ [١] .

ومِنْ شعرِ المُحدَثينَ قولُ ابنِ عبدةَ [٢] : [من الكامل]

دُنْيَا دَعَوْتُكِ مُسْمِعاً فَأَجِيبِي وَبِمَا ٱصْطَفَيْتُكِ فِي ٱلْهَوَىٰ فَأَثِيبِي
دُومِي أَدُمْ لَكِ بِٱلْوَفَاءِ عَلَى ٱلْقَضَا إِنِّي بِعَهْدِكِ وَاثِقٌ فَثِقِي بِي

وقولِ آخرَ [٣] : [من المتقارب]

أَتَتْنِي تُؤَنِّبُنِي فِي ٱلْبُكَا فَأَهْلاً بِهَا وَبِتَأْنِيبِهَا
وَقَالَتْ وَفِي قَوْلِهَا حِشْمَةٌ أَتَبْكِي بِعَيْنٍ تَرَانَا بِهَا
فَقُلْتُ إِذَا ٱسْتَحْسَنَتْ غَيْرَكُمْ أَمَرْتُ ٱلدُّمُوعَ بِتَأْدِيبِهَا

❁ ❁ ❁

والضَّرْبُ الآخَرُ : أن يَضيقَ بهِ المكانُ أيضاً ، ويَعجِزَ عن إيرادِ كلمةٍ سالمةٍ تَحتاجُ إلىٰ إعرابٍ ، فيأتيَ بكلمةٍ ليسَتْ كذٰلكَ يُتِمُّ بها البيتَ ؛ مثلُ قولِ امرئِ القيسِ [٤] : [من الطويل]

كَذِئْبِ ٱلْغَضَا يَمْشِي ٱلضَّرَاءَ وَيَتَّقِي

وقولِ زهيرٍ [٥] : [من الطويل]

صَحَا ٱلْقَلْبُ عَنْ سَلْمَىٰ وَقَدْ كَانَ لَا يَسْلُو

---

(١) انظر (٣/٢٨٢) .
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٧) ، وفيه : (ابن أبي عيينة) بدل (ابن عبدة) .
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٨) .
(٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٧٢) ، والبيت بتمامه :
بَعَثْنَا رَبِيئاً قَبْلَ ذَٰلِكَ مُخْمِلاً كَذِئْبِ ٱلْغَضَا يَمْشِي ٱلضَّرَاءَ وَيَتَّقِي
(٥) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمىٰ » (ص ٨٣) ، والبيت بتمامه :
صَحَا ٱلْقَلْبُ عَنْ سَلْمَىٰ وَكَانَ لَا يَسْلُو وَأَقْفَرَ مِنْ سَلْمَى ٱلتَّعَانِيقُ فَٱلثِّقْلُ

ثمَّ قالَ :

وَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَلْمَىٰ سِنِينَ ثَمَانِياً عَلَىٰ [صِيرِ] أَمْرٍ مَا يَمُرُّ وَلَا يَحْلُو

وقولِهِ (١) : [من الطويل]

لِذِي ٱلْحِلْمِ مِنْ ذُبْيَانَ عِنْدِي مَوَدَّةٌ وَحِفْظٌ وَمَنْ يُلْحِمْ [إِلَى] ٱلشَّرِّ أَنْسُجِ
مَخُوفاً كَأَنَّ ٱلطَّيْرَ فِي مَنْزِلَاتِهِ (٢) عَلَىٰ جِيَفِ ٱلْحَسْرَىٰ مَجَالِسُ تَنْتَجِي

وقولِ ذي الرُّمةِ (٣) : [من الوافر]

أَرَاحَ رِفَاقُ جِيرَتِكَ ٱلْجِمَالَا كَأَنَّهُمُ يُرِيدُونَ ٱحْتِمَالَا
وَكِدْتُ أَمُوتُ مِنْ حَزَنٍ عَلَيْهِمْ وَلَمْ أَرَ حَادِيَ ٱلْأَظْعَانِ بَالَا

وقولِ الحطيئةِ (٤) : [من البسيط]

دَعِ ٱلْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَٱقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ ٱلطَّاعِمُ ٱلْكَاسِي

❊

والضَّرْبُ الثالثُ : أن تكونَ لفظةٌ لائقةٌ بما تَقدَّمَها مِنَ الألفاظِ ، وتكونَ مُستقِرَّةً في قرارِها ومُتمكِّنةً في موضعِها ، حتىٰ لا يَسُدَّ مَسدَّها غيرُها ، وإن لم تكنْ قليلةَ الحروفِ ؛ كقولِ الحطيئةِ (٥) : [من الوافر]

هُمُ ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ إِذَا أَلَمَّتْ مِنَ ٱلْأَيَّامِ مُظْلِمَةٌ أَضَاؤُوا

---

(١) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمىٰ » (ص ٢٣٨) .
(٢) في « الديوان » و« الصناعتين » : (مخوف) بدل (مخوفاً) .
(٣) انظر « ديوان ذي الرمة » (١٥٠٦/٣) .
(٤) تقدم (١٩٥/٢) .
(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧٠) .

وقولِ آخَرَ (١) : [من الكامل]

صَلَّى ٱلْإِلَٰهُ عَلَى ٱمْرِئٍ وَدَّعْتُهُ ... وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا

وقولِ البحتريّ (٢) : [من المتقارب]

ظَلَلْنَا نُرَجِّمُ فِيكَ ٱلظُّنُونَ ... أَحَاجِبُهُ أَنْتَ أَمْ حَاجِمُهْ

وقولِ أبي نُواسٍ (٣) : [من الطويل]

إِذَا ٱمْتَحَنَ ٱلدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ ... لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

[ذكرُ شيءٍ ممَّا عِيبَ مِنَ القوافي]

ومِمَّا عِيبَ مِنَ القوافي : قولُ ابنِ الرُّقيَّاتِ وقدْ أنشدَ عبدَ الملكِ (٤) : [من الكامل]

إِنَّ ٱلْحَوَادِثَ بِٱلْمَدِينَةِ قَدْ ... أَوْجَعْنَنِي وَقَرَعْنَ مَرْوَتِيَهْ

[وَجَبَبْنَنِي] جَبَّ ٱلسَّنَامِ فَلَمْ ... يَتْرُكْنَ رِيشاً فِي مَنَاكِبِيَهْ

فقالَ لهُ عبدُ الملكِ : أحسنتَ ، إلَّا أنَّكَ تخنَّثتَ في قوافيهِ ، فقالَ : ما عدوتُ قولَ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْۜ ۝ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴾ (٥) ، وليسَ كما قالَ ؛ لأنَّ فاصلةَ الآيةِ حسنةُ الموقعِ ، وفي قوافي شعرِهِ لينٌ ، يُدرَكُ ذٰلكَ بالوجدانِ ، وسببُهُ اللفظيُّ : أنَّ فواصلَ الآيةِ كائنةٌ مِنْ مدَّةٍ وحركتَينِ وحرفِ السكتِ ، وقوافيهِ مِنْ ساكنٍ يابسٍ أو لينٍ ، وثلاثِ حركاتٍ ، وحرفِ السكتِ ،

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧٠) .

(٢) انظر « ديوان البحتري » (٢٧٢/١) ، و« الصناعتين » (ص ٤٧٠) .

(٣) انظر « ديوان أبي نواس » (٧١٤) .

(٤) انظر « ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات » (٩٨) .

(٥) سورة الحاقة : (٢٨ ـ ٢٩) .

فتجدُ في الآيةِ مِنَ الشدَّةِ بقدرِ ما تجدُ في أبياتِهِ مِنَ اللينِ ، ولذٰلكَ وصفَهُ عبدُ الملكِ بالتخنُّثِ ، وهوَ التشبُّهُ بالمُخنَّثينَ في التلفُّظِ ، والمُخنَّثُ : الرجلُ في خلائقِ النساءِ طبعاً أو تطبُّعاً .

ومِنْ عيوبِ القوافي : أن تكونَ القافيةُ مستدعاةً لا تفيدُ معنىً ، وإنَّما أُورِدَتْ ليستويَ الرويُّ فقطْ .

قلتُ[١] : وهٰذا مِنْ أقبحِ عيوبِ الشعرِ ؛ فإنَّ الشعرَ إنَّما هوَ بالقوافي ، وإذا احتاجَ مَنْ يريدُ أن يقولَ الشعرَ لمثلِ ذٰلكَ . . فراحةُ الناسِ في سكوتِهِ ، مثلُ قولِ أبي تمامٍ[٢] : [من الكامل]

كَٱلظَّبْيَةِ ٱلْأَدْمَاءِ صَافَتْ وَٱرْتَعَتْ   زَهْرَ ٱلْعَرَارِ ٱلْغَضِّ وَٱلْجَثْجَاثَا

ليسَ في وصفِ الظبيةِ بأنَّها ترتعي الجثجاثَ فائدةٌ ، وسواءٌ رعَتِ الجثجاثَ أو القلامَ أو غيرَ ذٰلكَ مِنَ النباتِ ، وإذا قصدَ لنعتِ الظبيةِ بزيادةِ حسنٍ . . قيلَ : إنَّها تعطو الشجرَ ؛ لأنَّها حينَئذٍ ترفعُ رأسَها فيطولُ جيدُها ، وتظهرُ محاسنُها ، كما قالَ : [من الكامل]

وَٱلْجِيدُ مِنْهَا جِيدُ جَازِيَةٍ   تَعْطُو إِذَا مَا طَالَهَا ٱلْمَرْدُ

وقريبٌ منهُ قولُ الآخرِ[٣] : [من الطويل]

وَسَابِغَةِ ٱلْأَذْيَالِ زَغْفٍ مُفَاضَةٍ   يُكَفْكِفُهَا عَنِّي [بِجَادٌ] مُخَطَّطُ

وليسَ لتخطيطِ [البجادِ] معنىً يرجعُ إلى السيفِ ، ولا إلى الدرعِ .

---

(١) هو المؤلف ضمن نقله لكلام صاحب « الصناعتين » .

(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (١/٣١٢) ، و« الصناعتين » (ص ٤٧١) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧٢) .

قلتُ : وإذا انتهىٰ إلىٰ أن يقولَ كما يقولُ بعضُ المُصنِّفينَ : القيدُ لبيانِ الواقعِ . . يُقالُ : وما حيلةُ المُضطَرِّ إلَّا باردُ العذرِ ، ومثلُهُ قولُ آخَرَ (١) : [من البسيط]

أَأَنْشُرُ ٱلْبَزَّ فِيمَنْ لَيْسَ يَعْرِفُهُ وَأَنْثُرُ ٱلدُّرَّ بَيْنَ ٱلْعُمْيِ فِي ٱلْغَلَسِ

وليسَ لذكرِ الغَلَسِ معَ العمىٰ معنىً ؛ لأنَّ الأعمىٰ يستوي عندَهُ الغَلَسُ والهاجرةُ ، ولو قالَ : (العُمُشِ) . . لكانَ أقربَ مِنَ العمىٰ ، علىٰ أنَّ الجميعَ لا خيرَ فيهِ .

وقولُ ابنِ الروميِّ (٢) : [من الطويل]

أَلَا رُبَّمَا سُؤْتُ ٱلْغَيُورَ وَسَاءَنِي وَبَاتَ كِلَانَا مِنْ أَخِيهِ عَلَىٰ وَحْرِ

وَقَبَّلْتُ أَفْوَاهاً عِذَاباً كَأَنَّهَا يَنَابِيعُ خَمْرٍ حُصِّبَتْ لُؤْلُؤَ ٱلْبَحْرِ

فقولُهُ : (لؤلؤَ البحرِ) أفسدَ البيتَ وأطفأَ نورَهُ ؛ لأنَّ اللُّؤلؤَ لا يكونُ في النهرِ ولا غيرِهِ مِنَ المواضعِ ، فنسبتُهُ إلى البحرِ لا فائدةَ فيهِ إلَّا إقامةُ الرويِّ .

❋ ❋ ❋

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧٢) .

(٢) انظر « ديوان ابن الرومي » (٩١٢/٣) .

[تمييزُ الكلامِ جيِّدهِ من رديئِهِ]

هٰذا ؛ وروحُ المقصودِ بالنقلِ مِنْ كتابِ أبي هلالٍ قولُهُ في **تمييزِ الكلامِ جيدِهِ مِنْ رديئِهِ ، ونادرِهِ من باردِهِ** ، قالَ [١] : الكلامُ ـ أيَّدَكَ اللهُ ـ بحسنِ سلاستِهِ ، وسهولتِهِ ، وصناعتِهِ [٢] ، وتخيُّرِ لفظِهِ ، وإصابةِ معناهُ ، وجودةِ مَطالعِهِ ، ولينِ معاطفِهِ ، واستواءِ تقاسيمِهِ ، وتعادلِ أطرافِهِ ، وتشبيهِ أعجازِهِ بهواديهِ ، وموافقةِ مآخيرِهِ لمباديهِ ، معَ قِلَّةِ ضروراتِها بل عدمِها أصلاً ؛ حتىٰ لا يكونَ لها في الألفاظِ أثرٌ ، فتجدُ المنظومَ مثلَ المنثورِ في سهولةِ مطلعِهِ ، وجودةِ مقطعِهِ ، وحسنِ رصفِهِ وتأليفِهِ ، وكمالِ صوغِهِ وتركيبِهِ ، فإذا كانَ الكلامُ كذٰلكَ . . صارَ بالقَبولِ حقيقاً ، وبالتحفُّظِ خليقاً ؛ كقولِ القائلِ [٣] : [من البسيط]

هُمُ ٱلأُلَىٰ وَهَبُوا لِلْمَجْدِ أَنْفُسَهُمْ ... فَمَا يُبَالُونَ مَا نَالُوا إِذَا حُمِدُوا

وقولِ معنِ بنِ أوسٍ [٤] : [من الطويل]

لَعَمْرِي مَا [أَهْوَيْتُ] كَفِّي لِرِيبَةٍ ... وَلَا حَمَلَتْنِي نَحْوَ فَاحِشَةٍ رِجْلِي
وَلَا قَادَنِي سَمْعِي وَلَا بَصَرِي لَهَا ... وَلَا دَلَّنِي رَأْيِي عَلَيْهَا وَلَا عَقْلِي
وَأَعْلَمُ أَنِّي لَمْ تُصِبْنِي مُصِيبَةٌ ... مِنَ ٱلدَّهْرِ إِلَّا قَدْ أَصَابَتْ فَتىً قَبْلِي
وَلَسْتُ بِمَاشٍ مَا حَيِيتُ لِمُنْكَرٍ ... مِنَ ٱلْأَمْرِ لَا يَمْشِي إِلَىٰ مِثْلِهِ مِثْلِي
وَلَا مُؤْثِرٍ نَفْسِي عَلَىٰ ذِي قَرَابَةٍ ... وَأُوثِرُ ضَيْفِي مَا أَقَامَ عَلَىٰ أَهْلِي

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٦١) .
(٢) في « الصناعتين » : (ونصاعته) .
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٦١) .
(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٦١) .

وقالَ الآخرُ[1] : [من الطويل]

وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إِلَىٰ جَانِبِ ٱلْغِنَىٰ إِذَا كَانَتِ ٱلْعَلْيَاءُ فِي جَانِبِ ٱلْفَقْرِ

وَقالَ آخَرُ[2] : [من الطويل]

ذَرِينِي أَسِيرُ فِي ٱلْبِلَادِ لَعَلَّنِي أُصِيبُ فَتىً فِيهِ لَدَى ٱلْحَقِّ مَحْمِلُ

فَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَسْطِعْ دِفَاعاً لِحَادِثٍ تَجِيءُ بِهِ ٱلْأَيَّامُ فَٱلصَّبْرُ أَجْمَلُ

أَلَيْسَ كَثِيراً أَنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْحُقُوقِ مُعَوَّلُ

ومِمَّا هوَ صحيحٌ في وصفِهِ ، جيدٌ في رصفِهِ .. قولُ الشنفرىٰ[3] : [من الطويل]

أُطِيلُ مِطَالَ ٱلْجُوعِ حَتَّىٰ أُمِيتُهُ وَأَضْرِبُ عَنْهُ ٱلْقَلْبَ صَفْحاً فَيَذْهَلُ

وَلَوْلَا ٱجْتِنَابُ ٱلذَّمِّ لَمْ يُلْفَ مَشْرَبٌ يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَيَّ وَمَأْكَلُ

وَلَٰكِنَّ نَفْساً حُرَّةً مَا تُقِيمُ بِي عَلَى ٱلضَّيْمِ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ

وقولُ بشارٍ[4] : [من الطويل]

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً عَلَى ٱلْقَذَىٰ ظَمِئْتَ وَأَيُّ ٱلنَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ

وقولُ دِعْبِلٍ[5] : [من الطويل]

وَمَا إِنْ قَتَلْنَاهُمْ بِأَكْثَرَ مِنْهُمُ وَلَٰكِنْ بِأَوْفَىٰ لِلطِّعَانِ وَأَكْرَمَا

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٦٢) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٦٢) .

(٣) انظر « ديوان الشنفرىٰ » (ص ٤٦) .

(٤) تقدم ضمن أبيات (٢/٣٥ ـ ٣٦) .

(٥) انظر « ديوان دعبل الخزاعي » (ص ٢٣٧) ، و« الصناعتين » (ص ٦٢) ، وإنما البيت الأول لشاعر آخر كما يظهر في « الصناعتين » .

وَإِنَّ ٱمْـرَأً أَمْـسَـتْ مَـسَـاقِـطُ رَأْسِـهِ ... بِأَسْوَانَ لَـمْ يَتْرُكْ لَـهُ ٱلْحَزْمُ مَعْلَمَا

حَـلَلْتُ مَـحَلاًّ يَقْصُرُ ٱلطَّرْفُ دُونَـهُ ... وَيَعْجِزُ عَنْهُ ٱلطَّيْفُ أَنْ يَتَجَشَّمَا

وقولُ النابغةِ[1] : [من الطويل]

وَلَسْتُ بِمُسْتَبْقٍ أَخاً لَا تَـلُـمُّـهُ ... عَلَىٰ شَعَثٍ أَيُّ ٱلرِّجَالِ ٱلْمُهَذَّبُ

وليسَ لهٰذا البيتِ نظيرٌ في كلامِ العربِ ، قالَ بعضُهُم : نظيرُهُ : قولُ أوسِ بنِ حجرٍ[2] : [من الوافر]

وَلَسْتُ بِخَابِسٍ أَبَداً طَعَاماً ... حِـذَارَ غَـدٍ لِـكُـلِّ غَـدٍ طَـعَـامُ

هٰذا ؛ وإن كانَ نظيرَهُ في التأليفِ ، فإنَّهُ دونَهُ ؛ لِمَا تكرَّرَ فيه مِنْ لفظِ (غدٍ) ، فإذا كانَ الكلامُ قد جمعَ العُذوبةَ والجزالةَ والسُّهولةَ والرَّصانةَ معَ السلاسةِ والصناعةِ ، واشتملَ على الرونقِ والطُّلاوةِ ، وسَلِمَ مِنْ حيفِ التأليفِ ، وبَعُدَ مِنْ سماجةِ التركيبِ ، ووردَ على الفهمِ الثاقبِ . . قَبِلَهُ ولم يَرُدَّهُ ، وعلى السَّمعِ المصيبِ استوعبَهُ ولم يمجُّهُ ، والنفسُ تقبلُ اللطيفَ ، وتنبو عنِ الغليظِ ، وجميعُ جوارحِ البدنِ وحواسِّهِ تسكنُ إلىٰ ما توافقُهُ ، وتنفرُ عمَّا تُضادُّهُ وتخالفُهُ ؛ فالعينُ تألفُ الحسنَ ، وتَقْذَىٰ بالقبيحِ ، والأنفُ يرتاحُ للطِّيبِ ، ويَعافُ المنتنَ ، والفمُ يلتذُّ بالحلوِ ، ويَمجُّ المُرَّ ، والسمعُ يَتشوَّفُ للصوتِ الرائعِ ، وينزوي عنِ الجهيرِ الهائلِ ، واليدُ تنعمُ باللِّينِ ، وتَتأذَّىٰ بالخشنِ ، والفهمُ يأنسُ بالكلامِ المعروفِ ، ويسكنُ إلى المألوفِ ، ويصغي إلى الصَّوابِ ، ويهربُ مِنَ المحالِ ، وينقبضُ عنِ الوخمِ ، ويَتأخَّرُ عنِ الجافي الغليظِ ، ولا يقبلُ الكلامَ المُضطربَ إلَّا الفهمُ المُضطربُ ، والرويةُ الفاسدةُ .

---

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٧٤) .

(٢) انظر « ديوان أوس بن حجر » (ص ١١٥) ، و« الصناعتين » (ص ٦٣) .

وليسَ الشأنُ في إيرادِ المعاني ؛ لأنَّ المعانيَ يعرفُها العربيُّ والأعجميُّ ، والقرويُّ والبدويُّ ، وإنَّما هوَ في جودةِ اللفظِ وصفائِهِ ، وحسنِهِ وبهائِهِ ، ونزاهتِهِ ونقائِهِ ، وكثرةِ طُلاوتِهِ ومائِهِ ، معَ صحةِ السبكِ والتركيبِ ، والحلوِ مِنَ النظمِ والتأليفِ ، وليسَ يطلبُ مِنَ المعنىٰ إلَّا أن يكونَ صواباً ، ولا يقنعُ مِنَ اللفظِ بذٰلكَ حتىٰ يكونَ علىٰ ما وصفناهُ مِنْ نعوتِهِ التي تَقدَّمَتْ ، ألا ترىٰ إلىٰ قولِ حبيبِ بنِ أوسٍ[1] : [من الكامل]

مُسْتَسْلِمٌ لِلّٰهِ سَائِسُ أُمَّةٍ ... لِذَوِي تَجَهْضُمِهَا لَهُ ٱسْتِسْلَامُ

فإنَّهُ أتىٰ بصوابِ اللفظِ ، وليسَ هوَ بحسنٍ ولا مقبولٍ .

وقالَ أبو داوودَ[2] : رأسُ الخطابةِ الطبعُ ، وعمودُها الدُّربةُ ، وجناحُها روايةُ الكلامِ ، وحليُها الإعرابُ ، وبهاؤُها تَخيُّرُ الألفاظِ ، والمحبةُ مقرونةٌ بقِلَّةِ الاستكراهِ ، وأنشدَ : [من الكامل]

يَرْمُونَ بِٱلْخُطَبِ ٱلطِّوَالِ وَتَارَةً ... وَحْيَ ٱلْمَلَاحِظِ خَشْيَةَ ٱلرُّقَبَاءِ

[مدارُ البلاغةِ علىٰ تحسينِ اللفظِ]

ومِنَ الدليلِ علىٰ أنَّ مدارَ البلاغةِ تحسينُ اللفظِ : أنَّ الخطبَ الفائقةَ والأشعارَ الرائقةَ ما عُمِلَتْ لإفهامِ المعاني فقطْ ؛ لأنَّ الرديءَ مِنَ الألفاظِ يقومُ مقامَ الجيدِ منها في الإفهامِ ، وإنَّما يَدُلُّ حسنُ الكلامِ ، وإحكامُ الصنعةِ ، ورونقُ ألفاظِهِ ، وجودةُ مقاطعِهِ ، وبديعُ مباديهِ ، وغريبُ مبانيهِ . . علىٰ فضلِ قائلِهِ ، وفهمِ منشيهِ ، وأكثرُ هٰذهِ الأوصافِ ترجعُ إلى الألفاظِ دونَ المعاني ، ولهٰذا يتأنَّقُ الكاتبُ في الرسالةِ ، والخطيبُ في الخُطبةِ ، والشاعرُ

---

(١) انظر « ديوان أبي تمام » (١٥٣/٣) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٦٤) .

في القصيدةِ ، ويبالغونَ في تجويدِها ، ويغلونَ في ترتيبِها ؛ ليدلُّوا علىٰ براعتِهِم ، وحذقِهِم بصناعتِهِم ، ولو كانَ الأمرُ في المعاني . . لَطرحوا أكثرَ ذٰلكَ ، فربحوا كدّاً كثيراً ، وأسقطوا عن أنفسِهِم تعباً طويلاً .

ودليلٌ آخرُ : أنَّ الكلامَ إذا كانَ لفظُهُ حلواً عذباً ، وسلساً سهلاً ، ومعناهُ وسطاً . . دخلَ في جملةِ الجيّدِ ، وجرىٰ معَ الرائعِ النادرِ ؛ كقولِ الشاعرِ[1] : [من الطويل]

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنىً كُلَّ حَاجَةٍ ... وَمسَّحَ بِٱلْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ
وَشُدَّتْ عَلَىٰ حُدْبِ ٱلْمَهَارِي رِحَالُنَا ... وَلَمْ يَنْظُرِ ٱلْغَادِي ٱلَّذِي هُوَ رَائِحُ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ ٱلْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا ... وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ ٱلْمَطِيِّ ٱلْأَبَاطِحُ

فليسَ تحتَ هٰذهِ الألفاظِ كبيرُ معنىً ، وهيَ رائقةٌ معجبةٌ ، وإنَّما المعنىٰ : ولمَّا قضينا الحجَّ ومسَّحْنا ، وشُدَّتْ رحالُنا علىٰ مهاري الإبلِ . . سِرْنا نتحدَّثُ في بطونِ الأوديةِ .

وباردُ الشعرِ مثلُ قولِ عمرِو بنِ معديكربَ[2] : [من السريع]

قَدْ عَلِمَتْ سَلْمَىٰ وَجَارَاتُهَا ... مَا قَطَّرَ ٱلْفَارِسَ إِلَّا أَنَا
شَكَكْتُ بِٱلرُّمْحِ سَرَابِيلَهُ ... وَٱلْخَيْلُ تَعْدُو زِيَماً حَوْلَنَا

زيماً ؛ أي : مُتفرِّقةً .

وقولِ أبي العتاهيةِ[3] : [من المديد]

مَاتَ وَٱللهِ سَعِيدُ بْنُ وَهْبٍ ... رَحِمَ ٱللهُ سَعِيدَ بْنَ وَهْبِ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٦٥) .
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٦٥) .
(٣) انظر « ديوان أبي العتاهية » (ص ٤٩٥) .

يَـا أَبَـا عُـثْـمَـانَ أَبْـكَـيْـتَ عَـيْـنِـي		يَـا أَبَـا عُـثْـمَـانَ أَبْـكَـيْـتَ قَـلْـبِـي

والباردُ في شعرِ أبي العتاهيةِ كثيرٌ .

والشعرُ كلامٌ منسوجٌ ، ولفظٌ منظومٌ ، وأحسنُهُ ما تلاءمَ نسجُهُ ولم يسخفْ ، وحَسُنَ نظمُهُ ولم يهجنْ ، ولم يُستعمَلْ فيهِ الغليظُ مِنَ الكلامِ فيكونَ جلفاً بغيضاً ، ولا السُّوقيُّ مِنَ الألفاظِ فيكونَ مهلهلاً دُوَيناً ؛ فالبغيضُ كقولِ أبي تمامٍ [1] : [من الكامل]

قَدْ كَانَ حُزْنُ ٱلْخَطْبِ فِي أَحْزَانِهِ		حَتَّىٰ دَعَاهُ ٱلْحَيْنُ لِلْإِسْهَالِ

جَعَلُوا ٱلْقَنَا ٱلدَّرَجَاتِ [لِلْكَذَجَاتِ] ذَا		تِ ٱلْغِيلِ وَٱلْحَرَجَاتِ وَٱلْأَدْحَالِ

قلتُ : هٰذانِ البيتانِ المُستكرَهانِ مِنْ أبياتِ قصيدةٍ فتحيَّةٍ معتصميةٍ ، مِنْ غررِ قصائدِ أبي تمامٍ ، البيتُ الأوَّلُ في صفةِ حالِ العدوّ أوَّلاً وآخراً ؛ وذٰلكَ أنَّهُ كانَ ممتنعاً بإقامتِهِ في أماكنَ مرتفعةٍ وعرةٍ ذاتِ أشجارٍ ومهاوي ، فكانَ لا يقدرُ عليهِ ، وهوَ معنىٰ قولِهِ :

قَدْ كَانَ حَزْنُ ٱلْخَطْبِ فِي أَحْزَانِهِ

أي : أشدُّ الخطبِ في سكناهُ حزنَ الأرضِ ، وهوَ ضدُّ السهلِ ، والبيتُ الثاني في صفةِ عسكرِ المعتصمِ ؛ أي : جعلوا القنا سُلَّماً لهٰذهِ المواضعِ المرتفعةِ الوعرةِ المشتملةِ على الشجرِ المُلتفِّ ؛ وهوَ الغيلُ والحرجاتُ ، ومهاوٍ ؛ وهيَ الأدحالُ ، وقولِهِ [2] : [من المنسرح]

يَا دَهْرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ		أَضْجَجْتَ هَٰذَا ٱلْأَنَامَ مِنْ خُرُقِكْ

ولا خيرَ في المعاني إذا استُكرِهَتْ قهراً ، والألفاظِ إذا أُجبِرَتْ قَسْراً ، ولا

---

(١) انظر « ديوان أبي تمام » (٣/١٣٧ ـ ١٣٨) .

(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٢/٤٠٥) .

خيرَ فيما أُجيدَ لفظُهُ إذا سَخُفَ معناهُ ، ولـٰكنْ في غرابةِ المعنىٰ إذا شَرُفَ لفظُهُ ، معَ وضوحِ المغزىٰ ، وظهورِ المقصدِ .

وقدْ غلبَ الجهلُ علىٰ قومٍ فصاروا يستجيدونَ الكلامَ إذا لم يقفوا علىٰ معناهُ إلا بكَدٍّ ، ويستعظمونَهُ إذا وجدوا ألفاظَهُ كَزَّةً غليظةً ، ويَستحقِرونَ الكلامَ إذا رأَوهُ سلساً عذباً ، وسهلاً حلواً ، ولم يعلموا أنَّ السهلَ أمنعُ جانباً ، وأعزُّ مطلباً ، وهوَ أحسنُ موقعاً ، وأعذبُ مستمعاً ، ولهـٰذا قيلَ : أجودُ الكلامِ السهلُ الممتنعُ .

ويُحكىٰ [١] : أنَّ الفضلَ بنَ سهلٍ وصفَ عمرَو بنَ مسعدةَ فقالَ : هوَ أبلغُ الناسِ ، ومِنْ بلاغتِهِ يَظُنُّ الظانُّ أنَّهُ يكتبُ مثلَ كتبِهِ ، فإذا رامَها . . تَعذَّرَتْ عليهِ .

وأنَّ إبراهيمَ بنَ العباسِ بنِ الأحنفِ أنشدَ يوماً بعضَ أصحابِهِ [٢] : [من السريع]

إِنْ قَالَ لَمْ يَفْعَلْ وَإِنْ سِيلَ لَمْ ... يَبْذُلْ وَإِنْ عُوتِبَ لَمْ يُعْتِبِ

صَبٌّ بِعِصْيَانِي وَلَوْ قَالَ لِي ... لَا تَشْرَبِ ٱلْبَارِدَ لَمْ أَشْرَبِ

ثمَّ قالَ : هـٰذا واللهِ الشعرُ ، الحسنُ المعنى ، السهلُ اللفظِ ، العذبُ المُستمَعِ ، القليلُ النظيرِ ، العزيزُ الشبيهِ ، المُطمِعُ المُمتنِعُ ، البعيدُ معَ قربِهِ ، الصَّعبُ معَ سهولةٍ ، فجعلَ أصحابُهُ يقولونَ : هـٰذا الكلامُ واللهِ أحسنُ مِنْ شعرِهِ .

وأنَّهُ قيلَ للسيدِ الحميريِّ : ألا تستعملُ الغريبَ في شعرِكَ ؟ فقالَ :

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٦٧) .

(٢) انظر « ديوان إبراهيم بن العباس بن الأحنف » (ص ٢٣) ، و« الصناعتين » (ص ٦٧) .

ذٰلك عِيٌّ في زماني ، وتَكلُّفٌ منّي لو قلتُهُ ، وقد رُزِقتُ طبعاً واتساعاً في الكلامِ ، وأنا أقولُ ما يَعرِفُهُ الصغيرُ والكبيرُ ، ولا يحتاجُ إلىٰ تفسيرٍ ، ثمَّ أنشدَ [1] : [من الطويل]

أَيَا رَبِّ إِنِّي لَمْ أُرِدْ بِٱلَّذِي بِهِ مَدَحْتُ عَلِيّاً غَيْرَ وَجْهِكَ فَٱرْحَمِ

فهٰذا كلامُ عاقلٍ يضعُ الشيءَ موضعَهُ ، ويستعملُهُ في إبَّانِهِ .

❁ ❁ ❁

ومِنَ الكلامِ المطبوعِ السهلِ [2] : ما وَقَّعَ بهِ عليُّ بنُ عيسىٰ : قد بَلَّغتُكَ أقصىٰ طَلِبَتِكَ ، وأنلتُكَ غايةَ بغيتِكَ ، وأنتَ معَ ذٰلكَ تَستقِلُّ كثيري ، وتستقبحُ حسني فيكَ ، فأنتَ كما قيلَ : [من مشطور الرجز]

كَٱلْحُوتِ لَا يَكْفِيهِ شَيْءٌ يَلْهَمُهْ
يُصْبِحُ ظَمْآنَ وَفِي ٱلْبَحْرِ فَمُهْ

ومِنَ المنظومِ المُطمِعِ المُمتنِعِ : قولُ البحتريِّ عفا اللهُ عنهُ [3] : [من الخفيف]

أَيُّهَا ٱلْعَاتِبُ ٱلَّذِي لَيْسَ يَرْضَىٰ نَمْ هَنِيئاً فَلَسْتُ أَطْعَمُ غُمْضَا
إِنَّ بِي مِنْ هَوَاكَ وَجْداً قَدِ ٱسْتَهْـ ـلَكَ نَوْمِي وَمَضْجَعاً قَدْ أَقَضَّا
فَجُفُونِي فِي عَبْرَةٍ لَيْسَ تَرْقَىٰ وَفُؤَادِي فِي لَوْعَةٍ مَا تَقَضَّىٰ
أَحْيِنِي بِٱلْوِصَالِ إِنْ كَانَ جُوداً وَأَثِبْنِي بِٱلْحُبِّ إِنْ كَانَ قَرْضَا
بِأَبِي شَادِنٌ تَعَلَّقَ قَلْبِي بِجُفُونٍ فَوَاتِرِ ٱللَّحْظِ مَرْضَىٰ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٦٧) .
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٦٨) .
(٣) انظر « ديوان البحتري » (٢/١٢١٤ ـ ١٢١٦) ، و« الصناعتين » (ص ٦٨ ـ ٦٩) .

لَسْتُ أَنْسَاهُ إِذْ بَدَا مِنْ قَرِيبٍ ... يَتَثَنَّىٰ تَثَنِّيَ ٱلْغُصْنِ غَضَّا

وَٱعْتِذَارِي إِلَيْهِ حِينَ تَجَافَىٰ ... لِيَ عَنْ بَعْضِ مَا أَتَيْتُ وَأَغْضَىٰ

وَٱعْتِلَاقِي تُفَّاحَ خَدَّيْهِ تَقْبِيـ ... ـلاً وَلَثْماً طَوْراً وَشَمّاً وَعَضَّا

أَيُّهَا ٱلرَّاكِبُ ٱلَّذِي طَلَبَ ٱلْجُو ... دَ فَأَبْكَىٰ كُومَ ٱلْمَطَايَا وَأَنْضَىٰ

زُرْ حِيَاضَ ٱلْإِمَامِ تَلْقَ نَوَالاً ... وَسِعَ ٱلرَّاغِبِينَ طُولاً وَعَرْضَا

هُوَ أَنْدَىٰ مِنَ ٱلْغَمَامِ وَأَوْحَىٰ ... وَقَعَاتٍ مِنَ ٱلْحُسَامِ وَأَمْضَىٰ

يَتَوَخَّى ٱلْإِحْسَانَ قَوْلاً وَفِعْلاً ... وَيُطِيعُ ٱلْإِلَٰهَ بَسْطاً وَقَبْضَا

فَضَّلَ ٱللهُ جَعْفَراً بِخِلَالٍ ... جَعَلَتْ حُبَّهُ عَلَى ٱلنَّاسِ فَرْضَا

ويقولُ فيها :

وَأَرَى ٱلْمَجْدَ بَيْنَ عَارِفَةٍ مِنْـ ... ـكَ تُرَجَّىٰ وَعَزْمَةٍ مِنْكَ تُمْضَىٰ

قلتُ : قولُ البحتريّ : (**أيُّها العاتبُ الذي ليسَ يرضىٰ**) : لم يقلْ : أيُّها الساخطُ الذي ليسَ يرضىٰ ؛ ليحصلَ الطِّباقُ في كلامِهِ ، معَ ولوعِهم بالبديعِ إذ ذاكَ ؛ لأنَّ لفظَ العاتبِ آدَبُ وأحشمُ ، معَ أنَّهُ لم يَفتْهُ الطِّباقُ ؛ فإنَّ العتبَ يستلزمُ السُّخطَ ، فاجتمعَ لهُ معَ الطِّباقِ المعنويِّ الكنايةُ الظريفةُ ، فهوَ مِنْ تخيُّرِ الألفاظِ ، ونبَّهتُكَ بهٰذا لأن تَصرِفَ التفاتَكَ إلىٰ ملاحظةِ مثلِهِ ، فتلتزمَ التأنِّيَ في تَعرُّفِ لطائفِ الكلامِ ، فلا تدرسْهُ درساً وتمرَّ عليه مرّاً بحيثُ تفوتُكَ بغيتُكَ وأنتَ مكدودٌ في طلبِها .

وقولُهُ : (**أبكىٰ كومَ المطايا**) ليسَ مِنَ البكاءِ ، وإنَّما هوَ مِنَ البكْءِ ؛ وهوَ ذهابُ اللبنِ ، بكأَتِ الناقةُ كمَنَعَ ، فهوَ وما بعدَهُ عبارةٌ عن إهزالِ المطايا تدريجاً .

ومِنْ هـٰذا الموضعِ تَعرِفُ أنَّهُ ينبغي أن تكونَ الأمورُ علىٰ حَسَبِ الأزمنةِ ، فربَّما كانَ الأمرُ مستحسناً في زمنٍ حَسَبَ أحوالِ أهلِهِ ، ويصيرُ في زمنٍ آخَرَ غيرَ مستحسنٍ حَسَبَ تغيُّرِ الأحوالِ ، ألا ترىٰ أنَّ الشِّعرَ في الصَّدرِ الأوَّلِ كانَ علىٰ صورةٍ لم يكنْ عليها بعدُ ، حتىٰ دخلَ في صورٍ شتَّىٰ ، وكانَ المُتأخِّرُ معيباً باستعمالِهِ في صورةِ الأوَّلِ .

ثمَّ هـٰذا لا يَخُصُّ الشعرَ والإنشاءَ ، فلقد سمعتَ قولَ أميرِ المؤمنينَ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ : لا تَقسِروا أولادَكُم علىٰ آدابِكُم ، فإنَّهُم مخلوقونَ لزمانٍ غيرِ زمانِكُم (١) .

وكانَ أخذُ الأجرةِ علىٰ تعليمِ القرآنِ محكوماً بحرمتِهِ ، ثمَّ أفتى العلماءُ بعدُ بجوازِهِ للضَّرورةِ ، ولذٰلكَ شواهدُ كثيرةٌ ، وهـٰذهِ الإشارةُ كافيةٌ ، ونرجعُ لِمَا نحنُ فيهِ ، قالَ أبو هلالٍ (٢) : ومِنْ أمثلةِ السهلِ : قولُ محمدِ بنِ وهبٍ (٣) : [من الكامل]

مَا زَالَ يُلْثِمُنِي مَرَاشِفَهُ ... وَيُعِلُّنِي ٱلْإِبْرِيقُ وَٱلْقَدَحُ
حَتَّى ٱسْتَرَدَّ ٱللَّيْلُ خِلْعَتَهُ ... وَنَشَا خِلَالَ سَوَادِهِ وَضَحُ
وَبَدَا ٱلصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ ... وَجْهُ ٱلْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدَحُ
أَنْتَ ٱلَّذِي بِكَ يَنْقَضِي [فَرَجاً] ... ضِيقُ ٱلْبِلَادِ لَنَا وَيَنْفَسِحُ
نَشَرَتْ بِكَ ٱلدُّنْيَا مَحَاسِنَهَا ... وَتَزَيَّنَتْ بِصِفَاتِكَ ٱلْمِدَحُ

❊ ❊ ❊

---

(١) تقدم (١٩٣/٣) .
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٦٩) .
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٦٩ ـ ٧٠) .

ومِنَ السهلِ المطبوعِ المختارِ الجيدِ : قولُ الآخَرِ[1] : [من مجزوء الوافر]

صَـرَفْـتَ ٱلـدَّهْـرَ فَـٱنْـصَـرَفَـا وَلَـمْ تَـرْعَ ٱلَّـذِي سَـلَـفَـا
وَبِـنْـتَ فَـلَـمْ أَذُبْ كَـمَـداً عَـلَـيْـكَ وَلَـمْ أَمُـتْ أَسَـفَـا
كِـلَانَـا وَاجِـدٌ فِـي ٱلـنَّـا سِ مِـمَّـنْ مَـلَّـهُ خَـلَـفَـا

وليسَ الغرضُ مِنْ سهولةِ الكلامِ وبيانِ معناهُ أن يبلغَ إلىٰ حدِّ مثلِ قولِ بعضِهِم[2] : [من المجتث]

يَـا رَبِّ قَـدْ قَـلَّ صَـبْـرِي وَضَـاقَ بِـٱلْـحُـبِّ صَـدْرِي
وَٱشْـتَـدَّ شَـوْقِـي وَوَجْـدِي وَسَـيِّـدِي لَـيْـسَ يَـدْرِي
مُـغْـفَّـلٌ عَـنْ عَـذَابِـي وَلَـيْـسَ يَـرْحَـمُ ضَـرِّي
إِنْ كَـانَ أُعْـطِـي ٱصْـطِـبَـاراً فَـلَـسْـتُ أَمْـلِـكُ صَـبْـرِي
أَنَـا ٱلْـفِـدَا لِـغَـزَالٍ دَنَـا فَـقَـبَّـلَ نَـحْـرِي
وَقَـالَ لِـي مِـنْ قَـرِيـبٍ يَـا لَـيْـتَ بَـيْـتَـكَ قَـبْـرِي

فإنَّهُ إذا لانَ الكلامُ حتىٰ يصيرَ إلىٰ هـٰذا الحدِّ . . فليسَ فيهِ خيرٌ ، لا سيَّما إذا ارتُكِبَتْ فيهِ مثلُ هـٰذهِ الضَّروراتِ ؛ فإنَّ تسكينَ الياءِ مِنْ (أُعطي) غيرُ جائزٍ ، والفداءُ ممدودٌ قصرَهُ .

❁ ❁

وأمَّا الجزلُ المُختارُ مِنَ الكلامِ[3] . . فهوَ الذي تَعرِفُهُ فُطناءُ العامَّةِ إذا

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٧٠) .
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٧٠) .
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٧٠) .

سمعوهُ ، ولا يستعملونَهُ في محاوراتِهِم ؛ كقولِ القائلِ [١] : [من البسيط]

لَا تَسْأَلِ ٱلْقَوْمَ عَنْ مَالِي وَكَثْرَتِهِ ... قَدْ يُقْتِرُ ٱلْمَرْءُ يَوْماً وَهُوَ مَحْمُودُ
أَمْضِي عَلَىٰ سُنَّةٍ مِنْ وَالِدِي سَلَفَتْ ... وَفِي أَرُومَتِهِ مَا يُنْبِتُ ٱلْعُودُ

ومِنَ النثرِ [٢] : قولُ يحيى بنِ خالدٍ : أعطانا الدهرُ فأسعفَ ، ثمَّ عطفَ علينا فعسفَ .

قلتُ : يحيىٰ هٰذا هوَ ابنُ خالدِ بنِ برمكَ ، أبو الفضلِ وجعفرٌ ، وهُمُ الوزراءُ المشهورونَ بالبرامكةِ ، وكانوا بلغوا مِنَ المنزلةِ وعُلُوِّ الشأنِ مبلغاً لم يَصلْهُ غيرُهُم ، وكانَ الرشيدُ يقولُ ليحيىٰ : يا أبي ؛ لكونِهِ كانَ تولَّىٰ تربيتَهُ ، وكانَ يُسمِّي الفضلَ وجعفراً أخويهِ ، ثمَّ لم تزلْ بهِمُ الأيامُ حتى اقتضَتْ أسبابٌ تغيُّرَ قلبِ الخليفةِ عليهِم تغيراً أوجبَ حبسَهُم وإهانتَهُم ، وإخلاءَ الدنيا منهُم ، ومِنْ شعرِ يحيىٰ وهوَ في السِّجنِ : [من الخفيف]

سَأَلُونَا عَنْ حَالِنَا كَيْفَ أَنْتُمْ ... مَنْ هَوَىٰ عَرْشُهُ فَكَيْفَ يَكُونُ
نَحْنُ قَوْمٌ أَصَابَنَا عَنَتُ ٱلدَّهْـ ... ـرِ فَظَلْنَا لِحُكْمِهِ نَسْتَكِينُ

وجميعُ كلامِهِم نثراً ونظماً كانَ علىٰ هٰذهِ الصُّورةِ ، فرحمَهُمُ اللهُ تعالىٰ .

قالَ أبو هلالٍ [٣] : ومِنْ شواهدِ ذٰلكَ : ما كتبَ [سعيدُ] بنُ حميدٍ في الاستعطافِ واسترجاعِ المَودَّةِ : وأنا مَنْ لا يُحاجُّكَ عن نفسِهِ ، ولا يُغالطُكَ عن جرمِهِ ، ولا يلتمسُ رضاكَ إلَّا مِنْ جهتِهِ ، ولا يستدعي هواكَ إلَّا مِنْ طريقتِهِ ، ولا يستعطفُكَ إلَّا بالإقرارِ بالذنبِ ، ولا يستميلُكَ إلَّا بالاعترافِ بالجُرْمِ ، نبَتْ بي عنكَ غِرَّةُ الحداثةِ ، وردَّتْني إليكَ الحنكةُ ، وباعدَتْني

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٧٢) .
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٧٢) .
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٧٢) .

منكَ الثقةُ بالأيامِ ، وقادَتْني إليكَ الضَّرورةُ ، فإن رأيتَ أن تستقبلَ الصَّنيعةَ بقَبولِ العذرِ ، وتُجدِّدَ النعمةَ باطراحِ الحقدِ ؛ فإنَّ قديمَ الحرمةِ وحديثَ التوبةِ يمحقانِ ما بينَهُما مِنَ الإساءةِ ، وإنَّ أيامَ القدرةِ إن طالَتْ قصيرةٌ ، [والمتعةَ] بها وإن كثرَتْ قليلةٌ . . فعلتَ .

وفي هـٰذا الكلامِ وما قبلَهُ قُوَّةٌ في سهولةٍ .

وممَّا هوَ أجزلُ مِنْ هـٰذا[1] : قولُ الشعبيِّ للحَجَّاجِ وأرادَ قتلَهُ ؛ لخروجِهِ عليهِ معَ ابنِ الأشعثِ : أجدبَ بنا الجنابُ ، وأحزنَ بنا المنزلُ ، فاستحلسنا الحذرَ ، واكتحلْنا السهرَ ، وأصابَتْنا فتنةٌ لم نكنْ فيها بررةً أتقياءَ ، ولا فجرةً أقوياءَ ؛ فعفا عنهُ .

❊ ❊

فأجودُ الكلامِ[2] : ما يكونُ جزلاً سهلاً ، لا يَنغلِقُ معناهُ ، ولا يَستبهِمُ مغزاهُ ، ولا يكونُ مكدوداً مُستكرَهاً ، [ومُتوعِّراً] مُتقعِّراً ، ويكونُ بريئاً مِنَ الغثاثةِ ، عارياً مِنَ الرَّثاثةِ .

والكلامُ إذا كانَ لفظُهُ غثّاً ، ومعرضُهُ رثّاً . . كانَ مردوداً ولوِ احتوىٰ علىٰ أجلِّ معنىً وأنبلِهِ وأرفعِهِ وأفضلِهِ ؛ كقولِ بعضِهِم[3] : [من البسيط]

أَرَىٰ رِجَالاً بِأَدْنَى ٱلدِّينِ قَدْ قَنِعُوا ... وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي ٱلْعَيْشِ بِٱلدُّونِ

فَٱسْتَغْنِ بِٱلدِّينِ عَنْ دُنْيَا ٱلْمُلُوكِ كَمَا ٱسْـ ... ـتَغْنَى ٱلْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ ٱلدِّينِ

قالَ أبو هلالٍ : فمثلُ هـٰذا لا يَدخُلُ في جملةِ المختارِ ، ومعناهُ كما تَراهُ نبيلٌ فاضلٌ جليلٌ .

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٧٢ ـ ٧٣) .
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٧٣) .
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٧٣) .

ولا أرىٰ لمثلِ هٰذا معنىً [1] ، فهوَ كلامٌ مُنحرِفٌ وضيعٌ ، لم يجعلْ نفسَهُ في الرُّتبةِ التي أعدَّها لهُ الدِّينُ ؛ فإنَّهُ لا ينبغي مِنَ العلماءِ أن يَنعزِلوا ناحيةً عن ساسةِ الناسِ ، بل يجبُ عليهِم أن يخالطوهُم مُخالطةً يَتحيَّنُونَهُم فيها بالموعظةِ ، ويُعطِّفونَهُم على الهدىٰ ، ويرشدونَهُم لصنعِ الجميلِ ؛ فإنَّ الدِّينَ والدنيا لا يَصِحُّ فصلُهُما ، كما قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « لَا [تَسُبُّوا] ٱلدُّنْيَا ، فَنِعْمَتْ مَطِيَّةُ ٱلْمُؤْمِنِ ، عَلَيْهَا يَبْلُغُ ٱلْخَيْرَ ، وَبِهَا يَنْجُو مِنَ ٱلشَّرِّ » [2] .

* * *

(١) القائل هنا هو المؤلف ضمن نقله عن صاحب « الصناعتين » .

(٢) أخرجه الطبراني في « الدعاء » (٢٠٥٢) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

[خطأُ المعاني وصوابُها]

ثمَّ قالَ أبو هلالٍ[1] : وللمعاني خطأٌ وصوابٌ ، وأنا مُنبِّهٌ عليهما ؛ ليتبعَ مَنْ يريدُ العملَ برسمِنا مواقعَ الصَّوابِ فيلزمَها ، ويقفَ علىٰ مواقعِ الخطأ فيجتنبَها ، فنقولُ :

إنَّ الكلامَ ألفاظٌ تَشتمِلُ علىٰ معانٍ تَدُلُّ عليها ، وتُعبِّرُ عنها ، فيَحتاجُ صاحبُ البلاغةِ إلىٰ إصابةِ المعنىٰ كحاجتِهِ إلىٰ تحسينِ اللفظِ ؛ لأنَّ المَدارَ بعدُ علىٰ إصابةِ المعاني ؛ فإنَّها تَحُلُّ مِنَ الكلامِ مَحَلَّ الأبدانِ ، والألفاظُ تجري معَها مَجْرى الكسوةِ ، ومزيةُ إحداهُما على الأخرىٰ معروفةٌ .

ومَنْ عرفَ ترتيبَ المعاني واستعمالَ الألفاظِ علىٰ وجوهِها بلغةٍ مِنَ اللغاتِ ، ثمَّ انتقلَ إلىٰ لغةٍ أخرىٰ . . تَهيَّأَ لهُ فيها مِنْ صنعةِ الكلامِ ما تَهيَّأَ لهُ في الأولىٰ ، ألا ترىٰ أنَّ عبدَ الحميدِ الكاتبَ استخرجَ أمثلةَ الكتابةِ التي رسمَها لِمَنْ بعدَهُ مِنَ اللسانِ الفارسيِّ ، فحَوَّلَها إلى اللسانِ العربيِّ ؟! فلا يستكملُ صناعةَ الكلامِ إلَّا بإصابةِ المعنىٰ ، وتصحيحِ اللفظِ ، والمعرفةِ بوجوهِ الاستعمالِ .

❁ ❁

والمعاني علىٰ ضربَينِ :

أحدُهُما : يبتدعُهُ صاحبُ الصِّناعةِ مِنْ غيرِ أن يكونَ لهُ فيهِ إمامٌ يقتدي بهِ ، ولا رسومٌ قائمةٌ في أمثلةٍ ماثلةٍ يعملُ عليها ، وهٰذا الضَّرْبُ ربَّما يقعُ عليهِ عندَ الخُطوبِ الحادثةِ ، ويَتبيَّنُهُ عندَ الأمورِ النازلةِ الطارئةِ .

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٧٥) .

والآخَرُ : ما يحتذيهِ علىٰ مثالٍ تَقدَّمَ ورسمٍ فرطَ .

وينبغي أن يطلبَ الإصابةَ في جميعِ ذٰلكَ ، ويَتوخَّىٰ فيهِ الصورةَ المقبولةَ ، والعبارةَ المستحسنةَ ، ولا يتكلَ فيما ابتكرَهُ علىٰ فضيلةِ ابتكارِهِ إيَّاهُ ، ولا يعتدَّ بابتداعِهِ لهُ ذٰلكَ الاعتدادَ ، فيساهلَ نفسَهُ في تهجينِ صورتِهِ ، فيُذهبَ حسنَهُ ويَطمِسَ نورَهُ ، ويكونَ فيهِ إلى الذمِّ أقربَ منهُ إلى المدحِ .

❁ ❁ ❁

والمعاني بعدَ ذٰلكَ علىٰ وجوهٍ :

منها : ما هوَ قبيحٌ مستقيمٌ ؛ نحوُ قولِكَ : (قد زيداً رأيتُ) ، وإنَّما قَبُحَ ؛ لأنَّكَ أفسدتَ النظامَ بالتقديمِ والتأخيرِ .

ومنها : ما هوَ مستقيمُ النظمِ وهوَ كذبٌ ؛ مثلُ قولِكَ : حملتُ الجبلَ ، وشربتُ ماءَ البحرِ .

[ومنها] : ما هوَ مُحالٌ ؛ كقولِكَ : آتيكَ أمسِ ، وأتيتُكَ غداً ، وكلُّ مُحالٍ فاسدٌ ، وليسَ كلُّ فاسدٍ مُحالاً ، ألا ترىٰ أنَّ قولَكَ : (قامَ زيدٌ) فاسدٌ ، وليسَ بمُحالٍ ، فالمُحالُ : ما لا يجوزُ كونُهُ ألبتةَ ؛ كقولِكَ : الدنيا [في] بيضةٍ ، وأمَّا قولُكَ : (حملتُ الجبلَ) وأمثالَهُ . . فكذبٌ وليسَ بمُحالٍ ؛ لإمكانِ أن يزيدَ اللهُ في قُوَّتِكَ فتحملَهُ .

ويجوزُ أن يكونَ الكلامُ الواحدُ كذباً ومحالاً ؛ كقولِكَ : رأيتُهُ قائماً قاعداً ، ومررتُ بيقظانَ نائمٍ ، فتصلُ كذباً بمحالٍ ، فصارَ الذي هوَ الكذبُ هوَ المحالَ ؛ بالجمعِ بينَهُما ، وإن كانَ لكلِّ واحدٍ منهُما معنىً علىٰ حيالِهِ .

ومنها : الغَلَطُ ؛ وهوَ أن يقولَ : ضربَني زيدٌ ، وأنتَ تريدُ : ضربتُ زيداً ، فغلطتَ ، فإن تعمدتَ . . كانَ كذباً .

❁ ❁ ❁

وللخطأ صورٌ مختلفةٌ أُنبّهُكَ علىٰ أشياءَ منها ، وأُبيّنُ وجوهَها ، وأشرحُ أبوابَها ؛ لتقفَ عليها فتجتنبَها ، ويكونَ فيما أوردتُ دلالةً علىٰ أمثالِهِ ممَّا تركتُ ، ومَنْ لا يَعرِفُ الخطأَ . . كانَ جديراً بالوقوعِ فيهِ .

فمِنْ ذٰلكَ : قولُ امرئِ القيسِ[١] : [من الطويل]

أَلَمْ تَسْأَلِ ٱلرَّبْعَ ٱلْقَدِيمَ بِعَسْعَسَا كَأَنِّي أُنَادِي أَوْ أُكَلِّمُ أَخْرَسَا

فهٰذا فاسدٌ ؛ لأنَّهُ لا يُقالُ : كلمتُ حجراً فلم يجبْني ، فكأنَّهُ كانَ رجلاً .

وتبعَهُ أبو نُواسٍ فقالَ يصفُ داراً[٢] : [من السريع]

كَأَنَّهَا [إِذْ] خَرِسَتْ حَازِمٌ بَيْنَ ذَوِي تَفْنِيدِهِ مُطْرِقُ

والجيدُ قولُ كُثيرٍ في امرأةٍ[٣] : [من الطويل]

فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزُّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وُطِّنَتْ يَوْماً لَهَا ٱلنَّفْسُ ذَلَّتِ

كَأَنِّي أُنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضَتْ مِنَ ٱلصُّمِّ لَوْ تَمْشِي بِهَا ٱلْعُصْمُ زَلَّتِ

فشَبَّهَ المرأةَ عندَ السكوتِ والتغافلِ بالصَّخرةِ ؛ يعني : أنَّ وضعَ التشبيهِ علىٰ أن يُشبَّهَ الضَّعيفُ بالقويِّ إذا لم يكنِ الغرضُ مُجرَّدَ التعريفِ كما سلفَ لكَ في البيانِ .

ولا يَحسُنُ التشبيهُ المقلوبُ إلَّا إذا اشتملَ علىٰ نكتةٍ كما سلفَ أيضاً ، وهٰذانِ التشبيهانِ منهُ ، ولم تظهرْ نكتةٌ مُحسِّنةٌ لهُ فيهِما ظهورَها في قولِ ابنِ [وُهَيبٍ] : (وبدا الصباحُ)[٤] .

---

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٠٥) ، و« الصناعتين » (ص ٧٧) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٧٧) .

(٣) انظر « ديوان كثير عزة » (ص ٩٧) .

(٤) انظر « معاهد التنصيص » (٥٧/٢) .

ومِنْ خطأ المعنىٰ قولُ الراعي[1] : [من البسيط]

يَكْسُو ٱلْمَفَارِقَ وَٱللَّبَّاتِ ذَا أَرَجٍ ... مِنْ قُصْبِ مُعْتَلِفِ ٱلْكَافُورِ دَرَّاجِ

أرادَ المسكَ ، فجعلَهُ مِنْ قصبِ الظباةِ ، والقُصْب ـ بضمٍّ فسكونٍ ـ : المعيُ ، جعلَ الظباءَ تعتلفُ الكافورَ ، فيَتولَّدُ منها لذٰلكَ المسكُ ، وهٰذا مِنْ طرائفِ الغَلَطِ .

وقريبٌ منهُ قولُ زهيرٍ[2] : [من البسيط]

يَخْرُجْنَ مِنْ شَرَبَاتٍ مَاؤُهَا طَحِلٌ ... عَلَى ٱلْجُذُوعِ تَخَافُ ٱلْغَمَّ وَٱلْغَرَقَا

ظَنَّ أنَّ الضَّفادعَ يخرجنَ مِنَ الماءِ مخافةَ الغرقِ .

ومثلُهُ قولُ ابنِ أحمرَ[3] : [من الكامل]

لَمْ يَدْرِ مَا نَسْجُ ٱلْيَرَنْدَجِ قَبْلَهَا

فظنَّ اليرندجَ منسوجاً ، وهوَ جلدٌ أسودُ يُعمَلُ منهُ الخفافُ ، وأصلُ الكلمةِ فارسيةٌ .

ومِنَ الغَلَطِ مثلُ قولِ امرئِ القيسِ[4] : [من الطويل]

أَغَرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي ... وَأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي ٱلْقَلْبَ يَفْعَلِ

وإذا لم تغرزْها هٰذهِ الحالُ منهُ . . فما الذي يَغُرُّها ؟! وليسَ للمُحتجِّ عنهُ أن يقولَ : إنَّهُ إنَّما عنىٰ بالقتلِ التبريحَ ؛ فإنَّ الذي يلزمُهُ معَ ذكرِ القتلِ يلزمُهُ أيضاً معَ ذكرِ التبريحِ .

---

(١) انظر « ديوان الراعي النميري » (ص ٥٣) .

(٢) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمىٰ » (ص ٤٥) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٧٨) ، والبيت بتمامه :

لَمْ يَدْرِ مَا نَسْجُ ٱلْيَرَنْدَجِ قَبْلَهَا ... وَرَاسُ أَعْوَصَ دَارِسٍ مُتَخَدِّدِ

(٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٣) .

وممَّا أُخِذَ أيضاً على امرئ القيسِ : قولُهُ في الفرسِ[1] : [من الطويل]

فَلِلسَّوْطِ أُلْهُوبٌ وَلِلسَّاقِ دِرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقْعُ أَهْوَجَ مِنْعَبِ

فلو وصفَ أخسَّ حمارٍ وأضعفَهُ . . ما زادَ علىٰ ذٰلكَ ، فالجيدُ قولُهُ[2] : [من الطويل]

عَلَىٰ سَابِحٍ يُعْطِيكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ أَفَانِينَ جَرْيٍ غَيْرَ كَزٍّ وَلَا وَانِ

فما سمعنا أبلغَ ولا أجودَ مِنْ قولِهِ : (أفانينَ جريٍ) .

وقولُ علقمةَ[3] : [من الطويل]

فَأَدْرَكَهُنَّ ثَانِياً مِنْ عِنَانِهِ يَمُرُّ كَمَرِّ ٱلرَّائِحِ ٱلْمُتَحَلِّبِ

فقالَ : أدركَ طريدتَهُ وهوَ ثانٍ مِنْ عنانِهِ ولم يَضرِبْ بسوطٍ ، ولم يُمْرِهِ بساقٍ ، ولم يَزجُرْهُ بصوتٍ .

قلتُ : وكذٰلكَ الجَوادُ إنَّما يرفعُ رأسَهُ بشدِّ العنانِ ، فيَعرِفُ أن قد أُرِيدَ منهُ الجريُ ، فيخرجُ ما عندَهُ .

ويُحكىٰ : أنَّ امرأَ القيسِ لمَّا قالَ قصيدةَ هٰذا البيتِ ، وقالَ علقمةُ الفحلُ قصيدتَهُ التي في رويِّها ووزنِها . . تحاكما إلىٰ أُمِّ جندبٍ زوجِ امرئ القيسِ ، فحكمَتْ لعلقمةَ على امرئ القيسِ بهٰذَينِ البيتَينِ ، فطَلَّقَها ، وتَزوَّجَها علقمةُ[4] ، وسنوردُ لكَ القصيدتَينِ بعدُ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ[5] .

---

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٥١) .

(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٩١) .

(٣) انظر « ديوان علقمة بن عبدة » (ص ١٧) ، و« الصناعتين » (ص ٨٠) .

(٤) انظر « خزانة الأدب » (٢٨٣/٣) .

(٥) انظر ما سيأتي من قصيدة امرئ القيس (١٤١/٤) ، وقصيدة علقمة الفحل (١٥٤/٤) .

وممَّا عِيبَ ويُعابُ قولُ الأعشىٰ[1] : [من الطويل]

وَيَـأْمُـرُ لِـلْـيَـحْـمُـومِ كُـلَّ عَـشِـيَّـةٍ ... بِـقَـتٍّ وَتَـعْـلِـيفٍ وَقَـدْ كَـادَ يَـسْـنَـقُ

أي : تصيبُهُ التخمةُ ، واليحمومُ : اسمُ فرسِ الملكِ ، يقولُ : إنَّهُ يأمرُ لفرسِهِ كلَّ عشيةٍ بِقَتٍّ وتعليفٍ ، وهٰذا ممَّا لا يُمدَحُ بِهِ الملوكُ ، بل ولا رجلٌ مِنْ خساسِ الناسِ .

وقريبٌ منهُ قولُ الأخطلِ[2] : [من الطويل]

وَقَـدْ جَـعَـلَ ٱللهُ ٱلْـخِـلَافَـةَ مِـنْـهُـمُ ... لِأَبْـلَـجَ لَا عَـارِي ٱلْـخُـوَانِ وَلَا جَـدْبِ

يقولُهُ في عبدِ الملكِ ، ومثلُ هٰذا لا يُمدَحُ بِهِ الملوكُ .

وأطرفُ منهُ قولُ كثيرِ بنِ عبدِ الرحمٰنِ الخزاعيِّ[3] : [من الطويل]

وَإِنَّ أَمِـيـرَ ٱلْـمُـؤْمِـنِـيـنَ بِـلُـطْـفِـهِ ... غَـزَا كَـامِـنَـاتِ ٱلصَّـدْرِ مِنِّي فَـنَـالَـهَـا

فجعلَ أميرَ المؤمنينَ يَتوَدَّدُ إليهِ .

وقولُهُ لعبدِ العزيزِ بنِ مروانَ : [من الوافر]

وَمَـا زَالَـتْ رُقَـاكَ تَـسُـلُّ ضِـغْـنِـي ... وَتُـخْـرِجُ مِـنْ مَـكَـامِـنِـهَـا ضِـبَـابِـي

وَتَـرْقِـيـنِـي لَـكَ ٱلـرَّاقُـونَ حَـتَّـىٰ ... أَجَـابَـتْ حَـيَّـةٌ تَـحْـتَ ٱلْـحِـجَـابِ

وإنَّما يُمدَحُ الملوكُ بمثلِ قولِ الشاعرِ[4] : [من الطويل]

لَـهُ هِـمَـمٌ لَا مُـنْـتَـهَـىٰ لِـكِـبَـارِهَـا ... وَهِـمَّـتُـهُ ٱلصُّـغْـرَىٰ أَجَـلُّ مِـنَ ٱلـدَّهْـرِ

لَـهُ رَاحَـةٌ لَـوْ أَنَّ مِـعْـشَـارَ جُـودِهَـا ... عَـلَى ٱلْـبَرِّ كَـانَ ٱلْـبَرُّ أَنْـدَىٰ مِـنَ ٱلْـبَـحْـرِ

---

(١) انظر « ديوان الأعشىٰ » (٢/٦٦) .
(٢) انظر « ديوان الأخطل » (ص ٣٣) .
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٨١) .
(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٨١) .

ومثلُ قولِ النابغةِ[1] : [من الطويل]

فَإِنَّكَ كَٱللَّيْلِ ٱلَّذِي هُوَ مُدْرِكِي ... وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ ٱلْمُنْتَأَىٰ عَنْكَ وَاسِعُ

ومِنْ غفلةِ كثيرٍ قولُهُ في المنىٰ[2] : [من الطويل]

أَلَا لَيْتَنَا يَا عَزُّ كُنَّا لِذِي غِنىً ... بَعِيرَيْنِ نَرْعَىٰ فِي ٱلْخَلَاءِ وَنَعْزُبُ

كِلَانَا بِهِ عَرٌّ فَمَنْ يَرَنَا يَقُلْ ... عَلَىٰ حُسْنِهَا جَرْبَاءُ [تُعْدِي] وَأَجْرَبُ

نَكُونُ لِذِي مَالٍ كَثِيرٍ مُغَفَّلٍ ... فَلَا هُوَ يَرْعَانَا وَلَا نَحْنُ نَطْلُبُ

إِذَا مَا وَرَدْنَا مَنْهَلاً هَاجَ أَهْلُهُ ... إِلَيْنَا فَمَا نَنْفَكُّ نُرْمَىٰ وَنُضْرَبُ

فقالَتْ لهُ عزَّةُ : لقد أردتَ بي الشقاءَ الطويلَ .

ومِنْ قبيحِ التمنِّي قولُ جنادةَ[3] : [من البسيط]

مِنْ حُبِّهَا أَتَمَنَّىٰ أَنْ يُلَاقِيَنِي ... مِنْ نَحْوِ بَلْدَتِهَا نَاعٍ فَيَنْعَاهَا

لِكَيْ يَكُونَ فِرَاقٌ لَا لِقَاءَ لَهُ ... وَتُضْمِرَ ٱلنَّفْسُ بَأْساً ثُمَّ تَسْلَاهَا

ومثلُ قبحِ هٰذا التمنِّي قبحُ دعاءِ عبدِ بني الحسحاسِ إذ يقولُ[4] : [من الطويل]

وَرَاهُنَّ رَبِّي مِثْلَ مَا قَدْ وَرَيْنَنِي ... وَأَحْمَىٰ عَلَىٰ أَكْبَادِهِنَّ ٱلْمَكَاوِيَا

وللناسِ في المنىٰ كلامٌ كثيرٌ ، بينَ مدحٍ لها واستحسانٍ ، وذمٍّ واستهجانٍ ، قالَ الشاعرُ[5] : [من الطويل]

أَمَانِيَّ مِنْ لَيْلَىٰ حِسَانٌ كَأَنَّمَا ... سَقَتْنِي بِهَا لَيْلَىٰ عَلَىٰ ظَمَأٍ بَرْدَا

---

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٣٨) .

(٢) انظر « ديوان كثير عزة » (ص ١٦١) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٨٢) .

(٤) انظر « ديوان سحيم عبد بني الحسحاس » (ص ٢٤) .

(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٨٣) .

مُنىً إِنْ تَكُنْ حَقّاً تَكُنْ أَحْسَنَ ٱلْمُنَىٰ   وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَناً رَغْدَا

وللطغرائيّ[1] :   [من البسيط]

أُعَلِّلُ ٱلنَّفْسَ بِٱلْآمَالِ أَرْقُبُهَا   مَا أَضْيَقَ ٱلْعَيْشَ لَوْلَا فُسْحَةُ ٱلْأَمَلِ

ومِنْ ذمّ التمنّي قولُ عنترةَ[2] :   [من الطويل]

أَلَا قَاتَلَ ٱللهُ ٱلطُّلُولَ ٱلْبَوَالِيَا   وَقَاتَلَ ذِكْرَاكَ ٱلسِّنِينَ ٱلْخَوَالِيَا

وَقَوْلَكَ لِلشَّيْءِ ٱلَّذِي لَا تَنَالُهُ   إِذَا هَوِيَتْهُ ٱلنَّفْسُ يَا لَيْتَ ذَا لِيَا

ومِنْ خطأ الوصفِ : قولُ أبي ذؤيبٍ في صفةِ فرسٍ[3] :   [من الكامل]

قَصَرَ ٱلصَّبُوحَ لَهَا [فَشَرَّجَ] لَحْمَهَا   بِٱلنَّيِّ فَهْوَ يَسُوخُ فِيهِ ٱلْإِصْبَعُ

تَأْتِي بِدِرَّتِهَا إِذَا مَا ٱسْتُكْرِهَتْ   إِلَّا ٱلْحَمِيمَ فَإِنَّهُ يَتَنَصَّعُ

قالَ الأصمعيُّ[4] : هٰذهِ الفرسُ لا تساوي درهمَينِ ؛ لأنَّهُ جعلَها كثيرةَ اللحمِ ، رخوةً يدخلُ فيها الإصبعُ .

وإنَّما تُوصَفُ بهٰذا الشاءُ يُضحَّىٰ بها ، وجعلَها لا تجري إلَّا بالاستقرارِ .

ومِنْ خطأ المعاني قولُ الأعشىٰ[5] :   [من الطويل]

وَمَا رَابَهَا مِنْ رِيبَةٍ غَيْرَ أَنَّهَا   رَأَتْ لِمَّتِي شَابَتْ وَشَابَتْ لِدَاتِيَا

وأيُّ ريبةٍ عندَ امرأةٍ أعظمُ مِنْ شيبٍ ؟!

---

(١) انظر « ديوان الطغرائي » (ص ٣٠٦) .
(٢) انظر « ديوان عنترة العبسي » (ص ٢٢٤) .
(٣) انظر « ديوان الهذليين » (١٦/١ ـ ١٧) .
(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٨٤) .
(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٨٩) .

ومثلُهُ قولُ الآخَرِ (١) : [من البسيط]

وَأَنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ ٱلَّذِي نَكِرَتْ مِنَ ٱلْحَوادِثِ إِلَّا ٱلشَّيْبَ وَٱلصَّلَعَا

وأعجبُ منهُ قولُهُ (٢) : [من البسيط]

صَدَّتْ هُرَيْرَةُ عَنَّا مَا تُكَلِّمُنَا جَهْلاً بِأُمِّ خُلَيْدٍ حَبْلَ مَنْ تَصِلُ

أَإِنْ رَأَتْ رَجُلاً أَعْشَىٰ أَضَرَّ بِهِ رَيْبُ ٱلْمَنُونِ وَدَهْرٌ خَائِنٌ خَتِلُ

وأيُّ شيءٍ أبغضُ عندَ النساءِ مِنَ العَشا ؟!

وأعجبُ ما في هٰذا الكلامِ أنَّهُ قالَ : مَنْ تصلُ بعدي هٰذهِ المرأةُ وأنا بهٰذهِ الصفةِ مِنَ العشا والفقرِ والشيبِ ؟! فلا ترىٰ كلاماً أحمقَ مِنْ هٰذا !!

ومِنَ الخطأ قولُ مَنْ أرادَ أن يَفتخِرَ ، فأوقعَ نفسَهُ في أخسِّ تشبيهٍ حيثُ يقولُ (٣) : [من البسيط]

تَعَرَّضَتْ تَيْمُ لِي عَمْداً لِأَهْجُوَهَا كَمَا تَعَرَّضَ لِٱسْتِ ٱلْخَارِئِ ٱلْحَجَرُ

ومِنَ الخطأ في التشبيبِ : قولُ كُثيرٍ (٤) : [من الطويل]

وَمَا رَوْضَةٌ بِٱلْحَزْنِ [طَيِّبَةُ] ٱلثَّرَىٰ يَمُجُّ ٱلنَّدَىٰ جَثْجَاثُهَا وَعَرَارُهَا

بِأَطْيَبَ مِنْ [أَرْدَانِ] عَزَّةَ مَوْهِناً وَقَدْ أُوقِدَتْ بِٱلْمَنْدَلِ ٱلرَّطْبِ نَارُهَا

يُقالُ : إنَّ عجوزاً لقيَتْهُ وبيدِها روثةٌ عليها نارٌ وضعَتْ فيها مندلاً ، فقالَتْ لهُ : لم تزدْها في الصِّفةِ علىٰ هٰذا !!

---

(١) هو للأعشى . انظر « ديوانه » (١/٢٨٠) .
(٢) انظر « ديوان الأعشىٰ » (١/٢٠٦) .
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٩٤) .
(٤) انظر « ديوان كثير عزة » (ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠) .

والصَّوابُ في مثلِ ذٰلكَ قولُ امرئِ القيسِ[1] : [من الطويل]

أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً وَجَدْتُ بِهَا طِيباً وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ

فجعلَها طيبةَ الذاتِ .

❁

ومِنْ عيوبِ المديحِ : عدولُ المادحِ عنِ الفضائلِ التي تَخُصُّ النفسَ ؛ مِنَ العقلِ ، والعِفَّةِ ، والعدلِ ، والشجاعةِ . . إلىٰ ما هوَ مِنْ أوصافِ الجسمِ ؛ كقول ابنِ الرقيَّاتِ في ابنِ مروانَ[2] : [من المنسرح]

يَأْتَلِقُ ٱلتَّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ عَلَىٰ جَبِينٍ كَأَنَّهُ ٱلذَّهَبُ

فغضبَ عبدُ الملكِ وقالَ : قد قلتَ في مصعبٍ[3] : [من الخفيف]

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ ٱللهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ ٱلظَّلْمَاءُ

فأعطيتَهُ المدحَ بكشفِ الغممِ وجلاءِ الظلمِ ، وأعطيتَني ما لا فخرَ فيهِ ؛ وهوَ اعتدالُ التاجِ فوقَ جبيني الذي هوَ كالذهبِ في النضارةِ ، ذٰلكَ إلىٰ ما رميتَني بهِ مِنْ صفةِ الأعاجمِ ؟!

وجيدُ المدحِ قولُهُ[4] : [من المنسرح]

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا

وَأَنَّهُمْ سَادَةُ ٱلْأَنَامِ وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ ٱلْعَرَبُ

❁ ❁

---

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٤١) .

(٢) انظر « ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات » (ص ٥) .

(٣) انظر « ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات » (ص ٩١) .

(٤) انظر « ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات » (ص ٤) .

ومِنَ التقصيرِ في المديحِ [1] : ما تراهُ فيما يُحكىٰ : أنَّهُ اجتمعَ جريرٌ والفرزدقُ عندَ الحَجَّاجِ ، فقالَ : مَنْ مدحَني منكُما بشعرٍ يُوجِزُ فيهِ ويُحسِنُ القولَ في صفتي . . فهٰذهِ الخِلْعةُ لهُ ، فقالَ الفرزدقُ : [من الطويل]

وَمَنْ يَأْمَنِ ٱلْحَجَّاجَ وَٱلطَّيْرُ يَتَّقِي عُقُوبَتَهُ إِلَّا ضَعِيفُ ٱلْعَزَائِمِ

فقالَ جريرٌ : [من الطويل]

وَمَنْ يَأْمَنِ ٱلْحَجَّاجَ أَمَّا عِقَابُهُ فَمُرٌّ وَأَمَّا عَقْدُهُ فَوَثِيقُ

يُسِرُّ لَكَ ٱلْبَغْضَاءَ كُلُّ مُنَافِقٍ كَمَا كُلُّ ذِي دِينٍ عَلَيْكَ شَفِيقُ

فقالَ الحَجَّاجُ للفرزدقِ : ما عملتَ شيئاً ؛ فإنَّ الطيرَ يتَّقي مِنَ الصَّبيِّ والخشبةِ ، ودفعَ الخلعةَ إلىٰ جريرٍ .

ومِنْ خطأَ المدحِ : قولُ مروانَ بنِ أبي حفصةَ في المأمونِ [2] : [من البسيط]

أَضْحَىٰ إِمَامُ ٱلْهُدَى ٱلْمَأْمُونُ مُشْتَغِلاً بِٱلدِّينِ وَٱلنَّاسُ بِٱلدُّنْيَا مَشَاغِيلُ

وحينَ أُنشِدَ هٰذا البيتُ لعمارةَ بنِ عقيلٍ . . قالَ لهُ : ما زدتَهُ علىٰ أن وصفتَهُ بصفةِ عجوزٍ في يدِها سُبحةٌ ، هلَّا قلتَ كما قالَ جدِّي ـ يعني : جريراً ـ في عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ [3] : [من الطويل]

فَلَا هُوَ فِي ٱلدُّنْيَا مُضِيعٌ نَصِيبَهُ وَلَا عَرَضُ ٱلدُّنْيَا عَنِ ٱلدِّينِ شَاغِلُهْ

ومِنَ الغَلَطِ : قولُ أبي تمامٍ [4] : [من الطويل]

رَقِيقُ حَوَاشِي ٱلْحِلْمِ لَوْ أَنَّ حِلْمَهُ بِكَفَّيْكَ مَا مَارَيْتَ فِي أَنَّهُ بُرْدُ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٠٧) .

(٢) انظر « ديوان ابن أبي حفصة » (ص ١١٧) .

(٣) انظر « ديوان جرير » (٢/٧٠٣) .

(٤) انظر « ديوان أبي تمام » (٢/٨٨) .

وما وصفَ أحدٌ مِنْ أهلِ الجاهليةِ ولا أهلِ الإسلامِ الحِلْمَ بالرِّقَّةِ ، وإنَّما يصفونَهُ بالرُّجحانِ والرزانةِ ، كما قالَ الشاعرُ [1] : [من الكامل]

أَحْـلَامُـنَـا تَـزِنُ ٱلْـجِـبَـالَ رَزَانَـةً وَيَـزِيـدُ جَـاهِـلُـنَـا عَـلَى ٱلْـجُـهَّـالِ

[مرجعُ أسبابِ الخطأ في المعاني]

هٰذا ؛ ومرجعُ أسبابِ الخطأ في المعاني : إلى الجهلِ بالأحوالِ ، والغفلةِ عمَّا ينبغي أن يُقالَ ، ومَنْ لم يَتكلَّمْ إلَّا بعدَ علمٍ ، ولم يُخاطِبْ إلَّا بعدَ صحَّةِ فهمٍ . . نجا مِنَ الوقوعِ في مثلِ ما وقعَ فيهِ أولٰئكَ .

وحَسْبُكَ هٰذا دليلاً مرشداً إلى اعتبارِ غيرِهِ بهِ ، فيقوى التفاتُكَ ، ويزيدُ انتباهُكَ ؛ حتىٰ تعتبرَ كلَّ مَقامٍ ، وتَنطِقَ فيهِ بما يليقُ بهِ ، وتهتدي إلىٰ ذٰلكَ تمامَ الاهتداءِ ؛ بمطالعةِ أقوالِ مَنِ اتفقَ الناسُ على استحسانِ أقوالِهِم ، والمبالغةِ في تأمُّلِها ، ذاكراً تلكَ الانتقاداتِ وما أشبهَها ، ممَّا لا يَصعُبُ عليكَ ملاحظتُهُ ، معَ ما ضُرِبَ لكَ مِنَ الأمثلةِ .

فإذا رعيتَ ذٰلكَ ، وقد وجدتَ مِنْ طبعِكَ استعداداً لإنشاءِ الكلامِ وتحريرِ النظامِ ؛ بأن تكونَ قويَّ الحافظةِ والذاكرةِ ، بحيثُ يكونُ استحضارُكَ لِمَا تَمَسُّ إليهِ الحاجةُ مِنَ الألفاظِ ومصنوعِ العباراتِ كالأمثالِ أسرعَ مِنَ البرقِ . . فأقبلْ علىٰ ذٰلكَ ، وإلَّا . . فدعِ التكلُّفَ ؛ فإنَّهُ ليسَ يأتي منكَ بخيرٍ ، تكدُّ فكرَكَ ، وتُضيِّعُ وقتَكَ ، وتؤذي سامعَكَ ، وقلْ : إنَّ الفضلَ بيدِ اللهِ يؤتيهِ مَنْ يشاءُ .

وتَذكَّرْ ما رُوِيَ عنِ المُبرِّدِ حيثُ يقولُ [2] : لا أحتاجُ إلىٰ وصفِ نفسي ؛

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٢٦) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٦٠) .

لأنَّ الناسَ يعلمونَ أنَّهُ ليسَ أحدٌ مِنَ الخافقَينِ يَختلِجُ في نفسِهِ مسألةٌ مشكلةٌ إلَّا لقيَني بها ، وأعدَّني لها ، فأنا عالمٌ ومُتعلِّمٌ ، وحافظٌ ودارسٌ ، لا يَخفىٰ عليَّ مُشتبهٌ مِنَ الشعرِ والنحوِ والكلامِ المنثورِ والخُطَبِ والرسائلِ ، ولَربَّما احتجتُ إلى اعتذارٍ مِنْ فلتةٍ ، والتماسِ حاجةٍ ؛ فأجعلُ المعنى الذي أقصدُهُ نصبَ عيني ، ثمَّ لا أجدُ سبيلاً إلى التعبيرِ عنهُ بيدٍ ولا لسانٍ ، ولقد بلغَني أنَّ عبدَ اللهِ بنَ سليمانَ ذكرَني بجميلٍ ، فحاولتُ أن أكتبَ إليهِ رقعةً أشكرُهُ فيها ، وأُعَرِّضَ ببعضِ أموري ، فأتعبتُ نفسي يوماً في ذٰلكَ ، فلم أقدرْ علىٰ ما أرتضيهِ منها ، وكنتُ أحاولُ الإفصاحَ عمَّا في ضميري ، فيَنحرِفُ لساني إلىٰ غيرِهِ .

وما حُكِيَ عن بعضِ أكابرِ العلماءِ وقد قيلَ لهُ : لِمَ لا تقولُ الشعرَ ؟ فقالَ : ما أرضاهُ لا يَجيئُني ، ويَجيئُني ما لا أرضاهُ [١] .

وعنِ اليونانيِّ الذي كانَ يُعلِّمُ الشعرَ ، فتَبرعُ فيهِ تلامذتُهُ وهوَ لا يقولُهُ ، فسُئِلَ في ذٰلكَ ، فقالَ : أنا كالمِسَنِّ ؛ أرهفُ ولا أقطعُ [٢] .

فهٰذا اعترافُ العُقلاءِ الراضينَ بما قُسِمَ لهُم ، الواقفينَ عندَ حدودِهِم ، المُتحقِّقينَ بقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « مَنْ طَلَبَ مَا لَمْ يُخْلَقْ . . تَعِبَ وَلَمْ يُرْزَقْ » [٣] .

❊

ثمَّ ليكنْ أمرُ الكاتبِ في الكتابةِ علىٰ ما وصفَ أبو هلالٍ ؛ حيثُ يقولُ [٤] : واعلمْ : أنَّ المعانيَ التي تُنْشَأُ الكتبُ فيها مِنَ الأمرِ والنهيِ . . سبيلُها أن

---

(١) هو ابن المقفع . انظر « البيان والتبين » (١/٢٠٨) .

(٢) انظر « الحيوان » للجاحظ (١/٢٩٠) .

(٣) أورده العلامة نظام الدين النيسابوري في « تفسير غرائب القرآن » (٣/٧٠) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ١٦٢) .

تُوكِّدَ غايةَ التوكيدِ بجهةِ كيفيةِ نظمِ الكلامِ ، لا بجهةِ كثرةِ اللفظِ ؛ لأنَّ حكمَ ما يَنفُذُ مِنَ السُّلطانِ في كتبِهِ شبيهٌ بحكمِ توقيعاتِهِ ؛ مِنِ اختصارِ اللفظِ ، وتأكيدِ المعنىٰ ، هٰذا إذا كانَ الأمرُ والنهيُ واقعَينِ في جملةٍ واحدةٍ لا تقعُ فيها وجوهُ التمثيلِ للأعمالِ ، فأمَّا إذا وقعا في ذٰلكَ الجنسِ . . فإنَّ الحكمَ فيها يخالفُ ما ذكرناهُ ، وسبيلُ الكلامِ فيها : أن يُحمَلَ على الإطالةِ والتكريرِ دونَ الحذفِ والإيجازِ ؛ وذٰلكَ مثلُ ما يُكتَبُ عنِ السُّلطانِ في أمرِ الأموالِ وجبايتِها واستخراجِها ، فسبيلُ الكلامِ أن تُقدِّمَ فيهِ ذكرَ ما رآهُ السُّلطانُ في ذٰلكَ ودَبَّرَهُ ، ثمَّ تُعقِّبَ في ذكرِ الأمرِ بامتثالِهِ ، ولا تَقتصِرْ علىٰ ذٰلكَ حتىٰ تُكرِّرَ وتُؤكِّدَ ؛ لتتأكَّدَ الحُجَّةُ على المأمورِ بهِ ، ويَحذَرَ معَ ذٰلكَ مِنَ الإخلالِ والتقصيرِ .

ومنها : الإحمادُ والإذمامُ ، والثناءُ والتقريظُ ، والذَّمُّ والاستصغارُ ، والعذلُ والتوبيخُ ، وسبيلُ ذٰلكَ : أن يُشبِعَ الكلامَ فيهِ ، ويَمُدَّ القولَ حَسَبَ ما تقتضيهِ آثارُ المكتوبِ إليهِ في الإحسانِ والإساءةِ ، والاجتهادِ والتقصيرِ ؛ ليَرتاحَ بذٰلكَ قلبُ المطيعِ ويُبسَطَ أملُهُ ، ويَرتاعَ قلبُ المُسيءِ ويأخذَ نفسَهُ بالارتداعِ .

فأمَّا ما يَكتبُهُ العُمَّالُ إلى الأُمراءِ ومَنْ فوقَهُم . . فإنَّ سبيلَ ما كانَ واقعاً منها في إنهاءِ الأخبارِ ، وتقريرِ صورةِ ما يَلونَهُ مِنَ الأعمالِ ، ويجري علىٰ أيديهِم مِنْ صُنوفِ الأموالِ : أن يَمُدَّ القولَ حتىٰ يبلغَ غايةَ الشفاءِ والإقناعِ وتمامَ الشرحِ والاستقصاءِ ؛ إذ ليسَ للإيجازِ والاقتصارِ فيهِ موضعٌ ، ويكونُ ذٰلكَ بالألفاظِ السهلةِ ، القريبةِ المأخذِ ، السريعةِ إلى الفهمِ ، دونَ ما يقعُ فيهِ استكراهٌ وتعقيدٌ .

وربَّما تَعرِضُ الحاجةُ في إنهاءِ الخبرِ إلى استعمالِ الكنايةِ والتوريةِ عنِ الشيءِ دونَ الإفصاحِ بهِ ؛ لِمَا في التصريحِ مِنْ هَتْكِ [السترِ] ، وفي حكايتِهِ عن عدوٍّ ما أطلقَ لسانَهُ بهِ ؛ مِنِ اطِّراحِ مَهابةِ الرئيسِ ، فيجبُ إجلالُهُ عنهُ ،

وفي الصِّدقِ ما يَسوءُهُ سماعُهُ ، ويقعُ بخلافِ مَحبَّتِهِ ، فيَحتاجُ منشئُ الكتابِ إلى استعمالِ لفظٍ في العبارةِ لا [تنخرقُ] معَهُ هيبةُ الرئيسِ ، ولا يَعرِضُ فيهِ بما يشتدُّ عليهِ ، ولا يكونُ أيضاً معَها خيانةٌ في طيِّ ما يجبُ نشرُهُ ، ولا يكملُ لهٰذا إلَّا المُبرِّزُ الكاملُ المُقدَّمُ .

وسبيلُ ما يُكتَبُ بهِ في بابِ الشكرِ : ألَّا يقعَ فيهِ إسهابٌ ؛ فإنَّ إسهابَ المبالغِ في الشكرِ يرجعُ إلىٰ نوعٍ مِنَ الإبرامِ والتثقيلِ ، ولا يَحسُنُ منهُ أن يَستعمِلَ الإكثارَ مِنَ الثناءِ والدعاءِ أيضاً ؛ فإنَّ ذٰلكَ فعلُ الأباعدِ الذينَ لم يَتقدَّمْ لهُم وسائلُ مِنَ الخدمةِ ، ومُقدِّماتٌ مِنَ الحرمةِ ، وتكونُ صناعتُهُم التكسبَ بتقريظِ الملوكِ ، وإطراءِ السلاطينِ ، فلا يقبحُ إكثارُ الثناءِ مِنْ هٰؤلاءِ .

وليسَ يَحسُنُ تكريرُ الدعاءِ في صُدورِ الكتبِ والرِّقاعِ ، وعندَ ما يجريهِ مِنْ ذكرِ الرئيسِ ؛ فإنَّ ذٰلكَ مَشغلةٌ وكُلفةٌ ، وحكمُ ما يُستعمَلُ مِنْ ذٰلكَ في الكتبِ حكمُ ما يُستعمَلُ شفاهاً منهُ .

ويَقبُحُ مِنْ خادمِ السُّلطانِ أن يشغلَ سمعَهُ في مخاطبتِهِ إيَّاهُ بكثرةِ الدعاءِ لهُ ، وتكريرِهِ عندَ استئنافِ كلِّ لفظةٍ .

وسبيلُ ما يَكتبُ بهِ التابعُ إلى المتبوعِ في معنى الاستعطافِ ومسألةِ النظرِ : ألَّا يكثرَ مِنْ شكايةِ الحالِ ورقَّتِها ، واستيلاءِ الخصاصةِ عليهِ فيها ؛ فإنَّ ذٰلكَ يجمعُ إلى الإضجارِ والإبرامِ شكايةَ الرئيسِ بسوءِ حالِهِ وقِلَّةِ ظهورِ نعمتِهِ عليهِ ، وهٰذا عندَ الرُّؤساءِ مكروهٌ جدّاً ، بل يجبُ أن يجعلَ الشِّكايةَ ممزوجةً بالشكرِ والاعترافِ بشمولِ النعمةِ وتوفيرِ الفائدةِ .

وسبيلُ ما يُكتَبُ بهِ في الاعتذارِ مِنْ شيءٍ : أن يَتجنَّبَ الإطنابَ والإسهابَ إلىٰ إيرادِ النكتِ التي يَتوهَّمُ أنَّها مُقنِعةٌ في إزالةِ الموجدةِ ، ولا يمعنَ في تبرئةِ ساحتِهِ مِنَ الإساءةِ والتقصيرِ ، فإنَّ ذٰلكَ ممَّا يَكرهُهُ الرُّؤساءُ ، والذي

جرتْ بهِ عادتُهُمْ استحسانُ الاعترافِ مِنْ خَدَمِهِم وخَوَلِهِم بالتقصيرِ والتفريطِ في قضاءِ حقوقِهِم ، وتأديةِ فروضِهِم ؛ ليكونَ لهُم فيما يعقبونَ بهِ ذٰلكَ مِنَ العفوِ والتجاوزِ موضعُ مِنَّةٍ مستأنفةٍ تستدعي شكراً ، وعارفةٍ مُستجدةٍ تقتضي نشراً ، وأمَّا إذا بالغَ المُتنصِّلُ في براءةِ ساحتِهِ مِنْ كلِّ ما قُذِفَ بهِ . . فلا موضعَ للإحسانِ إليهِ في إعفائِهِ مِنْ تركِ التسخُّطِ ، بل ذٰلكَ أمرٌ واجبٌ لهُ ، وفي منعِ الرئيسِ حِصَّتَهُ منهُ ظلمٌ وإساءةٌ .

وينبغي ألَّا يكثرَ الألفاظَ عندَهُ ، وإنِ احتاجَ إلىٰ إعادةِ المعاني . . أعادَ ما يعيدُهُ منها بغيرِ اللفظِ الذي ابتدأَهُ بهِ ؛ مثلُ ما قالَ معاويةُ : مَنْ لم يكنْ في بني عبدِ المطلبِ جواداً . . فهوَ دخيلٌ ، ومَنْ لم يكنْ مِنْ بني الزبيرِ شجاعاً . . فهوَ لزيقٌ ، ومَنْ لم يكنْ مِنْ ولدِ المغيرةِ تيَّاهاً . . فهوَ [سنيدٌ] (١) .

والمعنىٰ واحدٌ ، والكلامُ علىٰ ما تراهُ حسنٌ ، ولو قالَ : (لزيقٌ) ثمَّ أعادَهُ . . لسَمُجَ هٰذا .

قلتُ : فهٰذا مثالٌ رسمَهُ أبو هلالٍ ؛ ليكونَ عملُ الكاتبِ علىٰ موجبِهِ ، ويهتديَ بهِ إلىٰ رعايةِ مَقاماتِ الخطابِ في سائرِ أصنافِ المعاني ، وليسَ على المُؤلِّفِ أن يُبيِّنَ لكَ عن كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ ، وإنَّما عليهِ أن يُعيِّنَ لكَ الطريقَ التي ينبغي أن تَسلكَها ، ثمَّ تستعملَ ذوقَكَ وقُوَّةَ فكرِكَ في تمييزِ الأشياءِ ، وإعطاءِ كلِّ شيءٍ حقَّهُ ، حَسَبَ ما تقفُ عليهِ مِنَ الآدابِ التي أودعَتْها أسلافُكَ في منشآتِهِم نثراً ونظماً ، وما يَخصُّكَ بهِ الفتاحُ العليمُ ممَّا يشاكلُ ذٰلكَ وينتظمُ في سلكِهِ .

* * *

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٦٤) .

[حسنُ النظمِ وجودةُ الرَّصفِ والسَّبكِ]

ثمَّ قالَ أبو هلالٍ في الإبانةِ عن حسنِ النظمِ وجودةِ الرَّصفِ والسَّبكِ (١) : أجناسُ الكلامِ المنظومةِ ثلاثةٌ : الرسائلُ ، والخُطَبُ ، والشعرُ ، وجميعُها يحتاجُ إلىٰ علمِ حسنِ التأليفِ وجودةِ التركيبِ .

وحسنُ التأليفِ يزيدُ المعنىٰ وضوحاً ، ومعَ سوءِ التأليفِ ورداءةِ الرَّصفِ والتركيبِ شعبةٌ مِنَ التعميةِ ، فإذا كانَ المعنىٰ سيئاً ، ورصفُ اللفظِ جيداً . . كانَ أحسنَ موقعاً ، وأطيبَ مسمعاً ، فهوَ بمنزلةِ العقدِ ؛ إذا جعلَ كلُّ خرزةٍ إلىٰ ما يليقُ بها . . كانَ رائقاً في المرأىٰ وإن لم يكنْ مرتفعاً نبيلاً ، وإنِ اختلَّ نظمُهُ ؛ فضُمَّتِ الحبَّةُ إلىٰ ما لا يليقُ بها . . اقتحمتْهُ العينُ وإن كانَ فائقاً ثميناً .

وحسنُ الرصفِ : أن تُوضَعَ الألفاظُ في مواضعِها ، وتُمكَّنَ مِن أماكنِها ، ولا يُستعمَلَ فيها التقديمُ والتأخيرُ ، والحذفُ والزيادةُ ، إلَّا حذفَ ما تقتضيهِ الأحوالُ المبينةُ بعلمِ المعاني ، ويُضَمَّ كلُّ لفظةٍ منها إلىٰ شكلِها ، وتُضافَ إلىٰ وَفقِها .

وقالَ العتابيُّ (٢) : الألفاظُ أجسادٌ ، والمعاني أرواحٌ ، وإنَّما نراها بعيونِ القلوبِ ، فإذا قَدَّمتَ منها مُؤخَّراً ، أو أَخَّرتَ منها مُقدَّماً . . أفسدتَ الصُّورةَ ، وغَيَّرتَ المعنىٰ ، كما أنَّهُ لو حُوِّلَ رأسٌ إلىٰ موضعِ يدٍ ، أو يدٌ إلىٰ موضعِ رأسٍ أو رجلٍ . . لتَحوَّلَتِ الحليةُ ، وتَغيَّرَتِ الخِلْقةُ .

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٦٧) .

(٢) انظر الصناعتين » (ص ١٦٧) .

وقد أحسنَ في هٰذا التمثيلِ ، ونَبَّهَ بهِ علىٰ أنَّ الذي ينبغي في صنعتِهِ وضعُ كلِّ شيءٍ موضعَهُ ؛ ليخرجَ بذٰلكَ مِنْ سوءِ النظمِ .

فمِنْ سوءِ النظمِ : المعاظلةُ ؛ وقد مدحَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ زهيراً بمجانبتِها ؛ إذ قالَ حينَ فَضَّلَهُ على الشُّعراءِ[١] : كانَ لا يعاظلُ في شعرِهِ ، ولا يمدحُ الرجالَ إلَّا بما في الرجالِ .

وأصلُ هٰذهِ الكلمةِ مِنْ قولِهِم : تعاظلَتِ الجرادتانِ ؛ إذا رَكِبَتْ إحداهُما على الأخرىٰ ، وعاظلَ الرجلُ على المرأةِ ؛ إذا ركبَها .

فمِنَ المعاظلةِ قولُ الفرزدقِ[٢] : [من الطويل]

تَعَشَّ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونُنِي ... نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذِئْبُ يَصْطَحِبَانِ

وقولُهُ[٣] : [من الطويل]

تُخَامِصُ عَنْ بَرْدِ ٱلْوِشَاحِ إِذَا مَشَتْ ... تَخَامُصَ حَافِي ٱلْخَيْلِ فِي ٱلْأَمْعَزِ ٱلْوَجِي

أي : تخامصَ حافي الخيلِ الوجي في الأمعزِ .

وقولُ لبيدٍ[٤] : [من الرمل]

وَشَمُولٍ قَهْوَةٍ بَاكَرْتُهَا ... فِي ٱلتَّبَاشِيرِ مِنَ ٱلصُّبْحِ ٱلْأُوَلْ

وقولُ أبي حيَّةَ النُّميريِّ[٥] : [من الوافر]

كَمَا خُطَّ ٱلْكِتَابُ بِكَفِّ يَوْماً ... يَهُودِيٍّ يُقَارِبُ أَوْ يَزِيلُ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٦٨) .
(٢) انظر « ديوان الفرزدق » (٢/٥٩٠) .
(٣) هو للشماخ . انظر « ديوانه » (ص ٧٥) .
(٤) انظر « ديوان لبيد » رضي الله عنه (ص ١٨٢) ، وصدره فيه :
قَلَّمَا عَرَّسَ حَتَّىٰ هَجَّتْهُ
(٥) انظر « الصناعتين » (ص ١٧١) .

وقولُ امرأةٍ مِنْ قيسٍ(١) : [من الطويل]

إِذَا خَـافَ يَـوْمـاً نَـبْـوَةً فَـدَعَـاهُـمَـا ... هُمَا أَخَوَا فِي ٱلْحَرْبِ مَنْ لَا أَخَا لَهُ

تريدُ أخوا مَنْ لا أخا لهُ في الحربِ .

وليسَ للمُحدَثِ أن يقولَ : هٰذهِ الأبياتُ حُجَّةٌ ، ويَبني عليها ؛ فإنَّهُ لا يُعذَرُ في شيءٍ منها ؛ لإجماعِ الناسِ اليومَ علىٰ مجانبةِ أمثالِها ، واستجادةِ ما يَصِحُّ مِنَ الكلامِ ، واسترذالِ ما يُشكِلُ ويَستبهِمُ .

قلتُ : وذٰلكَ لأنَّ الشعرَ وإن كانَ للعربِ صناعةً كما هوَ لغيرِهِم . . فإنَّهُم هُمُ المُخترِعونَ لهُ ، والسنةُ الإلـٰهيَّةُ علىٰ أنَّ الفكرَ الإنسانيَّ لا يحيطُ بجميعِ ما يَحسُنُ في أمرٍ ويَقبُحُ ، ولٰكنْ يُلقىٰ في فكرٍ ما فاتَ غيرَهُ ، ولذٰلكَ كانَ شعراءُ العربِ ينتقدُ بعضُهُم علىٰ بعضٍ ، ومنهُ حصلَ التفاوتُ في البلاغةِ ، واختلفَ الناسُ في تفضيلِ شاعرٍ علىٰ شاعرٍ ، حتىٰ تَبيَّنَتْ محاسنُ الصِّناعةِ ومساويها ، فمَنْ أرادَ أن يكونَ مِنْ أهلِها . . فعليهِ أن ينتهيَ مِنَ التعلُّمِ إلىٰ غايتِهِ ؛ حتىٰ يَتمكَّنَ مِنْ إعطاءِ الصِّناعةِ حقَّها ، فقد نُصبَتْ لهُ الأمثلةُ ، وعُيِّنَتْ لهُ الحدودُ .

قال أبو هلالٍ(٢) : فمِنَ الكلامِ المستوي النظمِ ، الملتئمِ الرَّصفِ : قولُ أختِ طريفٍ ترثيهِ : [من الطويل]

أَيَا شَجَرَ ٱلْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقاً ... كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَى ٱبْنِ طَرِيفِ

فَتىً لا يُحِبُّ ٱلزَّادَ إِلَّا مِنَ ٱلتُّقَىٰ ... وَلَا ٱلْمَالَ إِلَّا مِنْ قَناً وَسُيُوفِ

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ طِعَاناً وَلَمْ تَقُمْ ... مَقَاماً عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ غَيْرَ خَفِيفِ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٧١) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٧١) .

فَلَا تَجْزَعَا يَا بْنَيْ طَرِيفٍ فَإِنَّنِي ... أَرَى ٱلْمَوْتَ حَلَّالاً بِكُلِّ شَرِيفِ

والمنظومُ الجيدُ : ما خرجَ مَخرجَ المنثورِ في سهولتِهِ وسلاستِهِ وسيولتِهِ وقِلَّةِ ضروراتِهِ ، ومِنْ ذٰلكَ قولُ بعضِ المُحدَثينَ (١) : [من المتقارب]

وُقُوفُكَ تَحْتَ ظِلَالِ ٱلسُّيُوفِ ... أَقَرَّ ٱلْخِلَافَةَ فِي دَارِهَا

كَأَنَّكَ مُطَّلِعٌ فِي ٱلْقُلُوبِ ... إِذَا مَا تَنَاجَتْ بِأَسْرَارِهَا

وَكَرَّاتُ طَرْفِكَ مَرْدُودَةٌ ... إِلَيْكَ بِغَامِضِ أَخْبَارِهَا

وَفِي رَاحَتَيْكَ ٱلرَّدَىٰ وَٱلنَّدَىٰ ... وَكِلْتَاهُمَا طَوْعُ مُمْتَارِهَا

وَأَقْضِيَةُ ٱللهِ مَحْتُومَةٌ ... وَأَنْتَ مُنَفِّذُ أَقْدَارِهَا

ولا تكادُ القصيدةُ تستوي أبياتُها في حسنِ التأليفِ ، ولا بدَّ أن تتخالفَ في ذٰلكَ ؛ كقولِ عبيدِ بنِ الأبرصِ (٢) : [من البسيط]

وَقَدْ عَلَا لِمَّتِي شَيْبٌ فَوَدَّعَنِي ... لَهُ ٱلْغَوانِي وَدَاعَ ٱلصَّارِمِ ٱلْقَالِي

وَقَدْ أُسَلِّي هُمُومِي حِينَ تَحْضُرُنِي ... بِجَسْرَةٍ كَعَلَاةِ ٱلْقَيْنِ شِمْلَالِ

زَيَّافَةٍ بِقَتُودِ ٱلرَّحْلِ نَاجِيَةٍ ... تَنْفِي ٱلْهَجِيرَ بِتَبْغِيلٍ وَإِرْقَالِ

فهٰذا نظمٌ حسنٌ ، وتأليفٌ مختارٌ ، وفيها ما هوَ رديءٌ لا خيرَ فيهِ ؛ كقولِهِ :

بَانَ ٱلشَّبَابُ فَآلَىٰ لَا يُلِمُّ بِنَا ... وَٱحْتَلَّ بِي مِنْ مَشِيبٍ كُلَّ مِحْلَالِ

وقولِهِ :

فَبِتُّ أَلْعَنُهَا طَوْراً وَتَلْعَنُنِي ... ثُمَّ ٱنْصَرَفْتُ وَهِي مِنِّي عَلَىٰ بَالِ

فقولُهُ : (واحتلَّ بي مِنْ مشيبٍ كلَّ مِحلالِ) بغيضٌ خارجٌ عن طريقِ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٧٢) .

(٢) انظر « ديوان عبيد بن الأبرص » (ص ٢٣ ـ ٢٤) .

الاستعمالِ ، وأبغضُ منه قولُهُ : (وهيْ منّي علىٰ بالِ) بتسكينِ (هي) ضرورةً .

وقولِهِ :

وَكَبْشِ مَلْمُومَةٍ بَادٍ نَوَاجِذُهَا شَهْبَاءَ ذَاتِ سَرَابِيلٍ وَأَبْطَالِ

السَّرابيلُ : الدُّروعُ ، فلو وضعَ السُّيوفَ معَ الدرعِ . . لَكانَ أجودَ ، ومثلُ هٰذا النقدِ ممَّا سبقَتْ بهِ العربُ .

وقولِهِ :

وَقَهْوَةٍ كَرُضَابِ ٱلْمِسْكِ طَابَ بِهَا فِي دَنِّهَا كَرُّ حَوْلٍ بَعْدَ أَحْوَالِ

هٰذا البيتُ متوسِّطٌ .

وقولِهِ :

بَاكَرْتُهَا قَبْلَ أَنْ يَبْدُو ٱلصَّبَاحُ لَنَا فِي بَيْتِ مُنْهَمِرِ ٱلْكَفَّيْنِ مِفْضَالِ

النصفُ الثاني خيرٌ مِنَ الأولِ ؛ فإنَّ قولَهُ : (باكرتُها) كافٍ ، وما بعدَهُ فضلٌ .

وكقولِ النَّمرِ بنِ تولبٍ (1) : [من الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ أَنْكَرْتُ نَفْسِي وَرَابَنِي مَعَ ٱلشَّيْبِ إِبْدَالُ ٱلَّتِي أَتَبَدَّلُ
فُضُولٌ أَرَاهَا فِي أَدِيمِيَ بَعْدَمَا يَكُونُ [كِفَافَ] ٱللَّحْمِ أَوْ هُوَ أَجْمَلُ
وَبُطْءٍ عَنِ ٱلدَّاعِي فَلَسْتُ بِآخِذٍ سِلَاحِي إِلَيْهِ مِثْلَ مَا كُنْتُ أَفْعَلُ
كَأَنَّ مِحَطّاً فِي يَدَيْ حَارِثِيَّةٍ صَنَاعٍ عَلَتْ مِنِّي بِهِ ٱلْجِلْدَ مِنْ عَلُ

---

(1) انظر « ديوان النمر بن تولب » (ص ٩٨) .

تَـدَارَكَ مَـا قَـبْـلَ ٱلـشَّـبَـابِ وَبَـعْـدَهُ حَــوَادِثُ أَيَّــامٍ تَــمُــرُّ وَأَغْــفُــلُ
يَـوَدُّ ٱلْـفَـتَـىٰ طُـولَ ٱلـسَّـلَامَـةِ جَاهِـداً فَكَيْـفَ تَـرَىٰ طُـولَ ٱلـسَّـلَامَـةِ يَـفْـعَـلُ

فهٰذهِ الأبياتُ جيدةُ السَّبكِ ، حسنةُ الرَّصفِ ، وقولُهُ :

فَـلا ٱلْـجَـارَةُ ٱلـدُّنْـيَـا لَـهَـا تُـلْـحِـيَـنَّـهَـا وَلَا ٱلـضَّـيْـفُ عَـنْـهَـا إِنْ أَنَـاخَ مُـحَـوَّلُ

فالنصفُ الأوَّلُ مُختلٌّ ؛ لأنَّهُ خالفَ فيهِ وجهَ الاستعمالِ ، ووجهُ الكلامِ : ولا تلحي جارتَها الدنيا ؛ أيِ : القريبةَ ، وأعطى المرأةَ في النصفِ الثاني ما ليسَ مِنْ صفتِها ، وقولُهُ :

إِذَا هَـتَّـكَـتْ أَطْـنَـابَ بَـيْـتٍ وَأَهْـلَـهُ بِـمَـعْـطِـنِـهَـا لَـمْ يُـورِدُوا ٱلْـمَـاءَ قَـيَّـلُـوا

هٰذا مُضطرِبٌ ؛ لتناولِهِ المعنىٰ مِنْ بُعدٍ ، ووجهُ الكلامِ : أن يقولَ : إذا دنَتْ إبلُنا مِنْ حيٍّ ولم تَرِدْ إبلُهُمُ الماءَ . . قَيَّلُوا ، والقَيْلُ : شربُ نصفِ النهارِ ؛ يعني : أنَّهُم لعِزِّهِم وشِدَّةِ بأسِهِم متىٰ وردوا ماءً وعندَهُم مَنْ سبقَهُم إليهِ . . قَدَّموهُم ولم يجسروا أن يَتقدَّمُوهُم ، بل يُضطَرُّونَ إلىٰ تأخيرِ السَّقيِ لغيرِ وقتِهِ ؛ وهوَ نصفُ النهارِ ، ووقتُهُ الغداةُ .

ومثالُ حسنِ الرَّصفِ مِنَ المنثورِ : قولُ القائلِ : ولولا أنَّ أجودَ الكلامِ ما يَدُلُّ قليلُهُ علىٰ كثيرِهِ ، وتغني جملتُهُ عن تفصيلِهِ . . لَوَسَّعتُ نطاقَ القولِ فيما انطوىٰ عليهِ ؛ مِنْ خُلوصِ المَودَّةِ ، وصفاءِ المَحبَّةِ ، فجالَ مَجالَ الطَّرفِ في ميدانِهِ ، وتَصرَّفَ تَصرُّفَ الرَّوضِ في افتنانِهِ ، لٰكنِ البلاغةُ بالإيجازِ أبلغُ مِنَ البلاغةِ بالإطنابِ .

ومِنْ تمامِ حسنِ الرَّصفِ : أن يَخرجَ الكلامُ مَخرجاً يكونُ لهُ فيهِ طُلاوةٌ وماءٌ ، فربَّما كانَ الكلامُ مستقيمَ الألفاظِ ، صحيحَ المعاني ، ولا يكونُ لهُ رونقٌ ولا رُواءٌ ؛ وذٰلكَ بأن يَخرُجَ في غيرِ تَكلُّفٍ وكَدٍّ وشَدٍّ وتَفكُّرٍ وتَعمُّلٍ ،

ويكونَ سلسلاً سهلاً ، ولهُ ماءٌ ورُواءٌ ورقراقٌ ، وعليهِ فريدٌ لا يكونُ علىٰ غيرِهِ ممَّا عَسُرَ بروزُهُ ، واستُكرِهَ خروجُهُ ، تدركُ ذٰلكَ بالوجدانِ بعدَ كثرةِ قراءةِ مختلفاتِ الأشعارِ ، فإنَّكَ تجدُ لنفسِكَ مِنَ الفرحِ عندَ قراءةِ بعضِها ما لا تجدُهُ عندَ قراءةِ غيرِهِ ، واعتبرْ ذٰلكَ بمثلِ قولِ الحطيئةِ (١) : [من الوافر]

هُمُ ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ إِذَا أَلَمَّتْ ... مِنَ ٱلْأَيَّامِ مُظْلِمَةٌ أَضَاؤُوا

وقولِهِ (٢) : [من الطويل]

لَهُ فِي بَنِي ٱلْحَاجَاتِ أَيْدٍ كَأَنَّهَا ... تَسَاقُطُ ماءِ ٱلْمُزْنِ فِي ٱلْبَلَدِ ٱلْقَفْرِ

وقولِ أشجعَ (٣) : [من الكامل]

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامُ ... نَشَرَتْ عَلَيْهِ جَمَالَهَا ٱلْأَيَّامُ

وَإِذَا سُيُوفُكَ صَافَحَتْ هَامَ ٱلْعِدَا ... طَارَتْ لَهُنَّ عَنِ ٱلْفِرَاخِ ٱلْهَامُ

بَرَقَتْ سَمَاؤُكَ لِلْعَدُوِّ فَأَمْطَرَتْ ... هَاماً لَهَا ظِلُّ ٱلسُّيُوفِ غَمَامُ

وَعَلَىٰ عَدُوِّكَ يَا بْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ ... رَصَدَانِ ضَوْءُ ٱلصُّبْحِ وَٱلْإِظْلَامُ

فَإِذَا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ وَإِذَا غَفَا ... سَلَّتْ عَلَيْهِ سُيُوفَكَ ٱلْأَحْلَامُ

ففي هٰذهِ الأبياتِ معَ جودتِها رونقٌ ليسَ في غيرِها ممَّا يجري مَجراها ؛ مِنْ صحةِ المعنىٰ ، وصوابِ اللفظِ .

* * *

---

(١) تقدم (٣/٤٠٨) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٧٧) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ١٧٧) .

[حسنُ الأخذِ]

هـٰذا ؛ وممَّا ينبغي أن نطلعَكَ عليهِ معَ ما سبقَ تتميماً لمعرفتِكَ ، ودلالةً لكَ علىٰ ما يَعترِضُكَ في الطريقِ التي تَسلكُها لمعرفةِ إنشاءِ الكلامِ نثراً ونظماً : أنَّ المعانيَ دائرةٌ بينَ الناسِ ، يتفاوتونَ في التعبيرِ عنها ، ومنهُ نشأَ القولُ بأنَّ الناسَ يأخذُ بعضُهُم مِنْ بعضٍ ، وتنويعُ ذٰلكَ الأخذِ إلىٰ حسنٍ وغيرِ حسنٍ ، فوجبَ أن نسوقَ لكَ أمثلةً مِنْ ذٰلكَ ؛ لتطلبَ الحسنَ ، وتجتنبَ غيرَهُ .

[أمثلةٌ في حسنِ الأخذِ]

قالَ أبو هلالٍ[1] : ليسَ لأحدٍ مِنْ أصنافِ القائلينَ غنىً عن تناولِ المعاني ممَّنْ تَقدَّمَهُم ، والصَّبِّ علىٰ قوالبِ مَنْ سبقَهُم ، ولٰكنْ عليهِم إذا أخذوها أن يكتبوها عندَهُم ، ويبرزُوها في معارضَ مِنْ تأليفِهِم ، ويُؤدُّوها في غيرِ حليتِها الأولىٰ ، ويزيدوا في حسنِ تأليفِها ، وجودةِ تركيبِها ، وكمالِ حليتِها ومَعرِضِها ، فإذا فعلوا ذٰلكَ . . فهُم أَولىٰ بها ممَّنْ سبقَ إليها ، ولولا أنَّ القائلَ يُؤدِّي ما سمعَ ما كانَ في طاقتِهِ أن يقولَ ، وإنَّما يَنطِقُ الطفلُ بعدَ استماعِهِ مِنَ البالغينَ .

وقالَ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ[2] : (لولا أنَّ الكلامَ يُعادُ . . لَنَفَدَ) .

علىٰ أنَّ المعانيَ مُشترَكةٌ بينَ العقلاءِ ، وربَّما وقعَ المعنى الجيدُ للسُّوقيِّ

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٢) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٢) .

والنبطيّ والزّنجيّ ، وإنَّما يتفاضلُ الناسُ في الألفاظِ ورصفِها ، وتأليفِها ونظمِها ، وقد يقعُ للمُتأخِّرِ معنىً سبقَهُ إليهِ المُتقدِّمُ مِنْ غيرِ أن يُلِمَّ بهِ ، ولٰكنْ كما وقعَ للأولِ وقعَ للآخِرِ .

وهٰذا أمرٌ عرفتُهُ مِنْ نفسي[1] ، فلستُ أمتري فيهِ ؛ وذٰلكَ أنّي كنتُ عملتُ في صفةِ النساءِ : [من الطويل]

سَفَرْنَ بُدُوراً وَٱنْتَقَبْنَ أَهِلَّةً

وظننتُ أنّي سبقتُ إلىٰ جمعِ هٰذَينِ التشبيهَينِ في نصفِ بيتٍ ، إلىٰ أن وجدتُهُ لبعضِ البغداديينَ ، فكَثُرَ تعجُّبي ، وعزمتُ علىٰ ألَّا أحكمَ على المُتأخِّرِ بالسَّرَقِ مِنَ المُتقدِّمِ حكماً حتماً .

وقد قيلَ : إنَّ مَنْ أخذَ المعنىٰ ، فكساهُ لفظاً مِنْ عندِهِ . . كانَ هوَ أَولىٰ بهِ ممَّنْ تَقدَّمَهُ .

وقالوا : إنَّ أبا عُذْرَةِ الكلامِ مَنْ سبكَ لفظَهُ علىٰ معناهُ ، ومَنْ أخذَ معنىً بلفظِهِ كلِّهِ أو بعضِهِ . . فذٰلكَ هوَ السارقُ ؛ كقولِ النابغةِ[2] : [من الطويل]

بِأَنَّكَ شَمْسٌ وَٱلْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

وقد سبقَهُ إليهِ رجلٌ مِنْ كندةَ في عمرِو بنِ هندٍ حيثُ يقولُ[3] : [من الطويل]

هُوَ ٱلشَّمْسُ وَافَتْ يَوْمَ دَجْنٍ فَأَفْضَلَتْ عَلَىٰ كُلِّ ضَوْءٍ وَٱلْمُلُوكُ كَوَاكِبُ

والحاذقُ يخفي دبيبَهُ إلى المعنىٰ حتىٰ يأخذَهُ في سترٍ ، فيَحكُمُ لهُ بالسَّبقِ إليهِ مَنْ يَمرُّ بهِ ، وأحدُ أسبابِ إخفاءِ السَّرَقِ : أن يأخذَ المعنى المستعملَ في

---

(١) سياق الكلام لصاحب « الصناعتين » .

(٢) تقدم (٢/٣٠) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٣) .

صفةِ خمرٍ فيجعلَهُ في مديحٍ ، أو مِنْ مديحٍ فينقلَهُ إلىٰ وصفٍ مثلاً ، إلَّا أنَّهُ لا يَكمُلُ لهـٰذا إلَّا المُبرِّزُ الكاملُ المُقدَّمُ ، فممَّنْ أخفىٰ دبيبَهُ إلى المعنىٰ وسترَهُ غايةَ السَّترِ أبو نُواسٍ في قولِهِ[1] : [من مخلع البسيط]

أَعْـطَـتْـكَ رَيْـحَـانَـهَـا ٱلْـعُـقَـارُ

إذ كانَ قد أخذَهُ مِنْ قولِ الأعشىٰ علىٰ ما قالوا : [من الكامل]

وَسَـبِـيـئَـةٍ مِـمَّـا تُـعَـتِّـقُ بَـابِـلٌ ... كَـدَمِ ٱلـذَّبِـيـحِ سَـلَـبْـتُـهَـا جِـرْيَـالَـهَـا

سُئِلَ الأعشىٰ عن (سلبتُها جِريالَها) والجِريالُ : حُمرةُ المُدامِ ، أو هيَ المُدامُ الحمراءُ ، فقالَ : شربتُها حمراءَ ، وبُلتُها بيضاءَ ، فبقيَ حسنُ لونِها في بدني .

ومعنىٰ : (أعطتْكَ ريحانَها العُقارُ) أي : شربتَها فانتقلَ إليكَ ، وكذٰلكَ قولُهُ : [من مخلع البسيط]

لَا يَـنْـزِلُ ٱلـلَّـيْـلُ حَـيْـثُ حَـلَّـتْ ... فَـدَهْـرُ شُـرَّابِـهَـا نَـهَـارُ

مِنْ قولِ قيسِ بنِ الخطيمِ[2] : [من المنسرح]

قَـضَـىٰ لَـهَـا ٱللهُ حِـيـنَ صَـوَّرَهَـا ٱلْـ ... ـخَـالِـقُ أَلَّا تُـجِـنَّـهَـا ٱلـسُّـدَفُ

فنقلَ ذٰلك أبو نُواسٍ مِنْ صفةِ المرأةِ إلى الخمرِ .

وكقولِ أبي تمامٍ[3] : [من الطويل]

جَـمَـعْـتَ عُـرَىٰ أَعْـمَـالِـهَـا بَـعْـدَ فُـرْقَـةٍ ... إِلَـيْـكَ كَـمَـا ضَـمَّ ٱلْأَنَـابِـيبَ عَـامِـلُ

---

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٩٨) ، والبيت بتمامه :

أَعْـطَـتْـكَ رَيْـحَـانَـهَـا ٱلْـعُـقَـارُ ... وَحَـانَ مِـنْ لَـيْـلِـكَ ٱنْـسِـفَـارُ

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٤) .

(٣) انظر « ديوان أبي تمام » (١٢٢/٣) .

قيلَ : نقلَهُ إلى المدحِ مِنْ قولِ أبي حالٍ الربعيّ في الرثاءِ (١) : [من الطويل]

أُولَـٰئِكَ إِخْـوَانُ ٱلـصَّـفَـاءِ رُزِئْـتُـهُـمْ وَمَـا ٱلْـكَـفُّ إِلَّا إِصْـبَـعٌ ثُـمَّ إِصْـبَـعُ

وكقولِ البحتريّ (٢) : [من الكامل]

وَلَـوَ ٱنَّ مُـشْـتَـاقـاً تَـكَـلَّـفَ غَـيْـرَ مَـا فِـي وُسْـعِـهِ لَـسَـعَـىٰ إِلَـيْـكَ ٱلْـمِـنْـبَـرُ

نقلَهُ إلى المدحِ مِنْ قولِ العرجيّ فِي الغزلِ (٣) : [من الكامل]

لَـوْ كَـانَ حَـيًّـا قَـبْـلَـهُـنَّ ظَـعَـائِـنـاً حَـيَّـا ٱلْـحَـطِـيـمُ وُجُـوهَـهُـنَّ وَزَمْـزَمُ

إلَّا أنَّهُ غيرُ خافٍ ، ثمَّ المَدارُ في حسنِ الأخذِ علىٰ أن يَشتمِلَ كلامُ الآخذِ علىٰ ما لم يَشتمِلْ عليه كلامُ المأخوذِ منهُ ؛ مِنْ حسنِ تركيبٍ ، أوِ اختصارِ عبارةٍ ، أو زيادةِ معنىً ، وتستبينُ ذٰلكَ فيما تراهُ مِنَ الأمثلةِ ، قالَ مسلمُ بنُ الوليدِ (٤) : [من الوافر]

أُحِـبُّ ٱلـرِّيـحَ مَـا هَـبَّـتْ شِـمَـالاً وَأَحْـسِـدُهَـا إِذَا هَـبَّـتْ جَـنُـوبَـا

أخذَهُ مِنْ قولِ جِرانِ العَوْدِ (٥) : [من الطويل]

إِذَا هَبَّتِ ٱلْأَرْوَاحُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ وَجَـدْتُ لِـرَيَّـاهَـا عَـلَـىٰ كَـبِـدِي بَـرْدَا

وقالَ أيضاً (٦) : [من البسيط]

وَيُغْمِدُ ٱلسَّيْفَ بَيْنَ ٱلنَّحْرِ وَٱلْجِيدِ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٥) .

(٢) انظر « ديوان البحتري » (١٠٧٣/٢) .

(٣) انظر « ديوان العرجي » (ص ١٩١) ، و« الصناعتين » (ص ٢٠٧) .

(٤) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ٢٧٤) .

(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٨) .

(٦) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٨) .

أخذَهُ مِنْ قولِ بعضِ الفرسانِ (١) : [من الوافر]

جَعَلْتُ ٱلسَّيْفَ بَيْنَ ٱللِّيتِ مِنْهُ وَبَيْـنَ سَـوَادِ لِـحْـيَـتِـهِ عِـذَارَا

فإغمادُ السَّيفِ أقوىٰ مِنْ جعلِهِ عذاراً ، وقالَ أبو نُواسٍ (٢) : [من الكامل]

سَبْطُ ٱلْبَنَانِ إِذَا ٱحْتَبَىٰ بِنِجَادِهِ غَمَرَ ٱلْجَمَاجِمَ وَٱلسِّمَاطُ قِيَامُ

يصفُ ممدوحَهُ ببسطةِ القامةِ ، فيقولُ : إنَّهُ وهوَ قاعدٌ محتبٍ بنِجادِهِ يَطولُ مَنْ حولَهُ مِنَ العسكرِ وهُم قيامٌ ، وكانَ الخليفةُ إذا جلسَ مجلسَ المَهابةِ . . قامَ بجانبَيهِ صفَّانِ مُمتدَّانِ إلىٰ مسافةٍ مِنَ العسكرِ يمشي بينَهُما المارُّ إليهِ ، وهُما السِّماطانِ ، وكانَ يُقالُ : قالَ فلانٌ القصيدةَ الفلانيةَ ، وأنشدَها بينَ السِّماطَينِ ، أخذَ أبو نُواسٍ قولَهُ مِنْ قولِ جريرٍ (٣) : [من البسيط]

وَقَدْ أَطُولُ نِجَادَ ٱلسَّيْفِ مُحْتَبِياً مِثْلَ ٱلرُّدَيْنِيِّ هَزَّتْهُ ٱلْأَنَابِيبُ

وقالَ أيضاً في هٰذا المعنىٰ (٤) : [من الطويل]

أَشَمُّ طَوِيلُ ٱلسَّاعِدَيْنِ كَأَنَّمَا يُلَاثُ نِجَاداً سَيْفُهُ بِلِوَاءِ

أخذَهُ مِنْ قولِ عنترةَ (٥) : [من الكامل]

بَطَلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ يُحْذَىٰ نِعَالَ ٱلسِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْءَمِ

وقالَ محمدُ بنُ عطيةَ العدويُّ (٦) : [من السريع]

مَا ٱلْعَيْشُ إِلَّا فِي جُنُونِ ٱلصِّبَا فَإِنْ تَقَضَّىٰ فَجُنُونُ ٱلْمُدَامْ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٨) ، والليت : أدنىٰ صفحتي العنق ، وعنده : (لحييه) بدل (لحيته) .
(٢) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٣٤٢) .
(٣) انظر « ديوان جرير » (١/٣٤٨) .
(٤) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٢٤٨) .
(٥) انظر « ديوان عنترة العبسي » (ص ٢١٢) .
(٦) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٩ ـ ٢١٠) .

رَاحُ إِذَا مَـا ٱلـشَّـيْـخُ وَالَـىٰ بِـهَـا	خَـمْـسـاً تَـرَدَّىٰ بِـرِدَاءِ ٱلْـغُـلَامْ

قيلَ : أخذَهُ مِنْ قولِ حسانَ[1] : [من الخفيف]

إِنَّ شَـرْخَ ٱلـشَّـبَـابِ وَٱلـشَّـعَـرَ ٱلْأَسْـ	ـوَدَ مَـا لَـمْ يُـعَـاصَ كَـانَ جُـنُـونَـا

وقالَ أبو تمامٍ[2] : [من الكامل]

نَقِّلْ فُؤَادَكَ مَا ٱسْتَطَعْتَ مِنَ ٱلْهَوَىٰ	مَـا ٱلْـحُـبُّ إِلَّا لِـلْـحَـبِـيـبِ ٱلْأَوَّلِ

كَـمْ مَنْزِلٍ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْلَفُهُ ٱلْفَتَىٰ	وَحَـنِـيـنُـهُ أَبَـداً لِأَوَّلِ مَـنْـزِلِ

أخذهُ مِنْ قولِ كثيرٍ[3] : [من الطويل]

إِذَا مَـا أَرَادَتْ خُـلَّـةٌ أَنْ تُـزِيـلَـنَـا	أَبَـيْـنَـا وَقُـلْـنَـا ٱلْـحَـاجِـبِـيَّـةُ أَوَّلُ

وقالَ أبو تمامٍ أيضاً[4] : [من الطويل]

وَرَكْـبٍ كَـأَطْـرَافِ ٱلْأَسِـنَّـةِ عَـرَّسُـوا	عَلَىٰ مِثْلِهَا وَٱللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهْ

لِأَمْـرٍ عَـلَـيْـهِـمْ أَنْ تَـتِـمَّ صُـدُورُهُ	وَلَـيْـسَ عَـلَـيْـهِـمْ أَنْ تَـتِـمَّ عَـوَاقِـبُـهْ

أخذَ البيتَ الأولَ مِنْ قولِ البعيثِ[5] : [من الطويل]

أَطَـافَـتْ بِـرَكْـبٍ كَـٱلْأَسِـنَّـةِ هُـجَّـدٍ	بِـخَـاشِـعَـةِ ٱلْأَرْجَاءِ غُـبْـرٍ صُـحُـونُـهَـا

والبيتُ الثاني مِنْ قولِ أعرابيٍّ[6] : [من الوافر]

غُـلَامُ وَغًـىً تَـقَـحَّـمَـهَـا فَـأَبْـلَـىٰ	فَـخَـانَ بَـلَاءَهُ ٱلـزَّمَـنُ ٱلْـخَـؤُونُ

---

(١) انظر « ديوان حسان بن ثابت » رضي الله عنه (١/٢٣٦) .
(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٤/٢٥٣) .
(٣) انظر « ديوان كثير عزة » (ص ٢٥٥) .
(٤) انظر « ديوان أبي تمام » (١/٢٢١) .
(٥) انظر « ديوان البعيث المجاشعي » (ص ٩٨) .
(٦) انظر « الصناعتين » (ص ٢١٢) .

وَكَانَ عَلَى ٱلْفَتَى ٱلْإِقْدَامُ فِيهَا وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا جَنَتِ ٱلْمَنُونُ

وقالَ في رثاءِ ولدَينِ لعبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ[1] : [من الكامل]

نَجْمَانِ شَاءَ ٱللهُ أَلَّا يَطْلُعَا إِلَّا ٱرْتِدَادَ ٱلطَّرْفِ حَتَّىٰ يَأْفِلَا
إِنَّ ٱلْفَجِيعَةَ بِٱلرِّيَاضِ نَوَاضِراً لَأَجَلُّ مِنْهَا بِٱلرِّيَاضِ ذَوَابِلَا
لَهْفِي عَلَىٰ تِلْكَ ٱلْمَخَايِلِ فِيهِمَا لَوْ أُمْهِلَتْ حَتَّىٰ تَكُونَ شَمَائِلَا
لَوْ يُنْسَأَانِ لَكَانَ هَـٰذَا غَارِباً لِلْمَكْرُمَاتِ وَكَانَ هَـٰذَا كَاهِلَا
إِنَّ ٱلْهِلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نُمُوَّهُ أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَصِيرُ بَدْراً كَامِلَا

ألمَّ في هـٰذهِ المعاني بقولِ الفرزدقِ وأجادَ ما شاءَ[2] : [من الطويل]

وَجَفْنُ سِلَاحٍ قَدْ رُزِئْتُ فَلَمْ أَنُحْ عَلَيْهِ وَلَمْ أَبْعَثْ عَلَيْهِ ٱلْبَوَاكِيَا
وَفِي جَوْفِهِ مِنْ دَارِمٍ ذُو حَفِيظَةٍ لَوَ ٱنَّ ٱلْمَنَايَا أَنْسَأَتْهُ لَيَالِيَا

❀ ❀ ❀

ويُحكىٰ عن أبي نُواسٍ أنَّهُ كانَ يقولُ : ما زلتُ أستهجنُ قولَ الشمَّاخِ[3] : [من الوافر]

إِذَا بَلَّغْتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةَ فَٱشْرَقِي بِدَمِ ٱلْوَتِينِ

وموافقةُ ذي الرُّمَّةِ إيَّاهُ في قولِهِ[4] : [من الطويل]

إِذَا ٱبْنَ أَبِي مُوسَىٰ بِلَالاً بَلَغْتِهِ فَقَامَ بِفَأْسٍ بَيْنَ عَيْنَيْكِ جَازِرُ

---

(١) هو أبو تمام . انظر « ديوانه » (٤/١١٤ ـ ١١٥) .
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢١٢) .
(٣) انظر « ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني » (ص ٣٢٣) .
(٤) انظر « ديوان ذي الرمة » (٢/١٠٤٢) .

حتىٰ سمعتُ قولَ الفرزدقِ [1] : [من الوافر]

عَـلَامَ تَـلَـفَّـتِـيـنَ وَأَنْـتِ تَـحْـتِـي ... وَخَـيْـرُ ٱلـنَّـاسِ كُـلِّـهِـمُ أَمَـامِـي

مَـتَىٰ تَـرِدِي ٱلـرُّصَـافَـةَ تَـسْـتَـرِيـحِـي ... مِـنَ ٱلـتَّـهْـجِـيـرِ وَٱلـدَّبَـرِ ٱلـدَّوَامِـي

فتبعتُهُ في قولي [2] : [من الكامل]

وَإِذَا ٱلْـمَـطِـيُّ بِـنَـا بَـلَـغْـنَ مُـحَـمَّـداً ... فَـظُـهُـورُهُـنَّ عَـلَى ٱلـرِّحَـالِ حَـرَامُ

قَرَّبْنَنَا مِنْ خَيْرِ مَنْ وَطِئَ ٱلْحَصَىٰ ... فَـلَـهَـا عَـلَـيْـنَـا حُـرْمَـةٌ وَذِمَـامُ

وقلتُ [3] : [من الوافر]

أَقُـولُ لِـنَـاقَـتِـي إِذْ بَـلَّـغَـتْـنِـي ... لَـقَـدْ أَصْـبَـحْـتِ عِـنْـدِي بِـٱلـثَّـمِـيـنِ

فَـلَـمْ أَجْـعَـلْـكِ لِـلْـغِـرْبَـانِ نُـحْـلاً ... وَلَا قُـلْـتُ ٱشْـرَقِـي بِـدَمِ ٱلْـوَتِـيـنِ

حَـرُمْـتِ عَـلَى ٱلْأَزِمَّـةِ وَٱلْـوَلَايَـا ... وَأَعْـلَاقِ ٱلـرَّحَـالَـةِ وَٱلْـوَضِـيـنِ

فأنتَ تراهُ قدِ اعترفَ بالمتابعةِ ، ولم يخشَ فيها معابةً ؛ لِمَا عرفتَ مِنِ استحسانِ سلوكِهم تلكَ السبيلَ إذا أحسنوا وأجادوا .

وقد شَرَّفَ هـٰذا المعنىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ حيثُ قالَ لامرأةٍ قالَتْ : نجوتُ علىٰ هـٰذهِ النجيبةِ ، ونذرتُ إن بلَّغَتْني أن أنحرَها : « بِئْسَ مَا جَزَيْتِهَا » [4] .

ويُحكىٰ [5] : أنَّ دِعْبِلاً كانَ جالساً يوماً في جماعةٍ ، فجرىٰ ذكرُ

---

(١) انظر « ديوان الفرزدق » (٢/٥٣٣) .
(٢) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٣٤١) .
(٣) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ١٥١) .
(٤) رواه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (٨٧٠٩) من حديث سيدنا عمران بن الحصين رضي الله عنهما .
(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٢١٩) .

أبي تمام ، فوقعَ فيهِ كما هوَ شأنُ أكثرِ المتعاصرينَ المشتركينَ في صناعةٍ ، وقالَ : إنَّه يتتبعُ معانيَ فيأخذُها ، فقالَ رجلٌ : ما مِنْ ذاكَ أعزَّكَ اللهُ ؟ فقالَ : قلتُ (١) : [من الطويل]

وَإِنَّ ٱمْـرَأً أَسْـدَىٰ إِلَـيَّ بِـشَـافِـعٍ إِلَيْهِ وَيَرْجُو ٱلشُّكْرَ مِنِّي لَأَحْمَقُ
شَفِيعَكَ فَٱشْكُرْ فِي ٱلْحَوَائِجِ إِنَّهُ يَصُونُكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا وَهْوَ يَخْلُقُ

فقالَ (٢) : [من الكامل]

فَمَتَىٰ أَقُومُ بِحَقِّ شُكْرِكَ إِذْ جَنَتْ بِـٱلْـغَـيْـبِ كَـفُّـكَ لِـي ثِـمَـارَ نَـوَالِـهِ
فَلَقِيتُ بَيْنَ يَدَيْكَ حُلْوَ عَطَائِهِ وَلَـقِـيـتَ بَـيْـنَ يَـدَيْـهِ مُـرَّ سُـؤَالِـهِ
وَإِذَا ٱمْـرُؤٌ أَسْـدَىٰ إِلَـيْـكَ صَـنِـيـعَـةً مِـنْ جَـاهِـهِ فَـكَـأَنَّـهَـا مِـنْ مَـالِـهِ

فقالَ الرجلُ : أحسنَ واللهِ ، فقالَ دِعْبِلٌ : كذبتَ قَبَّحَكَ اللهُ ، فقالَ الرجلُ : إن كانَ سُبِقَ إلىٰ هٰذا المعنىٰ فتبعتَهُ . . لما أحسنتَ ، وإن أخذَهُ منكَ . . لقد أجادَهُ ، فصارَ أَولىٰ بهِ منكَ ، فغضبَ دِعْبِلٌ وقامَ .

فانظرْ ـ هداكَ اللهُ ـ في مثل هٰذا . . يُفِدْكَ أدباً ، فأيَّ إساءةٍ أساءَ دِعْبِلٌ ؛ فإنَّ مَنْ أسدىٰ . . يستوجبُ الشُّكرَ علىٰ أيِّ حالٍ ، ولِمَنْ أسدىٰ بشفيعٍ مِنَّتانِ ، وما على المحسنينَ مِنْ سبيلٍ ، وقد أظهرَ دِعْبِلٌ حماقتَهُ في قولِهِ : (أحمقُ) و(يخلقُ) ، وكانَ طبعُ دِعْبِلٍ لا يصبرُ عنِ الهجاءِ ، وبقيَ مُدَّةً مستخفياً يدورُ في البلادِ ؛ لهجائِهِ الملوكَ ، وكانَ يقولُ : أنا منذُ كذا وكذا أحملُ خشبتي علىٰ كتفي ؛ يعني : خشبةَ الصَّلْبِ ؛ لكونِهِ كانَ يَتوقَّعُ ذٰلكَ ؛ لإفراطِهِ في التشيُّعِ ، وذمِّهِ خلفاءَ وقتِهِ ،

(١) انظر « ديوان دعبل الخزاعي » (ص ١٩٣) .
(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٣/٥٩ ـ ٦٠) .

وأيَّ إحسانٍ أحسنَ أبو تمامٍ في سلاسةِ عبارتِهِ ، وتمامِ أدبِهِ .

وسمعَ بشارٌ قولَ المجنونِ [1] : [من الطويل]

أَلَا إِنَّمَا لَيْلَىٰ عَصَا خَيْزُرَانَةٍ إِذَا غَمَزُوهَا بِٱلْأَكُفِّ تَلِينُ

فقالَ : واللهِ ؛ لو جعلَها عصاً مِنْ زبدٍ أو مخٍّ . . لَمَا أحسنَ ، ألا قالَ مثلَ ما قلتُ [2] : [من الوافر]

وَحَوْرَاءُ ٱلْمَدَامِعِ مِنْ مَعَدٍّ كَأَنَّ حَدِيثَهَا ثَمَرُ ٱلْجِنَانِ

إِذَا قَامَتْ بِسُبْحَتِهَا تَثَنَّتْ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْزُرَانِ

واستهجنَ الناسُ قولَهُ : (عظامَها) .

ولمَّا قالَ بشارٌ [3] : [من البسيط]

مَنْ رَاقَبَ ٱلنَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِٱلطَّيِّبَاتِ ٱلْفَاتِكُ ٱللَّهِجُ

تبعَهُ سَلْمٌ الخاسرُ فقالَ : [من مخلع البسيط]

مَنْ رَاقَبَ ٱلنَّاسَ مَاتَ غَمّاً وَفَازَ بِٱللَّذَّةِ ٱلْجَسُورُ

فلمَّا سمعَ بشارٌ هٰذا البيتَ . . قالَ : ذهبَ ابنُ الفاعلةِ ببيتي ، وكانَ تلميذَهُ .

ومِنْ **حسنِ الاتباعِ** [4] : قولُ إبراهيمَ بنِ العباسِ الصُّوليّ : إذا كانَ للمحسنِ مِنَ الثوابِ ما يُقنِعُهُ ، وللمُسيءِ مِنَ العقابِ ما يَقمَعُهُ . . ازدادَ المُحسِنُ في الإحسانِ رغبةً ، وانقادَ المُسيءُ للحقِّ رهبةً .

---

(١) انظر « ديوان قيس بن الملوح » (ص ٢٦٤) .

(٢) انظر « ديوان بشار بن برد » (٢٢٠/٤) .

(٣) انظر « ديوان بشار بن برد » (٥٦/٢) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٢٢٠) .

اتَّبَعَ فيهِ عليّاً كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ حيثُ يقولُ : يجبُ على الوالي أن يَتعهَّدَ أمـورَهُ ، ويَتفقَّدَ أعوانَـهُ ، حتىٰ لا يخفىٰ عليهِ إحسانُ مُحسِنٍ ، ولا إساءةُ مُسيءٍ ، ثمَّ لا يتركُ واحداً منهُما بغيرِ جزاءٍ ، فإن تركَ ذٰلكَ . . تَهاونَ المُحسِنُ ، واجترأَ المُسيءُ ، [وفسدَ] الأمرُ ، وضاعَ العملُ .

وقالَ بعضُهُم[1] : [من الكامل]

أَأُقَاتِلُ ٱلْحَجَّاجَ عَنْ سُلْطَانِهِ ... بِيَدٍ تُقِرُّ بِأَنَّهَا مَوْلَاتُهُ

مَاذَا أَقُولُ إِذَا وَقَفْتُ إِزَاءَهُ ... فِي ٱلصَّفِّ وَٱحْتَجَّتْ لَهُ فَعَلَاتُهُ

وقالَ نصيبٌ[2] :

فَعَاجُوا فَأَثْنَوْا بِٱلَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ ... وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ ٱلْحَقَائِبُ

أي : ولو سكتوا . . أثنَتْ عليكَ العطايا الظاهرةُ ، وقيلَ : شهادةُ الأحوالِ أعدلُ مِنْ شهادةِ الأقوالِ .

فكتبَ مَنْ كتبَ اتباعاً لذٰلكَ : لو أمسكَ لساني عن شُكرِكَ . . لنطقَ أثرُكَ عليَّ .

وفي موضعٍ آخرَ : ولو جحدتُ إحسانَكَ . . لأكذبَتْني آثارُكَ ، ونَمَّتْ عليَّ شواهدُهُ .

وقالَ أبو نُواسٍ[3] : [من السريع]

قُولَا لِهَارُونَ إِمَامِ ٱلْهُدَىٰ ... عِنْدَ ٱحْتِفَالِ ٱلْمَجْلِسِ ٱلْحَاشِدِ

أَنْتَ عَلَىٰ مَا بِكَ مِنْ قُدْرَةٍ ... فَلَسْتَ مِثْلَ ٱلْفَضْلِ بِٱلْوَاجِدِ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٢١) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٢٠) .

(٣) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٢٦٢) .

لَـيْـسَ عَـلَى ٱللهِ بِـمُـسْـتَـنْـكَـرٍ   أَنْ يَـجْـمَـعَ ٱلْـعَـالَـمَ فِـي وَاحِـدِ

أخذاً مِنْ قولِ جريرٍ (١) :   [من الوافر]

إِذَا غَـضِـبَـتْ عَـلَـيَّ بَـنُـو تَـمِـيـمٍ   وَجَـدْتُ ٱلـنَّـاسَ كُـلَّـهُـمُ غِـضَـابَـا

وقالَ ابنُ [أبي] عيينةَ (٢) :   [من مخلع البسيط]

مَـا كُـنْـتَ إِلَّا كَـلَـحْـمِ مَـيْـتٍ   دَعَـا إِلَـىٰ أَكْـلِـهِ ٱضْـطِـرَارُ

أخذَهُ مِنْ قولِ الأولِ (٣) :   [من الطويل]

وَإِنَّ بِـقَـوْمٍ سَـوَّدُوكَ لَـفَـاقَـةً   إِلَـىٰ سَـيِّـدٍ لَـوْ يَـظْـفَـرُونَ بِـسَـيِّـدِ

وقالَ إبراهيمُ بنُ العباسِ (٤) :   [من مجزوء المتقارب]

لِـفَـضْـلِ بْـنِ سَـعْـدٍ يَـدٌ   تَـقَـاصَـرَ عَـنْـهَـا ٱلْـمَـثَـلْ

فَـبَـسْـطَـتُـهَـا لِـلْـغِـنَـىٰ   وَسَـطْـوَتُـهَـا لِـلأَجَـلْ

وَبَـاطِـنُـهَـا لِـلـنَّـدَىٰ   وَظَـاهِـرُهَـا لِـلْـقُـبَـلْ

فقالَ ابنُ الروميّ (٥) :   [من الكامل]

أَصْـبَـحْـتُ بَـيْـنَ خَـصَـاصَـةٍ وَتَـجَـمُّـلٍ   وَٱلْـمَـرْءُ بَـيْـنَـهُـمَـا يَـمُـوتُ هَـزِيـلَا

فَـٱمْـدُدْ إِلَـيَّ يَـداً تَـعَـوَّدَ بَـطْـنُـهَـا   بَـذْلَ ٱلـنَّـوَالِ وَظَـهْـرُهَـا ٱلـتَّـقْـبِـيـلَا

ولٰكنْ قولُ إبراهيمَ : (باطنُها) و(ظاهرُها) أحسنُ مِنْ (تَعوَّدَ بطنُها) .

---

(١) انظر « ديوان جرير » (٨٢٣/٢) ، و« الصناعتين » (ص ٢٢٢) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٢٨) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٢٢٨) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٠) ، وفيه : (سهل) بدل (سعد) .

(٥) انظر « ديوان ابن الرومي » (١٩٠١/٥) .

وقالَ بشارٌ[1] : [من السريع]

اَلــدَّهْــرُ طَـــلَّاعٌ بِـــأَحْــدَاثِـــهِ وَرُسْـلُـهُ فِـيـهَـا ٱلْـمَـقَـادِيـرُ
مَـحْـجُـوبَـةٌ تَـنْـفُـذُ أَحْـكَـامُـهَـا لَـيْـسَ لَـهَـا عَـنْ ذَاكَ تَـأْخِـيـرُ

فتبعَهُ ابنُ الروميِّ حيثُ يقولُ في المدحِ[2] : [من الطويل]

يَظَلُّ عَنِ ٱلْحَرْبِ ٱلْعَوَانِ بِمَعْزِلٍ وَآثَـارُهُ فِـيـهَـا وَإِنْ غَـابَ شُـهَّـدُ
كَمَا ٱحْتَجَبَ ٱلْمِقْدَارُ وَٱلْحُكْمُ حُكْمُهُ عَلَى ٱلنَّاسِ طُرّاً لَيْسَ عَنْهُ مُعَرَّدُ

قال أبو هلالٍ[3] : إلَّا أنَّ قولَ بشارٍ أكثرُ ماءً وطلاوةً .

وقالَ أبو تمامٍ[4] : [من الطويل]

وَجَدْتُ رَجَائِي فِيكَ وَحْدَكَ هِمَّةً وَلَٰكِنَّهُ فِي سَائِرِ ٱلنَّاسِ مَطْمَعُ

قالَ أبو هلالٍ[5] : أخذهُ البحتريُّ واختصرَهُ[6] : [من الطويل]

ثَنَىٰ أَمَلِي وَٱحْتَازَهُ عَنْ مَعَاشِرٍ يَبِيتُونَ وَٱلْآمَالُ فِيهِمْ مَطَامِعُ

وعجبتُ مِنْ قولِ أبي هلالٍ ؛ فقد نزلَ البحتريُّ عن أبي تمامٍ درجاتٍ .

فأينَ هوَ مِنْ قولِهِ : (وحدَكَ هِمَّةً) ، ومِنْ قولِهِ : (في سائرِ الناسِ) ؟! وكيفَ يقولُ : (اختصرَ) وهوَ يقولُ : (ثنىٰ أملي واحتازَهُ عن معاشرٍ يبيتونَ) ؟!

---

(١) انظر « ديوان بشار بن برد » (٦٣/٤) .
(٢) انظر « ديوان ابن الرومي » (٦٠٠/٢) .
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣١) .
(٤) انظر « ديوان أبي تمام » (٣٣٣/٢) .
(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٣) .
(٦) انظر « ديوان البحتري » (١٣٠٣/٢) .

وتبعَهُمُ ابنُ الروميّ في هٰذا المعنىٰ حيثُ يقولُ[١] : [من الطويل]

وَقَـدْ مَـرَّ دَهْـرٌ وَٱلْأَمَـانِـي وَسَـاوِسُ بِـهِ صَـدَّقَ ٱللَّهُ ٱلْأَمَـانِـي حَـدِيـثَـهَـا

وقالَ أبو تمامٍ[٢] : [من الخفيف]

هِـمَّـةٌ تَـنْـطَـحُ ٱلـنُّـجُـومَ وَجِـدٌّ آلِفٌ لِلْحَضِيضِ فَهْوَ حَضِيضُ

وتبعَهُ البحتريُّ فلمْ يُسِئْ[٣] : [من الكامل]

مُـتَـحَـيِّـرٌ يَـغْـدُو بِـعَـزْمٍ قَـائِـمٍ فِـي كُـلِّ نَـائِـبَـةٍ وَجِـدٍّ قَـاعِـدِ

وقالَ أبو العتاهيةِ[٤] : [من الكامل]

كَـمْ نِـعْـمَـةٍ لَا تَـسْـتَـقِـلُّ بِشُـكْـرِهَـا لِلَّهِ فِـي طَـيِّ ٱلْـمَـكَـارِهِ كَـامِـنَـهْ

فتبعَهُ أبو تمامٍ بقولِهِ[٥] : [من البسيط]

قَدْ يُنْعِمُ ٱللَّهُ بِٱلْبَلْوَىٰ وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَبْتَلِي ٱللَّهُ بَعْضَ ٱلْقَوْمِ بِٱلنِّعَمِ

لٰكنَّهُ وإن زادَ فقولُ أبي العتاهيةِ أجملُ .

وقالَ أبو تمامٍ[٦] : [من الخفيف]

رَافِـعـاً كَـفَّـهُ لِـبِـرِّي فَـمَـا أَحْـ ـسِبُـهُ جَـاءَنِـي لِـغَـيْـرِ ٱلـلِّـطَـامِ

أخذَهُ البحتريُّ فأوضحَهُ وأحسنَ العبارةَ عنهُ[٧] : [من الوافر]

وَوَعْـدٌ لَـيْـسَ يُـعْـرَفُ مِـنْ عُـبُـوسٍ بِـأَوْجُـهِـهِـمْ أَوَعْـدٌ أَمْ وَعِـيـدُ

---

(١) انظر « ديوان ابن الرومي » (٣/١٢٢٤) .
(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٢/٢٨٩) .
(٣) انظر « ديوان البحتري » (١/٥٠٧) .
(٤) انظر « ديوان أبي العتاهية » (ص ٦٥٠) .
(٥) انظر « ديوان أبي تمام » (٣/٢٨٠) .
(٦) انظر « ديوان أبي تمام » (٣/٢١٠) .
(٧) انظر « ديوان البحتري » (١/٥٨١) .

وقالَ عربيٌّ[1] : [من الطويل]

وَفَرَّقْتُ بَيْنَ ٱبْنَيْ هُتَيْمٍ بِطَعْنَةٍ لَهَا عَانِدٌ يَكْسُو ٱلسَّلِيبَ إِزَارَهُ

العاندُ : الدمُ الشديدُ الخروجِ ، فأخذَهُ البحتريُّ وقالَ[2] : [من الكامل]

سُلِبُوا وَأَشْرَقَتِ ٱلدِّمَاءُ عَلَيْهِمُ مُحْمَرَّةً فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسْلَبُوا

علىٰ أنَّ (محمرةً) حشوٌ ، وكفاكَ هٰذا القدرُ مُنبّهاً على اعتبارِ أمثالِهِ [عن] قراءةِ الأشعارِ ، متىٰ كنتَ مُستحضِراً .

[أمثلةٌ في قُبحِ الأخذِ]

وهاكَ أمثلةً لقبيحِ الأخذِ : فمِنْ ذٰلكَ ـ لو لم يكنْ مِنْ تواردِ الخواطرِ ـ قولُ طرفةَ[3] : [من الطويل]

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسىً وَتَجَلَّدِ

أخذاً مِنْ قولِ امرئِ القيسِ بتغييرِ القافيةِ[4] : [من الطويل]

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسىً وَتَجَمَّلِ

وقولُ الفرزدقِ[5] : [من الطويل]

أَتَرْجُو رَبِيعٌ أَنْ تَجِيءَ صِغَارُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا رَبِيعاً كِبَارُهَا

مِنْ قولِ البعيثِ[6] : [من الطويل]

أَتَرْجُو كُلَيْباً أَنْ يَجِيءَ حَدِيثُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا كُلَيْباً قَدِيمُهَا

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٣) ، وفيه : (إزارها) بدل (إزاره) .

(٢) انظر « ديوان البحتري » (٧٦/١) .

(٣) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ٦) .

(٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٩) .

(٥) انظر « ديوان الفرزدق » (٤٤٧/١) .

(٦) انظر « ديوان البعيث المجاشعي » (ص ٩٢) .

وفي تواردِ الخواطرِ يقولُ أبو عمرِو بنُ العلاءِ وقد سُئِلَ عنِ الشاعرَينِ يَتَّفقانِ (١) : عقولُ رجالٍ توافَتْ علىٰ ألسنتِها .

وفي تحقيقِ تواردِ الخواطرِ (٢) : يُروىٰ : أنَّهُ لمَّا أنشدَ عمرُ بنُ أبي ربيعةَ عبدَ اللهِ بنَ العباسِ رضيَ اللهُ عنهُما قولَهُ :

تَشِطُّ غَداً دَارُ جِيرَانِنَا

سبقَهُ لتتميمِ البيتِ فقالَ :

وَلَلدَّارُ بَعْدَ غَدٍ أَبْعَدُ

فقالَ عمرُ : هٰكذا قلتُ ، فقالَ : هٰكذا ينبغي أن يُقالَ .

وإنَّ جريراً والفرزدقَ حضرا مَرَّةً مجلسَ هشامٍ أو غيرِهِ وعديٌّ بنُ الرقَّاعِ يُنشِدُ قصيدتَهُ التي أوَّلُها (٣) : [من الكامل]

عَرَفَ ٱلدِّيَارَ تَوَهُّماً فَٱعْتَادَهَا

فلمَّا وصلَ إلىٰ قولِهِ في صفةِ الغزالةِ وابنِها :

تُزْجِي أَغَنَّ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ

عرضَ للملكِ شغلٌ عنِ الاستماعِ ، فقالَ الفرزدقُ لجريرٍ : ماذا تُراهُ يقولُ ؟ فقالَ جريرٌ : أراهُ يستلبُ مثلاً ، قالَ الفرزدقُ : إنَّهُ يقولُ :

قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ ٱلدَّوَاةِ مِدَادَهَا

فلمَّا عادَ عديٌّ للإنشادِ وأتمَّ البيتَ هٰكذا . . قالَ جريرٌ : لقد

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٥) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٦) .

(٣) انظر « ديوان عدي بن الرقَّاع » (ص ٨٢) ، والبيت بتمامه :

عَرَفَ ٱلدِّيَارَ تَوَهُّماً فَٱعْتَادَهَا ... مِنْ بَعْدِ مَا شَمِلَ ٱلْبِلَىٰ أَبْلَادَهَا

حسدتُ الفرزدقَ علىٰ إدراكِهِ فوقَ ما حسدتُ عديّاً علىٰ شعرِهِ .

ومثلُ ذٰلك وقع كثيراً ، سيَّما في الأشعارِ المحكمةِ التي تُنبِئُ صُدورُها عن أعجازِها .

وخطبَ النابغةُ بينَ يدَيِ النعمانِ ، فقالَ يُفضِّلُهُ علىٰ ملكِ غسانَ(١) : أيفاخرُكَ ابنُ جفنةَ ؟! واللّاتِ ؛ لَأَمْسُكَ خيرٌ مِنْ يومِهِ ، ولَقَذالُكَ أحسنُ مِنْ وجهِهِ ، ولَيسارُكَ أسمحُ مِنْ يمينِهِ ، [ولعبيدُكَ أكثرُ] مِنْ قومِهِ ، ولَنفسُكَ أكبرُ مِنْ [جندِهِ] ، ولَيومُكَ أشرفُ مِنْ دهرِهِ ، ولَوعدُكَ أنجزُ مِنْ رِفدِهِ ، ولَهزلُكَ أضربُ مِنْ جِدِّهِ ، ولَكرسيُّكَ أرفعُ مِنْ سريرِهِ ، ولَفِترُكَ أبسطُ مِنْ شبرِهِ ، ولَأُمُّكَ خيرٌ مِنْ أبيهِ .

فأخذَ الشعراءُ قولَ النابغةِ : (ولَقذالُكَ أحسنُ مِنْ وجهِهِ) ، قالَ أبو نُواسٍ(٢) : [من الخفيف]

بَذَّ حُسْنَ ٱلْوُجُوهِ حُسْنُ قَفَاكَا

وقالَ عبدُ الصَّمدِ بنُ المعذلِ(٣) : [من الكامل]

لَمَّا رَأَيْتُ ٱلْبَدْرَ فِي ... أُفُقِ ٱلسَّمَاءِ وَقَدْ تَعَلَّىٰ
وَرَأَيْتُ قَرْنَ ٱلشَّمْسِ فِي ... أُفُقِ ٱلسَّمَاءِ وَقَدْ تَدَلَّىٰ
شَبَّهْتُ ذَاكَ وَهَٰذِهِ ... وَأَرَىٰ شَبِيهَهُمَا أَجَلَّا
وَجْهُ ٱلْحَبِيبِ إِذَا بَدَا ... وَقَفَا ٱلْحَبِيبِ إِذَا تَوَلَّىٰ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٧) .
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٧) ، والبيت بتمامه :
بِأَبِي أَنْتَ مِنْ مَلِيحٍ بَدِيعٍ ... بَذَّ حُسْنَ ٱلْوُجُوهِ حُسْنُ قَفَاكَا
(٣) انظر « ديوان عبد الصمد بن المعذّل » (ص ١٥٣) .

قالَ أبو هلالٍ [1] : لا يَحسُنُ أن يُقالَ للرجلِ : قَفاكَ حالُهُ كذا وكذا .

فعبارةُ النابغةِ أحسنُ .

وسمعَ الحسنُ بنُ وهبٍ قولَ أعرابيٍّ : جمعَتْني وإيَّاها ظلمةُ الليلِ ، وكانَ البدرُ يُزيِّنُها ، فلمَّا غابَ . . أرتْنيهِ ، فقالَ [2] : [من الوافر]

أَرَانِـي ٱلْـبَـدْرُ سُـنَّـتَـهَـا عِـشَـاءً   فَـلَـمَّـا أَزْمَـعَ ٱلْـبَـدْرُ ٱلْأُفُـولَا

أَرَتْـنِـيـهِ بِـسُـنَّـتِـهَـا فَـكَـانَـتْ   مِـنَ ٱلْـبَـدْرِ ٱلْـمُـنَـوَّرِ لِـي بَـدِيـلَا

فأساءَ بالإطالةِ والتكريرِ وسوءِ العبارةِ ، فقد فاتَهُ قولُ الأعرابيِّ : وكانَ البدرُ يزينُها .

وقالَ البحتريُّ [3] : [من الطويل]

أَضَـرَّتْ بِـضَـوْءِ ٱلْـبَـدْرِ وَٱلْـبَـدْرُ طَـالِـعٌ   وَقَـامَـتْ مَـقَـامَ ٱلْـبَـدْرِ لَـمَّـا تَـغَـيَّـبَـا

قالَ أبو هلالٍ [4] : زادَ البحتريُّ على الأعرابيِّ في قولِهِ : (أضرَّتْ) .

قلتُ : ولم يصبْ ، فليسَ قولُهُ : (أضرَّتْ) واقعاً مِنَ الحسنِ موقعَ قولِ الأعرابيِّ .

وسمعَ بعضُهُم قولَ محمودٍ الوراقِ [5] : [من الطويل]

إِذَا كَـانَ شُـكْـرِي نِـعْـمَـةَ ٱللهِ نِـعْـمَـةً   عَـلَـيَّ لَـهُ فِـي مِـثْـلِـهَـا يَـجِـبُ ٱلشُّـكْـرُ

فَـكَـيْـفَ بُـلُـوغُ ٱلشُّـكْـرِ إِلَّا بِـفَـضْـلِـهِ   وَإِنْ طَـالَـتِ ٱلْأَيَّـامُ وَٱتَّـصَـلَ ٱلْـعُـمْـرُ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٨) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٨) .

(٣) انظر « ديوان البحتري » (١٩٧/١) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٨) .

(٥) انظر « ديوان محمود الوراق » (ص ١٢١) .

إِذَا مَسَّ بِـٱلسَّرَّاءِ عَمَّ سُرُورُهُ ... وَإِنْ مَسَّ بِـٱلضَّرَّاءِ أَعْقَبَهُ أَجْرُ
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا لَهُ فِيهِ نِعْمَةٌ ... تَضِيقُ بِهَا ٱلْأَوْهَامُ وَٱلْبَرُّ وَٱلْبَحْرُ

فقالَ وأساءَ (١) : [من البسيط]

اَلْحَمْدُ لِلّهِ إِنَّ ٱللّهَ ذُو نِعَمٍ ... لَمْ يُحْصِهَا عَدَداً بِٱلشُّكْرِ مَنْ حَمِدَا
شُكْرِي لَهُ عَمَلٌ فِيهِ عَلَيَّ لَهُ ... شُكْرٌ يَكُونُ فَمَا لِلشُّكْرِ فِيهِ مَدَىٰ

وقالَ عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ : قيمةُ كلِّ امرئٍ ما يُحسِنُهُ ، فقالَ ابنُ طباطبا العلويُّ (٢) : [من الطويل]

فَيَا لَائِمِي دَعْنِي أُغَالِي بِقِيمَتِي ... فَقِيمَةُ كُلِّ ٱلنَّاسِ مَا يُحْسِنُونَهُ

وقالَ آخَرُ : [من المتقارب]

فَقِيمَةُ كُلِّ ٱمْرِئٍ عِلْمُهُ

فأساءَ كلٌّ ، وإساءةُ الأوَّلِ أشدُّ ؛ فإنَّ قولَهُ : (**كلُّ الناسِ**) ليسَ كقولِهما : (**كلُّ امرئٍ**) .

وقالَ عربيٌّ (٣) : [من الوافر]

دَنَوْتُ لَهُ بِأَبْيَضَ مَشْرَفِيٍّ ... كَمَا يَدْنُو ٱلْمُصَافِحُ لِلْعِنَاقِ

فأساءَ في أخذِهِ أبو تمامٍ حيثُ يقولُ (٤) : [من البسيط]

حَنَّ إِلَى ٱلْمَوْتِ حَتَّىٰ ظَنَّ جَاهِلُهُ ... بِأَنَّهُ حَنَّ مُشْتَاقاً إِلَىٰ وَطَنِ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٨) .
(٢) انظر « ديوان ابن طباطبا » (ص ١٢٦) .
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٩) .
(٤) انظر « ديوان أبي تمام » (١٤٠/٤) .

وأحسنَ البحتريُّ أخذَهُ في قولِهِ[1] : [من الطويل]

تَسَرَّعَ حَتَّىٰ قَالَ مَنْ شَهِدَ ٱلْوَغَىٰ لِقَاءُ أَعَادٍ أَمْ لِقَاءُ حَبَائِبِ

وقالَ ذو الرُّمةِ[2] : [من الطويل]

وَلَيْلٍ كَجِلْبَابِ ٱلْعَرُوسِ ٱدَّرَعْتُهُ بِأَرْبَعَةٍ وَٱلشَّخْصُ فِي ٱلْعَيْنِ وَاحِدُ

أَحَمُّ عِلَافِيٌّ وَأَبْيَضُ صَارِمٌ وَأَسْمَرُ خَطِّيٌّ وَأَبْيَضُ مَاجِدُ

فأساءَ في أخذِهِ أبو تمامٍ في قولِهِ[3] : [من البسيط]

اَلْبِيدُ وَٱلْعِيسُ وَٱللَّيْلُ ٱلتَّمَامُ مَعاً ثَلَاثَةٌ أَبَداً يُقْرَنَّ فِي قَرَنِ

فقولُهُ : (**والليلُ التمامُ معاً**) ، وقولُهُ : (**ثلاثةٌ أبداً**) ، وقولُهُ : (**يقرنَّ في قرنِ**) . . كلُّها عباراتٌ قبيحةٌ .

وأجادَ البحتريُّ الاتباعَ بعضَ الإجادةِ في قولِهِ[4] : [من الخفيف]

أُطْلُبَا ثَالِثاً سِوَايَ فَإِنِّي رَابِعُ ٱلْعِيسِ وَٱلدُّجَىٰ وَٱلْبِيدِ

وقالَ البحتريُّ[5] : [من الكامل]

قَوْمٌ تَرَىٰ أَرْمَاحَهُمْ يَوْمَ ٱلْوَغَىٰ مَشْغُوفَةً بِمَوَاطِنِ ٱلْكِتْمَانِ

فقصرَ عن أصلِهِ ؛ وهوَ قولُ عمرِو بنِ معديكربَ[6] : [من الكامل]

وَٱلضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَبْيَضَ مُرْهَفٍ وَٱلطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ ٱلْأَضْغَانِ

---

(١) انظر « ديوان البحتري » (١/١٧٨) .

(٢) انظر « ديوان ذي الرمة » (٢/١١٠٨ ـ ١١٠٩) .

(٣) انظر « ديوان أبي تمام » (٣/٣٣٨) .

(٤) انظر « ديوان البحتري » (١/٦٣٣) .

(٥) انظر « ديوان البحتري » (٤/٢٣٦٥) .

(٦) تقدم (٢/٦٢) .

فقولُهُ : (مجامعَ الأضغانِ) أجودُ مِنْ قولِهِ : (مواطنَ الكتمانِ) لأنَّهُم إنَّما يطاعنونَ الأعداءَ مِنْ أجلِ أضغانِهِم ، فإذا وقع الطَّعنُ في موضعِ الضِّغْنِ . . فذاكَ المرادُ ، وقالَ البحتريُّ أيضاً (١) : [من الكامل]

فَلَوَ ٱنَّهَا بُذِلَتْ لَنَا لَمْ تَبْذُلِ … مِنْ غَادَةٍ مُنِعَتْ وَتَمْنَعُ نَيْلَهَا

مُنِعَتْ : بصيغةِ فعلِ المجهولِ ؛ أي : منعَها أهلُها ، وكذٰلكَ (بُذِلَتْ) أي : لو بذلُوها ، فقَصَّرَ فيهِ عن قولِ عبدِ الصَّمدِ بنِ المُعذِّلِ لاختصارِهِ وظهورِ المعنىٰ فيهِ (٢) : [من مجزوء الكامل]

ظَبْيٌ كَأَنَّ بِخَصْرِهِ … مِنْ دِقَّةٍ ظَمَأً وَجُوعَا

وَمِنَ ٱلْبَلِيَّةِ أَنَّنِي … عُلِّقْتُ مَمْنُوعاً مَنُوعَا

وغيرُ حسنٍ قولُهُ : (ظمأً وجوعاً) .

وقد يتفقُ الشاعرانِ الآخذُ والمأخوذُ منهُ في سوءِ العبارةِ ؛ كقولِ ابنِ أذينةَ (٣) : [من السريع]

كَأَنَّمَا عَائِبُهَا دَائِباً … زَيَّنَهَا [عِنْدِي] بِتَزْيِينِ

وقولِ أبي نُواسٍ (٤) : [من السريع]

كَأَنَّهُمْ أَثْنَوْا وَلَمْ يَعْلَمُوا … عَلَيْكَ عِنْدِي بِٱلَّذِي عَابُوا

وربَّما اتفقا في الإجادةِ ؛ كقولِ أعرابيّ (٥) : [من الطويل]

فَنَمَّ عَلَيْهَا ٱلْمِسْكُ وَٱللَّيْلُ عَاكِفُ

---

(١) انظر « ديوان البحتري » (٣/١٧٤٢) .
(٢) انظر « ديوان عبد الصمد بن المعذّل » (ص ١٣٥) .
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٢٤١) .
(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٢٤١) .
(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٢٤١) .

وقولِ البحتريِّ[1] : [من الطويل]

وَحَاوَلْنَ كِتْمَانَ ٱلتَّرَحُّلِ فِي ٱلدُّجَىٰ فَنَمَّ بِهِنَّ ٱلْمِسْكُ حِينَ تَضَوَّعَا

وقالَ أيضاً[2] : [من المتقارب]

فَكَانَ ٱلْعَبِيرُ بِهَا وَاشِياً وَجَرْسُ ٱلْحُلِيِّ عَلَيْهَا رَقِيبَا

وزاحمَهُما المتنبي بقولِهِ[3] : [من الكامل]

قَلَقُ ٱلْمَلِيحَةِ وَهْيَ مِسْكٌ هَتْكُهَا وَمَسِيرُهَا فِي ٱللَّيْلِ وَهْيَ ذُكَاءُ

فجمعَ شيئَينِ كما فعلَ البحتريُّ في بيتِهِ الثاني ، ولٰكنَّهُ سقطَ في أسفلِ الرابيةِ .

وقالَ عربيٌّ[4] : [من الطويل]

حَرَامٌ عَلَىٰ أَرْمَاحِنَا طَعْنُ مُدْبِرٍ وَتَنْدَقُّ قِدْماً فِي ٱلصُّدُورِ صُدُورُهَا

مُسَلَّمَةٌ أَعْجَازُ خَيْلِيَ فِي ٱلْوَغَىٰ مُكَلَّمَةٌ لَبَّاتُهَا وَنُحُورُهَا

وقالَ أبو تمامٍ[5] : [من الطويل]

أُنَاسٌ إِذَا مَا ٱسْتَحْكَمَ ٱلرَّوْعُ كَسَّرُوا صُدُورَ ٱلْعَوَالِي فِي صُدُورِ ٱلْكَتَائِبِ

فأحسنا جميعاً .

ومِنْ وادي هٰذا الكلامِ قولُ بعضِهِم[6] : [من الكامل]

يَلْقَى ٱلسُّيُوفَ بِوَجْهِهِ وَبِنَحْرِهِ وَيُقِيمُهَا مِنْهُ مُقَامَ ٱلْمِغْفَرِ

---

(١) انظر « ديوان البحتري » (٢/١٢٦٣) .

(٢) انظر « ديوان البحتري » (١/١٥٠) .

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٩٣) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٢٤٣) .

(٥) انظر « ديوان أبي تمام » (١/٢٠٧) ، و« الصناعتين » (ص ٢٤٣) .

(٦) انظر « الصناعتين » (ص ٢٤٣) .

وَيَقُولُ لِلطِّرْفِ ٱصْطَبِرْ لِشَبَا ٱلْقَنَا   فَهَدَمْتُ رُكْنَ ٱلْمَجْدِ إِنْ لَمْ تُعْقَرِ

وفي قولِهِ : (ويقيمُها) استخدامٌ ؛ فإنَّ الكنايةَ لسيوفِ الممدوحِ .

وقولُ أبي بكرِ بنِ النطَّاحِ (١) : [من الخفيف]

يَتَلَقَّى ٱلنَّدَىٰ بِوَجْهٍ حَيِيٍّ   وَصُدُورَ ٱلْقَنَا بِوَجْهٍ وَقَاحِ

وهٰذا كلُّهُ مأخوذٌ مِنْ قولِ كعبِ بنِ زهيرٍ (٢) : [من البسيط]

لَا يَقَعُ ٱلطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمُ   وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ ٱلْمَوْتِ تَهْلِيلُ

أو مِنْ قولِ حسَّانَ (٣) : [من الطويل]

وَلَسْنَا عَلَى ٱلْأَعْقَابِ تَدْمَىٰ كُلُومُنَا   وَلَٰكِنْ عَلَىٰ أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ ٱلدَّمَا

هٰذا ما أردتُ نقلَهُ مِنْ كتابِ أبي هلالٍ ، فاستوعِهِ .

❁

تمّ المجلّد الثّالث
ويليه المجلّد الرّابع ، وأوّله .. (نقد الشّعر)

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٤٣) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٤٣) .

(٣) انظر « خزانة الأدب » (٤٩٠/٧) ، وهو للحصين بن الحمام ، وقد تقدم (٢٢٩/٣ ـ ٢٣٠) ضمن أبيات .

محتوى المجلد الثالث

* * *

*